

هزّ القحوف
بشرح قصيد ابي شادوف

تحقيق

همفري ديفيز



هزّ القحوف

بشرح قصيد أبي شادوف

يوسف الشربينيّ



تحقيق

همفري ديفيز

تُطلب النسخة الكاملة للشراء —
بنصّ الكتاب المحقّق مع الترجمة الإنجليزيّة والمقدّمة وكلمة
عن المخطوطات المستعملة والحواشي والمصادر —
من المكتبة العربية
(www.libraryofarabicliterature.org)

المكتبة العربيّة

تهدف المكتبة العربيّة التي أُنشِئَت بموجب منحة مقدَّمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربيّ باللغتين العربيّة والإنجليزيّة. إذ تُعِدُّ مجموعة من الباحثين المرموقين في مجال الدراسات العربيّة والإسلاميّة النصوص بحيث يُعرض المتن العربيّ المحقّق وترجمته الإنجليزيّة في صفحات متقابلة من المجلّد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربيّة إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدثها إلى مستهلّ العصر الحديث. وتضمّ المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه والفقه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعيّة وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصّة والحكاية.

تدير المكتبةَ العربيّة مجموعةٌ من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محرّرًا عامًّا، وجيمس مونتغمري، أستاذ اللغة العربيّة في جامعة كامبريدج، وشوكت محمود تراوا، أستاذ اللغة العربيّة في جامعة ييل، اللذان يعملان محرّرين تنفيذيّين، وتضمّ لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فخر الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برينستون)، ومايا كسرواني (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإيناس خنسه (الجامعة الأمريكيّة في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكيّة في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمّد رستم (جامعة كارلتون). ويشترك المحرّرون في اختيار النصوص وتفويض المترجمين ومراجعة المخطوطات والتدقيق النهائيّ للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسّسون للجنة التحرير - جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كوبرسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوارت

(جامعة إيموري) - محرّرين استشاريّين، وذلك من خلال تقديم النصح والإرشاد للسلسلة بشكلٍ عامّ.

تُعدّ المكتبة العربيّة الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبرى تضمّ نصوصاً عربيّة ذات قيمة مرجعيّة تصاحبها ترجمات إنجليزيّة تتّصف بحداثة الصياغة وسلاسة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلّاب وجمهور القرّاء غير المتخصّصين بموروث الأدب العربيّ.

كلمة عن إثبات النص العربي

هذه إعادة طبع مع مراجعة وتصحيح للطبعة التي أصدرتها مع دار ‹بيترس› عام ٢٠٠٥ والتي تعتمد على مقارنة بين ثماني مخطوطات والطبعة الأولى (بولا ق ١٢٧٤/ ١٨٥٨) . توجد تفاصيل نتائج هذه المقارنة وكذلك الهوامش الكاملة في الطبعة السابقة. ليس هناك حالياً طبعات نقدية أخرى للكتاب.

المحتويات

المجلّد الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون

(الحمد لله) الذي شرّف نوع الإنسان * بنطق اللسان * وخصّه بعموم مزيد الفضل والامتنان * وهيّأه لإدراك حقائق المعرفة والبيان * وتوّجه بتاج الكرامة والبراعة والإتقان * وجعل الطبائع مختلفة والأخلاق متباينة على ممرّ الأزمان * وميّز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخصّ أضداده بسوء الخُلُق وكثافة الطبع كعوام الريف أراذل الجُدْران * والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد المبعوث من أفضل جرثوم[1] العرب من عدنان * المخصوص بجوامع الكَلِم ولوامع التِبْيان * وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم أفنان * صلاةً وسلاماً دائمَيْن متلازمَيْن في كلّ وقت وأوان

١،٠

[1] بي: جرتوم.

١،١ (وبعد) فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمّد بن عبد الجواد بن خِضَر الشِرْبِينيّ كان الله له ورحم الله سلفه إنّ ممّا مرّ عليّ من نظم شعر الأرياف * الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف * المشابه في رصّه لطين الجوالس * وجرى ذكره في بعض المجالس * قصيد أبي شادوف * المحاكي لبعر الخروف * أو طين الجروف * فوجدته قصيداً يا له من قصيد * كأنّه عُمِلَ من حديد * أو رُصَّ من قحوف الجريد * فالتمس منّي من لا يَسَعُني مخالفته * ولا يمكنني إلّا طاعته * أن أضع عليه شرحاً كريش الفراش * أو غبار العفاش * وزوابع السباخ * يحلّ ألفاظه السخيمه * ويبيّن معانيه الذميمه * ويكشف القناع عن وجه لغاته الفشرويّه * ومصادره الفُشْكُليّه * ومعانيه الركيكه * ومبانيه الديكه * ومقاصده العبيطه * وألفاظه الحويطه * وأن أُنتِّجه بحكايات غريبة ومسائل هباليّة عجيبه * وأن أُتحِفَه بشرح لغات الأرياف * التي هي في معنى ضراط النمل بلا خلاف * وأشعارهم المغتَرَفة من بحر التخابيط * واشتقاق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشراميط * ووقائع وقعت لبعضهم باتّفاق * في مصر وثغر بولاق * وذكر فقهائهم الجهّال * وعلمهم الذي شبيه ماء النُخال * وفقرائهم الأجلاف * وأحوال الأوباش منهم والأطراف * وذكر نسائهم عند الهراش * وملاعبتهنّ في الفِراش * التي هي شبيه نطّ القرود * أو بربرة الهنود * وأن أُورد جوَل كلام المتن بمعنًى إذا ذُقْتَه أيّها السامع يحكي طعم البول * وإذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه أيّها الناظر فكأنّك قطفت زبل الغول * وإذا نظرت إلى أشعاره فكأنّها رَصّ القُلْقَيْل * وإذا تأمّلت عفاشة كلامه فكأنّك تلوك زبل الخيل * وأن أصرّح ببعض فُكاهيّات هَزَليّه * وحِكَم هِباليّه * على سبيل المُجون والخَلاعه * والدَيْدَنة والسقاعه * حتّى يشتهر شرح هذا القصيد من دُمْياط إلى الصعيد * وأرجو أن لا يخلو منه إقليم أيّ ولا بلد من بلاد العبيد * وقلّ أن يخلو سامعه من تواتر الألفاظ التي كالوَلاش * وربما اعترى قارئه ضرب من الطُراش * فهو إن مرّ على المسامع يمرّ كالريح * وإن مجّه الطبع كان الفرض الصحيح * كما قال فيه الشاعر الفصيح * الملتقط شعره من الدُرّ الوضيح [وافر]

إِذَا حَقَّقْتَ أَنَّ ٱللَّفْظَ صَوْتٌ   وَأَنَّ ٱلصَّوْتَ مَعْنىً يَا فَصِيحُ
فَحَقِّقْ أَنَّ تَأْلِيفِي كَلَامٌ   تَلَذُّ بِهِ ٱلْمَسَامِعُ وَهْوَ رِيحُ

وفي المثل في البحر سمك يفسي نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعه والّا خلّيه

ولا بأس بوصف هذا الشرح بأبيات * كأنّها بول البنات * فأقول [وافر]   ٢،١

كِتَابٌ قَد حَوَى فَنَّ الوَلَاشِ   كِتَّابٌ قَد حَوَى رِيشَ الفَرَاشِ
كِتَابٌ فِيهِ أوراقٌ وحِبْرٌ   وقَوْلٌ صادِقٌ مَعَ قَوْلِ لاشِ
وفيهِ يا أخي مِن كُلِّ مَعنًى   إذا ما ذُقْتَهُ طَعمُ العَفاشِ
وألفاظٌ بهِ تحكي لِبَولٍ   عَليها رَونَقٌ مثلُ العَماشِ
وفيهِ مَسائِلٌ حازَتْ هُبالاً   عَليها سابِلٌ مثلُ القُماشِ[1]
وفيهِ النَّظْمُ شِبْهُ الطوبِ رَصّاً   وفيهِ مَسائِلٌ جاءَتْ بِلاشِ
إذا طالَعْتَهُ حقّاً وصِدْقاً   فَلا تَأْمَنْ سَرِيعاً من طُراشِ

وكل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد * وحلّ معانيه التي تحكي قحوف الجريد * فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن * كما هو عادة القاطن في هذا الفنّ والظاعن *

فيا له من شرح لو وُضِعَ على أعلى الجبل لتدكدك * ولو نُقِشَ على عامود الصواري لتحرّك * ولو مسَخ حجرًا لتشطّر * ولو أُلْقِيَ في اليمّ لتكدّر * فهو جدير بأن يُرْقَمَ ببول الجحوش على جدران الكنائس * وحقيق بأن يُسَطَّرَ على بيوت الأخلية ببول العرائس * وأَوْلى بأن يُلْقَى على رؤوس المزابل * وأحقر بأن يرقم على جدران المكاسل * فهو شرح عديم النظير في الكثافه * لكونه في معنى أوصاف الريّافه * وليس له شبيه في الثقاله * لكونه في وصف ذوي الرذاله *   ٣،١

---

١ بي: كالقُماشِ.

٤،١ واعلم أنّ كلّ شرح لا بدّ له من اسم يناسبه * وعَلَمَ عليه يقاربه * وقد سمّيتُ هذا الشرح (هزّ القحوف * بشرح قصيد أبي شادوف) وأطلب من القريحة الفاسده * والفكرة الكاسده * الإعانة على كلام أغرفه من بنات الأفكار * وأسطّره في الأوراق فُشار في فشار * وأن يكون من بحر الخرافات * والأمور الهباليّات * والخلاعة والمجون * وشيء يحاكي كلام ابن سُودُون * فقد يلتذّ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعه * ولا يميل إلى قول فيه البلاغة والبراعه * لأنّ النفوس الآن متشوّقة إلى شيء يسلّيها الهموم * ويزيل عنها وارد الغموم * وفي هذا المعنى أقول [طويل]

فَفي مَذهَبي أَنَّ الخَلاعَـةَ راحَةٌ　　تُسَلّي هُمومَ الشَّخصِ عِندَ انقِباضِهِ

وزماننا هذا لا يعيش فيه إلّا من عنده طرف من التمسخر والخلاعه * والدَيْدَنة والسقاعه * ولهذا قال الشاعر [خفيف]

ماتَ من عاشَ بالفَصاحةِ جُوعا　　وحَـظِي مَن يَقودُ أو يَتَمَسخَـرْ

وقد تساق الأرزاق * لمن لا يُدرِكُ الخطّ في الأوراق * ويُحرَمُ صاحب البلاغه * ولا يجد من القوت بلاغه * ولهذا قال الشاعر [كامل]

تُعطِي التُيُوسَ الرِزقَ بِسُهُولَةٍ　　وَذَوُو الفَصاحةِ رِزقُها مَسْجُونُ
إنْ كانَ حِرْماني لِأَجْلِ فَصاحَتي　　أُمْـنُنْ عَـلَيَّ مِنَ التُيُوسِ أَكُونُ

وقال الأبي صيري الأديب رحمه الله تعالى مَوالِيا [بسيط]

رَبُّ الفَصاحهْ عَظِيمُ الذَوقِ يَقِفْ أَشْلَمْ　　وَالأَبلَمُ التَيْسُ مُصَدَّرْ ومُتْعَظِّـمْ
يا رَبِّ إنْ كانَ حِـرْمـاني كَمـا تَعْـلَمْ　　أُمْـنُنْ عَـلَيّ أَكُونْ تَيْسَ ٱبْنِ تَيْسْ أَبْلَمْ

وقال ابن الراونديّ عفى الله عنه[1] [بسيط]

يا قاسِمَ الرِّزقِ لِمْ ضاقَتْ بِيَ القِسَمُ   ما أنتَ مُتَّهَمٌ قلْ لي مَنِ اتَّهِمُ
تُعطي اليَهودَ قناطيرًا مُقَنطَرةً   مِنَ اللُّجَيْنِ ورِجلي ما لها قَدَمُ
أعطَيتَني حِكَمًا لمْ تُعطِني وَرَقًا   قُل لي بِلا وَرِقٍ ما تَنفَعُ الحِكَمُ

٥،١ فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله * ويداري وقته بما يناسب لأحواله * ويكون حذرًا من دهره وصَوْلته * ويرقص للقِرْد في دَوْلته * ويعاشر الناس على قدر أحوالهم * ويدور معهم بحسب أدوارهم * ويندرج فى مدراج خلاعاتهم * ويظهر في مظاهر براعاتهم * قال بعضهم [سريع]

ودارِهِمْ ما دُمْتَ في دارِهِمْ   وحَيِّهِمْ ما دُمْتَ في حَيِّهِمْ
وأَحْسِنِ العِشْرة مَعْ بَعْضِهِمْ   يُعِينُكَ البَعْضُ عَلى كُلِّهِمْ

وفي الحديث أُمِرتُ بمداراة الناس

٦،١ (وقيل إنّ بعض الملوك مات إمامه) فقال لوزرائه وخواصّ دولته انظروا لنا إماماً يكون ورعاً زاهداً فيه لِين الجانب وهداوة النفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الأوصاف إلّا أنّه فقير الحال فقال الملك عليّ به فلمّا حضر بين يديه أكرمه وعظّمه وأعلى منزلته وصيّره أرقى من وزرائه وأجرى عليه النعم فلمّا رأى نفسه فى هذه الحالة تعاظم على أبناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر أرباب الدولة فاتّفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلمّا كان يوم الجمعة وأراد الملك أن يصلّي فى بعض المساجد أرسل السَجّادة ففُرِشَتْ له في ذلك المسجد ودخل وجلس عليها هو وذلك الإمام وكان اتّفاقهم في ذلك على أنّهم صنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر وأعطوه لرجل من خواصّ الملك ممّن يكتم السرّ وجعلوا له جعلاً

[1] في بي بين (عنه) و(يا قاسم): كمْ عالمٍ عالمٍ أَعْيَتْ مذاهبُهُ * وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا // هذا الذي ترك الأوهامَ جائرةً وصيّر العالمَ النِحْريرَ زِنْديقا ولبعضهم قال.

وقالوا له تضعه تحت السجّادة تحت جبهة الإمام بحيث أنّه لا يشعر بك أحد ففعل ذلك فلمّا فرغ الناس من صلاة الجمعة وأراد الملك الانصراف أخذ الفرّاش السجّادة فرأى الصليب فأعرضه على الملك فأنكره وقال لأرباب دولته ما هذا الأمر فإنّه قد رؤي هذا الصليب تحت جبهة الإمام فقالوا له هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وأمر بقتله فلمّا مرّت جنازته أنشد بعضهم يقول [رمل]

كانَ واللهِ تَقِيّاً صالِحا مُنْصِفاً عَدْلاً وَما قَطُّ اتُّهِمْ

فأجابه آخر يقول [رمل]

كانَ لا يَدري مُداراةَ الوَرَى وَمُداراةُ الوَرَى أمرٌ مُهِمْ

فالسلامة في مداراة الناس * وحسن الانطباع معهم بلطف الإيناس * وأن يكون الشخص متنقّلاً في أطوارهم * دائرًا تحت فَلَك أدوارهم * كما صرّحت بذلك في بعض المقامات بهذه الأبيات [طويل]

فطَوْرًا تَراني عالِمًا ومُدَرِّسا وطَوْرًا تَراني فاسِقًا فَلَفوسا
وطَوْرًا تَراني ع المَزامِرِ[1] عاكِفا وطَوْرًا تَراني سيِّدًا ورَئيسا
مَظاهِرُ أُنسٍ إنْ تحقَّقْتَ سِرَّها تُرِيكَ بُدورًا أقبلَتْ وشُموسا

---

١ بي: على المزامر.

(ولنشرع الآن فيما وعدنا * وما زمرنا به ورقصنا)

١،٢ والشخص يغلب عليه علمه وفنّه * والزامر لا يخبّي ذقنه * وقبل الخَوْض في بحر هذا الكلام * والمشابهة له من جنس النظام * (نذكر ما وقع لعوامّ بعض أهل الريف) * ووصف طبعهم الكثيف * وأخلاقهم الرذيله * وذواتهم الهبيله * وأسمائهم المقلَّبه * وقحوفهم المُشَقْلَبه * وقصانهم المُشَرْمَطه * وأشعارهم المُخَلْبَطه * ونسائهم المُزْعِجات * وما لهم من الدواهي والبليّات *

٢،٢ فنقول أمّا سوء أخلاقهم وقلّة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والأبقار * وملازمتهم لشيل الطين والعَفار * وعدم اكتراثهم بأهل اللطافه * وامتزاجهم بأهل الكثافه * كأنّهم خُلِقُوا من طينة البهائم * كما قال في ذلك الناظم [سريع]

لا تَصْحَبِ الفـلّاح لَوْ أَنّـَهُ نَاجِحَةٌ أَرْيَاحُـها صـاعِـدَهْ
ثِيـرانُهم قَدْ أَخْـبَرَتْ عَنْهُـمُ بِأَنَّهُـمْ مِنْ طِيـنَةٍ واحِـدَهْ

٣،٢ فهم لا يخرجون عن طَوْر الحافه * لملازمتهم المحراث والجرّافه * وهزّ قحوفهم حول الأجران * وطردهم في المَلَق والغيطان * ودورانهم حول الزرع * ونطّهم في الحصيدة والقلع * وغطوسهم في الجِلّة والطين * وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين * إذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنَبُّوت * والبقرة والأَنْتُوت * والساقية والفَرْقَلّه * وشيل الطين والجِلّه * والعياط والغاره * والطبلة والزُمّاره * والحِدْوة خلف قفاه * ومزراقه وهزّ رِداه * وحزامه الليف * والتبن والشليف * وخَلَقَته المشرمطة وصورته المخلبطه * وقاووقه الدَنِس * وكَرّه الغَلِس * وطرده للغارات * والدواهي والبليّات * ومشيه حافي * في الحرّ والحلافي * وعياطه في الظلام * بالصوت يا حَرام * فتجتمع عليه اللموم * ويهجموا بلاد القوم * وهم سعد وحرام * ويخرجوا إليهم بالتمام * فيقع بينهم

الحرب والعناد * وتَخْرُبُ بسببهم البلاد * ويقطعوا الطريق * على العدوّ والصديق *
ويترتّب من ذلك المفاسد * وتمتنع عن بلادهم الفوائد *

٤،٢ وكلّ هذا من قلّة عقلهم * وكثرة جهلهم * وسوء أخلاقهم * وعدم اتّفاقهم *
إذ كلّهم في الظاهر مسلمون * والقتل عندهم حُكْمَ الديون * وأيضاً عندهم قلّة
الوفاء * وعدم الأنس والصفاء * لا يؤدّوا القرض * ولا يعرفوا السُنّة والفرض *
إن عاملتهم أكلوك * وإن نصحتهم بغضوك * وإن أقمت لهم الشرع رفضوك *
وإن ألنت لهم الجانب مقتوك * العالم عندهم حقير * والظالم عندهم كبير * أمورهم
معانده * وليس عندهم فائده * عندهم قابض المال * أعزّ من العمّ والخال * سود
الوجوه * إذا رأوا معروفاً أنكروه * قال الشاعر [بسيط]

أَهْلُ الفِلاحَةِ لا تُكْرِمْهُمُ[1] أَبَدًا فَإِنَّ[2] إِكْرامَهُمُ في عَقْبِهِ نَدَمُ
يُبْدوا الصِّياحَ بِلا ضَرْبٍ وَلا أَلَمٍ سُودُ الوُجوهِ إِذا لَمْ يُظْلَموا ظَلَموا

٥،٢ إذا أقاموا أفراح * لا تكون إلّا بالعياط والصياح * والطرد والكرب * وربّما
وقع فيها البطح والضرب * وقد شاهدنا كثيرًا من أفراحهم * وما يقع فيها من عدم
نجاحهم * وسيأتي كيفيّة أفراحهم وأعراسهم * وعدم ذوقهم مع جلاسهم *
وأمّا إكرامهم للضيوف * فهو هزّ الأردية والقحوف * والجلوس على المصاطب *
ونفش اللحى والشوارب * وإن حصل منهم الكَرَم بإضرار * يكون العدس والبيسار *
أو الكِشْك الحامض بالفول * أو نوع من المدمّس والبقول *

٦،٢ ولو مكث الشخص منهم مدّة في مصر ودمياط * لا يكتسب من اللطافة
قيراط * وبعض أكابرهم المشار إليه * والمعوّل في الأمور إليه * إذا طلع مصر لمقابلة
الأمير * أو قضاء حاجة من الوزير * ترى عليه لبس محبوب * ومع ذلك يمشي حافي
بلا مركوب * وأمورهم ليس لها انضباط * وأحوالهم خُباط وعِياط * ووِرْدهم عند

---

١ بي: تُكْرِمَنَّهُمْ. ٢ بي وجميع النسخ: كان.

الأسحار * التفكّر في الغنم والأبقار * وتسبيحهم في الظلام * هات النبُّوت والحزام * وحُطّ العلَف * وهات الكلَف * قال الشاعر [كامل]

لا تَسكُنِ الأَرْياف إِنْ رُمْتَ العُلا   إِنَّ المذَلَّةَ في القُرى مِيراثُ
تَسبيحُهم هاتِ العَلفَ حُطّ الكَلَفْ   عَلِّقْ لِثَورِكَ جاءَكَ المِحْراثُ

٧،٢ لا يرحموا صغيرا * ولا يوقّروا كبيرا * عورتهم عند الاستنجاء على الفساقي مكشوفه * وثيابهم بالنجاسة محفوفه * يجتمعوا لحساب المال في المساجد * وليس فيهم راكع ولا ساجد * أولادهم دائمًا عريانين * وتراهم في صورة المجانين * الرحمة فيهم قليله * والرأفة منهم ذليله * كما أنّه يُكتَب لطرد النمل بلا مِرا * ارحل أيّها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى *

٨،٢ ومن وصايا الإمام مالك للإمام الشافعيّ رضي الله عنهما لا تسكن الأرياف فيضيع علمُك وجاهُك * وقال سيّدنا عبد الوهّاب الشَعْرانيّ نفعنا الله به لبعض تلامذته عليك بسُكنى المدن فإنّ المقت إذا نزل في بلاد الريف طوفان يكون في المدينة كخُلخال الرِجل قلت وإذا صحّفْتَ لفظة ريف مع قلب حروفها كانت قبر فالساكن في الريف معدوم اللذّات لأنّه دائمًا في انقباض وطرّ * وجَرْي وكرّ وفرّ * وحبس وضرب * ولعن وسبّ * وهَوان وسَخْر * وشيل أيبار وحَفْر * وسروح للعَوْنه * وتعب من جهة المُونه * وإن كان ذو فضل ضاع فضله * أو ذو عقل ذهب عقله * أو ذو مال أغْرَوْا عليه الحُكّام * أو ذو تجارة نهبوه في الظلام * فالحقّ عندهم مضاع * والباطل عندهم مذاع * وحُكْم الله ليس له اندفاع

(ذكر طرف يسير من أسمائهم وألقابهم وما يُكَنَّوا به)

(أمّا أسماؤهم) فإنّها كأسماء العفاريت * أو رُقَع الشلاتيت * فيُسَمَّوا جُنَيْجِل وجُلَيْجِل * وعَفْر ودعموم وزُعَيْط ومُعَيْط وقُسَيْط * وشلاطه ولهاطه * وشقليط ومقليط * وصقّار وبهوار وجعمار * وعِمْران وشعوان * وشمضوت وبرغوت * والعفش والنتش وكسبر وقفندر * وحنين وبنين * ودقيرى وفنديشه * وشُحَيْبَر وبُعَيْبَر ومحمّد بكسر الميم والحاء ومحمّدين والأسماء وإن كانت لا تُعلَّل * فإنّ أسمائهم هذه تشبه العِلَل * ٩،٢

وقد يسمّوا بالفال كما اتّفق أنّ رجلاً وُلِدَ له غلام فسمع رجلاً يقول لآخر يا أعمش العين فقال نسمّيه عَمّوش فسُمّي بذلك واتّفق أنّ رجلاً ولدت زوجته أنثى فسمع رجلاً يقول لآخر هات الزبل فقال لأمّها سمّيها زُبَيْله فسُمّيت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقّة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة أو فجلة أو نملة أو قملة وقال الشاعر [وافر] ١٠،٢

وزِبْلَةٌ وَزْنُها عِجْلَةٌ وفِجْلَةٌ   وَنَمْلَةُ ثُمَّ رَمْلَةٌ ثُمَّ قَمْلَةٌ

(وقد ذكرتُ بتسمية هذا الفال ما يقرب من هذا المعنى) وهو ما حكى بعضهم أنّ زوجته ولدت غلاماً فسمع رجلاً يقول لآخر دم الحس قفاك فسمّاه بذلك ثمّ ولد له ثاني فسمع رجلاً يقول لآخر شاربك في الخرا فسمّاه بذلك ثمّ إنّ دم الحس قفاك كبر وانتشأ وكذلك شاربك في الخرا بلغ من العمر عشر سنين فأرسلهما للكُتّاب فقرأ دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك في الخرا إلى يوم من بعض الأيّام قال دم الحس قفاك لأخيه شاربك في الخرا قصدنا يا أخي الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شاربك في الخرا السمع والطاعه فتوجّه دم الحس قفاك هو وأخوه شاربك في الخرا إلى أن أشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفاك ماهراً في العوم وشاربك في الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك أخوه شاربك في الخرا فتضايق شاربك في الخرا واشتدّ به الأمر وأشرف على الغرق فالتفت إليه دم الحس قفاك ١١،٢

فرأى شاربك في الخرا في شدّة عظيمة فأقبل عليه ووضع يده تحت إبطه وأسنده على ظهره ولم يزل يتلطّف به حتّى أوصله إلى البرّ فلولا أن دم الحس قفاك لبق وإلّا كان شاربك في الخرا غرق

١٢،٢ (ومرّ رجل بغلام يضرب أباه) ويَسْخَرُ به ويَسُبُّه فقال له يا غلام إن لأبيك عليك حق أن لا تَنْهَرَه ولا تُؤْذِيَه وأن تُحْسِنَ الأدب معه ولوكان كافرا فقال له يا سيدي وأنا الآخر لي عليه حق فقال وما حقّك عليه فقال أن يحسن اسمي ويعلّمني القرآن وأن يرشدني إلى أحسن الصنائع وهذا سمّاني دَبّوس * وعلّمني لسان المَجُوس * وصيّرني بين الناس خَلْبوص * أفلا أضربه فقال بل صُكَّه بالنعال * فإنّه مستحقّ لأقبح الفعال *

١٣،٢ (ومرّ رجل على سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه) فقال له ما اسمك قال تَنُّور قال وأمّك قال شَرارة قال وأبوك قال لَهَب قال وفي أيّ واد أنت قال في وادي النار فقال له عمر رضي الله عنه اذهب إلى واديك فإنّ أهلك قد احترقوا قال فمضى الرجل فرأى الأمر كما ذكره سيّدنا عمر رضي الله عنه والأسماء تدلّ على لطافة المسمّى أو على كثافته وفي كلام أهل العلم والتدريب * كلّ أحد له من اسمه نصيب *

١٤،٢ (ويُكَنّوا) أبو شعره وأبو معره وأبو متارد وأبو شوالي وأبو جاموس وأبو قادوس وأبو عفره وأبو دعموم وأبو شادوف وأبو جاروف وأبو مشكاح وأبو رمّاح وأبو نطّاح وأبو بقر وأبو مطر وأبو هودج وأبو خرق النورج وأبو ضلام وأبو شقرير وأبو قشقوش وأبو قسيم وأبو جريده وأبو طعيمه وأبو بليله وأبو زغلول وأبو سيسي وأبو جاهل وأبو قصاله وأبو زباله وأبو بعبوص وأبو نموص وأبو لبده وأبو غده وأبو زعيط وأبو معيط وأبو بريطع وأبو زعيزع وأبو تعيتع وأبو شعيشع وأبو صابر وأبو خنافر وأبو هوير وأبو طرطر وأبو عوكل وأبو حوقل وأبو هبول وأبو عسقول وأبو ربابه وأبو زغابه وأبو طريف وأبو قحيف وأبو عريش وأبو كريش وأبو فتيشه وأبو دشيشه وأبو قزق وأبو قلّوط وأبو جلاط وأبو جيص وأبو كانون وأبو مقلد وأبو جعباظ

(ويُلَقَّبوا) عِمْران القَلْط * وعُمَيْر الضَرْط * وعنطوز الباب * وشلاطه محلاب * ومحمّد القلّاب * وكُسْبُر العُقّله وبَرْبور الهَشْله ولهّاطة الزِبْله * ومشالي العجله * ونحو ذلك كثير لا غاية له ١٥،٢

(ويجيبوا السائل) بلفظ هاه وهيه وايشمالك واي مالك وايه هاه ممّا هو مشهور بينهم ١٦،٢

(وأمّا أسماء نسائهم) من معنى أسمائهم فيُسَمّوا زعره وبعره * وهيطله وميكله * وخطيطه وحويطه * ومعيكه وركيكه * وشَباره وزراره * وعلاره وعباره * وشلبايه وعطايه * وعليوه وحليوه * وهديه وبليه * ولبده وغده * وشمة وبلمه * وسروه وبلاوه * وفسيوه وخريوه * ولقد رأيت خريوه هذه وسألت والدها عن سبب تسميتها بهذا اللفظ فذكر لي أنّها كانت في صغرها كثيرة الخرا وأي نقرة وجدتها تخرا فيها فاشْتُقَّ لها هذا الاسم من هذا اللفظ ١٧،٢

(ويُكَنّوا) أم جعيص وأم عميص * وأم شليخ وأم رميح * وأم عرّام وأم زوّام * وأم شقيره وأم صقيره * وأم شواهي وأم دواهي * ١٨،٢

(ويُلَقَّبوا) بجِلّايه وكِرْسايه * وغاسوله * وفاره وفرفاره * وغاره وغايره * فهذه أسماء وألقاب وكُنًى وجودها كالعدم إنّما هي ألفاظ يضعوها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمّى ١٩،٢

(وبعضهم إذا نادى لزوجته يقول لها) يا داهيه يا داهيه تقول له تجيلك من الحيط كما اتّفق أنّ رجلاً منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه فقالت له تجيك من الحيط فقال لها تعالي اتعشّي فقالت له ابنك يخرى كلّ انت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيك يا ابو عنطوز ٢٠،٢

(وأمّا أولادهم) فإنّهم مثل أولاد الهنود * أو أولاد القرود * دائماً في شلاتيت وشراميط * ترى الواحد منهم دائماً مكشوف الرأس * غارق في الجلّة والساس * مهده المَدْوِد * وشربه من المَتْرِد * وأكله من الجله * ولعبه حول العجله * يشخّ ويخرى ٢١،٢

في ثيابه * دائماً في سخامة وهبابه * عمره في دناسه * وأمّه في نجاسه * وإذا درج في الحاره * لا يعرف غير الطبلة والزُمّاره * والطرد وراء الثور والفحل * وسخامة في الجلّة والوحل * لا يلبس له قميص * وعيشته في تنغيص * خالي من التنظيف * قحف من قحوف الريف

٢٢،٢ (وأمّا نساؤهم عند الجماع) * فإنّهن في حكم الضباع * يدخلن الأفران * ويُضْرموا فيها النيران * ويَعْبَقُ عليهم الدخان * وتظهر لهم روائح الدِمَس * حتّى يصيروا كأنّهم في قَلَس * ثمّ ينضجعوا إلى شيء من القَشّ * وما يتيسّر من القصالة والعَفْش * بعد أكلهم المدمَّس والبيسار * حتّى يصير الشخص منهم كأنّه حمار * ثمّ يضمّ زوجته إليه * وهي تتشقلب عليه * فيظهر من بين الاثنين * روائح الجلّة والطين * وتعطيه رجليها * وينظر إلى عَمَشة عينيها * ويطرحها على جنبها * فتستغيث بربّها * وتقول أحَيّه جتك داهيه أحَيّه جتك مصيبه أحَيّه جتك غاره ففنجها بليّه * وجماعها رزيّه * وربما جامع الشخص منهم زوجته في مدود الحماره * أو في الغيط جنب العبّاره * وقد تمكث المرأة منهنّ الجمعه * لا تغسل من الجنابة لمعه * وكذلك الرجل بتحقيق * في أعظم الدناسة وعدم التوفيق *

٢٣،٢ (وأمّا أعراسهم) فإنّها مثل قيام الغارات * أو تعفير الكلاب في الحارات * يدوروا بالعريس دَوّره * وهم في غارة أو غَوّره * وعائط وصرخات * ودواهي وبليّات * وزعيق وعفره * وصياح وغبره * والكلاب تنبح * والشعراء تمدح * والطبل يضرب * والمشاة حوله تلعب * والجدعان تخبط بالنبابيت * والأولاد تنطّ بالشراميط * وربما كانوا في هزل صاروا في جدّ وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين * ويحصل من ذلك الفرح الهمّ والشَيْن * وتخرب من فعلهم البلد * ويزيد الهمّ والنكد *

٢٤،٢ ثمّ بعد هذه الدوره * يفرشوا للعريس جنب الجوره * ويُجْلسوه على نَخّ أو حصير * أو تُرْس من أتراس البير * ويأتوا له بالعروس * كأنّها فحل جاموس * منقّشة بالحِبْر والهِباب * وقدّامها الشاعر بالرَباب * وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح * والجدعان تمشي بالمصابيح * ويرُشّوا عليها الملح خَوْفَ النَظْره * وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحِمْره * وكشفوا وجهها عند الجَلا * وصارت بهذه الفَعلة مُثْلة بين الملا * وهذا من أقبح أفعالهم * وأتعس أحوالهم * إذ لا يجوز هذا في الشرع * ولا يقول به أصل ولا فرع * ثمّ إنّهم يجْلسوها على شيء عالي * ويأتي إليها الكبالي * ويُنْشِدوها الأشعار * ممّا هو مناسب لها باعتبار [رمل]

يَا عَرُوسَهْ يَا أَمَّ غَالِي اِنْجَلِي وَلَا تُبَالِي
اِنْجَلِي يَا وَجْهَ بُومَهْ زَاعِقَةْ وَسْطَ ٱللَّيَالِي
وَجْهُكِي بِالنَّقْشِ يُشْبِهْ وَجْهَ ضَبْعَهْ فِي ٱلرِّمَالِ
لِكْ مَسِيحَةْ شَعْرِ مَرْبُوطْ فَوْقَ رَاسِكْ لَا مُحَالِ
تُشْبِهِي بُو أَمَّ مُجْبِرْ دَايِرَهْ وَسْطَ ٱلتِلَالِ
يَا عَرِيسْ قُمْ خُذْ عَرُوسَكْ وَٱطْلَعِ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلْعَلَالِي
وَٱفْرِشُوا ٱلْقُبَّهْ وَنَامُوا فَوْقَهَا جُنْحَ ٱللَّيَالِي
وَٱشْخِرِي لُو وَٱغْنِجِي لُو بِٱلدَّوَاهِي وَٱلْهِبَالِ
تَصْلِحِي لُو يَا عَرُوسَهْ تَمَّ أَمْرُكْ بِٱلْكَمَالِ

٢٥،٢ ثمّ إنّهم يجتمعوا حول العروس * وينادي بينهم رجل فلفوس * بيده شُعْلة من شرموط * هاتوا النُقوط * صاحب العرس تقي وأمان * هاتوا يا مشاه يا جدعان * فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين * والبرمكي يرمي نصف أو نصفين * وبعد هذا يقبلوا على العروس * بوجوه كأنّها وجوه التيوس * وينادوا قمح والّا شعير * والّا سمسم مقشور غزير * فإن كانت مليحة قالوا قمح زَرّيع أو سمسم مقشور * وإن كانت قبيحة قالوا شعير نبت فوق الجسور * ثمّ إنّهم يُدْخِلوهما إلى الفرن أو البيت *

ويُسْرِجوا لهم بشيءٍ من عُكارة الزيت * ويفرشوا لهم شيء من التبن أو القَصَل * ويضعوا لهم وسائد محشيّة من قشر البَصَل * ويُغْلِقوا عليهما الباب * ويدقّوا لهم بالحجارة على الأعتاب * فإن أخذ وجهها هنّوه * وإلّا جرّسوه وهتكوه * وقالوا له شرقت البلاد * وهَتَكْتَنا بين الأولاد * فعرسهم هَتيكه * وفرحهم مُصيبه *

(ووليمتهم) الكِشْك والفول * ونوع من البقول * والأرز بالعسل يشبه الطين * والأرز باللبن يشبه طعام المجانين * وقد ذكر هذه الأوصاف صاحب الدُهُكْس حيث قال في القصيد [طويل] ٢٦،٢

وَيَوْمَ عَمِلْنَا ٱلْعُرْسَ يَامَا رَقَصْنَا	وَيَامَا حَرَقْنَا قَشّ جُوّا ٱلْمَسَاطِحْ ١،٢٦،٢
وَنَصَّصْتُهَا بِالزُّنْطِ مِنْ فَوْقِ قِمَّتِي	وَكَانَ ٱنْهَدَمْ يَامَا قَشَعْنَا فَضَايِحْ
وَأَخْرَجْتُهَا لِلضَّوْءِ بَرَّا ٱلزَّرِيبَهْ	بَقَا شَيْ يَقُولْ مُشْعِرْ وَشَيْ يَقُولْ قَامِحْ
وَلِلْفُرْنِ جِينَا نَلْتَقِيهِ مُدَمَّسْ	بَقَى دِمْسُهُ يَا نَاسُ لِلْجَوِّ فَايِحْ
وَلَا قَشْتُهَا بِٱلطَّبْلِ قَالَتْ مُصِيبَهْ	وَعِدُّ دَوَاهِي وَأَنْتَ مَبْهُوتُ كَالِحْ
وَجَلَّتْ خَفَايَهْ دِي ٱلصَّبِيَّهْ بِغُنْجِهَا	وَعَادَ شُخَاخِي فِي ٱلشَّلَاتِيتِ سَايِحْ ٢،٢٦،٢
وَصِبِحْتْ تُهَنِّينَا أَكَابِرْ بَلَدْنَا	عَلَيَّ تِفَالُ ٱلْعَيْشِ مَسْبُولْ سَايِحْ
هَدَادِيبُهُ تَخْبِطْ عَلَى قِفْلِ رُكْبَتِي	وَأَنَا بِلَا لِبْدَهْ قَلِيلُ ٱلْمَلَايِحْ
وَجَلَسْ بِجَنْبِي إِبْنُ جَرْوٍ وَكُلُّ خَرَا	وَإِبْنُ ٱلْغَفِيرْ وَأَنَا أُرَوِّحْ رَوَايِحْ

أي جلس بجانب مشايخ الكَفْر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج إلى إعادتهم لأنّ الإعادة في ذكرهم ليس فيها إفادة وقد أفردتُ عرسهم بمؤلَّف فراجعه

ثمّ إنّهم عند الصباحيّه * يجتمعوا المشاة في الظُهْريّه * ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومه * لا قدر لها ولا قيمه * ويجتمعوا مع بعضهم البعض * ويرمحوا بالطول والعرض * ويقولوا حَكَمْنا عليك يا فلان * قوم هات العيش والمِشّ ورطل دخان * ويأكلوا وينطّوا * ويشيلوا ويحطّوا * ويأتوا بحجارة للدخان مثل أرباع الكيل * ويصيروا في عياط وشياط إلى الليل * ويسمّوا هذا اليوم يوم الهُروبه * وأمورهم كلّها ٢٧،٢

مقلوبه * وبعد ثلاثة أيّام * يُخْرِجوا العروسة بالتمام * ويكشفوا وجهها ثاني مرّه *
ويجعلوها للناس شُهره * ويأخذوا أيضاً النُقوط من الناس * وأحوالهم في أعكاس

ذكر وقائعهم

(حُكِيَ أنّ بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصداً لتنزّه) فمرّ على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبدة مشرمطة ولابس خلقة مقطّعة ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتّى غرقها ولم يبال بالنجاسة وقد اسودّ قفاه من الحرّ وتشقّقت قدماه من الحفا وشدّة البرد وهو في حالة مُكَرِّبة فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا من فلاّحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب والهمّ والغمّ والطرد والجري وقلّة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير في هذه الحالة كما ترى فهم هَمَج الهَمَج لا يعرفون غير الثور والمحراث فحُكمهم حُكم البهائم والكلاب قال الشاعر [طويل] ١٠٣

مَنْ فَاتَهُ العِلْمُ وأَخْطاهُ الغِنَى   فَذاكَ وَالكَلْبُ عَلَى حَدٍّ سَوَا

فقال الملك لوزيره ألا ترى إذا أخذناه وعلّمناه القرآن وأشغلناه بالعلم وألبسناه ملابس النُعَم يتغيّر طبعه ويرقّ قلبه وتخفّ ذاته وينتقل من طَوْر الكثافة إلى طَوْر اللطافة فقال الوزير أيّد الله الملك وأدام بقاه أما سمعت قول الشاعر [سريع]

لا يَخْرُجُ الإِنْسانُ مِنْ طَبْعِهِ   حَتَّى يَعُودَ الدَرُّ في ضَرْعِهِ
مَنْ كان مِنْ جُمَّيْزَةٍ أَصلُهُ   لا يَنْبُتُ التُفّاحُ في فَرْعِهِ

وقال آخر [بسيط]

الطَّبْعُ وَالرُّوحُ مَخْلوقانِ[1] في جَسَدٍ   لا يَنْفَدُ الطَّبْعُ حَتَّى تَنْفَدُ الرُّوحُ

١ بي: قد خُلِقا في جسد؛ ب: في جسم قد خلقا؛ ك: قد خلقات (كذا) في جسد؛ ب وم: قد خلقان (كذا) في جسد.

وقال بعضهم يحول عن وَكْرِه ولا يحول عن طبعه وفي الحديث إذا حُدِّثْتُم أنّ جبلاً زال عن مكانه فصدّقوا وإذا حُدِّثْتُم أنّ رجلاً زال عن طبعه فلا تصدّقوا

٢،٣ وحكي أنّ رجلاً أعرابيّاً مرّ بقارعة الطريق فرأى جَرْو ذئب صغيراً فرحمه وأخذه إلى منزله وكان عنده شاة تُرْضِع فربّاه عليها إلى أن كبر فعدا يوماً على الشاة فبَقَرَ بطنها وولَغَ في لحمها ودمها فلمّا رجع الأعرابيّ ورأى ما فعل أنشد يقول [وافر]

غُذِيتَ بِدَرِّها وَنَشَأْتَ فِينا فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَباكَ ذِيبُ
إِذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ فَلا أَدَبٌ يُفِيدُ ولا أَدِيبُ

٣،٣ ومن ذلك ما حكي أنّ جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت إلى أعرابيّ ودخلت منزله فخرج الأعرابيّ إليهم وبيده السيف مصلّتاً وقال لهم لا تتعرّضوا لضيفي فإنّه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تَحُلْ بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون أبداً ولا أسلّمها لكم أبداً وجعل يغذّيها اللبن فتجرّد الأعرابيّ يوماً ليغتسل فلمّا بصرته عرياناً عَدَتْ عليه فشقّت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الأعرابيّ فأنشد [طويل]

وَمَنْ يَفْعَلِ المَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ يُجازَى كَما جُوزِيَ مُجِيرُ أُمِّ عامِرِ
أَعَدَّ لَها لَمّا اِسْتَجارَتْ بِقُرْبِهِ مِنَ الدَّرِّ أَلْبانَ اللِّقاحِ الدَّواسِرِ
وَأَشْبَعَها حَتَّى إِذا ما تَمَكَّنَتْ فَرَتْهُ بِأَنْيابٍ لَها وَأَظافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي المَعْرُوفِ هٰذا جَزاءُ مَنْ يُوَجِّهُ مَعْرُوفاً إِلى غَيْرِ شاكِرِ

٤،٣ ومن كلام الإمام عليّ رضي الله عنه لا تعلّموا أولاد السَفَلَة العلم فإنّهم إذا تعلّموا طلبوا معالي الأمور فإذا نالوها اعتنوا بمذلّة الأشراف وقال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه [طويل]

فَمَنْ مَنَحَ الجُهّالَ عِلْماً أَضاعَهُ وَمَنْ كَتَمَ المُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

وهذا الرجل لو علّمت[1] فيه الحكمة وقيّدت له من يعلّمه العلم والقرآن لا يخرج عن طبعه ويرجع إلى عادته الأولى خصوصاً طباع جَهَلة الريف وعوامّهم فإنّهم أجلاف فحوف كأنّهم خُلِقُوا من صخر قال الشاعر [كامل]

إِنّ اللَّطافَةَ لَمْ تَزَلْ   بَيْنَ الأَكَابِرِ فاشِيَهْ
فَهَلْ رَأَيْتُمْ فِي الْوَرَى   فَحْفاً رَقِيقَ الحاشِيَهْ

فاللطافة لا تخرج عن طور الأكابر ولا تتعدّى لعوامّ الريف الأراذل خصوصاً دنيء الأصل إذا ادّعى العلم والفضل كما اتّفق أنّ امرأة ذات حسن وجمال * وقدّ واعتدال * كانت متزوّجة بابن عمّ لها وهي متضجّرة منه وراغبة في فراقه فأرسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكّن من ذلك حتّى وصلت إلى وضيع دنيء الأصل تعلّم العلم فدبّرها أنّها تُظْهِرُ أنّها تدّعي أنّها ارتدّت عن دين الإسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي إلى أن تنقضي عِدّتها فتصل إلى الحاكم الشرعيّ وتعترف بصدور ذلك منها وأنّها تابت ورجعت إلى الإسلام وأخذ على ذلك جعلاً ففعلت ما أمرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا أن لا يصدر هذا التعليم إلّا من ذلك الشخص فتفقّدوه فلم يجدوه وفي هذا المعنى قول الإمام الشافعيّ رضي الله عنه فمن منح الجهّال إلى آخره

٥،٣ وعلى هذا يا ملك الحكاية المشهورة وهو أنّ رجلاً دنيء الأصل سافر إلى مدينة فاشتدّ به الجوع فرأى رجلاً يبيع الزَلابِيَة فوقف قبالة دُكّانه حائرًا فرقّ له صاحب الزلابية ورحمه وقال له ادخل أغدّيك صَدَقَةً عنّي فدخل فقدّم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فأكل حتّى شبع وإذا بمحتسب المدينة مارًّا ينادي على السوقة ويوزن ويحذّرهم نقص الموازين وكذلك صنّاع الزلابية أن يُنْضِجوها ولا يبيعوها طريّة فقام هذا الرجل وأخذ حلقة من الزلابية وعجنها بيده وقال للمحتسب نصرك الله في هذا الرجل بيّاع الزلابية انظر ما يفعله للناس من الغِشّ قال فأخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربًا مؤلمًا فالتفت إلى هذا الرجل وقال له ما ذنبي معك وأنا شفقت عليك

---

[1] بي: عملت.

وأطعمتك حتّى شبعت صدقة عنّي فسكت وقال له ما اسمك قال فلان قال وأبوك قال فلان قال وأمّك قال مرجانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا ألومك أبدًا جاءك الطبع الخبيث من جهة أمّك ثمّ إنّه أخرجه من دكّانه ومضى إلى سبيله *
وفي هذه الحكاية يا ملك مواعظ واعتبار

٦،٣ فقال الملك لا بدّ من أخذه وتعليمه ولا أركن إلى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فأخذ الفلاّح وأنعم عليه وألبسه الثياب الحسنة الفاخرة وقيّد له من يعلّمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتّى صار يُخْرِج الضمير ويبيّن الضائع قال فتذكّر الملك مقالة الوزير في حقّ الفلاّح ونصحه الملك في عدم أخذه وتعليمه فأرسل إليه فلمّا حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاّح فإنّه الآن بقي على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبيّن الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره وانظر طبعه وخُلُقه فأرسل إليه فحضر فقال له الملك بلغني أنّه صار لك قوّة في إخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم بسعادة الملك إن شاء الله فقال له مرادي أن أُضْمِرَ على شيء وتبيّنه لي فقال افعل فتوارى الملك وقلع خاتمه وأطبق عليه يده وقال له انظر ما في يدي قال فأقام الأشكال وقال في يدك شيء مدوّر قال نعم قال وهو خالي الوَسَط قال صدّقت ولكن ما هو فسكت ساعة ثمّ قال أظنّ والله أعلم أنّه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال ردّ عليه طبعه الأوّل يا ملك قال فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته وردّه إلى حالته الأولى

٧،٣ (وقيل التزم بعض الأمراء بقرية من قرى الريف) فسافر إليها لينظر أحوالها كما هو عادة الملتزمين فلمّا دخلها ونزل في دار الحكم وتسمّى عندهم دار الشَدّ فأقبلت إليه الفلاّحون ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ وأمامهم شيخ كبير قد طعن في السنّ وبيده عصا يتوكّأ عليها قال فلمّا رآه الملتزم قام إليه وأكرمه لكبر سنّه وقال في نفسه لعلّه من أهل الصلاح لأنّ ما في هذه القرية أكبر منه ثمّ إنّ الأمير صار يحثّهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وأنّهم يجتهدوا ويفيقوا لأنفسهم

ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدي الأمير وقال له إنّي أريد أن أنصحك أيّها الأمير وأرشدك على شيء تفعله فإنْ أنت فعلته فاقوا لأنفسهم وسدّوا المال فقال له الأمير تكلّم يا شيخ فإنّ ما فيهم من هو أكبر منك سنّاً وأعلى قدراً فقال إن كان مرادك النصيحة اهدم دا الجامع الّي في وسط البلد فإنّهم كلّ يوم يجتمعوا فيه للصلاة الّي يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فإذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسدّوا المال ولو انّي طاوعتهم يا أمير وصرت كلّ يوم أدخل دا الجامع كان انكسر عليّ مال السلطان وما نفعني إلّا طول عمري ما اعرف دي الصلاة الّي يقول عليها الناس ولا دخلت الجامع أبداً فتعجّب الأمير من طول عمره وقلّة دينه وشدّة جهله وقال له أنت رجل طال عمرك وساء عملك ثمّ إنّه علّق في رقبته الأوطية وأركبه حماراً معكوساً ونادى عليه حول البلد بعد أن ضربه ضرباً موجعاً وأخرجه من القرية على أسوأ حال

٨،٣ (ويحكى أنّ أبا نواس جلس يوماً هو والخليفة هارون الرشيد في محلّ المنادمة والملاطفة) فأحضر بين يدي أبي نواس صحناً من الخُشْتَنانَك المحشوّ بالسكر وصار يأكل هو وإيّاه فقال الخليفة يا أبا نواس يمكن أنّ أحداً من الناس لا يعرف هذا فقال نعم يا ملك عوامّ الريف وفلّاحين القرى وأضرابهم فإنّهم أناس نشأوا في أكل الدُخْن والذرة فضلاً عن الحِنْطة ولا يعرفوا هذا ولا غيره من المأكولات إلّا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بدّ أن تُحْضِرَ لي رجلاً منهم في هذه الساعة وإلّا قتلتك قال فقام أبو نواس من عند الخليفة متحيّراً يمشي في شوارع بغداد فرأى رجلاً يحاكي سارية الجبل من طوله وعليه جُبّة من صوف إلى ركبته وقد اتّسخت وتمزّقت من سائر الجوانب وكلّما حكّ جلده من الوسخ تمزّقت من تقادم العهد بها وطول الزمن وإذا أراد أن يتحزّم عليها بان أيره وانكشفت عورته وإذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لِبْدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه في حبل ولفعه خلف قفاه وبيده رغيف ذرة يأكل

فيه وهو ينظر إلى الحوانيت مثل المرتاب وهو في حيرة لا يدري أين يذهب ويأكل وينظر إلى الناس مثل المجانين وقد طارت عيناه

٩،٣ قال فلمّا رآه أبو نواس في هذه الحالة عرف أنّه قحف من قحوف الريف فسلّم عليه فلم يردّ عليه السلام وتحيّر في نفسه ولم يعرف سلام ولا كلام بل ظنّ أنّه يريد أن يأخذ منه الرغيف فحطّه في عُبّه وقال له يا جندي أنا ما معي شي تاكله غير هذا الرغيف وانا إن اعطيته لك قتلني الجوع فاعتقني وخلّي رغيفي أنا سايق عليك ابو زعطوط واعلم يا جندي اني عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر فيه جنادي كتير مثلك ودور مثل دورنا وخايف من الجنادي لا يقطعوا راسي فقال أبو نواس في نفسه الحمد لله الذي أوقعني في هذا هو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثمّ إنّه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تَفْزَعْ فما لي حاجة برغيفك ولا أنا جيعان وأنا مرادي أغدّيك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندي وانا الآخر لما تغدّيني وتبيّض وجهك معي ازورك باربع بيضات وان فقست وزّتنا اجيب لك وزّه خضرا واجعلك صاحبي ولا تخلّي احد يقطع راسي لانّي خايف اروّح الكفر بلا راس قال فضحك عليه أبو نواس وقال له امضي معي في هذه الساعة أغدّيك وأصافيك قال

١٠،٣ فسار معه وهو لا يدري أين يذهب حتّى أقبل على ديوان أمير المؤمنين هارون الرشيد قال فلمّا رأى الديوان وكثرة العسكر بهت وحار في أمره واندهش وقال الله أكبر القيامة قامت ودا المَحْشَر لا كلام ثمّ إنّه أراد الهروب فقبض عليه أبو نواس وقال له لا تخف ولا تخشى من شيء وضمانك عليّ فقال له يا جندي أخاف العرض على ربّي والحساب لا يحاسبني على ضرب البهائم ونيك الحمير في الغيط لأنّي ما خلّيت حماره في الغيط بلا نيك من خوف لا أهجم على نسوان الكفر يمسكني المَشَدّ يقطع راسي وباسمع الناس وهم يقولوا كلّ من نكح دابّة يجي يوم القيامه وهو حاملها وانا نكحت دوابّ كتير حتّى الكلبه والقطه لا أقدر أحملهم في هذا اليوم وانت تشفع لي عند ربّي يسامحني في هذا اليوم ممّا فعلت فقال له أبو نواس لا تظنّ أنّ هذا يوم القيامة هذا

ديوان الخليفة هارون الرشيد فقال له يا جندي أنا ما رايت متل هذا المحل أبدًا ولكن ما يكون الخليفه قال له السلطان فصرخ الفلاّح وقال له يا جندي السلطان يقطع روس الفلاّحين ولا يخلّي فلاّح من غير قطع راس وأراد الهروب

١١،٣ فلمّا سمع الخليفة كلامه سأل عن القضيّة فأخبروه بها فضحك وأرسل يطلبه قال فأخذه أبو نواس وأقبل به على هارون الرشيد وهو مغمى عليه من شدّة الدهشة والحيرة ممّا رأى من كثرة الجند والعسكر حتّى وقف بين يدي الخليفة فقال أنا في جيرتك يا رسول الله انا في جيرة ابو عفر وابو دعموم أنا في جيرتك يا ابو زعبل يا الله يا مشايخ الكفر خلّصوني قال فأمر الملك أن يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتّى سكن رُعْبه ورَوْعه ثمّ إنّه نظر فرأى الخليفة جالساً على الكرسي وعلى رأسه التاج الكِسْرَويّ فقال له أنا في جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك الخليفة وقال له يا فلاّح من أي البلاد أنت فقال له أنا من كفر ابو زعبل وانا شيخ الكفر وعندي بيت ملان تبن وقصل وعندي عنز ومركوب احمر واحيات راس السامعين وعندي فرختين وديكهم واشتوان عضم وتحف طويل مثل تحفك دا يا خطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من أحضرك إلى عندي قال دا الجندي صبيّك لا جزاه الله خير كان مراده ياكل رغيفي دا ثمّ إنّه أخرج الرغيف من عبّه وأوراه للخليفة فقال له الخليفة أنت جيعان فقال يا خطيب صبيّك أوعدني بغدوة مليحة فقال له الخليفة ما تشتهي قال العدس والبيسار هات لي مترد عدس ومترد بيسار ورغيفين دره وانا اخلّي امّ خطيطه تدعي لك فقال له الخليفة اجلس يا فلاّح قال فقعد ومدّ رجليه بحضرة الخليفة وحطّ النَبُّوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وقد ربطه في حزامه خوفًا عليه لا يقع وراء ظهره فأمر الخليفة أن يقدّموا له الصحن الخشتنانك فقدّموه إليه فلمّا رأى الصحن قال يا خطيب المسلمين أعطني من دا المترد كوره العب بها في الكفر أنا وابو دعموم واولاد الكفر فضحك عليه الخليفة وقال له كل منهم كوره فقال يا خطيب الكوره تتاكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فأخذ الفلاّح واحدة ووضعها في فمه ومضغها فلمّا استقرّت حلاوتها في جوفه صار يأخذ كلّ أربع حبّات سوا ويحنهم

في يده ويقطع منهم ويبلع وتارة يسفّ وتارة يمضغ وهو في حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلّاح ما يكون هذا الذي تأكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين عمري آكل العدس والبيسار والكِشْك بالفول والمدمّس ما ريت مثل دا أبدًا إلّا إنّي سمعت عن امّ معيكه جدّتي تقول نعيم الدنيا الحمّام والله أعلم إن دا هو الحمّام الّي يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحباً بك يا فلّاح كلْ واشبع فقال له يا خطيب المسلمين واحيات وجهك لمّا اروّح الكفرازورك بجمل جِلّة ومحلاب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات وانت الآخر لا تحرمني من نعيم الدنيا دا لمّا احضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وأنعم عليه وأذن له في الانصراف ومضى إلى حال سبيله

١٢،٣ (ولقي بعض أهل الأرياف صديقاً له) وقد اشترى بُرْدة من الصوف فقال له دي بردتك فقال جاريتك وعبداتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بداهيه كبيره فقال له تلفّك وتلفّ وليداتك في الشتا

١٣،٣ (وجلس بعض أهل الأرياف بين أصحابه) فدخل عليه ولده وهو يبكي وقال له يابويه فحل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوّة إلّا بالله العام الماضي عتيقه والعام دا ديك إحنا يا ولدي اصحاب الرزايا والمصايب ربّنا يعوّض علينا ثمّ إنّ أصحابه عزّوه وصار كأنّه مات له ميت

١٤،٣ (وولدت لشخص منهم حمارة) فلقي صديق له فقال حمارتك ولدت فقال له وسبّعت فقال له ما جاب الله فقال له جحيش كيفك سوا بسوا فقال له الله يخلّيه لك ويجعله جحش الحياة

١٥،٣ (وعطس رجل من الأرياف) فقال له آخر يرحمك الله فقال له حيّاك الله بارك الله فيك لاقيني على الغيط اعطيك حلابة البقره

١٦،٣ (وعطس رجل منهم أيضاً) فقال له رجل من أهل الذوق يرحمك الّي عطّسك ولو شاء لفطّسك وأخرج العطسه من قبر قراقير الّي خلّفك فقال له الفلّاح يا فقي لا عدت تنسانا من قراءة دي السوره تقراها علينا في المسا والصباح وان شاء الله

اعطيك ايّام المقات اربع بطّيخات وتقرا السوره كلّ يوم لام معيكه وتهديها لابو زعبل فإنّه مات من مدّة شهرين قال فضحك عليه الرجل ومضى إلى حال سبيله

١٧،٣ (وجلس جماعة من أهل الأرياف يتحادثون في أحوال الزمان وإقباله وإدباره) فقام رجل منهم يقال له أبو عَفَر وسحب رداه واتّكأ على عصاه ثمّ ضرب بها الأرض وقال لهم يا شيوخ الكفر زمن الفرح ولّى وراح ولا بقى في الدنيا خير ولا عاد يجي زمن مثل زماننا الّي كنّا فيه ومخصّا ايّام الاعياد والمواسم فقالوا له الله عليك يا بو عفر إحكي لنا على زمن الفرح الّي شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله الكبير أنا وابو معيكه وابو دعموم وكان معي ابني فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجري متل الكلاب السعاره وانا نافش وعليّ ردا من محر الكتّان شريته بنصّ فلوس جدد الدراع وجبّه صوف خدتها بخمسة جدد الدراع ولِبْده خدتها بعتماني وانا مزوّق على العيد كيف عنز الضحيه واتحزمت بِسَيْر وسِكّين خدتهم من سوق هُرَيْبَط باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسي كرّ مِشَنْيَر خدته من سوق شَنَشَه بنصّين فلوس جدد ونُبُّوت كنت سرقته من زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر كانت سرقته ام زعبل من واحد حضري دخل دارنا الّي على البِرَكه بالاماره يشتري بيض ورحت انا والجماعه نشتري مصالح العيد نمشي على الطريق الّي تطلع على الكفر بتاع ابو عنطوز نجري عليها كيف كلاب الغنم وكنّا نلقى واحد دبح جدي يجي خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابي على راس صاحبه وهو عمّال يسلخ فيه فقال لي ما تطلب يا شيخ الكفر أنت واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس الدُقّاق واحيات امّ زعبل إن كنت ما تكارمني اليوم وتتوصّا بي والّا ما عدت اخلّيك تدبح جدي ولا كلب فقال لي يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السَقَط فقلت له أطلب السقط أقسمه بيني وبين اصحابي كلّ واحد ياخذ تلته فأخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط واحيات الحاكم يا اولاد كفرنا بنصّ فلوس جدد ولولا عيّنت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس أنا تورّد عليّ الجدعان اليوم أطبخ واغرف وانا معمود في الكفر والّا ما كان اعطاني السقط

وقسمناه إحنا التلاته كلّ واحد خد بجديدين لكن واحد من شركاتي غار عليّ وخد ١٨،٣
رجل زايده وانا سرقت ودن من اودان الجدي وطلبت اسرق سنّه من اسنانه
اعلّقها على راس ابني عفر تمنع عنه النضره اشتلقوا عليّ شركاتي وقالوا لي يا ابو عفر
لا تخون الامانه إن جات الاسنان في حصّتك خد ما تريد فتركت الامرده وخدت
حصّتي في طرف ردايه وكلّ واحد من شركاتي خد حصّته ولفعت نبوّتي على كتفي
وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفّر بين الكيمان والكلاب تجري وررايه على ريحة
اللحم وكان حزقني شخاخي واحيات لحاكم ومن خوفي من الكلاب لا ياخدوا مني السقط
وكنت اشخّ على ردايه حتّى غرقتها شخاخ ولمّا دخلت البيت شفت امّ عفر حشا العيب
قاعده في جنب مدود الحماره كيف كلبة المشدّ تعمل الجلّه عليها قميص من قطن مخطّط
كنت شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد وفوق راسها طرحه كبيره
متل الردا خدتها باربعة انصاص فلوس جدد وسركوج اخضر واحمر مصبوغ بحنّا
وبرسيم سابل للخوران وفي رجليها حجل نحاس مطلي بقزدير وفي يديها نبايل نحاس
اصفر وفي اودانها حلق طارات فدخلت عليها مشنغر بدقن كيف دقن التيس
وشوارب مطرطه كلّ من شافهم شخّ من الجزعه فقامت امّ عفر ومسحت ايديها
من الجلّه ولاقتني بالحضن لا تقول الّا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعدما لاقشتها
ولاقشتني ولاطعتها ولاطعتني وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان يعني ديك
الحكايه وانا بتعرفوا انّي حدق وشاطر وما يطلع من حنكي عيب وما انتم شفتم ايه من
الفرح وبعد دا ودا وعمري اغنّي ورا البهايم والمحرات واتعلّمت الغنا من ابويه وجدّي
وانا فصيح قوي فقلت لها يا امّ عفر ربّنا يخلّي لي شلشولك وقامتك وانا بانضر حلقك
بيشتم الناس وهو مايل على اودانك وانا رايح اغنّي عليه فقالت لي يا ابو عفر واحيات
شاربك الّي كيف شارب الكلب الزَغَبي أوحشنا غناك وقصدنا تسمّعنا قصيدك
فنشدت لها قصيد ومن صلّى على النبي يستفيد [هزج]

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　١،١٨،٣
تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ فِي ٱلصُّبْحَهْ　　قَمِيصُكْ زَيَّنَ ٱلطَّرْحَهْ
عَسَى ٱللّٰهْ أَنْضُرَكْ لَمْحَهْ　　تُجَمِّعْ عِنْدَنَا ٱلْجِلَّاتْ

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　٢،١٨،٣
أَلا يَابُو قَمِيصْ هُرَيْبِطْ　　عَسَى ٱللّٰهْ أَنْضُرَكْ فِي ٱلْغَيْطْ
وَأَدِّي لَكْ قَدَحْ مُخَيِّطْ　　وَأَدِّي لَكْ شِمَالْ كُرَّاتْ

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　٣،١٨،٣
وَأَعْطِي لَكْ كَمَانْ خُبَيِّزْ　　وَأُعْطِي لَكْ قَدَحْ جُمَيِّزْ
وَأَجْعَلْ لَكْ عَلَيَّ مَيْزْ　　فَطِيرَةْ دُخْنِ فِي ٱلصُّبْحَاتْ

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　٤،١٨،٣
أَنَا حُبَّكْ كَمَا ٱلْعِجْلَهْ　　وَيَا زَيْنَكْ حِدَا ٱلْجِلَّهْ
تَعَالَى ٱلْغَيْطْ بِلَا مُهْلَهْ　　وَتِتْفَرَّجْ عَلَى ٱلْعِجْلَاتْ

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　٥،١٨،٣
تَعَا عِنْدِي وَكُلْ جُعْضَيْضْ　　وَٱجِيبْ لَكْ يَا مَلِيحْ حُمَّيْضْ
وَأَقْلِي لَكْ كَمَانِي بَيْضْ　　بِزَيْتْ حَارْ مِنْ حِدَا ٱلزَّيَّاتْ

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　٦،١٨،٣
أَنَا حَيْتِنْ أَقُولْ تَعَالْ　　تُطَاوِعْنِي عَلَى دِي ٱلْحَالْ
تَعَا ٱتْمَشَّى وَضَالْ عَمَّالْ　　أَرُوحْ بِكْ دَارِنَا وَتْبَاتْ

أَلا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ　　تَبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ　　٧،١٨،٣
وَٱدَمِّسْ لَكْ أَنَا ٱلْقُبَّهْ　　وَٱجِيبْ لَكْ فُولْ مِنَ ٱلْقَضْبَهْ
وَكُلْ وَٱشْرِبْ كَمَانْ شَرْبَهْ　　تُخَلِّيكْ تُشْبِهُ ٱلْعَنْزَاتْ

٨،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَأَحُطَّكْ جَنْبْ مِدْوَدْنَا   وِإِلَّا جَنْبْ جِلَّتْنَا
وَوَرِّيكْ بُوزْ بَقَرْتَنَا   وِهِيَّ تَقَرِشْ مِنَ ٱلْقَصَلَاتْ

٩،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَأَجِيبْ لَكْ عَدَسْ مَعْ بِيسَارْ   وَكِسْرَةْ عَيْشْ مَعْ فُولْ حَارْ
وَأَجِيبْ لَكْ مِسْرَجَةْ زَيْتْ حَارْ   تُنَوِّرْ لَكْ كَمَا ٱلْقَمَرَاتْ

١٠،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَإِنْ شَا ٱللّٰهْ أَرُوحْ طَلْخَهْ   وَأَجِيبْ لَكْ يَا مَلِيحْ فَرْخَهْ
وَفِي ٱلدَّارْ إِنْ تُرِيدْ شَخَّهْ   عَلَيْهَا صُبْ مِنَ ٱلْبَوْلَاتْ

١١،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَأَخَلِّيكْ كَيْفْ أَبُو بُرْبُورْ   وَتِتْمَلْقِشْ وِتِتْشَخْتَرْ
وَتِشَّقْلِبْ وَتِتْبَسْتَرْ   وَتَبْقَى لِي كَمَا ٱلْكَلْبَاتْ

١٢،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَتُعْطِيهْ لِي وَتِتْبَكَّهْ[1]   وَأَحُطُّهْ فِيكْ وَأَتَّكَّهْ
وَأَنَابُو عَفْرْ أَبُو دَكَّهْ   أَبِيعْ ٱلْمِشَّ فِي ٱلْحَارَاتْ

١٣،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَأَنَا شَاعِرْ وَشَيْخُ ٱلْكُفْرْ   نَشَدْتُّ قَصِيدَ كَيْفَ الزَمْرْ
وَقُومِي أَرْقِصِي ٱبْنِي عَفْرْ   وَدَا يَوْمْ عِيدْ لَهُ طَنَّاتْ

١٤،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ   تَبِيعْ ٱلْوَرْدَ بِأَرْطَالَاتْ
وَحُطِّي ٱللَّحْمَ وَالْفِشَّهْ   عَلَى ٱلْكَانُونِ وَٱلْكِرْشَهْ
وَنِتْغَدَّا وَنِتْعَشَّهْ   وَنَعْزِمْ دَارْ أَبُو كُرَّاتْ

---

[1] بي: وتشبكه.

١٥،١٨،٣

أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ تِبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ
وَنَخْتِمْ قَوْلَنَا لَا بَاسْ نُصَلِّي عَلَى ٱلنَّبِي يَا نَاسْ
وَٱنَا بُوعَفَرْ أَبُو تِرْبَاسْ وَأُنْشِدْ فِي ٱلْمَلِيحْ أَبْيَاتْ
أَلَا يَابُو حَلَقْ طَارَاتْ تِبِيعُ ٱلْوَرْدَ بِٱرْطَالَاتْ

١٩،٣ فقامت أمّ عفر من الفرح و رقصت هي وابنها عفر واخوه فَرَقَعَ الليل حتّى وقعت الطرحه من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يابوعفر سمّعنا القصيد فسمّعتهم أوّل وتاني وقالوا غداً يسمع بك نصراني البلد ويقرّبك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك يا عرص تقول له يا سيدي وان شا الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم إن اعطاني شي انعمت عليكم

٢٠،٣ ولمّا تمّت الفرحه بنشد القصيد قامت امّ عفر للسقط تطبخه وقالت لي يابوعفر بقا عليك البخور فقلت لها واحيات شلشولك ما بقي معي فلوس وانا قشلان فقالت لي من خلّى شي لعقب الزمان نفعه أنا خلّيت في الصومعه اربع بيضات خدهم ولا تقول لحدّ فإنّ الناس تحسد الناس وخصّا يوم العيد وانت اليوم يابوعفر في نعمه كبيره هات لنا ببيضه مَرْسِين وببيضه محْلَب وببيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عُصْفُر نزعفر به ثوب ابنك عفر واخوه فرقع الليل حتّى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شويّت زيت حارّ أدهن بها شعر راسي وتدهن بها دقنك وشواربك وتنطّ بين الجدعان وتنبسط على شلشول كيف شلشول العنز السمينه

٢١،٣ فخدت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا في كِرْش الجِدْي شويّة فول صحيح خدته امّ عفر وفركته بالمفراك حتّى بقى متل البيسار وقلّت للطعام بتوم و زيت حارّ وصبّته عليه حتّى بقى متل طعام المشدّ وجوني المشاه والجدعان يغنّوا حربي ويخبطوا بالنبابيت ففرّقت لهم امّ عفر لقّان طعام فأكلوا وفرحوا ولعبوا و رقصوا المُرْد بينهم وكان يوم ما عاد يجي متله فقالوا له أصحابه زمانك يابوعفر ولّى و راح ولا بقي فرح وماتت الناس وجارت الظالمين

٢٢،٣ (وقيل طلع رجل فلّاح يُورِد لأستاذه المال) فأنزله في محل فيه طاقة مفتوحة تشرف على حريم الأمير فلمّا جاء الليل قال الفلّاح في نفسه يا ترى يابو معيكه الاماره لمّا تختلي بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انضر كيف ما يفعل استادك مع امراته ولمّا تروّح الكفر احكى لام معيكه تعمل لك ديك العمله متل ما تعمل الاماره وتحظّك امّ معيكه بديك العمله ولا بدّ ما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركي وانت تنضر طريقة ما يفعلوا لحريمهم وتبقى تقول للجدعان انا بقيت متل الاماره وبقت امّ معيكه متل امراة الامير استاد البلد ثمّ إنّه صبر حتّى أقبل الليل ودخل الأمير إلى منزله فقام الفلّاح ونظر من الطاقة فرأى الأمير جالس على سرير من العاج وعليه أنواع الفرش وجلست زوجته على سرير مثله ثمّ إنّ الأمير صار يلاطفها وينادمها برقيق الكلام تارة بالتركيّ وتارة بالعربيّ إلى أن اشتهى منها قضاء الحاجه فأخذ من جانبه وردة ورماها بها فأتت إليه وتملّى بحسنها وجمالها على أحسن حال وأتمّ سرور وحبور ومنوال ثمّ إنّه كلّ واحد منهما انضجع على سريره ونام

٢٣،٣ قال فلمّا أصبح الصباح أخذ الفلّاح خاطر أستاذه وتوجّه إلى بلده فلمّا طلع الكفر لاقته زوجته أمّ معيكه وسلّمت عليه وجلست هي وإيّاه في منادمة مثل منادمة القرود أو بربرة الهنود إلى أن سألته عن المدينة وعن أستاذ البلد فقال لها يا امّ معيكه المدينة مليحه ولا صعب غير الشخاخ فيها ولا مليح كماني الّا امراة استادنا تشنّ وترنّ وعليها خُلْقان مليحه كيف نوّار ابو النوم اصفر واحمر وعلى راسها تحف متل تحفي الّي البسه نهار العيد الّي شريته ايّام الفرح بنصّ فضّه وجديد وفي ايديها اساور صفر الله أعلم أنّهم من اسباط النخل ولابسه قميص احمر مخيّط متل الزكيبه الّي نعبّي فيها الفول الاخضر وفي سيقانها حجل متل حجل امّ دعموم الّي شريته لها بخمسة انصاف فلوس جدد ولابسه شايه خضره الله أعلم أنّها صبغتها ببرسيم ويا مَحْسَنْها في وقت ديك العمله الّي يعملوها الناس مع النسوان وخاطري يا امّ معيكه تعملي لي متلها حتّى يقولوا الناس ومشايخ الكفر ابو معيكه بقا متل الاماره فقالت يابو معيكه إحكي لي يا ابو معيكه على الّي شفته من امراة استادك فقال لها لمّا رحت المدينه وطلعت للاستاد

وحطّني في موضع فيه طاقه تطلّ على الحريم وعلى الموضع الّي ينام فيه الامير فصبرت لمّا دخل الليل وبقيت اتخنّس كيف الكلب الزوّام فشفت الا مير استادنا قعد على خشبه سوده مربوطه بشراميط بيض لها اربع رِجلَيْن كيف عريشة المَقات الّي نعملها ايّام البطّيخ في الغيط وقعدت امراته على خشبه كيفها متل جرّافة الغيط وبقا يكلّمها بكلام الجنادي يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتّى اشتهى منها ديك العمله فحدفها بنوّاره حمره متل نوّارة ابو النوم فقامت تشنّ وترنّ حتّى جت له وعمل فيها العمله فقالت له أمّ معيكه واحيات شاربك الّي كيف شارب التيس لا اعمل لك متل عمل الا ماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لمّا يجي الليل تبلغ مرادك

٢٤،٣ قال فصبر الفلاّح حتّى دخل الليل فقال لها اقعدي في مَدْوِد الحماره وانا اقعد في مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت في المدود وعليها الشلاتيت والشراميط وآثار الجلّة وفيها الشُخاخ أيضاً قال فلمّا خطر التعيس الناصية قضاء الحاجة بعد أن صار ينادمها بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وضراط وسؤال عن البقرة والعجلة والتور والجلّة وغير ذلك أراد أن يرميها بشيء مثل ما فعل الأمير فحطّ يده في المدود فرأى قالب طوب محروق فأخذه وحدفها به فوقع في وسط رأسها ففلقها وسال الدم فصرخت بأعلى صوتها فأقبلوا الجيران ومشايخ البلد ووصل الخبر إلى حاكم البلد فأقبل هو وطائفته وسأل عن القضيّة فأخبروه بها فأخذه وضربه ضرباً موجعاً وأحضروا للمرأة جرائحي قطب رأسها ومكث يجري عليها شهراً كاملاً حتّى برئت فانظر لهذا النحس التعيس * وقلّة عقله الخسيس * كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهمّ والنكد * وقيام الغارات في البلد *

٢٥،٣ (واتّفق أنّ ثلاثة أنفار من كحوف الريف أرادوا طلوع المدينة) فساروا حتّى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأي فيهم إنّ مدينة مصر كلّها جنادي وعسكر يقطعوا الروس واحنا فلاّحين وانْ لم نعمل متلهم ونرطن عليهم بالتركي وإلّا يقطعوا روسنا فقالوا له أصحابه يابو دعموم إحنا ما نعرف تركي ولا غيره فقال لهم أنا تعلّمت التركي زمان إن كنت اقعد حدا المشدّ والنصراني ركبه بركبه فقالوا له أصحابه علّمنا التركي فقال

لهم إذا طلعنا المدينه نروح الحمّام الّي يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحمّا فيه ونغسل جلودنا ويقولوا فيه نقره غويطه يشخّوا ويخروا فيها وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا ونقف نلتفّ في بردنا ونتمّ امرنا اقول لكم قَرْداش محمّد قولوا لبيّك وهاه نوار أقول لكم معاكم شي بِيرْ مُنْقار يعني جديد قولوا يوق يوق يعني ما معنا شي فيخاف صاحب الحمّام ويقول لعقله دول جنادي غُزْب يقطعوا الروس ويخلينا نخرج بلا فلوس وتهيبنا الناس ونبقى في مصر متل الاماره ويشيع خبرنا في الكفر اننّا بقينا أماره نرطن بالتركي فيخافوا منّا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام أبدًا فقالوا له أصحابه دي شوره صواب يابو دعموم

٢٦،٣ قال فساروا حتّى طلعوا مصر وسألوا عن الحمّام فدلّوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط وأرموا البرد والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يفعلوا في البرك والأبيار فقال لهم صاحب الحمّام استروا أنفسكم فأرادوا أن يأخذوا البرد يستتروا بها فأرموا لهم صنّاع الحمّام فُوَط قُدَم من رجيع الحمّام فربطوها على عوراتهم غصب عنهم وصارت عوراتهم في الغالب مكشوفة وأيورهم مدلية ودخلوا الحمّام مثل فحول الجاموس * أو المعيز أو التيوس *

٢٧،٣ حتّى بقوا داخل الحمّام * وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام * وغطسوا في الحيضان * مثل الثيران أو الجديان * وخرجوا مع بعضهم البعض * وقد تزلزلت منهم الأرض * وهم في حالة الأثوار * وصور الأبقار * حتّى لبسوا الزعابيط * وتلفّعوا بتلك الشلاتيت * وسحبوا النبابيت * على الأكتاف * وأرادوا الخروج بلا خلاف * قال فصاح عليهم صاحب الحمّام * هاتوا الأجره يا عرصات يا ليام * فالتفت كبيرهم وقال لأصحابه قرداش محمّد فقالوا له لبيّك وهاه نوار فقال لهم معاكم شي بير منقار يعني جديد فقالوا يوق يوق يعني ما معنا شي فقال لهم صاحب الحمّام في أيّ وقت يا تيوس اتعلّمتم التركي المعكوس وبقيتم أكابر وأمارة وما هذا التركي الذي يشبه الخرا أقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتّى يحطّ الأجره بزياده وإلّا حطّوا البرد رهن على الأجره قال ثمّ إنّه أمر أصحابه بصكّهم وضربهم وأخذوا البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا في الأجرة واقترضوها من أهالي الكفر وخلّصوا بردهم وتوجّهوا إلى حال سبيلهم

٢٨،٣ (وطلع رجل منهم المدينة فصادف الجلاد) ينادي في الأسواق على رجل استحقّ القتل يقول يا معاشر الناس فظنّ أنه ينادي العونه يا فلاّحين ففرّ هارباً حتّى وصل إلى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدوا الذهاب إلى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينة فإنّهم ينادوا فيها للعونه والسخره قال فمكثوا أهل بلده ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفاً من السخرة والعونة فانظر إلى قلّة عقولهم وخساسة رأيهم

٢٩،٣ (وطلع رجل منهم قرية على شاطئ النيل نهار الجمعة) فرأى الناس قاصدين إلى صلاة الجمعة فاعتقد أنّهم ذاهبون إلى ضيافة أو إلى هروبة صنعها لهم أمير البلد أو شيخها فذهب مع الناس إلى أن دخلوا المسجد فجلس في بعض الصفوف إلى أن أقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاّح ينظر إليه وهو خائف مرتاب متحيّر إلى أن فرغ الخطيب من الخطبة وأقيمت الصلاة فلمّا رأى قيام الناس إلى الصلاة وسمع ضجيجهم بالتكبير فاعتقد أنّها هرجة وقعت بينهم قال فصاح وقال حاس يالسعد يالحرام الله اكبر وسحب النبّوت وخرج هارباً وهو يقول خدوك القوم يابو كُتكوت ولم يزل في خوف وكرب حتّى وصل إلى الكفر

٣٠،٣ فلاقوه أصحابه وسلّموا عليه فرأوا حالته متغيّرة فقالوا له ايش اصابك ودهاك يابو كتكوت فقال لهم ياما قاسيت في دي السفره كانوا القوم مرادهم ياخدوني ولولا إنّي سحبت النبّوت وخرجت هارب والّا كانوا قتلوني فقالوا له ايش الخبر يابو كتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلّمني إلّا الله وبركة الشيخ أبو طبل فقالوا له إحكي لنا على ما جرى لك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فريت ناس كتير رايحين زي قطايع الغنم فقلت لا بدّ أنّهم رايحين لضيافه أو لهروبه فرحت معاهم حتّى دخلنا دار كبيره فيها حجارة طوال منقامه زي الدعايم بتوع العريشه الّي نعملها في الغيط وعليها بنيان زيّ قناطر الصابوني وفيها احبال مدليّه زيّ احبال التيران في كلّ قنطره حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها سلالم زيّ سلالم القاعه الّي نعملها على البيوت من الكِرس والطين ونلطخها من

الوحل من اوّلها لآخرها والخشبه دي لها راس كبيره زيّ الناطور اليّ نعمله فى المَقات وقصادها عريشة مربّعه زيّ العريشه اليّ نحرص فيها الحمّص والدره في الغيط ولها سلالم كان فطلع فوقها جماعه وقعدوا ساعه وقام واحد منهم وحطّ ايده على صرصور ودنه وقال كلام ما حدّ يعرفه إلّا وواحد خرج من حاصل في جنب الدار عليه عمامه كبيره الله أعلم أنّه قاضي ومعاه سيف ساحبه وشقّ صفوف القوم بقلب قوي ووجهه كاشر زيّ وجه تيس الوِسِيّه وما ضال طالع على سلالم الخشبه حتّى قعد على آخر سلم منها وبقت القبّه فوق راسه ونضر للناس اليّ تحته وبهت فيهم وكشّر على انيابه وهو ساكت غضبان كلّ من شاف شواربه شخّ من الطربه واحيات لِحاكم ولا عمري شفت أقوى قلب منه ولا أشدّ حَيْل ولولا انّه صبي راس ما كان عمل دي العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم ثمّ واحد من الجماعه اليّ على العريشه قصاده قام بقلب قوي وصار يشتمه ويسبّه ويقول له كلام كتير فانحمق الآخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا في بعضهم البعض شتم وسبّ ولعن ثمّ أن نزل الراجل اليّ على الخشبه ونزل ساحب السيف يعارك في الناس اليّ تحته قاعدين فلمّا شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حَيْلهم وصرخوا وقالوا الله اكبر وقامت العيطه وكنت اسحب نَبُّوتي وخرجت هارب وما سلّمني إلّا الله وبركة الشيخ ابو طبل

٣١،٣ فقالوا له أهل الكفر والله يابو كتكوت لولا عمرك طويل ما سلمت من القوم وكانوا قتلوك وانت بتعرف انّ بلاد البحر كلّها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم يا شيوخ الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمري فانظر إلى قلّة عقل هذا الفلاّح ومن جهله وسقاعة ذقنه الذي لم يعرف الصلاة من قيام الهرجة

٣٢،٣ (واتّفق أنّ ثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرّجن في أزقّة المدينة) فلقين رجلاً من قحوف الريف وهو في حالة رذلة وعلى رأسه قَفَص ملآن أفراخ يريد أن يبيعهم ويسدّ بثمنهم مال السلطان فقالت إحداهن للأخرى ما تقولي في اليّ ياخد الفراخ

من الفلّاح ده فقالت الثانية واناخد تيابه فقالت الثالثة كلّ ده ما هو شطاره الشطاره في الّي تبيعه بيع العبيد أو للمقداف أو الجرّافه

٣٣،٣ قال ثمّ إنّ الأولى التي التزمت بأخذ فراخه أقبلت إليه وأرغبته بزيادة في الثمن وقالت له إمضي معي إلى منزلي خذ الثمن قال فمضى معها إلى أن أقبلت على درب من دروب مصر نافد وقالت له اقعد هنا على الباب فإنّه باب بيتي واصبر حتّى اجي لك بالفلوس ثمّ أخذت القفص الفراخ ومضت إلى حال سبيلها من الباب الثاني

٣٤،٣ ولم يزل الفلّاح جالس إلى أن قرب الظهر لم يأته أحد ورأى الناس داخلين وخارجين من ذلك الدرب فتحيّر في نفسه وقال لا بدّ انّ دي دار كبيره فسأل عن المرأة التي أخذت الفراخ فقالوا له يا سقيع الدقن وقليل العقل الدرب ده نافد وكم ناس رجّاله ونسوان داخلين وخارجين قال فتمشّى الفلّاح فرأى درب كبير فاحتار وصاح ولطم على وجهه وأقام الصراخ فبينما هو في هذه الحالة إذ أقبلت عليه الثانية وقالت له ايش صابك ودهاك يا مسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دي العاهره وخدت منك الفراخ وتركتك في دي الحاله فقال لها الفلّاح واحيات عيونك يا مليحه ما معي غيرهم فقالت له إمشى معاي إلى بيتي وانا اعطيك شي من الدراهم صدقة عنّي فقال لها الفلّاح الله يجزيك خير وانا الآخر لمّا اروح الكفر ازورك بحزمة لحلاح وحزمة بصل وشوية قُرُلّه وتبقي صاحبتي وان شا الله اجيب لك كمانه عشرين قرص جله قال فأخذته وسارت إلى أن أقبلت على بيت كبير عالي البنيان فسألت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الأمير فلان وقد توجّه هو وطائفته إلى بعض المنتزهات قال فدخلت إلى البيت فلم تر فيه أحداً ما عدا رجلاً كبيراً بوّاب ودخل الفلّاح معها إلى وسط البيت فرأت فيه بيراً من الماء يملو منه الحريم قال فوقفت ونظرت في البير ثمّ إنّها ولولت وصرخت وبكت بكاء شديداً فقال لها الفلّاح بتبكي ليه يا مليحه فقالت له يا فلّاح كعبك ميشوم وقعت ساورتي الدهب في البير فقال لها ما تخافيش انا انزل وطلّعهم لكي من البير فقالت له تعرف تغطس في الما فقال لها دي صنعتي وطول عمري في الهمّ والغمّ وخصّا دي السنه الّي خرى فيها القوي

والضعيف ثمّ إنّه قال لها اربطيني في حبل البَكَره ودلّيني في البير ثمّ إنّه قلع ثيابه التي كانت عليه ودلته في البير إلى أن وصل إلى الماء فأرخت الحبل عليه وأخذت ثيابه وتوجّهت إلى حال سبيلها

٣،٣٥ هذا ما كان منها وأمّا ما كان من تعريص الفلاّح فإنّه لم يزل يغوص في الماء ويفتّش فى قعر البير حتّى كلّ وملّ واسودّ جلده من برد الماء وكان في زمن الشتاء فلم ير شيئاً قال فلمّا اشتدّ به الأمرصار يصيح في البير وينادي المرأة فلم يجبه أحد فبينما هو في هذه الحالة إذ أقبل الأمير وطائفته فسمعوا الفلاّح يصيح في البير وينادي طلّعيني يا صبيّه طلّعيني يا مليحه دا ماهوش مليح منك ودا عيب عليكي وانا متّ من السقيع والبرد فقالوا له الخدام أنت إنسي أم جنّي فقال لهم انا ابو زعبل بن جنيجل بن كلب المشّ فقالوا دا عفريت لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير مانا عفريت أنا راجل فلاّح وأحكى لهم قصّته قال فدلّوا له الحبل فتعلّق فيه فلمّا رأوه الخدم وعلموا أنّه إنس قالوا دا حرامي وقع في البير فنزلوا عليه بالضرب والصكّ وطردوه فمضى يجري وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف أين يذهب

٣،٣٦ قال فأقبلت إليه الثالثة وهو في هذه الحالة وقد صارت الأولاد تضربه ويقولوا مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه بمنديل كان معها وسترته بفوطة وقالت له أمرك إلى الله يا مسكين يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلّوك في دي الحاله وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاّح وشكى وقال لها يا مليحه واحيات شلشولك خدوا فراخي وتيابي وحزامي الليف وكَرّي ومركوبي وما عدت اصدّق كلام نسوان أبداً فقالت له لا تظنّ أنّي من عواهر مصر أنا عمري ما خرجت من بيتي غير النهار ده ولمّا رأيتك في دي الحاله شفقت عليك ومرادي افعل معك الخير واخدك إلى بيتي والبّسك لبس مليح واخلّيك شَلَبي ظريف واعملك مملوك وحطّ لك خنجر في حزامك واعلّمك التركي وتبقى تقول شندي بندي على فلاص جعاص[١] فقال لها الفلاّح أنا في جيرتك يا مليحه تعلّميني جندي وعلّميني

---

١ بي: جلاص.

التركي وانا عليّ الحلال من امّ شحيبر كلّ من عاد يقول لي كاني ماني في زماني قطعت راسه ولوكان ابو عوكل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلّاح على بركة الله تعالى

٣،٣٧ قال فسار هو وإيّاها إلى أن أقبلت على منزلها فأدخلته محلّها ووضعت بين يديه الطعام فأكل وشرب وارتاح في نفسه ثمّ إنّها أتته بماء ساخن وغسلته بالليفة والصابون وألبسته قميص رفيع وزبون[1] جوخ وشُخْشَيْر وقاووق قطيفة وشاش قَصَب وحزّمته بحِياصة وخنجر في حزامه وحلقت ذقنه وشواربه وجعلته في صفة مملوك حليق وأعطته بابوج جديد ومِحْرَمة في حزامه وقالت له إذا كلّمك حدّ فلا تردّ عليه جواب بَسّ هزّ راسك فإذا ألحّ عليك في الكلام وشدّد عليك قول له كَتَه هَريف بوك يَمَه ولا تزيد عليه غير ذلك فإنّ الكلمه دي أصل التركي إذا عرفتها ما يمضي عليك شهر زمان إلّا وانت صنجق ويبقى لك طبل وزَمْر

٣،٣٨ فقال لها الفلّاح أنا في جيرتك يا مليحه تخلّيني ابقى صنجق ويصير لي سَطْوَه في الكفر وكلّ من قال لي كل خره اقطع راسه وابقى ان شاء الله ازورك بِرُبْع كِشْك وعشر طور كَعْك من الّي تعمله امّ شحيبر واعمل لك قاعه واليّسها لك بالوحل والجله وافرشها لك بالتبن والقَصَل وتبقى تنامي فيها ويبقوا يقولوا الجدعان أبو شحيبر طلع المدينه فلّاح وعاد صنجق يقول شندي بندي ويقطع الروس قال ثمّ إنّها أخذته ونزلت من منزلها تمشي وهو يمشي خلفها إلى أن أقبلت على سوق الشَرْب وجلست على دكان رجل من التجّار عنده أنواع الأقمشة من الخزّ والديباج والأطالس والشاشات وغير ذلك فقالت له أريد كذا وكذا ما يساوي مائتين دينار فأحضر لها ما قالت عليه وربطه في محرمة كانت معها وقالت له يا سيدي يكون المملوك ده عندك حتّى أذهب إلى بيت الأمير وأعرض على حريمه الحوائج وآتيك بالدراهم فقال لها التاجر توجّهي على بركة الله تعالى قال فأخذت الحوايج وتركت عنده الفلّاح جالس

٣،٣٩ هذا ما كان منها وأمّا ما كان من التاجر فإنّه مضى نصف النهار ولم تأته المرأة فتضايق والتفت إلى الفلّاح وهو في هذه الحالة وقال له ستّك أبطأت علينا فهزّ

[1] بي: وزربون.

رأسه حُكْمٍ ما أوصته فكرّر عليه التاجر الكلام فهزّ رأسه أوّل وثاني ولم يتكلّم فتضايق التاجر من عدم كلامه وقال لجيرانه من التجّار ما هذه البليّة في هذا المملوك كلّما أكلّمه يهزّ رأسه كأنّه ما يعرف إلّا بالتركي قال فبينما التاجر على هذه الحالة إذ أقبل رجل عسكريّ فقال له التاجر بالله عليك يا سيدي كلّم لنا هذا المملوك بالتركي وعرّفنا عن حاله قال فكلّمه الجندي بالتركي فهزّ رأسه فاغتاظ منه وسلّ عليه الخنجر وأراد ضربه فلمّا رآه يريد ذلك واشتدّ عليه الأمر صرخ وقال له كرته هريف بوك يمه قال فلمّا سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار يصيح ويتكلّم بكلام الفلّاحين ويقول أنا في جيرتك يابو زعبل فضحك عليه الجندي وبقيّة التجّار فاستخبروه فحكى لهم على قضيّته فعرفوا أنّها حيلة عملت على التاجر والفلّاح قال فقام التاجر وأخذ جميع ما عليه وأراد بيعه للمقداف فشفعوا فيه فتركه ومضى إلى حال سبيله عريان محلوق الذقن وهو في أيشم حال حتّى وصل الكفر ومكث مدة حتّى طلعت ذقنه ولم يطلع المدينة بقية عمره وفي رواية أنّ التاجر باعه للمقداف بعشرين ديناراً ومكث فيه سنة وخلّص منه بالهروب ليلاً

٤٠،٣ (وطلع رجل من الأرياف إلى المدينة فحصره البول والغائط) فسأل عن عطفة يخرأ فيها فدلّوه على المطهرة فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الأخلية فوقف على باب كنيف يشيل رجل ويضع أخرى من شدّة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتدّ به الأمر فهجم على الرجل الذي في الكنيف وقبض على أطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دي نقره غويطه طويله أخرا انا وايّاك فيها كلّ واحد من جنب ولم يزل قابضاً على الرجل حتّى قضى حاجته على عجل وقام يجري من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتّى غاب عن أعينهم

٤١،٣ (وطلع رجل آخر المدينة فأدركه الغائط) فتحيّر ولم يعرف له عطفة يخرأ فيها فلمّا اشتدّ به الأمر شكى إلى بعض أبناء مصر حرّسها الله تعالى وقال له قد تضايقت من

البول والخره وكلّما أردت أن أشخّ قدّام دكان يمنعوني الناس ويشتموني فقال له الرجل يا فلاّح المدينة ما يخرا فيها أحد إلّا بفلوس إن كان معك فلوس دلّيتك على عطفه أو نقره تخرا فيها وإلّا تخرا على روحك فقال له واحيات لحيتك ما معايا إلّا نصّين فلوس جدد بعت بهم بيض خدهم ودلّني على محلّ الخره وان شا الله ازورك بعشرين بيضه وزالوع كبَر قال فأخذ الرجل منه النصفين وأتى به إلى المطهرة وأوقفه على بيت الخلاء وقال له إذا خرج الرجل ادخل أنت تجد شقّ طويل ونقرة غويطة شُخّ واخرا فيها قال فوقف الفلاّح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخل يخرأ ويقول قطن قطن ويكرّر هذه الكلمة قال فلمّا سمع الفلاّح مقالته ظنّ في نفسه أنّ الشخص في مصر لا يسهُل عليه خروج الخارج إلّا أن قال هذه الكلمة ويكرّرها مع الحزق الشديد وكان السبب في ذلك وذكر هذا الرجل هذا الكلمة وتكريرها أنّ زوجته لمّا خرج من عندها قالت له اشتري لنا قطن وكان كثير النِسْيان فصار يكرّر اسم القطن حتّى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرّر اسمه حتّى وقف عليه الفلاّح وسمع كلامه قال فلمّا قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاّح وجلس على كرسيّ بيت الخلاء وصار يقول مثل الرجل قطن قطن فبينما هو في هذه الحالة إذا أقبل رجل عسكريّ وطرق الباب على الفلاّح فقال الفلاّح قطن قطن فتضايق الجندي وهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندي يقول له يا أنجس الفلاّحين ايش معنى قطن قطن وانت في بيت الخلاء ولم يزل يضربه حتّى أقبل عليه الناس وخلّصوه منه ولم يزل يجري حتّى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه أهل البلد وسلّموا عليه وقالوا له كيف حال المدينة يا ابو دعموم فقال لهم المدينة مليحه إلّا انّك تاكل فيها بجديد وتخرى فيها بنصّين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب

٤٢،٣ (وطلع آخر المدينة فصادف رجلاً من غلمان أستاذه) فعزمه إلى منزله وأحضر له سمكًا صغيرًا مقليًا يسمّوه أهل مصر بِساريه له لذّة في الطعم قال فصار الفلاّح يسفّ منه ولا يعرف ما هو ثمّ قال في نفسه دا شيء عمرك ما أكلته ولا رأيته ولا بدّ يابو قريطم ما هو الكنافه الّي يقولوا عليها تطلع في المدينة وتاكلها الاماره وغدًا تطلع الكفر

ويلاقوك المشاه والجدعان ويسلّموا عليك وتقعد انت وايّاهم على كوم ابو عنطوز تغزلوا فَلّ وصوف كيف الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تجّعمص كيف تيس الوسيه ويقولوا لك يابو قريطم قل لنا ايش اكلت في المدينة من الطعام الّي ياكلوه الاماره تقول لهم اكلت الكنافه فما يصدّقوا قولك ويقولوا لك تكدب يا عرص والصواب انّك تاخد لك عضمتين من عضامها وتحطّهم في قحفك ولمّا يكابروك تقلع بالعضم عينيهم قال

٤٣،٣ ثمّ إنّه حطّ في قحفه من السمك شيئاً يسيراً وسافر حتّى طلع الكفر فأقبل عليه مشايخ الكفر مثل الكلاب السعارة وهم دندوف وشخيبر وزعيبر وبعيبر وأتت إليه المشاة مثل تروفر وقنافد ولقالق وزرّاره ونيّاك الحماره وسلّموا عليه وقالوا له يابو قريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينه وما اكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوي وفيها جنادي كتير وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقلي وخدت من الّي يقولوا عليه الحضر كرشه الّي يبيعوها على خشبه عاليه عريضه كيف الجرّافه وتكلت واتنعمت واشّبرقت حتّى خدت كمان واحيات لحاكم بجديد ترمس مملّح وتكلت الفول الحارّ فقالوا له يابو قريطم كسرت عليك مال السلطان وعمايلك دي ما تخلّي رزق وانت عمرك تبعزق ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كمانه اكلت الكنافه الّي بتاكلها الاماره قال فلمّا سمعوا كلامه قاموا عليه وكذّبوه فقلع قحفه من على رأسه وأوراهم السمك فلما رأوه صدّقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنّوا حربي وزغرطوا النسوان وقالوا له يابو قريطم بقيت زيّ الاماره وغداً أستاد الكفر يشوّش عليك ويقول بقى ابو قريطم سعيد وياكل ما تاكل الاماره ومتّى بلغه الخبر شيّعك المقداف أو الجرافه وأنت تكتم سرّك ولا تقول لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافه أبداً فقال لهم وانتم يا شيوخ الكفر تكتموا الخبر وتحلفوا لي على الشيخ ابو طبل فحلفوا كلّهم انّ لا حد يبيح بدي القضيّه فانظر إلى قلّة عقولهم وشدةّ جهلهم

٤٤،٣ (وطلع رجل منهم المدينة يبيع بيض) فاشتراه منه رجل جنديّ وقال له امضي معي إلى المنزل خذ الدراهم فمضى معه فحصر الجنديّ البول فرأى في طريقه كنيف

فدخله ليقضي الحاجة فوقف الفلاّح ينتظره فأبطأ عليه فدقّ عليه الباب فتنحنح الجنديّ فصاح الفلاّح أعطيني حقّي يا جنديّ ما يحلّ لك من الله تاخد بيضي وتخلّيني واقف على باب بيتك كلّما اكلمك تنحنح وأقام الفلاّح الغارات والصياح قال فأقبلت إليه الناس فخرج الجنديّ وهو قابض على سراويله ومسك أطواق الفلاّح وصار يضربه بالمحرمة التي فيها البيض حتّى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه والناس تضحك عليه ثمّ خلّصوه منه وفرّ هارباً

٤٥،٣ (وطلع آخر المدينة يبيع تبن) فاشتراه رجل منه وأعطاه الدراهم فأتى إلى رجل ينقُدها له فقال له امضي بهم إلى الصيرفي فسأل عنه فدلّوه على دكّانه فأتى إليه فلم يجده فسأل عنه فقال له ولد صغير إنّه ذهب لقضاء الحاجة فقال للولد بالله دلّني عليه فأخذ الولد الفلاّح وتوجه به حتّى أوقفه على بيت الخلاء والصيرفي من داخله يقضي الحاجة قال فهجم الفلاّح على الصيرفي وفي يده الدراهم وقال له خد دي الفلوس وبيّن لي منها النحاس والمقصوص أنا راجل فلاّح وعليّ مال السلطان ودلّوني على بيتك ده قال فاندهش الصيرفي وقام على حيله وهو قابض على سراويله يضرب الفلاّح والناس تضحك عليه وصار لهم هجّة وضجّة عظيمة فانظر إلى عدم ذوق هذا الفلاّح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره

٤٦،٣ (وبذكر هذا الفلاّح وعدم ذوقه ذكرت ما اتّفق أن قَيِّم الشام في عدم الذوق جاء إلى مصر) يزور قيّمها في عدم الذوق ويفتخر معه بملعوب حكم ما تفعل أرباب الملاعيب قال فسافر حتّى وصل إلى مصر واجتمع بقيّمها في عدم الذوق فسلّم عليه فقال له قيّم مصر ما تريد يا قيّم الشام قال أريد أن ألعب معك في عدم الذوق وكلّ من كان أَعْدَم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيّم مصر والشام فقال له حباً وكرامة في غداة غد إن شاء الله تعالى نجمع أصحابنا عديمين الذوق ونلعب وتبيّن شطارتك

٤٧،٣ قال فلما أصبح الصباح جمع قيّم مصر طائفته في عدم الذوق وحضر قيّم الشام وقالوا له العب واجتهد في عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب

كلّها شوك وسَنْط وحملها على الأكتاف وشقّ بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك في ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبّوه ويلعنوه إلى أن تمّ ملعوبه وأتى إلى قيّم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيّم مصر بقاشي عندك من عدم الذوق غير دا تفعله قال لا فقال له دي ما هي شطارة لأنّ الناس استعدموا ذوقك لكونك جيتهم بشي أذاهم وشوّش عليهم وأنا أفعل أعجب من ده وهو إني أخلّي الناس يستعدموا ذوقي بالورد والنِسْرِين والرَيْحان ونحو ذلك فقال قيّم الشام هذا شي له ريحه طيّبه و زيّ ما تعمل فقال له بكره تشوف ما أعمل

٤٨،٣ فلمّا أصبح الصباح قال قيّم مصر لقيّم الشام امضي معي انضر ما أخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعاً حتّى أقبلوا على بيّاع الزهور فأخذ قيّم مصر منه شيئاً يسيراً من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيّم الشام والطائفه حتّى أقبلوا على ميضة المسجد والناس في ازدحام وقت الصلاة على بيوت الأخلية فصار قيّم مصر يدخل على الرجل وهو جالس في بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين والريحان ويقول له خد يا سيدي شمّ هذا الورد وغيره يبقى نهارك مبارك واعطيني ما يتيّسر فيتضايق الرجل منه ويسبّه ويلعنه ويقول له ما أعدم ذوقك انضر أنا في أي محلّ وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبّه وتلعنه ويستعدموا ذوقه بهذه الفعلة قال فعند ذلك أذعن له قيّم الشام وصار تحت حكمه وأمره وأخذ خاطره وتوجّه إلى بلده

٤٩،٣ (ونظير ذلك ما اتّفق أن ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام) والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجّه إليه حتّى بلغ دمشق الشام واجتمع به وسلّم عليه فأخذه إلى منزله ووضع بين يديه المأكل والمشرب ثمّ إنّه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلّم مدّة ثلاثة أيّام حتّى أكل جميع ما كان عند ثقيل الشام ممّا جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة أيّام قال له يا أخي أخبرك ما حصل لي في الطريق وما ذاك إلّا أنّي سافرت مع القَفَل ففقدنا الماء في بعض المراحل فتوجّهت نحو جبل بالقرب منّا فرأيت في جانبه بيرًا مهجورًا وفيه ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت إليه ولم أزل نازل نازل وصار يكرّر

لفظة نازل على ثقيل الشام وهو نازل في الأكل والشرب مدّة ثلاثين يوماً فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء تأكله وآخر نزولك يا أخي ما فعلت في البير فقال له فلمّا انتهيت إلى قاع البير وجدت فيه جحرطاحون فوضعته على كتفي ولم أزل طالع طالع وصار يكرّرها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك أنت مكثت مدّة ثلاثين يوماً نازل في البير من غير شيء فكيف طلوعك وأنت حامل جحرطاحون أشهد على أنّك قيّم الثقلاء في مصر والشام وأنا من تحت يدك انصرف عنّي قال فأخذ خاطره ومضى بعد أن كتب له مَحْضَر بذلك أنّه قيّم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق

٥٠،٣ واعلم أن أهل الثقالة على أنواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر [رمل]

وَثَقِيلٍ قالَ صِفْني قُلْتُ أَيْش فِيكَ أَصِفْ
كُلّ ما فيكَ ثقيلٌ حِلَّ عنّي وٱنْصَرِفْ

٥١،٣ وقال آخر [خفيف]

وثقيلٍ تبسّما[١] أَصبَحَ الكَوْنُ مُظْلِما
حَطّ في الشرقِ رِجلَهُ مَالتِ الأرضُ والسَّما

٥٢،٣ فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر [وافر]

سَأَرْحَلُ عَنْ بِلادِكَ أَلْفَ عَامٍ مَسيرَةَ كُلِّ عامٍ أَلْفُ ميلِ
وَلَوْ كانَتْ بِلادُكَ[٢] أَلْفَ مِصْرٍ وَيَرْوِي كُلَّ مِصرٍ أَلْفُ نيلِ
تَكَدَّرَتِ الخَواطِرُ مِنْكَ حتّى قَنِعْنا مِنْ دِيارِكَ بِالرَّحيلِ

---

١ بي: وثقيلٍ إذا تبسّما. ٢ بي: عطاياك.

وأُنْشِدُ في فِراقِكَ بَيْتَ شِعْرٍ تَلَقّاهُ فَضِيلٌ عَنْ فَضِيلِ
إِذا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَما لِلسّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

٥٣،٣ (واشتكى بعض الفلّاحين رجلاً إلى القاضي) وادّعى عليه أنّه نزل غيطه بغير إذنه وحشّ منه برسيماً لدابّته فأحضر القاضي الرجل المدّعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه إلّا أنّه ضربني وشوّش علي فقال القاضي للفلّاح وإذا نزل غيطك تضربه فقال الفلّاح أتابيك يا قاضي تور ونزلت غيطي يا هل ترى اضربك اكسر قرنك والّا اخلّيك تطلع سالم والّا ترعى غيطي فقال له القاضي اخرج قبّح الله الأبعد ما أجهلك وما أقبح هذا المثل الذي شبّهتني به ثمّ إنّه طرده ولم يسمع له كلاماً

٥٤،٣ (ويقرب من هذا المعنى أنّ رجلاً فلّاحاً دخل على الأمير حمّار بن بَقَر) وأنشد يقول [وزن غير معروف]

يا ابن بقر ما انت الا تور والناس حداك عجاجيل
لما تعمل بقرونك هاش يولّوا الكل جفافيل

٥٥،٣ ومعنى هذا الكلام أنت أيّها الأمير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرتك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل أي مثل العجول الصغار فإذا التفتَّ إليهم ولّوا من هيبتك مثل ما أنّ الثور إذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولّت من بين يديه فأنشده هذا الفلّاح على حسب ما اقتضاه حاله وما ناسب جهله وهباله

٥٦،٣ أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الأزرق والناموس الأبلق واستعمالها من هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا [بسيط مع كسر]

رأيتُ أمَّ زغابه في المعازيلِ تطحنْ وتعجنْ وتغزلْ بالمغازيلِ
وحولها شفتُ سربهْ من عجاجيلِ وهمْ ينطّوا وهيَّ تلعبْ حناجيلِ

والمجاجيل[١] جمع مجل كما أنّ الحناجيل جمع حَنْجُول على وزن هِبَوّل وهو مشتقّ من التحنجل وهي لغة ريفيّة فإنّهم يقولوا فلان بيتحنجل أي يجري جريًا خفيفًا وينطّ نطًّا عنيفًا ومعنى هذا الكلام أنّي رأيت محبوبتي هذه وهي أمّ زغابه في معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه أيضًا وحولها العجول يلعبوا وينطّوا وهي الأخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فناسب مدح هذا الفلّاح له وعليه وشِبْهُ الشيء منجذب إليه

٥٧،٣ (وطلع رجل منهم المدينة لقضاء حاجة من أستاذه) فلمّا قضاها ورجع إلى بلده لاقوه أصحابه وسلّموا عليه وقالوا له كيف حال المدينه فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يابو عوكل اشّربقت فيها فقال لهم اشّبرقت شبرقه مليحه واكلت الزلوبيه الّي يقولوا عليها الحضور خدت منها بجديد وسمعت واحد ينادي في المدينه ويقول حلو بارد يا تين بناموسه يا تين فخدت منه عشرين جمّيزه باط بجديد وحطّيتهم في مَتْرِد وعفصتهم بايدي وشربت عليهم جَرّة مويه من البحر فقالوا له هنيًّا لك يابو عوكل عمرك تضّيّع وتبعزق ولا تخلّي فلوس واحنا خايفين لا ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله ياماضيّعنا واصرفنا فضاضي وجدايد

٥٨،٣ (وقال رجل فلاح لصديق له) يا فلان عملت السنه كعك في العيد فقال له عملت رُبْعَين كبيره فقال له حطّيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت فيهم بجديدين سيرج فقال له أفقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان بقي منهم عندك شي قال بقي عندي فِرَد واحده انخس بها الحماره من كفر دُنْضَيْط إلى كفر هُرَيْط

٥٩،٣ (وأرسل بعض الأمراء غلامًا له فلّاحًا بنصف فضّة) وقال له اشتري لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فأخذ النصف واشترى بأربعة جدد كعك وأربعة جدد زعتر من غير دَقّ ووضع الجميع بين يدي الأمير فلمّا رأوه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الأمير وطرده فتوجّه إلى بلاده

٦٠،٣ (وأرسل أيضًا بعض الأمراء غلامًا له فلّاحًا وقال له خد دي الدراهم واشتري لنا دُبّة) أيْ بطّة جلد يضعوا فيها السمن أو العسل فتوجّه الغلام إلى الرُمَيْلة وسأل عن

[١] بي: قوله المغازيل جمع مغزل كما أن المنازل جمع منزل.

بياع الدبب فدلوه على القريداتي فأتاه فرآه يلعب بالقرد والدبّة والكلب فصبر عليه حتّى فرغ من لعبه وتقدّم إليه هذا الغلام الفلاّح وقال له مرادي للأمير دبّه مليحه فقال له القريداتي عندي واحده مليحه امضي بنا نفرّج عليها الأمير قال فمضى الغلام هو والقريداتي ومعهما القرد والكلب والدبّة حتّى دخلوا البيت وكان الأمير في ذلك الوقت عنده جماعة من الأكابر جالسين فلمّا رآهم القريداتي قام يده في الطار وسحب القرد والدبّة والكلب يرقّصهم ويلعّبهم فقال الأمير له أيش ده فقال له القريداتي إنّ خدّامك ده جانى وأخبرني أن مرادك تشتري دبّه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشتري منهم ما تريد قال فضحكوا عليه الأمارة فأمر بضربه وحبسه ثمّ إنّهم شفعوا فيه فأطلقه وطرده من عنده فتوجّه إلى بلاده وأحسن الأمير بالقريداتي وأمره بالانصراف

٦١،٣ (ورأيت رجلا فلاّحا يتكلّم مع صديق له فقال له يا فلان انت تعرف تقرا) قال ايوه فقال له ايش هجاك ابريق[١] فقال له بربق واو فقال له ايش عرّفك انّ فيها واو فقال دلّتني عليها النقطه الّي فوق الواو فقال له إن عشت تبقى فصيح لاخوالك

٦٢،٣ (وقال رجل فلاّح لآخر اسمع ما قالوا العشّاق) فقال له وما قالوا فقال شعر [لعلّ الوزن المقصود البيسط]

ولقد اقولـــ له جـيش خـلوت   به انست منزلنا يا طلعة القمر وشن

فقال له دا كلام مون فقال له دا كلام هارين الرشاد الّي وقع في الجبّ لقفه التمساح الّي نزل عليه الوحل في جامع طيلون الّي النار برّد وسلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى ابن مريم ابن ابو طالوب جرى له زيّ ما جرى

---

١ بي: بربق.

٦٣،٣ (وصلّى رجل فلّاح) فلمّا نوى وقرأ الفاتحة حطّ يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له أنا ما باشكي لك أنا باشكي لربّي وجع راسي ثمّ إنّه ركع وصلّى وأتمّ صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف

٦٤،٣ (وصلّى رجل آخر من الفلّاحين) فأحرم بالصلاة وقال يا ربّ خلّي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلّع لنا زرعنا وخلّي لي وليدي عنطوز هذا كيف وليدك يا ربّ فقال له رجل عارف كفرت يا فلّاح الله تعالى مُنَزَّه عن الصاحبة والولد فقال له الفلّاح أنا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدّي قبل موتهم فقال له الرجل كلّكم كفرة أولاد كفرة

٦٥،٣ (وصلّى آخر) فلمّا ركع بان أيره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلّاح بقوله أطلقني فضحك وأطلقه ثمّ إنّه أتمّ الصلاة على هذه الحالة ولم يعرف الصحّة من الفساد

٦٦،٣ (وصلّى آخر) فلمّا جلس للتشهّد الأخير جاء ولده وقال يا ابويه البقره روّحت من الغيط فقال له وهو متلبّس بالصلاة خد شحيبر يحلبها في محلاب ثمّ سلّم بعد ذلك من الصلاة

٦٧،٣ (وصلّى آخر) فلمّا جلس للتشهّد جاء ولده وركب على أكتافه وصكّه في قفاه ومسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلّة فقال له يا ولدي انزل عني حتّى أتمّ صلاتي ثمّ إنّه تشهّد وسلّم فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلّاح سمعت ابويه وجدّي يقولوا حديث عن امّ زغابه جدّتنا القديمه من لا يسقع دقنه ما يربّي ابنه والاولاد الصغار متل اولاد المعزه وابوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبّح الله الأبعد وحديثه وأمثاله ثمّ إنّه تركه ومضى

٦٨،٣ (وصلّى رجل منهم) فلمّا كبّر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكه المجنون جيتك يا ربّي بلحيتي وجلّتي وقفاي ومركوبي لا تردّني يا ربّي خايب لا من رحمتك ولا من رجاك الله اكبر وركع وتمّ الصلاة الفشرويّة

٦٩،٣ (وصلّى آخر) فلمّا قرأ الفاتحة أتى لعند قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فأبدل النون ميماً وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطّل الصلاة وخلّي الصراط بلا هدم قاتل الله الأبعد وقام عليه حتّى تركها

٧٠،٣ (وصلّى فقيه ريف) بجماعة فلمّا قرأ الفاتحة وأتى إلى آخرها قال ولا الضالّون فقال الرجل من خلفه آمون فالتفت إليه وقال له لحنْت فقال له بل أنت كفرت

٧١،٣ (وحُكي أنّ رجلاً من جهلة العرب صلّى بآخر مثله) فقال الإمام هذا اللفظ شنتير كيف بنتير جماعه راكبين فيل جتهم طير أبابيل خلّتهم متل الفطير ثمّ ركع وركع الآخر خلفه وأتمّا صلاتهما التي لا فَيْش ولا عَلَيْش

٧٢،٣ (وصلّى آخر من الفلاّحين) فلمّا سجد لدغته عقرب فضرط من شدّة اللدغة ثمّ رفع رأسه بسرعة وقال يا ربّ أنت تعلم أنّي ما ضرطت بخاطري إلّا غصب عنّي سامحني يا ربّ ثمّ إنّه سجد وسلّم

٧٣،٣ (وصلّى آخر) فلمّا سجد رأى تحت جبهته انخفاضاً فأخذ قرص جلّة ووضعه تحت جبهته وأتمّ صلاته عليه

٧٤،٣ (وصلّت امرأة من نساء الأرياف) فلمّا تلبّست بالصلاة جاء الكلب وأخذ من جانبها رغيفاً فمسكته وقبضته على آذانه وشتمته ونهرته وخلّصت الرغيف من فمه وأتمّت صلاتها

٧٥،٣ (وكان بعض الأولاد يقرأ في كُتّاب) فجاءت أمّه واشتكته للفقي وقالت له الولد ده بيئذيني ويشوّش عليّ وانا اصلّي واذا ركعت شلح ثيابه وشخّ وبال عليّ فقال له الفقي أحقّ ما تقول أمّك قال نعم يا سيدي فقال له ما السبب أنّك تؤذيها وهي فى الصلاة فقال له يا سيدي لأنّ عبادتها باطلة لا فَيْش ولا عَلَيْش اسألها ما تقول في الصلاة فقال لها الفقي أنت تحسني الصلاة فقالت وكيف لا أحسنها وانا اعرفها من امّي وجدّتي وجدّة جدّتي فقال لها اقرئي الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله ربّ العالمين إذا جاك الحجّ نصر الدين افتح له الباب إنّه كان طوّاب فقال لها الفقيه قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة وأوّل الفاتحة فقال الولد اسألها يا سيدي ما تقول

بعد الصلاة فسألها فقالت أقول زيّ ماكانت امّي وجدّتي تقول سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح الفقيه عليها وقال لها كفرت يا ملعونة ثمّ إنّه التفت إلى الولد وقال له أمرتك أن تخرأ عليها فضلاً عن الشخاخ ثمّ إنّه زجَرها فخرجت من عنده وتوجّهت إلى حال سبيلها

(وصلّى رجل فلاّح) ولمّا كبّر وأراد أن يقرأ دعاء الافتتاح قال لحت وجهي للي شرخ السموات والأرض لا نّي لا حنيفاً ولا مسلماً ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فمن أي مِلّة أنت قاتل الله الأبعد فقال أنا من بني عُقْبه فضحك عليه ثمّ تركه ومضى وأحوالهم مشهورة وأضرابهم كثير وأمورهم لا تنحصر ٧٦،٣

(وذكر فقهائهم وما يقع منهم من الجهل المركّب وقلّة العقل والخبط في الدين ونحو ذلك)

١،٤ (سئل فقيه ريفيّ عن قوله تعالى) ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي﴾ ما معنى اقلعي فقال أيْ سيري مثل المراكب المقلّعة

٢،٤ (وتولّى بعض فقهاء الريف عقد نكاح) فقال للوليّ قل أَنْكَحْتُكَ بنتي خطيطه البيضاة اللون الشقراة الشعرالّي عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حَوَل بشرط أن تكون في طاعتك وتتقيّد لدارها وتلزّق الجلّه فيها وتفرش فرشها وتسرج فتيلتها ثمّ قال للخاطب قول قبلت شكاحها ونكاحها وهراشها وفراشها

٣،٤ (وكان شيخنا العلاّمة الشيخ شهاب الدين القليوبيّ رحمه الله تعالى) يقول زرنا سنة من السنين سيّدي أحمد البدويّ نفعنا الله به فلمّا رجعنا من الزيارة أدركنا المبيت في قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه حكم زريبة البقر فيه آثار الجلّة والوحل ومفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول وبقر مربرطة فجلسنا في الجانب المسقوف منه بعيد عن العجول نتذاكر العلم فدخل علينا جماعة من الفلاّحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزّم على بِشْت صوف من غير قميص حافي من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقهاء من الجامع الأزهر فقال لنا تقروا في القرآن قلنا نعم فقال أسألكم سؤال قُدّام شيوخ بلدي إن قلتولي عليه وردّيتم جوابي عشّيتكم وبيّتّكم وإن ما عرفتم الجواب طردتكم من البلد فإنّي فقيه البلد وخطيبها وما عمرحدّ غلبني ولا عرف سؤالي قال فضحكنا عليه وقلنا له اسأل ما بدا لك فقال يا فقهاء الأزهر الصلاة لها كام عنصر وفين عنصرها الأوّلاني وعنصرها الأخراني قال الشيخ عفا الله عنه فقال رجل من أتباعنا الصلاة لها تلتماية وستّين عنصر الأوّلاني من عناصرها رجليك والتاني

ايديك والتالت طيزك والأخراني دقنك قال فسكت واحتار في أمره فقالوا له أهل بلده غلبوك مشايخ الأزهر يابوحنجول فقال لهم طول عمري أسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت حدّ جاوبني عنه إلّا دولي وأنا أقل لكم يا شيوخ البلد الحقّ أنّهم غلبوني قال الشيخ سامحه الله ثمّ إنّه توجّه إلى منزله وأحضرلنا متردين لبن بدشيش وخبز ذرة فأكلنا ونمنا مكاننا إلى أن أصبح الصباح فحضر إلينا ورحّب بنا وأخذنا خاطره وتوجّهنا والحال أنّنا لم نعرف معنى السؤال ولا الجواب ولا عرفنا هذا الكلام غير أن تابعنا لشدّة حِذْقه أجابه من معنى سؤاله وأعطاه كلام قصاد كلام

٤،٤ (وسأل بعض الفلاّحين أخينا في الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدُنْجَيْهي) رحمه الله تعالى فقال له فين هي قبلة طيزك فقال له دقنك فخجل الفلاّح وضحك عليه الحاضرون

٥،٤ (قلت ونظير ذلك ما حكاه شيخنا أنّ ممّا اتّفق في بعض السنين أنّه حضر رجل من العجم لمصر المحروسة) واجتمع بوزيرها وأخبره أنّه من علماء العجم ولا أحد يقاومه في العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتّى مال إليه وصار عنده في منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوّة لمناظرة علماء الجامع الأزهر فقال نعم أسألهم بحضرتك سؤال فإن أجابوني فأنا من تحت أمرهم وإلّا يصير لي الفَخَار عليهم قال فأرسل الوزير إلى علماء الأزهر نصرهم الله وجعلهم أئمّة المسلمين إلى يوم الدين فلمّا حضروا بين يديه وغَصّ المجلس بأهله أعرض عليهم الأمر فقالوا يسأل العجميّ ما بدا له فقام العجميّ بين أيديهم وسألهم بالإشارة من غير كلام يتلفّظ به فقالوا له يا وزير الإشارة لا تكون إلّا للأخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لا بدّ أن تجيبوه على سؤاله وألزمهم بذلك لميله للعجميّ ومحبّته له فقالوا له أمهلنا ثلاثة أيّام حتّى نظر بقيّة مشايخنا فأمهلهم الوزير

٦،٤ فتوجّهوا العلماء حفظهم الله من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأي في دفع هذا العجميّ وردّه إلى بلاده مقهوراً فقال رجل منهم الرأي عندي أنّنا نظر لنا رجلاً من أجلاف الريف وفحوفهم لا يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض ونجعله

شيخنا ونلبسه لبس العلماء ونمشي خلفه ونطلع به إلى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذي يجيب العجميّ ونعامله بما يناسب مقامه ونسلّط الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم يفتّشوا على هذه الصفة فرأوا رجلاً من أجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الساقين كبير اللحية على رأسه قحف طويل وجبّة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت يأكل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلمّا رآهم ظن أنّهم يريدوا أخذ البيضة منه فأخذها ووضعها في قحفه من داخله وأراد الهروب منهم فقبضوا عليه فقال لهم أنا في جيرتك يا شعرا فقالوا له لا تخف يا فلّاح ولا تخش من شيء فقال أنا خايف تخدوني لاستادي يقطع راسي وانا عمري ما طلعت مصر غير السنه دي وانا كنت جيعان فضل معايه اربع بيضات شويتهم أكلت تلاته وفضلت معايه واحده فخفت منكم وشلتها في قحفي وانا مكسور عليّ مال السلطان قرشين فقالوا له إحنا مرادنا نفعل معك خير وإن طاوعتنا أعطيناك القرشين وغدّيناك وبسطناك فقال لهم وانا الآخر إن كان معكم فحت بير أو هدم حيط أو شيل طين أو جلّه عملته لكم في ساعه واحده وان كنتم رايحين في عركه هاتوا لي نَبُّوت وانا اضرب لكم القوم ولوكانوا ألف راجل أبطحهم فقالوا له ما مرادنا ذلك وما مرادنا إلّا نعملك شيخنا ونطلع بك لواحد عجميّ يسألك سؤال تجيبه عنه وتغلبه ولكن هذا العجميّ يتكلّم بالإشارة فتكلّمه مثل ما يكلّمك فقال لهم خدوني للمعرّص ده وان طلبتم ضربه ضربته بلكّاميّتي قتلته ولو كان حدا السلطان أو الوزير وانا ياما قتلت وياما سرقت وانا عليّ مال السلطان وعليّ إنّي اردّ العجميّ ده مغلوب

قال فأخذوه وألبسوه لبس الفقهاء وعمّموه على قحفه عمامة مدوّرة وحطّ البيضة من داخل عُبّه فقالوا له خلّيها هنا لمّا ترجع فقال لهم وحياتكم لم اخلّيها لانها بيضة فرختي واوّل بيضها ولمّا اجوع آكلها فقالوا له خلّيها معك ومضوا به على حالهم حتّى أقبلوا به على الوزير والعجميّ بين يديه جالس فقام إليهم وأعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا وهو الذي يجيب العجميّ على سؤاله قال فجلس ٧،٤

العجميّ متأدّبًا جلوس طلبة العلم وجلس الفلّاح ومدّ رجليه ولم يعتبر بالمجلس كأنّه في زريبة بقرفلمّا رآه العجميّ على هذه الحالة استعظمه وقال في نفسه لولا أنّه من العلماء الأجلاء ما احتقر هذا المجلس ومدّ رجليه بحضرة الوزير ثمّ إنّ العجميّ أشار إليه بالسؤال يريد منه الجواب وأقام له إصبعاً من أصابعه قال فأقام الفلّاح له اصبعين اثنين قال ثمّ إنّ العجميّ رفع يده إلى السماء قال فوضع الفلّاح يديه على الأرض قال ثمّ إنّ العجميّ أخرج من جانبه علبة وفتحها وأخرج منها فرّوجاً صغيراً وأرماه إلى الفلّاح قال فتذكر الفلّاح البيضة التي في قحفه فأخذها من رأسه وألقاها إلى العجميّ قال فعند ذلك هزّ العجميّ رأسه وتعجّب منه وقال للوزير ولبقيّة العلماء قد أجابني عن سؤالي الذي أشرت له به وأشهدكم أنّي صرت من بعض تلامذته وأتباعه قال ثمّ إنّ الوزير أكرم الفلّاح والعلماء وانصرفوا مؤيَّدين منصورين

٨،٤ ثمّ إنّهم قالوا للفلّاح بعد انصرافهم نحن ما عرفنا حقيقة السؤال ولا الجواب فأخبرنا عنه فقال لهم الفلّاح يا خساره عليكم انتم فقها ولكن ما تعرفوا شي تردّوا للناس جواباتهم أنا لمّا قعدت قبال وجهه رايت عينيه عينين خاين وهم حمر وهو في غضب وشاورلي بصباعه يقول لي اصحى لنفسك والّا خرقت عينك بصباعي ده فأشرت إليه أنا لآخر وقلت له إن خرقت عيني بصباعك أخرق عينيك الاثنين بصباعيني دول وأقمتهم في وجهه ثمّ إنّه شال ايده في السقف يشير لي انّي إذ لم أطيع والّا صلبني في السقف فوضعت أنا الآخر ايدي على الأرض أشير إليه إن ردت تفعل معي ما بتقول خبطتك في الأرض خبطه طلّعت عفاريتك فلمّا رآني غالبه وظافرعليه أخرج فرّوج دجاج صغير يورّيني أنّه كلّ يوم ياكل فراخ وانّه متنعّم في الاكل والشرب فأخرجت له أنا الآخر البيضه المصلوقه أورّيه أنّي متنعّم في اكل البيضه المصلوقه فغلبته وردّيت سؤاله قال

٩،٤ فلمّا سمعوا كلام الفلّاح وعرفوه قاموا وتوجّه إلى العجميّ واجتمعوا به وسألوه عن الجواب فقال لهم طول عمري أسأل العلماء هذا السؤال وأناظرهم به فما عرفه حدّ

إلّا شيخكم هذا فقالوا له أخبرنا عن السؤال وعن حقيقته فقال لهم أقمت له إصبعي أشير له أن الله واحد فأقام لي الأصبعين يشير لي بما أنه ليس له ثاني فرفعت له يدي إلى فوق أشير إليه أنّه رفع السماء بغير عمد فوضع يده إلى الأرض يعني وبسط الأرض على ماء جمد فأخرجت له الفروج أشير له أنه يُخرِّج الحيّ من الميت فأخرج إليّ البيضة يعني ويخرج الميت من الحيّ فأجابني جواباً شافياً فما رأيت أعلم منه فعرفوا أن الفلاّح كان في مقصد والعجميّ في مقصد آخر على حدّ قول القائل [كامل]

صارَتْ مُشرِّقةً وصِرتُ مُغَرِّبًا   شَتّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

فالإشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتّفق) أنّ رجلاً مسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة

١٠،٤ (وخطب فقيه من فقهاء الريف) فقال أيّها الناس أراكم تلتهوا في الحصيدة وفي الزرع والقلع وغدا يجيكم اللموم * وتحضر لكم القوم * فاستعدّوا لقتالهم بالمزاريق * فما لكم عند الله عذر ولا تعويق * واعلموا يا اهل بلدنا الّي وراه عدوّ * ما وراه هدوّ * قوّاكم الله يا جيش جُدام * على جيش حَرام * فأنتم تحترصوا أن يجيكم العدوّ من جنب النُقَره * فصلّوا كلكم واطلبوا من الله النُصره * وقولوا يا حنّان يا منّان * انصر شيخ البلد عمران * قولوا آمين فقالوا آمين ثمّ نزل وصلّى بهم صلاة معزاويّة لا فرض ولا نيّة

١١،٤ (وخطب آخر) فلمّا صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا انّ عندكم قمح كثير * وتبن وشعير * وانتم بخير من ربّ العالمين فانتم تفيقوا لزرع الوسيّه * والّا صبحكم الكاشف بداهيه وبليّه * وغداً تسرحوا للعونه والسَخَر * وفيقوا للغنم والبَقَر * وافتحوا ابياركم * وقيموا دولابكم * وأكرموا الخُطّار * بالعدس والبيسار * تنجوا من عذاب النار * قال الله تعالى الذي في سماه احتجب * عَلَيْش يا حبايب تهجرونا بلا سبب * الله الله قولوا لا إله إلّا الله من وحّد الله لا خيّبه الله آمين والحمد لله ربّ العالمين ثمّ نزل وصلّى بهم

١٢،٤ (وخطب آخر) فلمّا شرع في الخطبة أقاموا الفلاّحين الشياط والعياط في حساب المال والزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعه اسمعوا للخطيب وِعِدِّنُّه كلب بينبح

١٣،٤ (وواعد فقيه ريف جماعة على أنّه يسرق هو وإيّاهم فول أخضر من الغيط) فذهبوا معه ليلاً حتّى أتوا إلى غيط رجل من القرية وأخذ كلّ واحد منهم عُمْر كبير من الفول وأخذ الفقيه عمرين قال فلمّا أصبح الصباح وقربت الصلاة وكان يوم الجمعة طلع هذا الفقي يخطب فلمّا انتهى إلى الوعظ قال أيّها الناس فقالوا له أصحابه في السرقة ما للناس كلّ واحد خد عمر وانت خدت عمرين

١٤،٤ (وسأل فقيه ريف بعض العلماء) وقال له مرادي أقرأ الجُرّوميّة على مذهب الإمام الشافعيّ فضحك عليه من جهله وطرده

١٥،٤ (ودخل على العلاّمة الحُمَيْديّ رحمه الله تعالى رجل من فقهاء الريف) وقال له عندك مختصر القرآن وكان الحميديّ شيخ الصحّافين بمصر فقال الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتّى أنظره لك فجلس عنده وإذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيّدي مختصر مسلم فقال له نعم خذ تعريص هذا فإنّه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده فتعجّب الحاضرون منه غاية العجب ثمّ إنّهم سألوا فقيه الريف عن حاله فقال لهم أنا رجل اقرّي الأولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل أحدًا اختصره فيكون سهل على الأولاد ويحفظوه بالسرعه فضحك عليه الحاضرون ومضى إلى حال سبيله

١٦،٤ (وسعى رجل من الأكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة في بعض المحاكم) ومدحه عنده فقال ائتني به فلمّا حضر بين يديه قال له القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم أيّد الله مولانا القاضي وعندي مصحف مليح بخط المؤلّف قال فتحقّق القاضي جهله وضحك عليه وطرده فمضى إلى حال سبيله

١٧،٤ (ودخل بعض الفقهاء الجهّال على أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه) ورجل الإمام ممدودة لوجع أصابها فلمّا رآه الإمام في هيئة حسنة وثياب فاخرة لمّ رجله وكان الإمام يقرّر في مسألة صلاة الصبح ما حكمها إذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل إذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الإمام آن لأبي حنيفة أن يمدّ رجله ثمّ مدّها في وجهه ومضى على درسه ولم يلتفت إليه

١٨،٤ (واتّفق أنّ اثنين اختصما في آية من كتاب الله تعالى) فقال أحدهما لعلّهم يتفكّرون وقال الآخر لعلّهم يشكرون فبينما هم في المشاجرة إذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنّه يحفظ القرآن هل يتفكّرون أو يشكرون فقال الأَوْلى أنّنا نأخذ من كلّ كلمة جانباً ونجعلها لكما لعلّهم يتفشكرون ونبطّل المشاجرة بينكما فقالا قاتل الله الأبعد كفر وغيّر كلام الله

١٩،٤ (ودخل رجل من العلماء قرية من قرى الريف) فرأى رجلاً يدرّس في مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروي حديثاً باطلاً فقال له رأيت هذا الحديث في أيّ كتاب فقال له في كتاب عندي يسمّى الدَلْهَمة والبطّال فقال له أضعفت حين أسندت ثمّ قام عليه وأبطله الدرس ومضى إلى سبيله

٢٠،٤ (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وقت المساء فقلت في نفسي أسأل على فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه قال فقالوا لي انضره على كوم عالي وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لأجل ما يسلخ جلده ويبيعه قال فتوجّهت إليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حمار ميّت حكم ما ذكروا وهو في حالة رذلة وثياب دنسة حافي القدم تعيس الناصية فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام بتكلّف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول إخْصا جرّ روح يا ميشوم ويضرب بالحجارة الكلاب وهو في كرب كأنّه يعارك القوم قال فجلست ساعة أنظر في حاله وإذا برجل أقبل عليه من أهالي قريته وقال له يا فقيه أنا قلت لامراتي أنت طالق ثلاثاً وسألت فما حد ردّها لي وقالوا لي ما عادت تحلّ لك حتّى ينكحها واحد غيرك وانا خاطري تردّها لي وتخلّصني وخد لك كيلة شعير قال

فالتفت إليه وقال له إن كان مرادك أخلّصك من اليمين ما آخذ إلّا كيلتين شعير فقال له أعطيك ما تطلب فقال له خذ امراتك وقت السحر وروح بها بِرْكة الماء اللّي في المحلّ الفلاني وخلّيها تشلح ثيابها وتخوض في البركه حتّى يبلغ الماء سُرّتها ولا تخلّيها تضمّ رجليها حتّى يدخل الماء فرجها وينكحها فإنّ الماء مَلَك والملك ذكر وصدق عليه أنّه نكحها قال الله تعالى وخلق من الماء بشرًا سويًّا قال فلمّا سمعت ما قاله لهذا الرجل أخذتني الغيرة في دين الله تعالى وقمت عليه بالسبّ واللعن وقلت له قاتل الله الأبعد وعلمه وقريته ونهيت السائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت أنّي لا أقعد في هذه القرية ولا أبات فيها لأجل هذا اللئيم ثمّ مضيت إلى قرية أخرى ونمت بمسجدها إلى أن طلع النهار وتوجّهت إلى حال سبيلي

٢١،٤ (وقال بعض فقهاء الريف لتلامذته) قد ظهر لي في القرآن بحث وهو قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ أنّه وجه ضعيف لأنّه محكيّ بقيل

٢٢،٤ (ودخل بعض العلماء قرية من قرى البحر بنواحي الجبل) فرأى محلًّا يشبه المسجد وفيه البقر والغنم وقد اشتدّ به الجوع فجلس يقرأ في سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية يسمعوا قراءته إلى أن وصل إلى قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وانت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والّا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتّى نرسل لفقي بلدنا الحاجّ مخالف الله ونسأله فإن قال لنا إنّ القرآن فيه كلاب تركناه والّا قتلناه قال فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنّه سارية الجبل من طوله أو عمود الصواري من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعرّ منها الجلود وهو ملفّع بحِرام أبيض دنس لا غير فلمّا حضر وجلس أخبروه بالقضيّة فنظر يمينًا وشمالًا وقال لهم اصبروا حتّى أبيّن لكم الأمر وأكشف لكم الحال ثمّ إنّه انضجع على قفاه وقال لهم اطرحوا عليّ الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرّك ثمّ إنّه قام بسرعة عريان مكشوف الرأس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة

ينظر نحو السماء وهو في وجد وكرب ثمّ ادّعى بحرامه فالتفّ فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات الّي خلقها الله فرايت أوّل سما فيها بقر وتاني سما فيها جاموس وتالت سما فيها عجول ورابع سما فيها تيران وخامس سما كذا وسادس سما كذا وصار يعدّ أصناف حيوانات إلى أن قال وشفت عاشر سما مليانه غنم وانتم تعرفوا انّ الغنم تعوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لا بدّ له من كلب يحرس غنمه خلّوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره ياكلهم قال فأخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله الذي خلّصه من هؤلاء الجهلة

٢٣،٤ (وجاء رجل إلى فقيه بلدة) يسأله عن رجل أخذ له ديكًا وذبحه ماذا يلزمه فقال في هذا انظر لك في باب الديّات والقتل

٢٤،٤ (وكان بعض فقهاء الريف يدرّس في قرية من بعض قرى الريف) وكلّما سئل عن مسألة أجاب عنها بسرعة نظمًا ونثرًا ولم يتوقّف في الجواب لشدّة جراءته في الكلام من غير معرفة إلى أن حضر درسه جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه في المسائل وإتيانه بكلام ليس هو في كتب الفقه إلّا أنّ فيه رائحة المناسبة فقالوا أمر هذا المدرّس عجيب فقال رجل منهم أنا أختبره لكم وأبيّن لكم صدقه من كذبه كلّ شخص منكم يأخذ له حرفًا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا صواب فأخذوا الأحرف وجمعوها فصارت خُنْفِشار ثمّ إنّهم جلسوا حوله وقت الدرس فلمّا فرغ يدرّس ويدردش قالوا له يا مولانا رأينا في بعض الكتب يقول خذ الخنفشار وما عرفنا ما يكون فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع في أرض اليمن يُعَقّد به اللبن قال الشاعر [وافر]

لَقَدْ عَقَدَتْ مَحَبَّتُكُمْ بِقَلْبِي   كَمَا عَقَدَ الْحَلِيبَ الخُنْفِشَارُ

وقال صلّى الله عليه وسلّم وأراد أن يذكر حديثًا باطلًا فقالوا له أمسك ما معك قبّح الله الأبعد أمّا كلامك في حقّ الحكماء والعلماء فقد سلّمنا لك في الكذب عليهم وأمّا الحديث فلا نسلّم لك فيه ثمّ إنّهم قاموا عليه وأبطلوه من الدرس

٢٥،٤ قلت ولهذا ذكروا أنّ العلم أمانة وأنّ الشخص لا يجوز له أن يتكلّم فيه إلّا عن خُبَر واطّلاع وشدّة احتياط بأصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة العلماء

٢٦،٤ (فقد سأل بعضهم رجلاً من أهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف) فقال لا أعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له إنّي سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت لا أعرف ولم يبلغني في وصفه بشيء ثابت فقال له أبوه لأيّ شيء توقّفت في الجواب كنت تقول لهم وصفه كذا وكذا ولونه كذا ولا تنسب نفسك إلى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظاً شديداً وأصبح ينادي عليه في الجامع ويقول لا تأخذوا عن والدي العلم فإنّه رجل كذّاب مدلّس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصّة

٢٧،٤ (وأوصى لُقْمان ابنه) فقال له يا بُنَيَّ إذا سألك الناس فقل لهم لا أدري فإنّك إذا قلت لهم لا أدري سألوك حتّى تدري وإن قلت أدري سألوك حتّى لا تدري

٢٨،٤ (وقرأ بعض الفقهاء الجهّال) وإذا بطستم بطستم خبّازين يريد ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

٢٩،٤ (وقرأ آخر) ولله ميزاب السموات والأرض فقيل له ما معنى ميزاب فقال الذي ينـزل منه المطر

٣٠،٤ (وادّعى فقيه حفظ القرآن) فقيل له في أيّ سورة الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظلماً فأطرق ساعة ثمّ قال في سورة الدخان

٣١،٤ (واشتكى رجل ولده للقاضي) وقال له أصلح الله القاضي هذا ولدي يشرب الخمر ولا يصلّي فقال له القاضي ما تقول قال إنّه يقول غير الصحيح إنّي أصلّي ولا أشرب الخمر فقال له أبوه هذا يزعم أنّه يقرأ القرآن وأنّه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئاً منه قال له القاضي اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم [رمل]

عَلِقَ القَلْبُ الرَبابا بَعْدَ ما شابَتْ وَشابا
إِنَّ دِينَ اللهِ حَقٌّ لا نُغَيِّرُهُ اِرْتِيابا

فقال أبوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وأنا كنت أحفظ فيها آية أخرى وهي [رمل]

فَٱرْحَمِي صَبًّا كَئِيبَا قَدْ رَأَى ٱلْبُعْدَ عَذابا

ثمّ قال القاضي خذ ابنك فإنّه ماهر في القرآن عارف فانظر إلى جهل الغلام وأبيه وتعجّب من جهل القاضي الذي لم يفرُق بين الشعر والقرآن

٣٢،٤ (وكان بعض العلماء كلّما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان) فقال له رجل أفي الله شكّ فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته وبعضهم أجاب عنه بأنّ فيها قولان من جهة النحو

٣٣،٤ (ودخل بعض العلماء قرية من قرى الريف يوم الجمعة) فلمّا قربت الصلاة توجّه ليصلّي فرأى أهل القرية جميعاً داخلين المسجد وكلّ واحد منهم معه قُفّة من خوص وفيها مِغْرَفة من خشب وسِكّينة من حديد وفار ميّت معلّق في عنقه فتعجّب من فعلهم وقال لا بدّ أنّي أسأل فقيه القرية عن هذا الأمر فبينما هو متعجّب من فعلهم وإذا بالفقيه داخل المسجد للخطابة وهو أيضاً مثلهم حامل قفّة فيها مغرفة وخشبة وسكّين ومعلّق في عنقه فاراً ميّتاً وراهم كلّهم يصلّون بهذه الحالة قال فتقدّم إلى الخطيب وسأله عن هذا الأمر ومَنْ أَمَرَ أهل القرية بهذه الفعلة فقال له أنا أمرتهم بذلك فقال له هذا أمر باطل والصلاة باطلة وما دليلك في ذلك فقال حديث رأيته عندي في كتاب واسمه كتاب التشبيه ولفظه يقول حدّثني تحتي[1] بن تحتي عن شعبان النُوريّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لا تصحّ جمعة أحدكم إلّا بقفّة ومغرفة وخشبة وسكّينة وفار فقال له ائتني بالكتاب أنظره فأتاه بالكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحّفت عليه بالتشبيه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لا تصحّ جمعة أحدكم إلا بعِفّة تصحّفت عليه بقُفّة وسَكِينة تحرّفت عليه بِسِكّينة وخَشْية تصحّفت بخَشَبَة ومَعْرِفة تصحّفت عليه بمِغْرَفة ووَقار تصحّفت عليه بفار وأمّا سند الحديث فهو حدّثني يحيى

[1] بي: بختي.

بن يحيى عن سُفْيان الثَوْريّ فتصحّفت مثل ما مرّ قال فقام عليه هذا الرجل وعلى أهل القرية وأبطلهم هذا الأمر وسعى في خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وقلّة عقله فأخرجوه من البلد بيد أمير البلد وطردوه

٣٤،٤ (ودخل بعضهم قرية من قرى الشام) فسمع المؤذّن يؤذّن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وأنتم يا أهل هذه القرية تشهّدوا أنّ محمّداً رسول الله قال فتعجّب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فنظر فإذا هو خمر قد صبّوه في إناء ورجل يتناول منه للناس ويقبض منهم الثمن فقال وهذه أعجب ثمّ مضى إلى المحراب ليسأل الإمام فوجده قد أقبل يمشي على رجل واحدة ورجله الأخرى مرفوعة وأقيمت الصلاة فصلّى ورجله على حالها فلمّا خرج من صلاته سأله عن القضيّة وعن رفع رجله في الصلاة فقال له اعلم يا سيّدي أنّ المؤذّن الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين فإنّه نصرانيّ احتجنا إليه لمرض أصاب مؤذّن الجامع ورأيناه صَيِّتاً فأقمناه مقامه حتّى يبرأ من مرضه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين وأمّا الخمر الذي رأيته يباع في المسجد فإنّ المسجد له كرم عنب موقوف عليه وإذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقّين فعصرناه وجعلناه خمرًا لأجل زيادة الثمن للمستحقّين وأرباب الوظائف وأمّا رفع رجلي التي رأيتها فقد صادفتها نجاسة وأنا داخل المسجد وأدركت الصلاة فقلت أرفعها وأصلّي على رجل واحدة لأجل صحّة الصلاة لأنّي خشيت من المشي عليها فيحصل التلوّث للمسجد وتبطُل الصلاة قال فتعجّب الرجل من قلّة عقولهم وشدّة جهلهم فأتى القاضي فدخل عليه ليسأله عن هذا الأمر فوجد غلاماً يلوط فيه فاحتار في أمره وقال له ما هذا يا مولانا القاضي فقضيّتك أغرب ممّا رأيت وأعجب فقال له لا تعجب إنّ هذا الغلام يدّعوا أهله أنّه بلغ الحُلُم وجماعة يقولون إنّه قاصر فأخذته لأختبره وقلت إن فعل وأنزل يكون قد بلغ الحلم وإلّا يكون قاصر فرأيته قد أنزل المَنِيّ فتحقّقت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لأجل إقامة الشرع فقال الرجل قبّح الله الأبعد وقريته وحلف أن لا يعود إليها بقيّة عمره

٣٥،٤ (وتولّى بعض فقهاء الريف الجهّال القضاء) فأرسل إلى من ولاه هديّة وأرسل معها مكتوب مضمونه بعد السلام على مولانا الأفندي إنّ الواصل لكم هديّة خروفَيْن وسرموجتَيْن الأفندي خروف وسرموجة والنايب خروف وسرموجة قال فلمّا بلغ القاضي مكتوبه أمر بعزله وحقارته وإخراجه من القرية

٣٦،٤ (قلت ونظير ذلك مكتوب فنين) الذي أرسله لأهله من الصعيد في عنوانه يصل إن شاء الله تعالى إلى دربنا المحروس الذي ضبّته مشط ولعبه يسلَّم ليد أهل البيت بتاع فنين

١،٣٧،٤ وفي داخل المكتوب السلام عليكم عدد ما في نخيل البلد من أوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا أطباق أطول من مقود زرافه ولو كان طاق أو طاقين أو ثلاثة كان أطول من كلّ بدّ وسبب شعر [طويل مع كسر]

إن كانَ أبي ما مات وأمي كمـاني تعـيش فودّي لهـم عـنّي يا ريح السـلاماتْ
وروحْ قلْ لهمِ إنّي مع الناسِ في البلدْ وقلبي من الأشواق لو لا سلا ماتْ
وأنتـمِ لفي غفـلـةْ كـبـيرةْ عن ابنـكـم ويا ما جـرى لي بعـدكم من حكاياتْ
أنا إن عشت حتّى لقـيتكم اقول لـكـمِ وانا إن مت فقولوا لا حيله فنين ماتْ

٢،٣٧،٤ والذي نعلمكم به إن كنتم لسعا بالحياة طيّبين إنّي أرسلت لكم صُحبَة القاصد جوز وزّ فقس بيتي النصف من ذلك وزّه وأيضاً خروف أبلق ترْبيه وخروف بلا بلاق ويا سبحان الله تبقوا تتكلّموا أجزاف أرسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله وما قلتم لنا على عرضه وأرسلتم تطلبوا كِشْك وانا إن أرسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وانا إن طبختة ما يوصل لكم حتّى يبرد وطلبتم نيّده وما قلتم لي بعسل أو بلاشي وطلبتم قُلَيْلات والفلّاحين ما يزرعوا إلّا قرع طوال فيكون ذلك في خاطركم من حقّه وبلغني انّ امراتي حبله من بعدي فلا تخلّوها تولد حتّى آجي وإن ولدت

قبل ذلك فلا يكون إلّا صبي وسمّوه دار الخطيب فإنّي دخلت دار الخطيب ورأيت فيها طعام كتير أعجبني

٣،٣٧،٤ وجرت لي فيه حكاية ولكن لا تقولوها لحدّ أبدًا تبقى فضيحه وذلك أنّي أكلت يوم بطيخ ونمت في بيت الفلّاحين حشاكم فشخّيت في تيابي وانا معذور وبزيادة فإن البطيخ يكتر الشخاخ فغسلت قميصي وعلّقته في السطوح فقام بالأمر المقدّر ضربة الهوا وقع من فوق لأسفل وارتجفت بسلامتي رجفة وضعفت ضعفه لو ضعفها غيري كان مات وعرفت أنّها ما هي بشارة خير وأنّها تدلّ على موت أمّي وأبويه والحمد لله الذي كانوا فدايه وأنّي صلّيت وصمت حتّى الذى ما كنت في القميص وانا لو كنت فيه كنت انكسرت وحوالينا ولا علينا ولكن من الرجفه وجعتني عيني التي تبقى من ناحية المَسِيد وقت أخرج من بيتنا

٤،٣٧،٤ والذي نعلم به الوالد زوج الوالدة أنّي دخلت يوم البستان أنا والخولي فرأيت فيه نخيل شي طويل وشي قصير وشي ما يشبه شي فقلت وده ايه قال توت ورأيت يا أبي نخله فيها كلّ ورقه قدر الصُّفه الّي تتخنّت أمّي فيها قلت وده فقال لي موز فعجبني قوي وقلت الموز يطلع في البستان فقال لي أَيْوَه قلت والجبن المقلي يطلع فين قال يطلع في طاجن الجبّان وانا كلّ يوم آجي واطلّ من الطاقه وعمرى ما شفت في طاجن الجبّان نخلة جبن مقلي فواعدت الخولي وراهنته من امراتي الحبله لا مراته التي بلا حبل بأنّه يعمل امراتي يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلّوه ياخد امراتي وابقى يتيم وانا افتكرت وكأنّي وودن الشيطان مسدوده أصبحت صاحب فكره أكتب لي محضر واخد خاطر الجيران انّهم ما رأوا نخلة في طاجن جبن مقلي

٥،٣٧،٤ والذي نعرّفكم به اني لمّا طلعت البلد ولقيت الصابون غالي فبعت فرسي البيضه واشتريت لي حماره سوده حتّى لا تتوسّخ وكمانه كلام كتير فإنّي لو كتبت لكم الّذي في خاطري لكان الكلام يجي من حدّ عندكم إلى فنين

وبعد السلام على أهل الحاره كلّ واحد باسمه كتير كتير بتاريخ صبحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والثلاثون من جَماد الأوسط سنة ما اعرف شي الّي تقولوا عليه وبالأماره مطرت المطره وأهل البلد يعرفوا ذلك ٦،٣٧،٤

ونظاير هذا المكتوب كثيرة لا تحصى (فقد أرسل إليّ بعض فقهاء الريف مكتوبًا) في سنة سبع وسبعين وألف يقول فيه السلام من الفقي أبو علي الّي اسمه محمّد على حضرة صاحبنا الّي يطالع في القرآن * زيّ ما يطلع الزرع في الغيطان * ويتكلّم بالفهامه * وياما له علينا شهامه * الّي يبيع الكتب المنظومه من الكلام * زيّ قصّة الجارية تَوَدُّد والورد في الأكمام * حاوي الكتابة في السطور * ومن يعرف كتاب الفخ والعصفور * وأنا في شوق واشتياقه * لا يحمله جمل ولا ناقه * ولا حمار ولا حمارين * ولا بغل ولا بغلين * ١،٣٨،٤

شعر [غير موزون] ٢،٣٨،٤

السلام عليك يا سيدي والرحمه سلام من هو ما ياكل بعدك لقمه
إلا صايم عن الزاد وهو زي الاعمه وانا قصدي اشوفك ولو في الضلمه

وانا كنت أردت اجيك واحيات راسك ما عوقني الّا سرموجتي مقطّعه وانّي اقول لك تشوف لي كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه وياما قالوا لي عليه الناس وهو قصّة مدينة النحاس وياما جرى فيها من العجايب والغرايب وانا انبارحه كنت رايح اشيّع لك كلام افتكرته وعاودت نسيته الله يسامحك ويسامحني الله الله لا غالب إلّا الله والسلام عليكم وعلى من هم جيرانك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب أبو علي واسمه محمّد

وكتب عنوانه توصل دي الورقه مع ابو عمّار الّي يبيع في بلدنا الفول الاخضر يوصّلها لبولاق وواحد يبقى يوصّلها لسوق الكتب الّي يقولوا فيه حراج حراج فانظر إلى شدّة هذا الجهل وإلى هذا الكلام الّذي يشبه الوحل ٣٩،٤

٤٠،٤ وأضراب هؤلاء الجهّال كثير ولقد أحسن الإمام حجّة الإسلام أبو حامد الغزاليّ في قوله [طويل]

تَصدَّرَ للتَّدرِيسِ كُلُّ مُهوَّسٍ بَليدٍ يُسَمَّى بِالْفَقيهِ الْمُدَرِّسِ
فَحُقَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِبَيْتٍ نَفيسٍ شاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ
لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدا مِنْ هُزالِها كُلاها وحَتَّى سامَها كُلُّ مُفْلِسِ

٤١،٤ وممّا يُنْسَبُ لسيّدي عبد العزيز الديرينيّ نفعنا الله به [مخلع البسيط]

إِنْ شِئْتَ تُدْعَى فَقيهَ قَوْمٍ فَطَوِّلِ الْكُمَّ ثُمَّ عَمِّمْ
وَاجْعَلْ عَلى الرَّأْسِ طَيْلَسانًا وَاعْقِدْ عَلَى الْمَنْكِبَيْنِ وَاخْتِمْ
وَاجْلِسْ مَعَ الْقَوْمِ فِي صِياحٍ لا بِالْبُخارِيِّ وَلا بِمُسْلِمْ
إِلّا صِياحًا وَنَفْضَ كُمٍّ ولا ولِمَ لا ولا نُسَلِّمْ
وَإِنْ رَأَوا الْوَقْفَ يَأْكُلُوهُ وَقَدْ نَسُوا الْعِلْمَ وَالْمُعَلِّمْ
ثِيابُهُمْ بَيَّضُوا رِياءً وَقَلْبُهُمْ بِالسَّوادِ مُظْلِمْ
فَإِنْ تَرَى فِي الْوَرَى فَقِيهًا فَصِحْ وقُلْ يا سَلامُ سَلِّمْ

أي إذا رأيت فقيهاً على هذه الحالة فاسأل الله السلامة منه والبعد عنه نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة

(ذكر شعرائهم ورثاهم وفُشارهم)

١،٥ قيل مرّ بعض أهل الأرياف بجماعة من اللطفاء ينشدون الأشعار في معنى العشق فقال لهم زيدوا يا مغنيين القوم من دي القول المليح فقد ذكّرتوني نشيد مليح قلته وانا احرت في الغيط إكِّني عشقت ام معيكه وكنت رايح اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة أنشدنا ما قلت في أم معيكة فأنشد يقول مواليا [بسيط]

٢،٥
مَا ضَالْ قَمِيصِي يُشَحْطَطْ مِنْ وَرَا ٱلْمِحْرَاتْ حَتَّى أَتَتْنِي صَبِيَّهْ رَايِحَهْ بِتْبَاتْ
فَقُلْتُ يَا ٱمَّ مُعَيْكَهْ إِرْحَمِي مَنْ مَاتْ قَالَتْ أَنَا رَايِحَهْ أَخْرَا وَجِيكْ بِتْبَاتْ

١،٢،٥ أقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافر * الّذي ليس له أوّل ولا آخر * وقائله من أبلد البشر * أو من أغشم البقر * وتفاعيله باحتباط * متخبّط خابط متخبّط خباط * وطوله بالتوكيد * من إسكندريّة لرشيد * وعرضه باحتياط * من الصعيد لدمياط * ومعناه الذميم * ومبناه السخيم

٢،٢،٥ (مَا ضَالْ) هذه الكلمة يستعملها أهل الأرياف وردت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق وأصلها ما زال فيبدّلون الزاي ضاداً لاعوجاج ألسنتهم واشتقاقها من الضلّ أو الضلال أو من الضئيلة وهي الحيّة قال الشاعر [طويل]

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعُ

ومصدرها الفشرويّ ضلّ يضلّ ضلالاً فهو ضالاً ومضلولاً

٣،٢،٥ (قَمِيصِي) على وزن حريصي أو جعيصي واشتقاقه من القَمْص أي قمص الحمار يقال حمار قمّاص أو من بلد يقال لها مِنيَة القُمُّص ومصدره قمص يقمص قمصاً فهو قامص ومقموص والقميص ما يُلْبَسُ من الكتّان وغيره

٤،٢،٥ (يُشَحْطَط) مأخوذ من الشحططة أو من الشَحّوطة أي ينسحب وينجرّ على الأرض يقال شحططه إذا جرّه على الأرض وهذه من لغات الأرياف قال بعض شعرائهم مواليا

[بسيط]

شَحْطِطْ صُحَيِّبَكْ ورُخُّهْ أَلْفَ فَرْقِلَّةْ   واكْوِيهِ بِالنارِ حَتَّى يَلْتَقِي العِلَّةْ
حَتَّى يَلِينُ وَيَبْقَى قُرْصَ مِنْ جِلَّةْ   قَوْمْ أَطْعِمو[١] العَدَسَ والبيسارَ وَبِسِلَّةْ

والشاهد في قوله شحطط صبيحك وشحطط على وزن ضرّط بتشديد الراء وضرّط فيها مناسبة من وجهين الأوّل الوزن والثاني إذا شحطط آخر على الأرض أو في جورة أو في نقرة ربما ضرط فيها من شدّة ما يحصل له من المشقّة وألم الشحططة فكان المعنى ظاهر وقوله

٥،٢،٥ (مِنْ وَرَا المِحْرَات) أي من خلفه ووصفه قميصه بأنّه صار ينجرّ خلف المحرات لأحد أمور إمّا لأنّه غلب عليه الشقاء وكثرة التعب وشدّة النصب والحرّ فخلع كُمَّه من يده حكم ما تفعله الحرّاثون إذا اشتدّ عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلوا ذلك لترويح أجسادهم وهذا لا يفعله إلّا أكابر الحرّاثين وأمّا غيرهم فإنه في الغالب لا يحرث إلّا وهو عريان أو عليه خَلَقَة مقطّعة لا تستر العورة وإنّني مررت بقرية فرأيت رجل حرّاث عمّال يحرث وهو عريان فقلت له يا هذا أما علمت أنّ كشف العورة حرام فقال لي إنّي سمعت أبو معيكه يقول سمعت أبو شبيكه يقول سمعت أبو تفال يقول كشف العورة في الحرث مباح لأنّها عند الضروريات تُباح المحظورات[٢] فهذا يدلّ على أنّه

---

١ بي وجميع النسخ: أطعمه. ٢ بي: المخطورات.

كان من أكابر الحرّاثين أو ربّما كان قميصه مشرمط فصار ينجرّخلفه وينشبك في الشوك والحلفة أو يقال إنّه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحرّاثين وصار ينجرّخلفه ويتخبّل من الحرث وكثرة التعب وسوق الأثوار فارتخى وانهلّ من على كتفه وصار ينجرّ خلف المحراث ومن شدّة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت إليه ولم يجد له مروّة يلُمّه من الأرض حتّى جاءته تلك الصبيّة

٦،٢،٥ (والمِحرَاثُ) آلة معروفة عند الفلاّحين مجموعها خشب وسَلَب وحديد ولهذا صار فيه التعب والمشقّة وسواد الوجه من الحرّ والبرد قال الشاعر [غير موزون]

تضال إنّك يا محراث تاعب جاعتك   لما ليوم الحشر ما انت مفارق

فالحرّاث دائماً في تعب شديد وهمّ مزيد وليس في الفلاّحين أتعب منه خصوصاً إذا كان في الجَرَافة السلطانيّة وهو أقلّ عقل من غيره لأنّه بالنهار رفيق الأثوار وبالليل رفيق النساء فلا يكمل له عقل

٧،٢،٥ ومثله في قلّة العقل مؤدِّب الأطفال فإنّه طول نهاره رفيق الأطفال وطول ليله مع النساء ويدلّ على قلّة عقل مؤدّب الأطفال قبول شهادة القاصر على البالغ وإن ضرب وشتم ولد ولداً آخر وجّه الشتمة إلى الفقي بقوله بيقول لي الولد ده دم الحس قفاك يا سيدنا وبيقول لي يا ابن القحبه يا سيدنا وبيقول لي دم اخرق عينك يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الألفاظ وقد وجد عند مؤدّب أطفال طبلة وزُمّارة وفَرْقِلّة فسئل عن ذلك فقال أجمعهم بالطبلة وأفرّقهم بالزمّارة وأضربهم بالفرقلة

٨،٢،٥ ورأيت في بعض الكتب أنّ فقيها كان يعلّم الأطفال القرآن في غرفة له فاتّفق الأولاد على أنّهم يبنوا على باب الغرفة حائطاً ويمنعوه من الدخول إليها ففعلوا ذلك ليلاً ولمّا أصبحوا جاؤا إلى الفقي وقالوا له إنّ الغرفة هربت بالليل قال فشدّ وسطه وغدا في طلبها وما زال في البَرّيّة يمشي حتّى قارب الليل فلم يجد شيئاً فرأى صومعة فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها ألواح وأدوية فقال الراهب في نفسه إنّه أحمق لا عقل له ثمّ قال له نعم إنّها مرّت عليّ الظهر وأنت لا تلحقها ولكن بات عندي

إلى السحر وأنت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد إلى عنده وقد هلك من الجوع والعطش وقد أضرّه التعب فأحضر له الأكل فأكل وشرب حتّى شبع ثمّ أسكره وأنومه وقام إليه وحلق وسط رأسه وقلّعه الثياب التي كانت عليه وألبسه ثياب الرهبان وشدّ له زُنّارا وتركه فلمّا كان وقت السحر نبّهه وقال له ويحك إنّ الغرفة رجعت البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى إلى البلد فرحانًا مسرورًا فلمّا رآه الناس قالوا له أنت صرت راهب قال لا والله إلّا أنّي بتّ عند راهب وقلت له نبّهني وقت السحر فأيقظ نفسه وتركني قال ثمّ إنّه رجع إلى صومعة الراهب وصار يتذلّل له ويقول بالله عليك يا راهب نبّه نفسي حتّى أروّح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عنك بحقّ المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتّى أيس منه وانصرف فانظر إلى قلّة عقله وشدّة جهله

٩،٢،٥ (وكان أيضاً بعض مؤدّبي الأطفال) إذا وقف يصلّي وركع أخرج رأسه من بين رجليه وقال شفتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الأولاد ثمّ يسجد ويتمّ الصلاة فانظر إلى قلّة عقله وعظم جهله وقوله

١٠،٢،٥ (حَتَّى أَتَتْنِي صَبِيَّهْ) أي لم أزل على هذه الحالة السخيمة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة إخواني الأبقار في الليل والنهار حتّى مرّت بي هذه الصبيّة وهي ضدّ العجوز وصبيّة على وزن بَلِيّة أو رَزِيّة مشتقّة من الصَبْوة على وزن اللَبْوة أو من الصابون أو من مصبنة الغُزّ فشُغِفْتُ بحبّها وقَنِعْتُ بجمالها وسباني هواها لا سيّما وهي من ملاح الريف وخصوصاً إذا كانت في وقت جمع الجلّة وشيل الزبل إذا كان عليها وهي متضمّخة بالنجاسة وتلك الروائح وهي

١١،٢،٥ (رَايِحَهْ بِتْبَاتْ) أي والحال أنّها مروّحة من الغيط إلى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلّاحين أنّهم يسرحوا للغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلّة الناشفة والضمّ ونحو ذلك ثمّ إنّهم يروّحوا بيوتهم آخر النهار أو في نصفه على قدر تمام

شغلهم فيجدوا العدس والبيسار أو المدمّس قد طاب أمره وحسن طعمه فيأكلوا ويتنعّموا بنسائهم على الأفران ومداود البقر وشُوَن التبن وغُرَف الجلّة ونحو ذلك

(فَقُلْتُ يَا أُمَّ مُعَيْكَة) أي إنّه لمّا اشتغل بحبّها عندما أقبلت إليه وهي مروّحة من الغيظ كما تقدّم نظرها وحبّها والعين توقّع القلب في أشدّ ما يكون من الحبّ والغرام والوجد والهيام قال القائل [دوبيت] ١٢،٢،٥

عَيْنِي نَظَرَتْ وَآفَتِي مِن عَيْنِي   مـا يَقْـتُلُني إِلّا سَوادُ العَيْنِ

وقال الشاعر [وافر]

نَظَرْتُكَ نَظْرَةً بالخَيْفِ كانَتْ   جَلِيَّ العَيْنِ مِنّي بَلْ ضِياهـا
فـآهٍ كيف تَجْمَعُنا اللّيـالي   وآهٍ من تَفَـرُّقِنـا وآهـا

فاحتاج أن يخاطبها ويتذلّل بين يديها كما هو عادة المحبّين أنّهم يتذلّلوا لمن يحبّوه ويبذلون له الأرواح فضلاً عن الأموال ويهيموا بحسنه وجماله لأنّ أحداق الملاح تذيب أجساد العشّاق * وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق * ومحاسن الحبيب * تجذب روح العاشق الكئيب * ولله درّ مَعْن بن زائدة حيث قال [خفيف] ١٣،٢،٥

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيبُنا الحَدَقُ النُّجْـ   ـلُ عَلَى أَنّنا نُذِيبُ الحَدِيدا
وَتَرانا عِنْدَ الكَرِيهَةِ أَحْرا   رًا وَفِي السِّلْمِ لِلْغَواني عَبِيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بأمّ أو بأب كما هو مقرّر ومعيكة تصغير معكة وهي على وزن رَكّة أو حَكّة أو دَكّة أو لَبْكة وغلبت عليها هذه الكنية وصارت عَلَماً عليها لكثرة ماكانت تمعك شِعْرتها أي عانتها على جدران الشجر عند اشتداد أكلان الشعر من طوله وقلّة نتفه وغليان الشهوة لأنّ الشعر ١٤،٢،٥

إذا كثر وطال ربّما اشتدّ غليانه و زاد أكلانه فلا يبرّده على النساء إلّا النيك خصوصاً في زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكُسّ أيّام الشتاء لأنّ الشِعْرتين إذا التقيا تتولّد من بينهما الحرارة فيسخن الأير والكس فتحصل اللذّة من الجانبين قال الشاعر [طويل]

وَلَمّا كَشَفْتُ الذَّيْلَ عَنْ سَطْحِ كُسِّها   وَجَدْتُ عَلَيْهِ الشَّعْرَ أَسْوَدَ كَالزِنْجي
فَقُلْتُ لهَا ماذا الّذي قَدْ رَأَيْتُهُ   فَقالَتْ طَواشي كاتِبَ الدَّخْلِ وَالخَرْجِ
وَهذا زَمانُ الْبَرْدِ وَالشَّعْرُ حارِرٌ[1]   فَاسْفُقْ أَيا[2] هذا بِجُهْدٍ بِلا حَرَجِ

واشتقاقه من المعك وهو الحكّ يقال معك يمعك معكاً فهو ماعك وممعوك ودليل كونه مشتقّ من المعك قول بعض شعراء أهل الريف مواليا [بسيط]   ١٥،٢،٥

قُومي ٱمْعَكي يا خُطَيْطَهْ شِعْرَتِكْ بِالخَيْطْ   لمّا أَجِبْلِكْ هَدِيَّهْ طُورَتَيْنْ مُخَيَّطْ
وَٱعْطِيكْ وَراسي فِداكْ مركوبَ مِنْ هُرَيْطْ   وَٱجي لِعَنْدِكْ وشِيلْ رِجْلَيكِ جُوّا الغَيْطْ

ومقول القول

(إِرْحَمِي مَنْ مَاتْ) أي تعطّفي بالرحمة والشفقة على من أشرف من حبّك وغرامك على حالة تُشْعِر بالموت أو بالخُناق المستعجل وهذا على حدّ قولهم حزين وواعي لأنّ تعريصه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وشدّة الحرّ وتراكم الهموم والقهر فحصل منه هذا العشق الذي يُفْضي إلى الموت فكأنّه يقول أنا يا أمّ معيكة قد أشرفت من حبّك على الهلاك والموت فِرِقّي لحالي وانظري ما أنا فيه من معالجة إخواني الأبقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وأنت صبيّة قصيفة وتكرهي الشعرة المنتوفة فاسمحي لي بسَحْبَتَيْن فيما بين العَلَمَيْن وأزور الشيخ أبو قبّه ولو أخذتِ البِشْت والجُبّة وإلّا يحصل لي من بعدك وغرامك الموت وتنقص المغاربة دَيُّوث فلمّا فهمت من   ١٦،٢،٥

١ بي: حار؛ ب: ساخن؛ ك با: حار؛ م (المصراع): فقالت زمان البرد فيه لذاذاة.   ٢ بي: يا.

حاله هذه القضيّة وابتلت بهذه البليّة ورأت الذي لها مثل الذي عليه وشبيه الشيء منجذب إليه قال الشاعر [وافر]

رَأَيْتُ مُجَذَّمًا في قَاعِ بِيرٍ   وَآخَرَ أَبْرَصَ يَخْرا عليهِ
فَقُلْتُ تَعَجَّبوا مِن صُنعِ رَبِّي   شَبيهُ الشَّيءِ مُنْجَذِبٌ إِليهِ

فلهذا أبدت إليه العذر الموجب لذهابها في هذه الحالة الراهنة وعدم تعطّفها عليه وهي في تلك المشقّة العظيمة * والداهية العميمة * وهي حدوث الخراء عليها بلا إنكار * ومكابدة دفعه مع المشقّة والأضرار * لأنّه ثقيل في الصُرم * خفيف في الكم * إذا أدرك الشخص بين ناسه * خرئ في لباسه *

(فَقَالَتْ) له على سبيل الوفاء بالوصال ولم تَدَعْه يقاسي ألم الحبّ والنكال ١٧،٢،٥

(أَنَا رَايِحَهْ أَخْرَا) وفي رواية (خاطري أخرا) والمعنى في الذوق واحد ولكنّ الرواية الأولى أَوْلى لتأكيدها من جهة الخراء كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارئ لها أيضاً والمعنى أنّ مرادي أفرّغ نفسي من هذه البليّة في نقرة أخرأ فيها مثلاً أو فوق سطح أو جنب شجرة أو في الغيط ونحوه كما هو عادة الأرياف فإنّ المرأة منهنّ تجلس لقضاء الحاجة وسط الزريبة أو فوق الكوم خارج البلد وأيّ نقرة وجدتها بالت وغوّطت فيها لأنّ بيوتهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر [طويل] ١٨،٢،٥

سَأَلْتُ بَني الأَرْيافِ ما لِبُيوتِكُمْ   مَراحيضُ قَالوا لا مَراحيضَ لِلْقَوْمِ
فَقُلْتُ فَماذا تَصنَعوا في نِسائِكُمْ   فَقالوا جَميعاً نَحْنُ نَخْرا عَلَى الْكَوْمِ

والرجال من باب أَوْلى

ثمّ إنّها أرادت بقولها هذا تفهيمها إيّاه حالها وغرضها كأنّها تقول له إنّي إذا أتيت إليك * وصرت بين يديك * ربّما تضايقت من هذا الأمر المشروح * ورائحته عليك ١٩،٢،٥

تفوح * ولكن عندما أزيل هذه الضرورة * ويفرغوا الأولاد من لعب الكورة * أُوفي بالوعد ولمّ الشتات *

(وَجِيكْ بِتْبَاتْ) * أي بأمر ثابت محقّق وأجابرك فيه وأصله بالثاء المثلّثة غير أنّ هذه من ألفاظ الأرياف فكما يقولوا في الميراث ميرات بالتاء المثنّاة فوق فكذلك تبات ووارت أيضاً بالمثناة الفوقيّة ونحو ذلك ووقع في رواية أخرى (اجيك وابات) لكن يكون فيه الإيطاء وهو معيب في الشعر وإن كان مناسب للمقام إذ هو شعر كلا شيء فعلى الرواية الأولى يكون المعنى أنا قولي ثابت في المجيء إليك والبيات عندك والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لأنّ نساء الريف يقولوا للفراخ عند المساء بَيْت بَيْت فلعلّه مشتقّ من هذا المعنى ولا يضرّ إدخال حرف الجرّ على الفعل لأنّه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين تبات وبيات الجناس المحرّف أو المصحّف على اللغة الأصليّة ويمكن أن يكون قوله رايحه بتبات أي هذه الليلة وقولها أجي وأبات أي الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الأوّل غير البيات الثاني وإن كان هو عينه في باطن الأمر فاتّجه الفرق بين تبات الأوّل وتبات الثاني فإنّ الأوّل منسوب لقول الرجل والثاني لقول المرأة ولعلّها أرادت بتأكيد البيات عنده عدم تعذيبه بالهَجْر وسرعة تعطّفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء بالوصال ويكافئ العاشق بلذّة القرب والجمال فقالت في نفسها هذه الصبيّة هذا لا يرضيه منّي إلّا ليلة على كمالها يتملّى بتلك المحاسن ويشمّ تلك الروائح وهي آثار جلّة الغيط وأرقد أنا وإيّاه في الفرن أو في مدود البقرة أو الحمارة أو على الجرن أو فوق الجلّة الناشفة لأنّ نهاره على كامله في الحرت والتعب ولا يتفرّغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كدّ المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر [كامل]

٢٠،٢،٥

قَالَتْ تُسَافِرُ يا فَتَى   وَتُفارِقُ الْوَجْهَ الْحَسَنْ
فَأَجَبْتُهَا بِتَذَلُّلٍ   وَالْقَلْبُ يَعْلُوهُ الشَّجَنْ
هَمُّ المَعِيشَةِ فُرْقَةٌ   بَيْنَ الأَحِبَّةِ وَالوَطَنْ

وتأكيدها في البيات يُشْعِر أيضاً أنها تريد من هذا العاشق أنّه يتهيّأ لما يناسب من حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار أو الفول المدمّس ونحوه ومصدره بات يبيت بياتاً وقولها السابق (أخرا) لفظة الخراء فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الأزرق والناموس الأبلق وقد تقدّم معناه ويطلق عليه الغائط والعَذِرة ونحو ذلك انتهى ٢١،٢،٥

(الثاني من أشعارهم)

[طويل] ٣،٥

وَقُلْتُ لَها بُولي عَلَيَّ وَشَرْشِري　　عَرِيضُ القَفا للنَّائِباتِ صَبورُ

هذا الكلام من بحر الخراء الطويل الّذي عرضه من الحسينيّة لبِرْكة الفيل وتفاعيله متهابل متهابل متهابل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل أنّ هذا القائل لمّا تولّع قلبه بالعشق والغرام بحبّ هذه المليحة واحتاج أن يتذلّل لجمالها وأن يجتمع بمحاسنها وأن يتحمّل منها المشقّات والدواهي والبليّات كما هو عادة المحبّين ومذهب العاشقين خصوصاً إذا كان العاشق به ضرب من الإفلاس فهو في أشدّ المشقّات مع محبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا [بسيط] ١،٣،٥

عَشِقْتُ ذَلَّيْتُ حَكَّ الجوعُ جِسْمي حَكْ　　وصُمْتُ عامينِ لمّا صُمْتُ يومَ الشَكْ
وَحَقِّ مَن لُو الجِبالُ الراسِيَهْ تَنْدَكْ　　يَسْتَأْهِلُ العاشِقُ المُفْلِسْ طَرِيحَةْ صَكْ

فالعاشق يحتاج إلى ثلاثة أمور أن يكون أجرأ من كلب وأوزن من صيرفيّ وأذلّ من يهوديّ وعشق الفَسَقَة على خمسة أقسام عشق شَفَقَة وعشق نَفَقَة وعشق حَدَقَة وعشق لقلقة وعشق عَلَقَة فهي خمسة أقسام ونحن نوردها لإخواننا المتاعيس على التمام ٢،٣،٥

٣،٣،٥ (فأمّا عشق الشفقة) هو أن يميل العاشق إلى الولد الجميل أو المرأة الجميلة ويكون معه أو مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدحة لمحبوبه والشفقة عليه حتّى يصير أحنّ عليه من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المَضَرّات ويتحمّل من أجله البليّات ويكون حريصاً على أمواله شفوقاً على حوائجه مسرعاً في قضاء حاجاته حتّى يقضي منه المراد على أتمّ حال قال الشاعر [طويل مع نقص في الشطر الثاني]

لَقَدْ صِرْتُ فرّاشاً لِحُبّي وَسائِساً زَمانًا لحتّى نِلْتُ مُرادِيا

٤،٣،٥ (وعشق نفقة) وهو أن يكون الشخص صاحب يسرة وأموال فهذا لا يحتاج إلى تعب في جلب محبوبه بل كلّ محبوب أظهر له الدراهم حضر إلى عنده وقضى منه المراد على أحسن حال قال الشاعر [رمل]

فَخْرَةُ العُشّاقِ يا مَنْ عَشِقوا ضَرْبٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَرِقُ
وَإِذا ما غَلَقوا[1] بابَ الرِضا يَفْتَحُ الدِرْهَمُ باباً غَلَقوا
هٰكَذا قَدْ قالَ في تَنْزيلِهِ ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّحَتّىٰ تُنْفِقُوا﴾

٥،٣،٥ (وعشق حدقة) وهو أن يكون من إخواننا الفقراء وقلبه يميل إلى الملاح وليس له حيلة إلّا النظر إلى الأمرد الجميل وطرفه يشير إليه أنّه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه دنيا إلّا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثمّ يتذلّل بين يديه بالدعاء بقوله أطال الله بقاءك أدام الله جمالك أسعد الله أيّامك ونحو ذلك فيعرف الأمرد من دوام نظره إليه ودعائه له أنّ مراده الوصال لما يرى من دوام نظره إليه ومن فقره وإفلاسه قال الشاعر [طويل]

وما نَظَرُ اللّوطِيِّ إِلّا فِراسَةً وما تَحْتَ عَيْنِ العِلْقِ إِلّا مُنَجِّمُ

---

١ بي: قد غُلِقَ ؛ ب (المصراع): واذا باب الرضا قد أغلقوا؛ ك با م: قد غلق.

٦،٣،٥ فيعطف عليه ويمكّنه من نفسه ومؤلّف هذا الكتاب من هذا القسم على حدّ قول القائل [رمل]

إِنْ أَجِدْ وَجْهاً مَليحًا أَلْقَ فِي الفِضّةِ خِفّةْ
أَو أَجِدْ هذا وهذا لَمْ أَجِدْ فِي الحَيِّ غُرْفَةْ
أَو أَجِدْ هاتيكَ جَمْعاً أَلْقَ فِي الحارَةِ زَفّةْ
فَلِهذا طولَ عُمْري تائِبٌ مِنْ غَيْرِ عِفّةْ

٧،٣،٥ (وعشق لقلقة) وهو أن يكون العاشق عنده لسان وشدّة بلاغة ورقّة انبساط وخلاعة ونكتة ونادرة وحكايات ومنادمات فيحتوي بخلاعته وهزله إلى الأمرد أو المرأة فيملك عقله ويَشْبِكُ معه لأجل انشراحه ويصير معه على قدم التمسخر فعند ذلك يمكّنه من نفسه ولا يخالفه قال الشاعر [طويل]

جَعَلْتُ خَلاعي ثُمَّ بَسْطي تَوَصُّلاً إلى بَدْرِ تَمٍّ كانَ عِنْدي مُحَجَّبا

٨،٣،٥ (وعشق علقة) وهو أن يكون العاشق عديم الذوق سيّء الطبع كثيف الذات إذا رأى الأمرد علق معه مثل الدَبّور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع أو صكّه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض له أنواع البلايا وألقاه في أشدّ المصائب لا ينفكّ عنه ولا يخلص منه إلّا بمراده كَرْهاً أو برضا قال أبو نواس [وافر]

إِذا رَقَدَ النَّدامَى خَلِّ عَنِّي وَعَمَّنْ كانَ يَصْلُحُ لِلدَّبيبِ
أَلَذُّ النَّيْكِ ماكانَ ٱغْتِصاباً بِمَنْعِ الحُبِّ أَوخَوْفِ الرَّقيبِ

٩،٣،٥ ولعلّ الناظم من هذا القسم بدليل قوله الآتي (بُولي عَلَيَّ وَشَرْشِري) أي إنّ محبوبته لمّا رأته عالقاً بها كعُلوق النار في الحطب أو الدبّور في الخشب علمت أنّه لا يفارقها إلّا أن قضي مراده منها لعدم ذوقه وقوّة جهله ولم تقدر تمنعه بصكّ ولا بشيء من

أنواع الرذالة فأرادت أن تتناوله بشيء نجس لأجل ما ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها وأوهمت أنّها تريد البول عليه أو على لحيته حتّى تملأها ولكنّها في وهم منه وحيرة فأكّد عليها بالقول وأمرها أن تفعل فقال (وَقُلْتُ لَهَا بولي عَلَيَّ وَشَرْشِري) أي إنّي لم أبالي بما تفعليه معي من النجاسة ولم أتكدّر من الخساسة لأنّي عاشق مَشُوق وقليل الهندام والذوق كقول القائل [وزن غير معروف]

أحبكم واخرا على بابكم من فوق   بالله اعذروا العاشق الخرا عديم الذوق

فلا أبالي بالبول عليّ وعلى لحيتي لأنّي (عَرِيضُ القَفا) وتخينه ومن شأن عريض القفا وتخينه وبليد الطبع أن يكون (للنَّائِبَاتِ صَبورُ) وأن لا يَضْجَرَ ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدّة بلادته وعدم ذوقه وقلّة تدبيره قال الشاعر [طويل]

يعرِّضُ قَفاهُ لِلهُمومِ جَميعِها   وذاكَ لِسوءِ الطَّبعِ فَهْوَ بَليدُ

١٠،٣،٥ وقوله بولي مشتقّ من المِبْوَلة على وزن المِزْبَلة والمزبلة شيء يُعْمَل من الخُوص أو الحَلْفة يشيلوا عليها الزبل وربّما يكون فيها الجلّة والوحل فسمّيت باسم ما وُضِعَ فيها من تسمية الظرف باسم المظروف أو المحلّ باسم الحالّ فيه ومصدره بال يبول بولاً ومبالاً ومبولة ومبلّة أيضاً وهي ما يُبَلُّ فيها الكتّان فإن قيل إذا كانت لفظة البول فيها هذه المصادر فلأيّ شيء اكتفى الناظم بقوله (بُولِي عَلَيّ) ولم يصرّفها بقوله (بولي عليّ بولاً ومبالة) إلى آخره قلنا يمكن الجواب الفشرويّ عن هذا الإشكال الفشكليّ وهو أنّ قوله بولي فيها التكرار إذا تصرّفت فيها واشْتُقَّ منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكاً وإن كان في حدّ ذاته ثقيلاً فاكتفى الناظم بقوله بولي أو يقال إنّ هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدلّ موجوده على محذوفه قال الشاعر [كامل]

بالَتْ عليّ مبالةً ومَبَلّةً　حتّى اكْتَفَيْتُ بِبَوْلِها وأنا أبولُ

أي وأنا أبول عليها أيضاً ليناسب بولها بولي لأجل اتّفاق المعنى ومناسبة المحبّة وائتلاف العشرة لأنّها لمّا بالت عليّ بلت أنا الآخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم [بسيط]

مَليكةَ الحُسْنِ جودي باللِقا كَرَمًا　لِمُغْرَمٍ قَلْبُهُ قد ذابَ فيكِ أَذا
أَفْسَدتِ قلبي فقالت تلك عادَتُنا　قد قالَ سُبحانَه إنَّ المُلُوكَ إِذَا

أي ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ وقوله

(عَلَيَّ) أي بولي على ذاتي جميعاً حتّى يشمل البول شواربه ولحيته وما جاورها حتّى لا يبقى فيه منبت شعرة إلّا وقد عمّها البول ظاهراً وباطناً وقوله　١١،٣،٥

(وَشَرْشِري) معطوف على بولي وهي من لغة الأرياف وقد وردت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق وهي مشتقّة من الشراء أو من الشرّ أو من الشرور أو من أولاد أبي شُرَيْشَر وهم جماعة فلّاحون أو من الشرشرة وهي آلة محدوبة تُعْمَل من الحديد يضعها الفلّاح في حزامه إذا سرح في الغيط يحشّ بها الزرع والحشيش للبهائم وشر وشرشر جناس مذيّل ومصدره شرشرشرشرة فهو مشرشر وأكّد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها أنثى ولو كانت ذكراً لكان الأنسب أن يقول له بول عليّ وطرطر لأنّ المرأة إذا بالت شرشرت بمعنى أنّ بولها ينزل من فَرْجها مُشَرْشِرًا حكم أسنان الشرشرة لطول فرجها واتّساعه بخلاف الرجل فإنّ أيره ضيّق المنفذ فكان المناسب أنّه إذا بال طرطر لأنّ بول الرجل يخرق في الأرض وبول الأنثى يُرَشّ عليها قال الشاعر [طويل]　١٢،٣،٥

إِذا بالَتِ الأُنثَى عَلى الأَرْضِ شَرْشَرَتْ　وإِنْ بالَ شَخصٌ فَهْوَ في الأرضِ يَخْرِقُ

وفي رواية (رشرشت) بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد

ويؤكّد ما قلنا إنّ عنترة لمّا رماه بعض الأعداء بسهم ومات به خاف أهل قبيلته ١٣،٣،٥
وهم بنو عَبْس من العدوّ أن يَدْهَمَهم على حين غفلة إن شعروا بموته وكانوا على أُهْبة
سفر فاتّفقوا أن يجعلوا ابنة عمّه مكانه ويزيّوها بزِيّ رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت
الجواد وسارت أمام قومها فنظر العدوّ إليها فلم يشكّوا إلّا أنّها عنترة فتحيّروا في هذا
الأمر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم أنا أكشف لكم الأمر وهو
أنّي أتوقّع نزوله لقضاء الحاجة فإن كان بوله يخرق في الأرض فهو عنترة وإن كان
مشرشرًا فهي عبلة ابنة عمّه ويكون عنترة قد مات فتعقّب الرجل الأمر وكشف عن
الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصّة مشهورة في محلّها وقد تطلق
الشرشرة على فعل الرجل قال الشاعر [طويل]

إذا المرءُ لم ينفعكَ والدّهرُ مُقبِلٌ   عليهِ ولم تَخْطِرْ عليهِ ببالِ
فصَوِّرْهُ في وَسْطِ الكَنيفِ بفَحْمةٍ   وشَرْشِرْ عليهِ عندَ كلِّ مَبالِ

وقوله (عَرِيض القَفا) على وزن صقيع اللحا وعريض القفا مشتقّ من العروض أو ١٤،٣،٥
من العرضي وهو ما يُلَفّ على الرأس بلغة الريّافة ويسمّوه أيضًا الكرّ أو من عارضة
الباب قلت والأنسب اشتقاقه من العارض وهو الغَمام لأنّ قفاه صار متعرّضًا
للبول والصكّ وغيره كتعرّض الغمام في أفق السماء والقفا مشتقّ من القفوة أي قفوة
الإنكشاريّة أو من القُفّة أو من القَفْقولة وهي بوشة صغيرة يطبخوا فيها الريّافة طبيخ
البيسار وقيل هو من قَفَوْتُ الشيء إذا تبعته لأنّ القفا دائمًا تابع للرأس فلا يفارقه
أبدًا إلّا عند قطعه ومتى سارت سار معها قال الشاعر [بسيط]

الرأسُ يتبَعُها في السيرِ أربعةٌ   وَجْهٌ وَذَقْنٌ وآذانٌ وعَرْضُ قفَا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطَب به الإنسان إذا كان بليدًا جبان القلب قال الشاعر [بسيط] ١٥،٣،٥

صَادٍ بِبابِكَ يا بحرَ الوَفا وَقَفا فَعاقَهُ عَنكَ بَقْفٌ واقِفٌ وَقَفا

وفي هذا البيت الجناس التامّ المزيد وقوله

(للنَّائِباتِ) جمع نائبة ونائبة ما ينوب الإنسان من البلايا والمشاقّ وقد تنتج من خبايا الأيّام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق إرادة الله تعالى قال الشاعر [خفيف] ١٦،٣،٥

اللَّيالي مِنَ الزَّمانِ حَبالى مُثْقَلاتٌ تَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبَهْ

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله

صبور على وزن عَبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا أيضاً يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتقّ من الصبر أو من الصبّارة التي تُعَلَّقُ في البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشدّة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشْتُقَّ لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه وهي هذه [بسيط] ١٧،٣،٥

حَوادِثُ الدَّهْرِ قَدْ تَأْتِي عَلى خَطَرٍ فَاحْذَرْ عَواقِبَها تَنْجو من القَدَرِ
واعددْ لها من سِهام الصَّبرِ سابغة[1] تقيكَ شدّتها[2] إذ تُرمَ بالشَرَرِ

إلى آخرها وقد أتى لفظ العُبور بمعنى العُبُراية أو عبور الغنم كما تقدّم
وقد وردت لفظة العبراية في نظم الشيخ بركات وسبب قصتّه أنّه كان رحمه الله من البلداء واتّفق أنّه سافر إلى بلاد الروم ووصل إلى مدينة القسطنطينيّة العظمى

١ بي: سابقة. ٢ بي: من شرتها.

فصادف صديقاً له ماراً في بعض شوارعها فسلّم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد أجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بدّ أنا الآخر أمدحه وأُثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان أنّهم لا يمنعوا أحداً عن أبوابهم فخرجت إليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال أريد الملك فقالت له تأتي إليه في وقت غير هذا وإن كان ولا بدّ تعرّفنا حالك نخبره به قال فأخذ دَواة وورقة وكتب فيها يقول [رمل]

بـَرَكَاتٌ عُـبُرَايـَهْ جا يُسَلِّمْ ما قَدَرْ شي ٤،٥
مِنْ عَجُوزٍ خَلْفَ دارٍ كَالْأُسودِ الضَّارِيَاتِ

وطواها وأعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلمّا وقعت الرقعة في يد الملك وقرأ الأبيات أمر بإحضاره فلمّا مَثَلَ بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظمه وبرودة لحيته فضحك عليه وقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثمّ ألبسه بَرْذَعة حمار وأمر أن يجعلوا في فمه الصريمة وعلى رأسه التَفَر كعادة الحمير ثمّ أمر أن ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الألفاظ ثمّ أنعم عليه بعد ذلك وأمر بإخراجه من المدينة قلتُ ولهذا ذكروا أنّ الشاعر لا يهدي قصيدته لملك أو غيره حتّى ينظر في ألفاظها ويهديها أو يعرضها على أرباب الخبرة من أهل الذكاء والفطنة لئلاّ يقع في محظور مثل هذا البليد

ولنرجع إلى شرح أبيات الشيخ بركات قوله

١،٤،٥ (بَرَكَاتٌ عُبُرَايَهْ) جمع بَرَكة وهو عَلَمَ عليه مشتقّ من بِرْكة الفيل بمصر أو من بِرْكة الجمل وقوله عبراية أي يريد العُبور على الملك وتقدّم اشتقاقه وقوله

(جا يُسَلِّمْ ما قَدَرْشي) أي أراد السلام ما قدر والمانع له من السلام ٢،٤،٥

(عجوز) رآها ٣،٤،٥

(خَلْفَ دارٍ) الملك وتقدّم اشتقاق لفظة عجوز لها قوّة وشدّة في منعه ٤،٤،٥

(كَالْأُسودِ) أي السباع ٥،٤،٥

(الضَّارِيَاتِ) العاديات التي تقدر على الإنسان وغيره وتفترسه ٦،٤،٥

ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة إذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فيصير قربها همّ وجماعها غمّ إلّا على من يميل إلى عشق العجائز ويفضّلهنّ على ذوات النهود البارزات ويمتثل بقول الشاعر [طويل] ٧،٤،٥

تَعَشَّقْتُها شَمْطاءَ شَابَ وَلِيدُهـا وللنّاسِ فيما يَعْشَقونَ مَـذاهِبُ

ويقرب من هذا المعنى أنّه وُصِفَ لأبي نواس رحمه الله رجل حدّاد بمصر يقول الشعر ارتجالاً فسافر إليه متنكّرًا يختبر فصاحته حتّى دخل مصر وسأل عليه فدلّوه على حانوته فوقف عليه وسلّم عليه فردّ السلام فأنشد أبو نواس يقول [بسيط]

ماذا تَقولُ رَعاكَ اللهُ في رَجُـلٍ أَضْناهُ حُبُّ عَجوزٍ بِنتِ تِسْعِينِ

فأجابه الحدّاد بقوله [بسيط]

يُبْكَى عليـهِ فَقَدْ أَودَى بمُهْجَتِـهِ حُبُّ القِباحِ وتَرْكُ الحورِ والعِينِ

فقال له أبو نواس مثلك لا يكون إلّا نديماً لأمير المؤمنين فقال ما لي وما لأمير المؤمنين أنا صنعتي تكفيني ولا حاجة لي إليه فتركه وانصرف

٨،٤،٥ وقد يطلق العجوز على الخمرة إذا عتُقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء مَن أشرُّ الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى حكاية عن سيّدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في حقّ الهُدْهُد ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ قيل أراد أن يزوّجه بعجوز وقال سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه إيّاك ومجامعة العجوز فإنّها تأخذ منك القوى وتَهُدّ الحَيَل وقيل الشابّة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا أنّ أصل حرب البَسُوس من امرأة عجوز كانت تسمّى البسوس وكان لها ناقة ترعاها فضربها كُلَيْب بسهم فقتلها فذهبت إلى جَسّاس وألقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم أربعين عاماً وذكر بعضهم أنّ فتنة التتار التي لم يوجد في الإسلام أعظم منها إلّا خروج الدجّال كان سببها امرأة عجوز (وأمّا حِيَلهن) في القيادة وجمع النساء للمفاسيد فإنّها تغلب حيل إبليس قال الشاعر [وافر مع كسر]

عَجوزُ السُّوءِ لا يُرحَمْ صِباها ولا يُغْفَرْ لها يومَ تَموتْ
تَقودُ من السِّياسةِ ألفَ بَغلٍ إذا حَرَنوا بِخَيْطِ العَنكَبوتْ

٩،٤،٥ وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بير تبكي وتنوح فقلت لها ما الذي دهاك فقالت لي يا سيّدي وقعت لي إسْورة من ذهب في هذا البير قال فاعتقدتُ صدقها فنزعت ثيابي ونزلت البير فلمّا رأتني وصلت إلى قاعه أخذت ثيابي وانصرفت وتركتني عرياناً ففتّشت في البير فلم أر شيئاً فطلعت من البير فلم أرها فسرت إلى منزلي عرياناً ولبست ثياباً غيرها فكان هذا من حِيَل العجائز ومكرهنّ فحيلهنّ عجيبة * وأمورهنّ غريبة * فينبغي التحرّز منهنّ * والبعد عنهنّ * فهنّ أصحاب العجائب * وأرباب الدواهي والمصائب *

١٠،٤،٥ فإن قيل إنّ لفظة (قَدَرْشي) في نظم الشيخ بركات التي تقدّم ذكرها بمعنى قدر فلأيّ شيء لم يكتف بها مع أنّها أقلّ حروفاً من قدرشي وكان حقّه أن يقول (جا يسلم ما قدر) وكان هذا أولى وأخصر في اللفظ قلنا هذا من باب قَطَعَ وقَطَّعَ فإنّ زيادة البناء تدلّ على زيادة المعنى فلفظة قدرشي أبلغ من لفظة قدر وأيضاً ربّما اختلّ النظم فراعى في ذلك زيادة الحروف لأجل وزن الشعر وأمّا ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبنا به لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى

(الثالث من أشعارهم)

٥،٥ قيل جلس جماعة من الظرفاء يتناشدون الأشعار * وبينهم شيء من الحَلْوى والثمار * فمرّ بهم رجل فلّاح * الهمّ والخزى على وجهه قد لاح * فلما رآهم في هذه الحاله * انقضّ عليهم بلا محَاله * وقال لهم ذكّرتموني زمان العشق للملاح * وقولي فيهم بلا مُزاح * وأراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض * فقال لهم لا بدّ ما أرمي عليكم أنقاض * أي ألغاز بلغة شعراء الريف ثمّ إنّه أنشد يقول [الكامل]

وَاللهِ وَاللهِ العَضيمِ القادِرِ هُوَ عالِمًا بِسَرايِري وَخَبايِطي
إنْ عادَ قَلْبي دا المَشومُ ذِكِرْكُمو لَأُقَطِّعو مِنْ مُهْجَتي بِصَوابِعي

١،٥،٥ هذا الكلام من بحر الهلفطه * والمعاني المشرمطه * وتفاعيله متخلبط متخلبط متخلبط * وعرضه بيقين * من زِنْجية لشِرْبين * وطوله باحتياط * من السِرْو لدِمْياط * وأمّا شرح معانيه المسخّه * وحلّ مبانيه الملطّمه * فقوله

٢،٥،٥ (وَاللهِ وَاللهِ العَضيمِ القادِرِ) يريد القَسَم غير أنّه لم يقع الموقع لأنّه ذكر الصفة بالضادّ المُعجَمَة لا بالظاء المشالة جرياً على لغة أمثاله من أهل الريف فأخلّ المعنى في ذكر الصفة وإن كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم باقي على حاله وقوله

٣،٥،٥ (هُوَ عالِمًا) بنصب عالمًا مع أنّه مرفوع ليس على قاعدة النحويّين إلّا أنّ لسانه لم يساعده على ذلك لأنّ ألسنة أهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولوا عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب عجرفة الكلام المناسبة هؤلاء الأقوام وقوله

٤،٥،٥ (بِسَرايِري وَخَبايِطي) السراير جمع سريرة وهو ما يُسِرّه الإنسان من خير أو شرّ والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة وخبايطي على وزن عبايطي مشتقّة من الخبط يقال فلان خبط فلان إذا ألقاه على الأرض أو من الخُباط على وزن الضُّراط ولفظة الضراط فيها المناسبة بل هي أولى قال الشاعر [رجز]

الخَبْطُ مُشْتَقٌّ من الخُباطِ كَذاكَ فيها الضَّرْطُ كَالضُّراطِ

ومصدرها خبط يخبط خبطًا فهو خابط ومخبوط وقوله

٥،٥،٥ (إِنْ عادَ قَلْبي دا المَشومُ ذِكْرُكُمو * لَأُقَطِّعو مِنْ مُهْجَتي بِصَوابِعي) هذا جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبُعده يقال فلان قطع فلانًا إذا بعُد عنه والقلب مشتقّ من التقلّب قال الشاعر [طويل]

وما سُمِّيَ الإنسانُ إلّا لِنَسْيِهِ ولا القلبُ إلّا أنّه يَتَقَلَّبُ

والمهجة معلومة

٦،٥،٥ والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة أيضًا وأسماؤها الخِنْصِر والبِنْصِر والوُسْطَى والشاهد والإبهام فهي خمسة بيقين لا شكّ فيها ومعنى الكلام أنّ هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر على كلّ شيء العالم بسرائره وخبائطه أي ما أسرّه من الأفعال القبيحة والنيّات الخبيثة وما يخبطه في الليل من سرقة الغنم والفراخ والنطّ في الدور

وقَرْط الزرع وسرقة الجلّة وموالسته على زرع شريكه وأخذه بالليل ونحو ذلك من الخبائث الّتي يفعلها هو وغيره من أراذل الريّافة وقوله

٧،٥،٥ (إنْ عادَ قَلْبي) أي إن رجع إلى محبّتكم بعد ما قاسى من هومكم وتركم إيّاه وهو يتذلّل لكم بالمحبّة ويسرح لكم الغيط في الحرّ ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلّة وترسلوا له القفّة يملأها خراء ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح بالليل يقرط لكم من زرع الناس ويطعمكم وأنتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذي فعله فأنا الآخر

٨،٥،٥ إن عاد قلبي (دا المَشومُ) ووصفه بأنّه مشوم لأنّه وافق على محبّة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله

٩،٥،٥ (ذِكْرَكُمو) بنصب الكاف الثانية جريًا على لغة الأرياف كما تقدّم أي تحرّك بذكركم بعد هذا كله

١٠،٥،٥ (لَأُقَطِّعُو مِنْ مُهْجَتي) أي أنزعه منها وأقطعه

١١،٥،٥ (بِصوابِعِي) وفي رواية (بضوافري) والمعنى واحد لأنّ الأضافر تابعة للأصابع

١٢،٥،٥ فان قيل إنّ القلب لا يتصوّر قطعه إلّا بعد موت الإنسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب أنّ هذا قطع معنويّ لا حِسّيّ بمعنى أنّه يزجر قلبه عن ذكرهم بحيث أنّه لو صُوِّرَ بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه أو بضوافره كما تقدّم ومن هذا المعنى قول العارف بالله تعالى ابن عروس [مجتثّ]

يا قلبُ لَأَكْوِيكَ بِالنارْ   وَانْ كُنْتَ عاشِقْ لَأَزِيدَكْ
يا قلبُ حَمَّلْتَني العارْ   تُرِيدُ مَنْ لا يُرِيدَكْ

١٣،٥،٥ وقوله (مِنْ مُهْجَتِي) وليس القلب في المهجة وإنّما هو في الصدر ممّا يلي الشقّ الأيسر هذا من عدم معرفته وقلّة ذوقه إذ لوكان له أدنى إدراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لأنّ قافية البيت الأوّل خبايطي والثاني صوابعي أو ضوافري وهو غير الوضع العروضيّ ولا يساوي قشرة بيضه * وناظمه أثقل من حجارة الميضه * غير أنّ قائله من أرباب الجوف المقلوبه * والمناسبة مطلوبه *

١٤،٥،٥ (مسئلة هباليّة) لأيّ شيء ذكر القطع بالأصابع ولم يقل بالسِكّين أو الموسى إذ من شأن القطع أن يكون بآلة محدودة وكون القلب لحمًا فلا يتّجه قطعه بالأصابع ولا بالأضافر قلنا لعلّ الجواب الفشرويّ أن يقال إنّما ذكر القطع بالأصابع لكونه أخفّ في الألم من قطع السكّين أو لأنّ العمل والحركة لا تتأتّى إلّا بالأصابع إذ لا يمكن أن يقطع الشيء إلّا بيده وأصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الأصابع فيكون الكلام على تقدير حذف المضاف وتقدير الكلام لأقطّعه من مهجتى بسكّينة مقبوض عليها أصابعي ومن هذا المعنى قوله تعالى ولكن لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا من قولهم لك يا محمّد ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ إلى آخره أو أنّ السكّين إذا قطع بها قلبه يمكن أن يقال فلان جرح نفسه بسكّين أو قتل نفسه بها فذكر الأصابع هنا لينفي عنه الريبة أو أنّه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لا قطعو من مهجتي بصوابعي وسكّينتي لكان أولى للجمع بينهما أيّ الأصابع والسكّين إلّا أنّ الناظم الهبيل * لم يساعده الوزن على هذا المعنى الثقيل * فاتّضح الجواب * وبان الصواب *

(الرابع من أشعارهم)

٦،٥ مواليا [بسيط]

هِبابُ فُرنِ ٱبْنِ عَمّي سودُ كُحلاتِكْ   وَحَبْلُ طَوْرِ ٱبْنِ خالي كَيْفَ مِدَلّاتِكْ

يا مَنْ عَجَنْتِي قُلَيْبِي فِي وُحَيْلاتِكْ   يا رَبْتَني قُرصَ جِلَّهْ بَيْنْ أُدَيّاتِكْ

هذا القول العكيس * والنظم الخسيس * والمعاني الغلسه * والألفاظ النجسه * من بحر الخرافات الإسرائيليّه * والألفاظ الهباليّه * والتشبيه الخارج عن الأوضاع * والمعاني الّتي تمجّها النفوس والطباع * وهو إن ثبتت أوزانه * وتخلبطت أركانه * فهو على أربعة أضرب مستخبطن خابطن مستخبطن خبطاً وطوله باتّفاق * من الخانكه لبولاق * وعرضه بيقين * من باب زُوَيْله لسويقة السبّاعين * ومعناه غريب * ومبناه عجيب * فقوله ١،٦،٥

(هِبابُ فُرْنِ ٱبْنِ عَمّي سُودُ كُحَيْلاتِكْ) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهيّة الجارح للقلوب عند سماعه فكأنّه يشبه الرزيّة وهذا من العَجَب العُجاب أنّ هذا البليد الطبع شبّه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الأنسب لها ولعشقه إيّاها وشبيه الشيء منجذب إليه والطيور على أجناسها تقع وخصّ الهباب بفرن ابن عمه لكونه لم يكن في بلده أكبر منه ولا أكثر هباباً وأنّ غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فيه فلتراكمه يسودّ سواداً شديداً فلهذا أوقع التشبيه لكحلاتها بسوادها وقوله ٢،٦،٥

(ٱبْنِ عَمّي) ولم يقل فرني لكونه كان فقيراً لا فرن له إلّا بالتصحيف ٣،٦،٥

وهذا من قبيل التغزّل الفشرويّ لأنّه لمّا عشق هذه المليحة ورأى الكحل في عينها أراد أن يتغزّل فيه بما يناسبه ويشبّهه بتشبيه لا يكون خارجاً عن الماهيّة فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيئاً أسود منه فشبّه كحلاتها بذلك لأنّ الشخص إذا أَلِفَ محلاًّ صار يرى كلّ ما فيه حسناً وكذلك إذا ألف شخصاً لا يراه إلّا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيباً إلّا ويلوّح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده في قبوله قال الشاعر [كامل] ٤،٦،٥

وإذا المُحِبُّ أَتَى بِذَنْبٍ واحِدٍ جاءَتْ مَحاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفيعِ[1]

---

١ بي: شقيعٌ.

وقال آخر [طويل]

يَقولونَ فِي البُستانِ لِلعَينِ نُزهَةٌ وَشيءٌ مِنَ الماءِ الَّذي غَيرِ آسنِ
إِذا شئتَ أَنْ تَلقى المَحاسِنَ كُلَّها فَفِي وَجهِ مَنْ تَهوى جَميعُ المَحاسِنِ

٥،٦،٥ (وعادة نساء الأرياف) أنّها تهوى الأفران لأجل تدميس الفول وطبيخ البيسار وتقمير الخبز وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحبّ تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبخ فشبّه كلاتها به لكونها دائماً في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سُخام بهباب

٦،٦،٥ ثمّ إنّه لمّا شبّه كلاتها بسواد هباب فرن ابن عمّه مشيراً إليها أنّها تفهم من ذلك أنّه محبّ لها ومصرّ على عشقها أراد أن يشبّه مدلاتها أيضاً ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الأرياف وأن يكون التشبيه من ماهيّة ما سبق من تشبيه كلاتها فقال

٧،٦،٥ (وَحَبلُ طَورِ ٱبنِ خالي كَيفَ مِدَلّاتِكْ) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره أنّ مدلاتك في الطول تشبه حبل طور ابن خالي والمدلّات سلاسل من فضّة تعلّق على الاصداغ وترتخي إلى الصدر ويجعلوا في آخرها جلاجل من فضّة وبَرَق ونحو ذلك وتسمّى أيضاً مضنّات كما هو مشهور عند نساء الأرياف

٨،٦،٥ (فإن قيل) إن المدلّات هذه نحو ذراع أو أقلّ منه وحبل الثور ربما يكون أكثر من ذراع أو ذراعين غير ما يكون ملتفّاً على أذنيه فما يكون هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلوّ في الشيء والتفنّن فيه لأنّه لمّا عشقها ورأى هذه المدلّات مرخيّة على صدرها ولم ير في بلده أحسن من طور ابن خاله ولا أطول من حبله شبّه مدلّاتها به وأتى بهذه الاستعارة الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس وأمّا كونه منع نفسه قبول كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارته ثور ابن خاله وحبله ولم يذكر شيئاً يدلّ على المِلْك لأجل ما يلين قلب محبوبته فهذا من شدّة فكره

وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله أنّه عاشق مفلس فليس له دواء إلّا الصكّ بالنعال كما قال صاحب الموال [بسيط مع كسر]

اِنّي معهْ مال لو طلب الثريّا نال   واِنّي بلا مال صكّوه الملاح بنعالْ
وإن كان معك مال هاته تبلغ الآمال   ماكان معك مال طردوك الملاح في الحالْ

فاتّضح الحال * وظهر المقال * عن هذا الكلام المشلوق * الوارد من عديم الذوق *

وقوله[1] (وطور ابن خالي) بالطاء المُهْمَلة جريًا على لغة الأرياف لأنّهم يبدلوا الثاء المثلّثة في الثور بالطاء أو بالتاء المُثَنَّاة فيقولوا طور وتور وقوله ٩،٦،٥

(يا من عجنتي قلبي في وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لمّا وجد محبوبته تعجن الوحل والطين عقب المطر يعني أنّها تلمّه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الأرياف إذا نزل المطر في الزريبة واختلط بالجلّة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلّة والوحل بيقين ويسمّوا مجموع ذلك وحلاً وقد يطلق على فرد من تلك الأفراد عند أهل الريف ثمّ إنّهم يجعلوه جواليس ويليّسوا به بيوتهم وأفرانهم و ربّما جعلوا منه مداود للبقر وغير ذلك ممّا يحتاجوا إليه فلمّا رآها في هذه الحالة أخذت قلبه وعجنته برجليها في هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيهاً لها أنّ هذا لا يجوز من المحبوب أن يتملّك قلب المحبّ ويعجنه ويدوسه في الوحل والجلّة والزبل وغير ذلك بل يترفّق به ويرقّ له ثمّ إنّه استشعر سؤالاً عن جواب مقدّر كأنّ قائلاً يقول له المحبّ ليس له تصرّف في نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو أنّها ألقتك وقلبك وذقنك في الخراء فضلاً عن الوحل لا تلومها فلهذا تمنّى أن يكون قرصاً من الجلّة بين يديها وإضافة الوحل لها لكونها مالكة له ومتصرّفة فيه ويفهم من هذه العبارة أنّها كانت تعجن الوحل في محلّها حتّى أنّه صار ملكاً لها وأنّ الوحل كان في زريبتها فكانت فيها بيقين والجلّة والزبل فيها أيضاً وقوله ١٠،٦،٥

[1] بي: وقولة طور ابن عمي.

(وُحَيْلَاتِكْ) تصغير وحلات وقوله (يا رَيْتَني قَرْص جِلَّهْ بَيْنْ أُدَيَّاتِكْ) حينئذ تأكيد وبيان ١١،٦،٥
أنّ المعجنة التي كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلّة والزبل بيقين وقوله

(يا رَيْتَني قَرْص جِلّهْ) إلى آخره بإبدال اللام راءًا في ريتني من لغة الريّافة وأصلها يا ليتني ١٢،٦،٥
وقد وُجِدتْ في القاموس الأزرق والناموس الأبلق والمعنى أنّي أتمنّى أن تراني محبوبتي
وغيرها وقد مُسِخْتُ قرص جلّة من هذا الوحل الذي عجنته وصرت بين يديها وأكون
وحل ابن وحل أي وحلاً بطريق التمنّي وابن وحل بطريق التشبيه فاتّجه الجواب عن
هذه اللغة الفشرويّة ونزّل نفسه منزلة قرص جلّة وهو شيء خسيس إشارة على أنّ
العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبّه نفسه بهذا التشبيه الحقير والمناسب للحيته
التعيسة وتمنّى أن يكون قرص جلّة بين يديها وهذا هو الأنسب لمحبوبته لأنّها دائماً في
عمل الجلّة ولزقها وعجنها فهي دائماً في هذا الأمر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبّه
وأعزّ ما يكون عندها الجلّة والوحل فما أَخَسَّ هذا العاشق وما أَرْذَلَ هذه المحبوبة وقوله

(بَيْن أُدَيّاتِكْ) هذه لغة أهل الريف والمعنى أنّي إذا كنت قرص جلّة فإنّك تقلّبيني بين ١٣،٦،٥
يديك من اليمين إلى اليسار مثل ما تفعلي في القرص الجلّة حتّى أنّي ألتذّ بكوني مرفوع
في يديك وتمسّ ذاتي أصابعك فيحصل لي الراحة ويزول عنّي ألم المشقّة ولوأنّ صورتي
انقلبت قرص جلّة فإنّي لا أبالي من النجاسة ولا أسأم من الخساسة لما فيها من الراحة
وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولي [طويل]

وهيفاءَ لمّا خِلْتُها في حُليّها[1]   تَمَنَّيْتُ أَنّي مِرْطُها وثيابُها

لكنّ هذا تشبيه طريف في محبوبة لطيفة

(مسئلة هباليّة) لأيّ شيء اقتصر في العبارة بالوحل وكان حقّه أن يضيف إليها ١٤،٦،٥
أيضاً الجلّة والزبل حتّى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا الجواب الفشرويّ) أنّه إذا كان

١ بي: حلبها (كذا في جميع النسخ).

الوحل منها ثابتاً بيقين فيكون الزبل والجلّة فيها من باب أولى فلا اعتراض على الكلام فاتّجه الجواب بلا مَلام وقوله

(هباب) على وزن تُراب أو كِلاب أو سَراب مشتقّ من هُبوب الريح أو من هبهبة الكلاب قال الشاعر [طويل] ١٥،٦،٥

لَقدْ هَبْهَبَتْ لمّا رأَتْني كِلابُهم   فَقُلْتُ مُجيباً قَد عَلاني هِبابُها

وهَبْهَبٌ وادٍ في جهنّم (وفي الإحياء للغزاليّ) في كتاب ذمّ الكِبْر والعُجْب عن محمّد ابن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بُرْدة فقلت له يا بلال إنّ أباك حدّثني عن أبيه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال إنّ في جهنّم واد يقال له هبهب حقّ على الله أن يسكنه كلّ جبّار فإيّاك يا بلال أن تكون ممّن يسكنه يقال هب يهب هباباً وسمّى بذلك لكونه يهبّ من الأفران وقوله

(ابْنِ عَمّي) العمّ أخو الأب وقد يطلق ويراد به الأب كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ أي المراد به عمّه لأنّ العرب تخاطب العم بلفظ الأب وهو مشتقّ من العَمى أو من العموم ومصدره عمّ يعمّ عمّاً وقوله ١٦،٦،٥

(سودُ) مأخوذ من السواد ضدّ البياض وهو أقبح الألوان (كما اتّفق) أنّ بعض الملوك أرسل إليه بعض الأكابر هديّة لا تليق به وهي عبد أسود فقال له اكتب له بوصول هديّته وأَوْجِزْ فكتب إليه أمّا بعد لو وجدت لوناً أقبح من السواد وعدداً أقلّ من الواحد لأرسلته إلينا والسلام وقيل من السُؤدُد وهو العُلوّ والرِفْعة ومصدره سوّد يسوّد سواداً وسؤدداً وقوله ١٧،٦،٥

(كُحْلاتِكْ) الكحل مشتقّ من المكْحُلة أو من الكحّال أو من تذكرة الكحّالين والكحل مشتقّ من الكحّال ومثله المتحل من المتحال أو من جبال الكحل قال الشاعر [وافر] ١٨،٦،٥

جِبالُ الكُحْلِ تُفْنيها المَرَاوِدْ وكَنْزُ المالِ تُفْنِيهِ السِّنينْ

ومصدره كحل يكحل كحلاً وكاحل ومكحول (وفي الحديث) اكتحلوا بالإِثْمِد المطيَّب فإنّه يُحِدّ البصر والسُنّة الاكتحال به وَترًا عند النوم وقوله

(وَحَبْلُ طَوْرِ ابْنِ خالي) الحبل مشتقّ من الحُبْلى أو من الحبّالين والطور تقدّم معناه وهو مشتقّ من التطوّر أو من الطارة التي يصيدوا بها السمك وأمّا بالثاء المثلّثة وهي اللغة الفصحى مشتقّ من ثَوَران الأرض لأنّه يثيرها بالحرث لأنّه مُعَدّ لذلك وللساقية أيضاً بخلاف البقرة فإنّها معدّة للحلب والولادة قال ابن سُودُون مواليا [بسيط] ١٩،٦،٥

التَوْرُ وَالْبَقَرَهْ دا العامْ وَمِنْ قبلَهْ في مِصْرَ والشامِ معْ غزَّهْ مَعَ الرَمْلَهْ
هذي ِتحْبَلْ وَتُولِدْ عِجْلَ أَو عِجْلَهْ والتَوْرُ في الساقِيَهْ يَأْكُلْ بِفَرْقِلَّهْ

وقوله (ابْنِ خالي) الخال أخو الأمّ قال الشاعر [وزن غير معروف] ٢٠،٦،٥

يا خالي يا خوامي قالت لك اختك امي قم كل عسل
تفتقت ما فتحوا لك حككت لك بكيت

فعلى هذا يكون الناظم ابن أخت صاحب الثور والخال مشتقّ من الخُيَلاء أو من الخَيْل أو من الخُلْخال أو خَيال الظلّ ومصدره خال يخيل خيلاً ويطلق على الخال الذي يكون على خدّ المحبوب فيزيده حسناً وجمالاً قال أبو نواس [وافر]

يَكُونُ الخالُ في خَدٍّ قَبِيحٍ فَيَكْسوهُ المَلاحَةَ وَالجَمالا

وقوله (كَيْفَ مِدَلّاتِكْ) المدلّات واحدته المدلّة على وزن المَبَلّة أو المَحَلّة مشتقّة من الدَلّ أو الدَلال قال الشاعر [بسيط] ٢١،٦،٥

لَهُ دَلالٌ ودَلٌّ زانَهُ عَجَبًا سُبْحانَ مَن خَصَّهُ بالحُسْنِ في النّاسِ

أو هي من التدلية لكونها تدلّت على الصدر أو على الخَوْران أو الأَكْتاف ونحو ذلك ومصدرها تدلّت تتدلّى تدلّياً فهي مدلّاة وقوله

(عَجَنْتي) العجن مشتقّ من المِعْجَنة أو من العَجين قال الشاعر [رجز] ٢٢،٦،٥

والعَجْنُ مُشْتَقٌّ مِنَ العَجينِ كَذا مِنَ العِجانِ باليَقينِ

ومصدره عجن يعجن عجناً

وتقدّم تعريف القلب واشتقاقه وقوله ٢٣،٦،٥

(في وُحَيْلاتِكْ) العبارة من وَحْل وفيها الوحل أيضاً وهو مشتقّ من التوحّل ومصدره وحل يوحل وحلاً وقد يخاطَب به الشخص فيقال يا وحل مثلاً أي من طبعه وخِصاله تشبّه الوحل بجسة خبيثة وقوله ٢٤،٦،٥

(يا رَيْتْنِي قَرْصَ جِلَّهْ) القرص هو الشيء المدوّر مشتقّ من التقريص أو من القرّاصة أو من القَرْصة ومصدره قرص يقرص قرصاً والجلّة فيها أيضاً ما تقدّم وهي مشتقّة من جلّة البهائم وقوله ٢٥،٦،٥

(بَيْنْ أُدَيّاتِكْ) جمع يد وقد ورد هذا اللفظ في القاموس الأزرق والناموس الأبلق قال الشاعر [بسيط] ٢٦،٦،٥

جاءَتْ لَنا بَأُدِيّاتٍ تُشيرُ لَنا نَمشي إِلَيْها سُحَيْرًا بالرُجَيْلاتِ

وفي نسخة أخرى (يا ريتني قرص جلّة بين رجيلاتك) والمعنى واحد في النجاسة وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رِجّل وهي من الترجّل أو من الرِّجْلة قال الشاعر [طويل]

إذا اشْتُقَّتِ الرِجلاتُ فَهْيَ كَرِجْلَةٍ وِإلّا فَرِجْلُ كالتَّرَجُّـلِ إذ وَرَدْ

ومصدرها رجل يرجل رجلاً والرِجْلان مثنّى رِجْل

٢٧،٦،٥ وفي الأبيات من أنواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لأنّه شبه سواد كحلاتها وطول مدلّاتها بهباب الفرن وحبل التور ومن ذلك قول صاحب البديعيّة رحمه الله تعالى [بسيط]

تَلاعَبوا تَحتَ ظِلّ السُمْرِ مِن مَرَحٍ كَمـا تَلاعَبَتِ الأَشْبالُ في الأُجُمِ

(الخامس من أشعارهم)

٧،٥ مواليا [بسيط]

سَأَلْتُ عَنِ الحِبّ قالوا شَتَّ مِنَ التايِهْ مَسَحْتُ دِمْعي بِكِرْسـايَهْ وَجِـلّايِـهْ
وَشِلْتُ وَجْهي لِرَبّي قُلْتُ مَوْلايِهْ جـابْ لي رُغَيِّفْ وَكُوزْ مايْ وَقِتّايِـهْ

١،٧،٥ هذا المواليا قليل الأوضاع ركيك المعاني * قليل المباني * خسيس النظام * وهو من بحر زبل الكلام * وطوله باتّفاق * من شُبْرَه لبولاق * وعرضه المذكور * من الجيزة لبولاق التَكْرُور * وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثقلاً ومعناه الذميم * الذي لا يهواه صاحب الذوق السليم * أن قصد هذا الناظم البليد * من هذا المعنى السقيم الأكيد * أن قوله

٢،٧،٥ (سَأَلْتُ عَنِ الحِبِّ قالوا شَتَّ مِنَ التايِهْ) أي إنّه لمّا عشق هذا المحبوب و زاد به الوجد والغرام أَكْثَرَ من ذكره وصار خياله لا يفارقه طَرْفَةَ عين فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره ولو أنّه في أعظم المشقّات وأصعب البليّات قال عَنْتَرَة [كامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ والرِّماحُ نَوَاهِلٌ مِنّي وبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِن دَمي
فَوَدِدْتُ تَقْبيلَ السُّيوفِ لأَنَّها لَمَعَتْ كَبارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

فالعاشق يلتذّ بذكر محبوبه وإذا ذُكِرَ عنده أيضاً ربّما تختلج أعضاءه عند ذكره شوقاً إليه

٣،٧،٥ (كما اتّفق) أنّ رجلاً زاد به العشق فمرض فأتوه بطبيب فأخذ يَجُسّ نبضه ثمّ إنّ الطبيب قال لغلامه هات الفَرَجيّة فتحرّك نبض الرجل فقال الطبيب أنت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم يا سيّدي فقيل له من أين عرفت ذلك فقال لمّا أمسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرّك فعلمت ذلك بالفراسة أنّه عاشق وأنّ محبوبته اسمها فرجيّة ومن هذا المعنى ما ذكرته في بعض القصائد من قولي [بسيط]

شَكَوْتُ ما بي فَقالَ الصَّحْبُ أَجْمَعُهم انظُرْ طَبيباً لَقَدْ أَمْسَيْتَ في وَجَلِ
فَرُحْتُ نَحْوَ طَبيبٍ كُنْتُ أَعْرِفُهُ يَدري رُسومَ الهَوَى بِالقَوْلِ والعَمَلِ
نادَيْتُهُ يا رعاكَ اللهُ خُذْ بِيَدي وانظُرْ لِحالي وَداوِ القَلْبَ مِن عِلَلِ
فَجَسَّ يَدي وقالَ الحُبُّ فارْتَعَدَتْ فَرائِصي وَفُؤادي صارَ في خَجَلِ
فَقالَ أَنْتَ سَقيمٌ في هَوَى قَمَرٍ بَديعِ حُسْنٍ رَنا بِالأَعْيُنِ النُّجُلِ

إلى آخر الأبيات

٤،٧،٥ فلهذا أراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وأنّه يريد أن يعلم محلّه ومنزله ويسأل عن حاله وفي أي مكان هو لأجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسأل عنه كما تقدّم فقالوا له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله إنّ محبوبك هذا الّذي تسأل عنه شتّ أي ذهب وراح من التاية وهي محلّ يجعلوه الجماسة على شكل دائرة أو

نصف دائرة من القُلْقَيْل والطين وربّما جعلوا له سقفاً من الغاب والحشيش حكم بيت صغير فيضعوا فيه أواني اللبن لأجل عملهم الجبن واجتماعهم فيه ويسمّوه التاية فيقال تاية الجاّسة وتاية الغنّامة ونحو ذلك ممّا هو مشهور بينهم وهذا كلّه في زمن الربيع يمكثوا هذه المدّة على هذه الحالة وربّما لطّخوها بالجلّة والوحل أيضاً لأجل البناء وسمّيت بذلك لأنّها تأوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحرّ والبرد فعلى هذا أنّ محبوبه كان من أولاد الجاّسة أو رعيان الجاموس أو الغنم بدليل أنّه سأل عنه من الجاّسة القاطنين بهذه التاية فلمّا علم أنّه شتّ منها بإخبارهم له تشتّت شمله وحصل له البكاء والنواح عليه بدليل قوله

(مَسَحْتُ دِمْعي بِكِرْسايَهْ وَجِلاّيهْ) أي إنّه لمّا علم أنّ محبوبه سافر وشتّ من التاية ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التاية لأحد أمور إمّا أنّه انكسر على أبيه مال السلطان فهرب لئلا يأخذوه عنه رهينة أو أنّه راح في طلب عجلة أو بقرة أو ثور فشتّ في البراري لينظر ما ذهب منه فسأل هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هو عادة العشّاق وأسلوب المحبّين وسال دمعه وامتدّ سيلانه وربّما اختلط بمخاطه أيضاً (كما اتّفق) أنّ بعض العشّاق المغفّلين يقول لصديق له هذه الأبيات [متقارب] ٥،٧،٥

إِذا ما ذَكَرْتُكَ يا مُنْيَتي	يَسيلُ المُخاطُ عَلى لِحْيَتي
وَلَيْتَكَ عِندي إِذا ما خَرَيْتُ	يَكونُ لِسانُكَ في ثُقْبَتي
نَسيمُكَ عَطّلَ ماءَ السَّما	وأورَثَني الخامَ في رُكْبَتي
فَإِن لَمْ تُغِشْني أنا مُدْنِفٌ	فَإِنّ الهَوى مُسْهِلٌ مِعدَتي

فلكثرة شوقه وعشقه إلى هذا المحبوب قال مخبراً عن حاله (مَسَحْتُ دِمْعي) بكسر الدال المهملة جرياً على اللغة الريفيّة أي لمّا حصل لي هذا الأمر مسحت دمعي السائل مع المخاط الّذي هو من لوازمه (بِكِرْسايَهْ) فلم يتيسّر مسح جميعه فمسحت باقيه أيضاً ٦،٧،٥

(بِجِلاّيةٍ) أي إنّه استعار له ممسحتين عوضاً عن محرمتين وهذا ممّا يناسب عشقه لهذا المحبوب وأيضاً فيه مناسبة لحال العاشق لأنّه دائماً في قطع الكِرْس وشيل الجلّة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالخسيّة عِلّة الضمّ والأشياء مناسبة لبعضها البعض إذ لو قال مسحت دمعي بمنديل أو محرمة لكان هذا بعيد عن الفلاّح لأنّه لا يُتصوَّر أن يكون له محرمة أو منديل إلّا نادراً لأنّ الظريف من أهل الريف إذا فرغ من الأكل مسح يده في كمّه أو في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فإنّه لا يتصوّر منه لبس يليق بهذا المعنى وإذا سلّمنا ذلك وكان نادراً كما تقدّم فقد لا يتّفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لأنّه سأل عنه أهل التاية وهم دائماً في حالة رذلة من الجلّة والطين ونحو ذلك وهو أيضاً على حكمهم ومتخلّق بأخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عِقْدهم في الخساسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصوّر أن يكون مع أحدهم منديل ولا محرمة لأنّ مناديل الجمّاسة في الغيط ومحارمهم ذقونهم وأكمامهم وربّما مسح الشخص منهم يده في القرص الجلّة أو في القلقيل أو الحشيش ونحو ذلك

٧،٧،٥ (فإن قيل) لأيّ شيء مسح دمعه بكرساية وجلاّية وكان الأولى أن يمسحه بكُمّه أو بطرف كرّه أو بشيء كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعلّهم يكن عليه إلّا ما يستر به عورته فقط أو كان عرياناً كما هو دأب الفلاّحين في غالب أوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربّما كان وقت سؤاله عرياناً من حفر بير أو قناة أو شيل زبل أو جلّة ونحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل أو أنّه لشدّة بلادته وعدم ذوقه وقوّة جهله لم يتيقّن أنّ الكرساية والجلاّية فيها نجاسة كما هو عادة الفلاّحين أنّهم لا يتحاشوا عن هذه الأمور فمسح دمعهم بهما أو أنّه من باب الخضوع الفشرويّ والتذلّل لمحبوبه وإنّه أراد أن يفهم إذا رجع واجتمع به أنّه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية وجلاّية ليتحقّق أنّه محبّ له وأنّه تعاطى لأجله أخسّ الأشياء والأولى أن يقال إنّ هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لأنّ الشخص من أولاد الفلاّحين ينشأ من حين ولادته إلى أن يموت في الجلّة والطين وشيل الزبل ونحوه وإذا جلس لا يجلس إلّا على النجاسة وربّما أكل وشرب على الزبل والجلّة ونحو ذلك

فهم خراء أولاد خراء فكان مسحه بالجلّاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثّر عنده المسح بذلك كما هو عادة أرباب التايات وأحوال الفلّاحين كما تقدّم فاتّضح الجواب من وجوه شتّى انتهى

٨،٧،٥ ثمّ إنّه لمّا مسح دمعه وصحي لنفسه وتيقّن أنّ محبوبه يطول رجوعه إليه ورأى نفسه جيعان ولم ير أحداً يرسله إلى داره يأتيه بشيء يأكله من الخبز الشعير والجبن القَرِيش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلّاحين في أفخر مأكولهم لم يكن له صبر لأنّ الجوع يضرّ بالإنسان خصوصاً مثل هذا الفلّاح لا سيّما إذا كان في حالة حفر بير أو قناة أو شيل وحل وتراكمت عليه الدواهي من عَقِبِ الحفر أو شيل الطين أو العشق الّذي هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه كمّا تقدّم وقد أبطأ عليه الغداء فاضطرّ اضطراراً شديداً وساخت عليه نفسه لأنّهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لمّا خلق الله النفس سلّط عليها أنواع البلايا وقال لها من أنا فقالت أنت أنت وأنا أنا فسلّط عليها الجوع وقال لها من أنا فقالت أنت الله الّذي لا إله إلّا أنت فكان الجوع على النفس أصعب عليها من غيره ولهذا إنّ الشخص إذا صبر عليه يَصِحُّ جسمه وينشط للعبادة كما ورد في الحديث الشريف جوعوا تصحّوا وإذا أكثر من المآكل والمشارب زيادة عن العادة حال عن العبادة قال بعضهم تأكل كثيراً فتنام كثيراً يفوتك خير كثير وقال الشاعر [طويل]

إِذا شِئْتَ أَنْ تَحْيَى صَحِيحاً مُنعَّماً فَكُلْ من طَعامٍ تَشْتَهِيهِ قَليلاً
كَما قالَ بُقْراطُ الحكيمُ وغيرُهُ إذا قَلَّ أَكْلُ المَرءِ عاشَ طَويلاً

٩،٧،٥ فلما اشتدّ بهذا الفلّاح هذا الأمر أخبر عن نفسه وقال في مناجاته لربّه

١٠،٧،٥ (وَشِلْتُ وَجْهي لِرَبّي قُلْتُ مَوْلايَهْ) أي لمّا طال عليّ الزمن في حالة بكائي وفي مسحي الدموع وأشرفت نفسي على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدّم شلت وجهي أي

رفعته وهذه لغة ريفيّة وردت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه أي رفعه وقوله

(لِرَبِّي) أي لخالقي ومربّيني ثمّ دعوت ١١،٧،٥

و(قُلْتُ مَوْلايِهْ) أي يا مولايَ وحُذِفَت ياء النداء لضرورة النظم وألحق الهاء في مولايه لأجل الرَوِيّ ثمّ كان من ضمن دعائه أن قال أطلب منك يا ربّي ومولاي أن تيسّر لي ما آكله والتهي به عن الاستنظار لهذا المحبوب الّذي أذهل عقلي وأجاع نفسي وأسال مخاطي ودمعي فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما أشار له بقوله ١٢،٧،٥

(جابْ لي رُغَيِّفْ وَعَجُّورَهْ وَقَتّايِهْ) أي سخّر لي إنساناً أعطاني مجموع هؤلاء الثلاثة وأكلت وسددت مجاعتي وحصل لي غاية المقصود لأنّ الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم ١٣،٧،٥

(فإن قيل) إنّ استجابة الدعاء لها شروط أن يأكل حلالاً ويشرب ويلبس كذلك وهذا الفلاّح في وقت دعائه كان متضمّخاً بالنجاسة وهي مسح وجهه بالكرساية والجلاّية ووقوفه أيضاً ينتظر هذا المحبوب لأجل ما يقدحه جنب المدود أو الجرن وأيضاً هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجّل الله له ما ذكر وهو الرغيف وما معه (قلنا) إنّما عجّل الله له هذا من باب الاستدراج أو من باب ما ورد أنّ الرجل الخبيث إذا دعا يسرع الله له بالإجابة بخلاف الرجل الصالح فإنّ الله تعالى يحبّ تكرار دعائه إليه وفي قوله تعالى في حقّ موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ أي بعد أربعين عاماً ١٤،٧،٥

(مسألة هباليّة) ما الحكمة في ذكره في الأبيات الكرس والجلّة والرغيف والعجّورة والقتّاية وهذا لا يناسب هذا ولا يجتمع معه فإنّ الشخص لا يمكنه أن يأكل القتّا والعجّورة بالجلّة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره ممّا يناسب فما فائدة ذكره مع أنّ فيها أنواع ١٥،٧،٥

النجاسة (قلنا) لعلّ هذا من باب تعدّد الأسماء وقد ذكروه نوعًا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلاّية واحدة الجلّة والعجّورة والقتّاية كذلك وذكر القتّاية بالتاء المثنّاة فوق لغة ريفيّة فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحَّف فاتّضح الإشكال * عن وجه هذا الهبال *

وأمّا حلّ الأبيات واشتقاقها فقوله ١٦،٧،٥

(سَأَلْتُ عَنِ الحِبِّ) السؤال هو أن يسأل الشخصُ عن شيء وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتقّ من السيل أو من السوليّة أو من السَيالة ومصدره سأل يسأل سؤالًا ١٧،٧،٥

والحبّ مشتقّ من المحبّة أو من الحبُوب والحِبّ بالكسر اسم لزِير الماء (وسمعت من أمّي) وأنا صغير لُغْز فيه وهو (يا شي من شي بطني على بطنه والمدلّي يعمل شغله) ولم أفهمه إلّا بعد مراجعة أمّي مرارًا أنّه زير الماء والكوز ومصدره حبّ يحبّ حبًّا وقوله ١٨،٧،٥

(شَتَّ) مشتقّ من الشتات أو من الشِتاء أو من الشِيتة التي تستعملها النساء لِحَرّ الكتّان ١٩،٧،٥

(والتايِهْ) مشتقّة من التَوَهان أو من وادي التِّيه وقوله ٢٠،٧،٥

(مَسَحْتُ) من الممسحة على وزن المِرْوَحة أو من المِسْحة على وزن دَبْحة ومصدره مسح يمسح مسحًا ٢١،٧،٥

(وَجِلاّيِهْ) كذلك من معناها ٢٢،٧،٥

(وَكِرْسايَهْ) من التكرّس أو من كرس الزريبة وقوله ٢٣،٧،٥

(وَشِلْتُ وَجْهي) الشيل مشتقّ من الشالِيَة الّتي يوضع فيها اللبن أو من الشليف الذي يُشال فيه التبن ومصدره شال يشيل شيلاً ٢٤،٧،٥

(وَعَجُّورَهْ) من العَجَرْ أو من العُجَيْرة وهي حشيشة معروفة ومصدرها عجر يعجر عجرًا ٢٥،٧،٥

والقتّاية مشتقّ من القَتّ الّذي يربطوه الفلاّحين أيّام حصاد الأُرز وهو معروف عندهم ٢٦،٧،٥

وفي البيت من أنواع البديع المقابلة لأنّه قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلاّية وقابل بطنه بالرغيّف والعجّورة والقتّاية وهذا يدلّ على أنّه كان مشغولاً ببطنه أشدّ من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنويّ أيضاً لكونه ذكر الجوع وشكا ثمّ ذكر ما يأكله فانظر وفّقك الله كم حوى هذا النظم الفشرويّ من غموم وهموم * ومعاني عليها الخراء طُموم * لا يُعْرَف إلّا بالذوق * ولا يُدْرَك إلّا بالشوق * ٢٧،٧،٥

(السادس من أشعارهم)

مواليا [بسيط مع كسر عند (ورحينا)] ٨،٥

رَقّاصُ طاحونِنا[١] يُشْبِهْ لَخُلْخَالِكْ   وَرُحيُّنا في الزَّرِيبَهْ قالَتِ ٱشْحَالِكْ
إلّا وَكلاّفْ يَقولْ لي يا صَبِي مالَكْ   طَوْرُ ٱبْنِ شَيْخِ البَلَدْ حالو مِثالْ حالَكْ

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على أربعة أَضْرُب من التخليط وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لهطاً وطوله من غير حَصْر * من شُبْرى لمَصْر * وعرضه مع المصيبه * من باب النصر للصليبه * ومعنى ألفاظه الحويطه * وحلّ معانيه العبيطه * أنّ قوله ١،٨،٥

١ بي: طحونتنا.

٢،٨،٥ (رَقّاصُ طاحونِنا يُشْبِهْ لِخُلْخَالِكْ) أي إنّ رنّة هذا الخلخال وسماع حِسّه يشبه رنّة خلخال محبوبته وخصوصاً إذا كان خلخالها من النحاس المطليّ بالقَصْدير كما تفعله نساء الأرياف أو من الحديد فعلى هذا يكون المشبَّه به السماع والحسّ لا نفس الرقّاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحون فيكون هذا الصوت الّذي شبّه به صوت خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقّاص ولهذا عرّفوه بأنّه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع فاتّضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم وإلّا لوكان المشبّه به نفس الرقّاص لم يكن هناك فائدة لكلامه إلّا على تقدير حذف مضاف أي صوت رقّاص طاحوننا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك الخارج من بين الفردتين إذا مشيتي فعلى هذا التقدير أنّها كانت تلبس حَجْلاً كاملاً لأجل ظهور الصوت

٣،٨،٥ فإن قيل إنّ رقّاص الطاحون له حسّ مُرْعِب عند دوران الحجر وله فرقعة عظيمة مُنَفِّرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطاحون لأجل معرفة الناس أنّ هذا محلّ الطحن فيأتوا إليه للطحن أو لأجل دوران الثور والفرس فإنّه ما دام يسمعه يدور فإذا رفعوه وانقطع حسّه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معدّ لأجل نشاطة البهائم وسرعة دورانها فأين المناسبة بينه وبين الخلخال وأيضاً جَعْلُهُ الخلخال مشابه للخشب هذا شيء بعيد الشبه خصوصاً إذا كان الخلخال من الفضّة فإنّ الشيء إنّما يُشَبَّه به شيئاً مثله (قلنا) فالجواب أنّ هذا النَطِع لم ير[1] ولا ملك منذ عمره إلّا رقّاص طاحونه هذا فظنّ بسوء طبعه وعدم ذوقه أنّ سماع هذا الرقّاص لم يكن في الدنيا أحسن منه سماعاً فشبّه سماع خلخال محبوبته به وأيضاً لم يكن من الفضّة وإنّما كان من جنس النحاس أو الحديد فكانت محبوبته إذا مشت يقارب حسّه في السماع حسّ هذا الرقّاص وإلّا لوكان طحّاناً لطيفاً لم يتكلّم بهذا التشبيه الكثيف

٤،٨،٥ وألطف ما سمعته في محبوب طحّان هذين البيتين [بسيط]

[1] بي: يره.

طَحّانُكُم قَد زَهٰا[1] جَمالاً فَما يُطاقُ السُلُوُّ عَنهُ
ودَقَّ[2] خَصرًا فَلَيتَ شَعري بِكَمْ يُباعُ الدقيقُ مِنهُ

٥،٨،٥ وأحسن ما سمعته في محبوب فلّاح قول بعضهم [رمل]

رُبَّ فَلّاحٍ مَليحٍ قالَ يا أَهلَ الفُتوَّهْ
كَفَلي أَضْعَفَ خَصْري فَأَعينوني بِقُوَّهْ

٦،٨،٥ أقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب وإلّا فالفلّاح وإن كان جميلاً فإنّ أفعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الأمر أنّ هذا العاشق نظر إلى الردف الثقيل والخصر النحيل فمدحه فاتّضح الجواب * وبان الصواب *

٧،٨،٥ وأضاف الطاحون لنفسه لكونه كان ملازماً لها وقّافاً فيها أو يحتمل أنّها كانت ملكه وهذا من باب بناء الأمير الجدار

٨،٨،٥ ثمّ ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذي لا يعرف الحبّ ولا درى وعشقه يشبه الخراء ما ذكره من النظم الركيك والمعنى الديكك حتّى خُيِّلَ له أنّ الرُحِيّ تخاطبه بالمقال وأنّها تستفهمه عن شرح الحال فأخبر عنها وقال

٩،٨،٥ (وَرُحِيًّا في الزَّرِيبَهْ قالتِ ٱشْحالِكْ) يُشْعِر هذا الكلام بأنّ الرحيّ خاطبته وأنّها سألت عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت إلى العظم السكّين وما حكم صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقّة من أجلها هذا إذا جعلنا خطاب الرحيّ له وأمّا إذا كان الخطاب لمحبوبته فإنّه من باب سلام الرحيّ عليها واستفهامها منها ما هي فيه في هذا الوقت فإن كانت اللام الّتي قبل حرف الرويّ منصوبة كان الخطاب له وإن كانت مخفوضة يكون لمحبوبته ولعلّ هذا هو الأصوب وسيأتي أنّ فتح اللام وخفضها لا يضرّ في الشعر ويُفْهَم من القرينة الدالّة على أنّ

---

١ بي: طحّانكم زها. ٢ بي: ورَقَّ.

محبوبته كانت مثله طحّانة تطحن على الرحيّ في الزريبة فإنّ هذا العاشق كان يتردّد عليها ويشاهد هذا الأمر فكانت الرحيّ أي لسان حالها ترى منه هذا الأمر فتخاطب تارة العاشق وتارة المحبوبة خطاباً بلسان الحال لا بلسان المقال فإنها ليست من أهله ثمّ إنّه لمّا علم من حالها أنّها خضعت له ورثت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وعلمت أنّه يريد منها ما يريد الراهب من الحمارة أرادت أن تعرّفه ما يقع لغيره قبل أن تواصله وما يتّفق لبعض أصحابه وإخوانه من الأثوار من نحول جسمه من ضرب الفَرْقَلّة وتعب السواقي والحرث ونحو ذلك فأشارت إلى كلّاف البهائم أن يخبره عن ثور ابن شيخ البلد لأجل ما يتأسّى به ويتسلّى بحاله فأتى بأداة الاستثناء فقال

(إلّا وَكَلّافْ يَقولْ لي يا صَبي مالَكْ) وفي نسخة بدل ميم مالك واو يعني والَكْ ١٠،٨،٥ (طَوْرُ ٱبْنِ شَيخْ البَلَدْ حالو مِثالْ حالَكْ) أي أنّ هذا الكلّاف ويقال له العلّاف بالعين المهملة ويسمّى التوّار أيضاً وهو الذى يكلف البهائم والأثوار ويتعاطى خدمتها لمّا رأى هذا العاشق ومقاساته الأهوال من أجل محبوبته وقد صار في حالة رذلة خصوصاً عند مشاهدة محبوبته لأنّ العاشق إذا شاهد محبوبه اعتراه التغيّر وخالطه الاصفرار وأذبله النحول قال الشاعر [طويل]

عَلامَةُ مَن كانَ الهَوَى في فُؤادِهِ   إذا ما رَأَى مَحْبوبَهُ تَغَيَّرا
وَيَصْفَرُّ مِنهُ اللَّونُ عِندَ اجتِماعِهِ   وَإِنْ طالَبوهُ بِالجَوابِ تَحَيَّرا

وأيضاً في حالة إفلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله فلشدّة خموله وما هو فيه قال له هذا الكلّاف (يا صَبي مالَكْ) أو (والَكْ) على الرواية الثانية لغة في أهل الريف والمعنى واحد أي ما حالك هذا الّذي أنت فيه وما سبب مقاساتك الحبّ وخاطبه بلفظ يا صبي لكونه اعترته الصَبْوة أي المحبّة والميل وسيأتي اشتقاقها أو أنّه كان من صبيان البلد أي من شجعانها وقد أذلّه الحبّ وأنحله الغرام والمعنى إنّك لست مختصّاً بهذه الحالة وحدك بل إنّ بعض إخوانك من الأثوار نابه ما نابك

وأصابه ما أصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الّذي هو عظيم الأثوار وأجلّها وأكبرها فإنّ حاله الآن كيف حالك قد انحل جسمه وصفرت ذاته ممّا قاسى من التعب وما كابده من النصب وما أكله من الضرب على أضلاعه وما حصل له من شدّة أوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسّي بالغير كما سبق وأراد تسليته بالثور لكونه فلاّحاً ومن شأن الفلاّح أنّه في الغالب لا يضرب الأمثال إلّا بالبهائم ولا يُكْثِر إلّا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه بمعنى أنّه يقول له تسلّي نفسك وتصبّرها على العشق والغرام فإنّ هذا الأمر ليس مختصّاً بك فإنّ صديقك ورفيقك الّذي هو ثور ابن شيخ البلد يشبه حالك وأتى بهذا التشبيه الخسيس المبنيّ على غير تأسيس ليناسب عشقه وحال محبوبته كما تقدّم بيانه ولكونه لا يخرج تشبيهه عن ماهيّة ما هو فيه لأنّه دائماً في معاشرة البهائم والأثوار وكذلك محبوبته فاتّجه الحال * وظهر الجواب عن هذا الإشكال * إذ هو نظم يشبّه بول الرجال * وقائله أثقل من الجبال *

وأما شرح لغات الأبيات واشتقاقها فقوله ١١،٨،٥

(رَقّاصُ طاحونِنا) الرقّاص آلة يصنعها النجّار من الخشب تشبه الكَفّ والأنامل معلّقة في عود من الخشب أو الحديد فإذا دار الحجر فرقعت عليه وسُمِعَ لها حِسّ وسميت الرقّاص لأنّه مشتقّ من الرَقْص على وزن القَمْص أو من قرية في البحر الغربي يقال لها مَرْقَص ومصدره رقص يرقص رقصاً فهو رقّاص والطاحون على وزن المأبون أو المسحون مشتقّ من طحن القمح أو من الطحين ومصدره طحن يطحن طحناً فهو طاحن ومطحون ١٢،٨،٥

والخُلْخَال مشتقّ من الخلخلة أو من الخُيَلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره خلخل يخلخل خلخالاً ١٣،٨،٥

١٤،٨،٥ (والرحيّ) جمع رَحاً وهي حجرين صغيرين أحدهما مركَّب على الآخر الأعلى يدور على الأسفل وفي وسط الأسفل عود من حديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القُطْب (قال ابن دُرَيْد) رحمه الله تعالى في مقصورته [رجز]

وإنْ سَمِعْتَ بِرَحًا مَنْصوبَةٍ   لِلْحَرْبِ فَاعْلَمْ أَنَّني قُطْبُ الرَحا

١٥،٨،٥ والرُحيّ بضم الراء واحدتها رَحاً كما تقدّم وهي مشتقّة من الراحة أو من الرَوْحاء محلّ بأرض الحجاز أو من الرَواح وقيل من المِرْوحة ومصدرها رحا يرحو رحاً قال الشاعر [طويل]

لَهُ راحَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَحائِهِم   تُرَوِّحُني لَمّا أروحُ إلى أَرضي

١٦،٨،٥ والزربية مشتقّة من زَرْب البهائم لأنّهم دائماً يُزْرَبوا فيها ويجلّلوا فيها وربّما بالوا فيها أيضاً كما هو معروف بينهم ومصدرها زرب يزرب زرباً

١٧،٨،٥ والكلاّف مشتقّ من الكُلْفة أو من الكَلَف وهو النَمَش الّذي يظهر في وجه الأمرد أو الجارية بعد بلوغهما ودليله أن هارون الرشيد مرّ يوماً بجارية تباع فقال والله لو لا كَلَف بوجهها وخَنَس بأنفها لاشتريتها فأنشدت تقول [سريع]

مـا سَلِمَ الظَّبْيُ عـلى حُسْـنِهِ   كَلا وَلا البَـدْرُ الّذي يُوصَفُ
الظَّبْيُ فيـه خَـنَسٌ بَيِّنٌ   والبَـدْرُ فـيه كَلَفٌ يُعْـرَفُ

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده وإذا كان بمعنى العلاّف كما تقدّم فيكون مشتقّ من العَلَف أو بمعنى الثوّار فيكون من التيران ومصدره علف يعلف علفاً وقوله

(يا صبي مالك) بنصب اللام والبيتين السابقين بكسر اللام فهذا لا يضرّ لأنّه ورد في شعر العرب وتقدّم في غير هذا المحلّ اشتقاق الصبيّ أنّه من الصَبْوَة أو من الصابون أو من قناطر الصابونيّ ١٨،٨،٥

وتقدّم تعريف الثور لغةً واصطلاحاً ١٩،٨،٥

(مسألة هباليّة) لأيّ شيء أتى في النظم بالثور فقط وكان من حقّه أن يأتي بالعجلة أيضاً أو بالبقرة حتّى يكون الناظم في مقام الثور والعجلة أو البقرة في مقام المحبوبة حتّى يكون الذكَر للذكَر والأُنْثى للأُنْثى فيكون هذا من باب المقابلة ويكون أبلغ في النظم (قلنا الجواب الفشرويّ) أنّه يُفْهَم من ذِكْر الثور ذِكْر العجلة أو البقرة كما أن ذِكْر عَنْتَر يُفْهَم منه ذكر عَبْلَة فكان الاعتراض على الناظم في غير محلّه وكانت المقابلة معنويّة وهذا من باب قياس فطيس الّذي قاس البحر على التيس ٢٠،٨،٥

(فإن قلت) لأيّ شيء حصر الناظم الرحيّ في الزريبة مع أنّها ليست مُعَدّة لذلك إلّا نادراً لأنّها معدّة لزرب البهائم فيها كما تقدّم أنّهم يبولوا فيها ويخروا أيضاً حتّى يغرقوها فما الحكمة في ذلك (قلنا نعم) وإن قلنا إنّهم يبولوا فيها بيقين فإنّ البول فيها لا يدوم وربّما كان فيها بعض جوانب سالمة من البول فيجعلوا فيها الرحيّ لأجل الطحين أو يقال إنّ نساء الأرياف لا يتحاشوا من الزبل والجلّة فإنّ المرأة منهنّ أثوابها دايماً متضمّخة بالجلّة وغيرها في غالب الأوقات فاتّضح الحال عن وجه هذا الهبال ٢١،٨،٥

(السابع من أشعارهم)

مواليا [بسيط] ٩،٥

رايْتْ حَريفي بفَرْقِلّهْ يَسوقْ تيرانْ   لُوكُرّْ أَصْفَرْ على راسو كَما اللّبْسانْ
يا رَيْتَني كُنْتُ لُوحِدْوهْ مِنَ الحِدْوانْ   أو كانَ لي شَلْقْ على راسي مِنَ الكَتّانْ

١،٩،٥ هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التجريف * وطوله بالتخمين * من الحسينيّة لدَيْر الطين * وعرضه بالتقدير * من سَمَنُّود لأبي صِير * وأمّا معناه الخارج عن الإدراكات * الجارح لقلوب ذوي المُرُوّات * الّذي يمجُّه الطبع * ولا يَسَعُه محلّ ولا رَبْع * فإنّ قوله

٢،٩،٥ (رأيْتْ حَريفي بِفَرْقِلَّهْ يَسوقْ تيرانْ) هذه الرؤية بَصَريّة أي شاهدت ببَصَري لا بايدَيَّ ورِجْلَيَّ حريفي أي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الرِّيافة لأنّهم يخاطبوا محبوبهم بهذا المعنى فيقول الشخص منهم فلان حريفي أي صديقي أو صاحبي أو محبوبي ويقول له يا فلان تعالى حارفني أو لاقشني يا ابو واسعه أو هارشني يا ابو عريضه أو حارفيني يا مليحه أو حارفني يا ابوكاره أو يا ابو كرّ ونحو ذلك من هذه الألفاظ وستأتي كيفيّة لقشهم على المُرْد والنساء في الأُرجوزة الآتية في آخر الجزء إن شاء الله تعالى وقوله

٣،٩،٥ (بِفَرْقِلَّهْ يسوقْ تيرانْ) يريد به التغالي في وصف المحبوب حيث جعله سوّاقًا بفرقلّة لأنّ الشخص إذا عشق إنسانًا يصفه بوصف يقتضي الحالة التي هو فيها من لبس أو صنعة أو نحو ذلك ممّا يكون مُغْرَمًا به وعاشقًا له (كما اتّفق) أنّ بعضهم كان يهوى غلامًا يهوديًا وكان الغلام مُغْرَمًا بضرب الناقوس فمرّ به يومًا وهو يضربه فأنشد يقول [بسيط]

رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ الناقوسَ قُلْتُ لَهُ مَنْ عَلَّمَ الظَبْيَ ضَرْبًا بِالنَواقيسِ
وَقُلْتُ يا نَفْسُ أَيُّ الضَرْبِ يُعْجِبُكِي[1] ضربُ النَواقيسِ أَمْ ضربُ النَوى قيسي

فانظر إلى رقّة الكلام وإلى مصادفة هذا الجناس التامّ فكان هذا مناسبًا لحال كلّ منهما لأنّ العاشق فلّاح والمحبوب سوّاق ولا يستغني الفلّاح عن عِشْرة السوّاق ولا السوّاق عن الفرقلّة أيضًا والفلّاح عنده التيران في مقام الأولاد كما أنّ السوّاق

١ بي: يُعْجِبُكِ.

عنده الفرقلّة أعزّ من أخيه وولده ولهذا أنّها دائماً على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه

٤،٩،٥ ثمّ ما كفى هذا العاشق الماسخ والهمّ الراسخ ما وصف به محبوبه من أمر تعاطيه الفرقلّة واشتغاله بسوق التيران وأنّه من أكابر الرُعيان ومن أعزّ السوّاقين الأعيان حتّى وصف ما على رأسه فقال

٥،٩،٥ (لو كَرُّ أَصْفَرْ على راسو كما اللِبْسانْ) هذا على حذف مضاف تقديره أنّ لهذا المحبوب كرّ وهو الشَدّ الذي يَلُفّه على رأسه يشبه في لونه نُوّار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بأنّ له كرّا أصفر على رأسه يشبه نوّار اللبسان وأنّه متميّز عن غيره من السوّاقين والرعيان بهذا الكرّ فقلّ أن يلبسه أحد من أبناء جنسه وإذا فرض أنّ أحداً يلبسه لا يكون كلّه أصفر كنوّار اللبسان بل ربما تكون أطرافه فقط مزعفرة أو معصفرة كما تفعله الريّافة لأولادهم (فإن قيل) لأيّ شيء شبّه كرّ محبوبه بنوّار اللبسان ولم يشبّهها بالزعفران أو العُصْفُر أو نحو ذلك (قلنا) الجواب واضح أنّه أوقع التشبيه بهذا الزهر لأنّه لا يعرف الزعفران ولا غيره من المصبغات إلّا ما يظهر من صفرته من أصناف النوّار مثل نوّار اللبسان كونه أصفر لأنّه فلّاح والفلّاح لا يعرف إلّا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سوّاقاً بفرقلّة فكان الأنسب أن يشبّه كرّه بما يعرفه وإلّا لو فرض أنّه شبّه الكرّ بشيء لطيف أو وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهيّة الرذالة وكان منه تشبيهاً لطيفاً دون الثقالة فاتّضح الحال عن وجه هذا الإشكال

٦،٩،٥ ثمّ لمّا علم أنّ محبوبه دائماً يمشي بحِذْوة في رجله إذا احتاج إلى حرث الأرض أو حصاد الزرع أو الذهاب إلى الساقية إذا كانت بعيدة تمنّى أن يكون حدوة في رجليه من بعض الحدوان فقال

٧،٩،٥ (يا رَيْتَني كُنْتُ لو حِذْوَهْ مِنَ الحِذْوانْ) أي ليتني فأبدل اللام راء على لغة الريف كما تقدّم أكون دائماً حدوة في رجليه ولو كان بها النجاسة حتّى أتلذّذ بمسّ رجله الخشنة وكعبه

الأقشر فانظر إلى قلّة عقله وسقاعة لحيته حيث عمل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جَدْي من الجِدْيان وأرذل من هذا التمنّي في هذه الأبيات قول بعضهم في بعض المُزْدَوَجات [رجز]

يا لَيْتَني كُنتُ لَهُ سِنْداسا أَوْ لَيْتَني في رِجْلِهِ مَداسا

فتمنّيه في الشطر الأوّل أشنع من تمني هذا الفلاّح لأنّ السنداس أشنع من الحدوة لأنّه محلّ الشيء المستقذر نعم الشطر الثاني هو ممّا نحن فيه

٨،٩،٥ ثمّ هذا الفلاّح لمّا أنّه لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمنّاه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنّى أن يكون محبوبه مرفوعًا على رأسه فقال

٩،٩،٥ (أو كانَ لي شَلْقٌ على راسي مِنَ الكَتّانْ) الشَلْق يطلق على الحبل أو الحزمة من الكتّان حزمة صغيرة يسمّوها أهل الريف شلق وهذا من باب التذلّل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان في رجل محبوبه وجعل محبوبه شلق كتّان على رأسه لأجل ما يَعْصِب رأسه به إذا اشتدّ وجعها من ألم الصداع أو الضارب أو الدواهي والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلّة عقله وشدّة جهله

١٠،٩،٥ (فإن قيل) إذا كان هذا العاشق قصده أن يكون محبوبه في صورة شلق من الكتّان يربط به رأسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائمًا في تعب منه لو فرض ذلك مع أن العاشق لا يريد إلّا راحة محبوبه (قلنا) إنّ هذا من باب التواضع الفشرويّ لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلوّ بكونه دائمًا فوق رأسه مرفوعًا لأنّ الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شيء ولا دون هذا العاشق أحد من العشّاق في التواضع أو هو من قبيل الاشتغال بربطه على رأسه فعلى القول الأوّل حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحدوة الّتي في رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلّي وعكسه فناسب الأمر فاتّضح المعنى وهذا كلّه من تمنّي ما لا طمع فيه على حدّ قولهم [وافر]

ألا ليتَ الشَّبابَ يَعودُ يومـًا فأُخبِرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ

(مسألة هباليّة) لأيّ شيء تمنّى هذا العاشق أن يكون حدوة ولم يتمنّ أن يكون وطا لأنّه المناسب وربّما يكون ألطف وأظرف من الحدوة وأغلى ثمنًا والحدوة فيها النجاسة أكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاّح ويقبله خصوصًا في أيّام الأعياد ونحوها والمحبوب لا يليق به إلّا الشيء النفيس فما الجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث الفشرويّ أنّ هذا المحبوب دائمًا مشيه إلى الحرث والحرّاث لا يليق به المشي في حالة الحرث إلّا بالحدوة وأيضًا لكثرة ما يدوس بها في الأرض المحروثة في سروحه ورجوعه وفي شدّة الحرّ وإن كان فيها النجاسة تكون النجاسة فيها أكثر إذ من عادته أنّه لا يسرح ولا يروح إلّا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل في نَبُّوته والعادة تثبت بمرّة فكان الأَوْلى لهذا العاشق أن يتمنّى أن يكون له حدوة لأنّها لمحبوبه أحسن من الوطا وأيضًا العاشق من شأنه أنّه يحبّ ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شأنه التذلّل للمحبوب والخضوع له والذلّ في الحبّ لائق بالمقام كما قال بعض الملوك في جاريته وكان مغرمًا بها ومشغولًا بحبّها فأنشد [طويل] ١١،٩،٥

أيا ظَبْيَةَ الأتراكِ والخَفَرِ المَلْكي على كلّ حالٍ أنتِ لا بدّ لي مِنْكِ
فإمّا بـذُلٍّ وَهْوَ أَلْيَقُ بالهوَى وإمّا بعِـزٍّ وَهْوَ أَلْيَقُ بالمُـلْكِ

وقال هارون الرشيد في جواره الثلاثة [كامل]

مَلَكَ الثلاثُ الأُنْسَيـاتُ عِنـاني وحَلَلْنَ من قَلْبي بِكُلِّ مكـانِ
مـا لي تُطاوِعُني البَريّـةُ كُلُّها وأُطيعُهُنَّ وهُنَّ في عِصْياني
مـا ذاك إلّا أنَّ سُلطانَ الهَوَى وَبِـهِ قَوِينَ أعَـزُّ مِن سُلْطـاني

فاتّضح الجواب وبان الصواب

(مسألة أخرى) فإن قيل كان من حقّ الناظم أن يقول (أو كان شلق في وسطي محزّم به) لأنّ الشلق كما تقدّم حبل من الكتّان أو الخُوص والحبل لا يكون إلّا مُعَدّاً للحزام أو لربط شيء ونحوه ووضعه على الرأس فنادر فما الحكمة في ذلك قلنا الجواب نعم إذا قلنا إنّه معدًّا لما ذكر وسلّمنا ذلك يَشْكُل علينا قصد الناظم إلّا أنّ الغرض للناظم خلاف ذلك وهو أنّه يريد رفع محبوبه على رأسه حتّى يصير في أعلى مكان وأشرف منزل وأيضاً الجواب بأن يقال إنّ من عادة الفلّاحين أنّهم يلفّوا على رؤوسهم الحبال إذا كانوا في شغل دقّ الكتّان أو في فتل الحلفة فيجعلوها مقام الكرّ ويربطوا بها رؤوسهم ويحفظوا بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤوسهم وأمّا إذا كان الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدّم فلا إشكال ولهذا قال (على راسي من الكتّان) فاتّضح الجواب وظهر المعنى والله أعلم ١٢،٩،٥

(شرح لغات الأبيات) قوله ١٣،٩،٥

(حَريفي) مشتقّ من الحِرفة أو من الحَرافة أو من حروف الهجاء أو من حَرْف المَاجُور قال الشاعر [طويل] ١٤،٩،٥

حَريفٌ إذا ما اشْتُقَّ كانَ حَرافةً وَقيلَ حروف م الهجاء[١] وحِرفةِ
وَقَد صَحَّ في القاموسِ الأَزرَقِ أَنَّه مِنَ الحَرْف لِلماجورِ فاصْغ لحكمةِ

ومصدره حرف يحرف حرفاً فهو حريف

(والفَرقَلّة) مشتقّة من الفَرْقَلة على وزن المَزْبَلة أو من الفِرْقال على وزن المِثقال أو عبيد الزبّال ورأيت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق أنّ الأصل في وضعها الطَرّاشة الّتي تلعب بها الخلابيص في السامر وعُمِلت الفرقلة قياساً عليه وكان اسمها في الأصل فرقيعة وأنّ الّذي صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكلّ من رآه ١٥،٩،٥

١ بي: من الهِجاء.

يضرب آخر يقول فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل وأضافوا اللام وهاء الضمير إلى بقيّة الحروف وأقاموها الضمير المذكورة مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك عَلَماً على هذه الحبال المفتولة وقالوا فَرْقِلّة كما قالوا في بَعْلَ بَكّ ومَعْدِي كِرب ونحو ذلك من التركيب المزجي وأمثاله

١٦،٩،٥ (فإن قيل) إذا كان أصل الفرقلة الطرّاشة فلأيّ شيء ترك الناظم الأصل وأتى بالفرع والأصل أشرف من الفرع إلّا في بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) نعم لو كان محبوبه خلبوصاً كان حقّه أن يأتي بالطرّاشة لكونها من ملازم الخلبوص وإلّا فالمقام لا يناسبه إلّا الفرقلّة لكون أنّ هذا المحبوب سوّاقاً للبهائم وهو من أولا د الفلاّحين فكان الأنسب ذكر الفرقلّة كما تقدّم ومصدرها فرقل يفرقل فرقلة

١٧،٩،٥ وقوله يسوق على وزن قاوق مشتقّ من السوّاق أو من الساقية أو من السواقة ومصدره ساق يسوق سوقاً وسواقة قال الشاعر [طويل]

يَسوقُ إذا ما اشْتُقَّ كانَ سَواقَةً وساقَ وسوّاقٌ وَسَقيٌ وقد وَرَدْ

١٨،٩،٥ والكرّ ما يُلَفّ على الرأس من الكتّان والقطن وغيره وهو مشتقّ من الكركرة على وزن الخرخرة أو من الكَراوِيا أو من الكَرْب أو من كَرَّ الشيءَ إذا حلّه يقال كَرّ عرضي فلان إذا حلّه من على رأسه ومصدره كرّ يكرّ كرّاً وقوله

١٩،٩،٥ (كما اللَبْسانْ) اللبسان نبات يطلع في البرسيم له ورق عريض يأخذوه أهل الريف وينزعوا أوراقه ويخرطوا بالسكّين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زماناً يسيراً حتّى يأخذ قوامه ويسمّوا مجموع ذلك كَبْراً وسيأتي ذكره في كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتّان لأنّه أصفر وزهر الكتّان أزرق قال ابن سودون [متدارك]

زَهْرُ الكَتّانِ مَعَ اللَبْسا نِ هما لونانِ ولا كَذِبُ
كَيهودٍ في دَيرٍ خُلِطُوا بِنَصارَى حَرّكَهُمْ طَرَبُ

٢٠،٩،٥ وهو مشتقّ من اللَّبس لأنّه ربّما يلتبس على الشّخص القليل المعرفة قبل ظهور نُوّاره بنبات آخر غيره يسمّى عند الفلاّحين حُمّاض بضمّ الحاء المهملة وتشديد الميم وربّما اشتبه أيضاً بشجرة تسمّى فِسا الكلاب ورقها أيضاً يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيها بيقين منافع مذكورة في منافع النباتات أو من اللبسان وهو بير مشهور بأرض مصر يطلع فيه نبات يدخل في علم الصنعة الإلهيّة ويقال إنّ هذا البير هو باب الكنز الّذي تأتي إليه الحبشة وتأخذه في آخر الزمان ومصدره لبس يلبس لبساناً

٢١،٩،٥ (والحِدْوانْ) على وزن الجِرْوان واحدة الحِدْوة وهي جلدة تُعْمَل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها يستعملها الحرّاثون وغيرهم لدفع المشقّات وإذهاب الحفاء والعياء عن الرجل ونحو ذلك ومصدره حدا يحدو حدوة وقيل مشتقّة من الحِدّاية وهي طائر معروف من الفواسق الخمس الّتي جوّز الشارع قتلهنّ (فإن قيل) إنّ الحِدّاية من شأنها الخطف والحدوة على خلاف ذلك فكيف أنّها مشتقّة منها (قلنا) هناك أدنى مناسبة وهو أن الحدوة إذا مشى بها الشّخص ربّما خطفت بعض الحصى وطرحته إذا أسرع صاحبها في المشي فكان هناك بعض شبه الحدّاية من هذا القبيل

٢٢،٩،٥ (فائدة) ذكر صاحب القول المعاب في وصف الغراب واقعة عجيبة وهي أنّ بعضهم افتقر فدخل إلى بعض إخوانه من الأغنياء يلتمس منه شيئاً فعبس في وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى إلى بعض المقابر فمرّغ وجهه على الأرض ودعا الله تعالى وإذا بحِدْأة ألقت إليه شيئاً فنظر فإذا هو كيس ملآن من الدنانير وفيه جوهرة تساوي مال كثير فأخذه وأتجر فيه وصار في يسرة إلى أن مات فانظر إلى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه

٢٣،٩،٥ ورأيت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق أنّ الحدوة مشتقّ من الحِداد وأتى بشعر فشرويّ فقال [رجز]

وَالحِدْوَةُ المشْهُورَةُ اشْتِقاقُها   مِنَ الحَدادي أَوْ مِنَ الحِدادِ

والحدادي على وزن الجنادي جمع حدّاية

(والشَلْق) مشتقّ من الشلوق أو من الشلقة أو من الشاقول الذي يوضع في رُبَع الميقات ومصدره شلق يشلق شلقاً ٢٤،٩،٥

(والكتَّانْ) معروف وهو مشتقّ من الكَتَّانِيّة الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره كتن يكتن كتناً ٢٥،٩،٥

(فإن قيل) لأيّ شيء تمنّى أن يكون محبوبه شلق كتّان ولم يقل شلق خوص وحلفة ونحو ذلك قلنا لعلّ شلق الكتّان أقوى من شلق الخوص والحلفة أو لعلّه من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتّان وقلعه وملازمتهم لهذا الأمر فلا يعرفوا غيره فأتى بما يناسب الحال وما شابهه نعم لو كان محبوبه صعيدي لناسب أن يأتي بشلق الحلفة لكون الصعيديّ يألفها ولهذا يقال صعيديّ مصّاص حلفة أو كان خوّاصاً لناسب أن يأتي بشلق الخوص فاتّضح الإشكال وتمّ المقال ٢٦،٩،٥

وقد أنهينا ما أردناه من شرح بعض أشعارهم * ودشّهم وفُشارهم * وحلّ لغاتهم بلا مِرا * وكشف معناها الّذي يشبه الخرا * ٢٧،٩،٥

(ولا بدّ بطرف يسير من شعر من يدّعي النظم وهو جاهل * ويقول الشعر وهو ذاهل) *

١،٦ فمن ذلك ما اتّفق أنّ هارون الرشيد جلس يوماً عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الأمين وكان بليداً بخلاف أخيه المأمون فإنّه كان حاذقاً فطناً لبيباً بارعاً في النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل إليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدّة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الأمين فقال لها إنّه بليد لا يدري النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدي أشعر من أخيه وأقوى جراءة وأشدّ فكرة ومعرفة في النثر والنظم وإن شاء الله تعالى في غد أقول له ينظم الشعر ويعرضه على أبي نواس فقال لها الخليفة حبّاً وكرامة في غد إن شاء الله نسمع كلامه ونطّلع على شعره قال فلمّا مضى النهار أرسلت خلف ولدها الأمين وقالت له على القصّة وألزمته بنظم الشعر وأن يعمل أبياتاً ويعرضها على أبي نواس فأجابها لذلك واعتزل في محلّ خال عن الناس وقَدَح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتّى عمل أبياتاً يأتي ذكرها تشبه رصّ القُلْقَيْل ثمّ إنّه أتى إلى أمّه وأخبرها ففرحت وأرسلت خلف أبي نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدي الأمين فقد صار ماهراً في الشعر بارعاً في النظم فقال له أبو نواس أسمعني ما قلت فأنشد [رجز]

١،١،٦ نَحنُ بَنو العَبّاسِ ونَجلسُ على الكَرَاسي

فقال أبو نواس نعم وأنتم لذلك أَهْلٌ ومَحَلٌّ وأنتم أصحاب الرُتَب العالية كمّل الأبيات فأنشد يقول [رجز]

ونُقاتِلُ الأَعادِي بِالسَّيْفِ وَالمِزْراقِ

فقال له أبو نواس أتلفت ما قلت وغيّرت القافية قال فاغتاظ منه الأمين وأمر بسجنه فسُجِن أياماً فتفقّده الخليفة فقيل له هو في السجن حبسه الأمين لكونه عاب شعره فأحضره وأحضر الأمين وسأله عن السبب فأخبره بالقضيّة كما تقدّم فقال الخليفة للأمين لولا أنّه رأى في شعرك خللاً ما عابه فقال أنا أنظم غيره فقال له افعل قال فمضى وقدح فكرته وأتى إليه بحضرة والده وقد عمل أبياتاً أثقل وأشنع ممّا سبق فقال أبو نواس تكلّم بما قلت فأنشد يقول [رجز]

٢،١،٦

يا قاعِدَهْ في الأَرْبُعِ ... ما مِثْلُكِ في الأَبْلُدِ
شَبَّهْتُكِ كُنافَةً ... مَبْسوسَةً بِالخَرْدَلِ
وَالسَّمنُ فَوقَكِ سائِحٌ ... مِثْلَ الحِصانِ الأَبلَقِ

قال فلمّا سمع أبو نواس هذا الكلام قام يجري فقال له الخليفة إلى أين فقال يا سيّدي إلى السجن ولا أسمع هذا الكلام قال فضحك عليه وعلى شعر ولده الخليفة وأخبر والدته بذلك فتحقّقت والدته زبيدة بلادة ولدها الأمين وسكتت

٢،٦

(وأعرض من هذا النظم) قول مُرجان الحبشيّ وكان أميرًا بثغر إسكندريّة وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزيّة الأديب الورع الزاهد العالم الماجد الأبي صيريّ رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمّسها أيضاً وها أنا أَسْرُدُ لك هذا النظم الخسيس مصحوبًا بالتخميس وهي هذه [وزن غير معروف]

١،٢،٦

يا رسول الله قلّ من الناس المعروفْ
يا رسول الله أصبحت بينهم مثل الطير المنتوفْ
بعد أن كنت مثل الخروف المعلوفْ
يا رسول الله أغثنا استغاثة ملهوفْ ... قد أضرّت به أشرار من اللُّكَعاء

يا رسول الله ما عاد في حدّ خير
يا رسول الله ما بقوا يوقّروا صغير ولا كبير
يا رسول الله كن لي منهم نصير
يا رسول الله أصبحنا بينهم مثل الحمير وهم يسوقونا بالعصاء

٢،٢،٦ يا رسول الله إحنا من رعيّتك
يا رسول الله إحنا من جملة أُمّتك
يا رسول الله أنا في جيرتك
يا رسول الله بحقّ صحابتك أَجِرْنا من نار لها سَعْراء

وأنا أمدح نبي ربُّهُ استخاره وعَزَّهْ[1]
ياما غزا الكُفّار بعسكره وغُزِّهْ
ومن صلّى عليه ربُّه لم يُخْزِهْ
وقد عرج به ربّنا وعزّه وقد رأى من آيات ربّه الكُبَراءِ

٣،٦ إلى أن افتخر بقلّة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزيّة عفى الله عنه وظنّ بأنّ نظمه في غاية البلاغة واستحكام الصناعة فقال

١،٣،٦ ضاهيت بها همزيّة الأبي صيري
والفرق بينهما يلوح للنِحْريري
وانظر للصيّر هو مثل البُوري
والّا جبل مصر مثل الطوري والّا الصقر الصائد مثل البوماء

١ بي: وعَزُّهْ.

أنا انتخبتُ ألفـاظها من القاموسـا
ومَنْ عارض نظمي في لحيته يلقى موسـا
ومن له في الأدب رتبة أو ناموسـا
لا بدّ أن يميّز بين الجاموسا والناموسا   وأولاد الحلال ما هي مثل أولاد الزِناء

٢،٣،٦
نظمي هذا ما هو مثل نظم النـاس
نظمي هذا مـثل دُرّة ـفي كاس
ومن سـمع نظـمي يقول دوهاس
قد فـقت ـفي النظـم أبو النواس   أنا مـرجـان والحُبْشـان ـلي آباء

أنا مـرجـان وفي إسـكندريّه
وأدر ـي النـظـم بالـكلّيّـه
ومن عـارض نظـمي يلقى بليّـه
أنا أصبحت مثل الشمس المضيّه   ونـظـمي مـثل نظـم أبو العـلاء

٣،٣،٦
نظـمي مـثل درّة ـفي حُق
لهـفي عـلى فتى عـارف مُنْحَق
هو ابن المَخـاض مـثل بنت الحَق
والا النـمل السـابح مـثل البقّ   أنا أصبحت مثل القطّ اصطاد الفاراء

أنا أصبحت ما لي ـفي نظمي نظير
ولا ضاهى قولي لا كبير ولا صغير
وأنا أعـطـاني ر ـيّ الخبـير
وأنا مـرجـان الحـبشي الأمـير   أسـتخـرج الدُرّ من البحـراء

٤،٣،٦

وأختم قولي بمدح طه الزين
يا سعادة من زاره في حُنَيْن
وقبّل حجرته وشاف بالعين
وقال له يا جدّ الحسن والحسين اشفع لمرجان ينجو من النار اء

٤،٦

ورأيت له أيضاً نظماً أثقل من الحجاره* وأنجس من ماء الخرّاره* قد حكى في ترتيبه القُلْقَيْل في الرص* وفي رؤيته ذقن العرص* عارض به لقلّة عقله وسوء جهله خمريّة القطب الربّانيّ والهيكل الصَمَدانيّ سيّدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته فقال

[وزن غير معروف]

١،٤،٦

سُقِينا على ذكر الحبيب مُدامة طرِبنا بها
كُمَيْت من الكَرْمِ ختامها مِسْك
ودارت علينا سقاة في يدها كؤوس
كل ساقي منهم يحكي لنجمة الفُلْك
ويا ما شُفْنا من خمرتنا ورَيْنا من سَكْرتنا
أمور محتبكات ومرتبكات رَبْك
وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب
واندكّت جبالنا من أطوارنا دكّ

٢،٤،٦

مدامتنا هذي تعلو على مدامة الفارضيّ
وأين الثُرَيّا من الثَرى ولَعَمْري بعيد من الدَرْك
مدامتنا ما مثلها في الكون مدامه
ولا عند الرهبان والقُسوس وأبناء التُرْك
مدامتنا هذه من ذاقها في كأسها
قال من طعمها هذه مثل المِسْك
ومن أوصاف خمرتنا إذا صُبّت على حجر

لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكو
ومن أوصافها كمان إن شربها ضعيف
طاب من وقته ولم يعد قطّ يشكو
ومن أوصافها إن مرّ مزكوم على ديرها
وشمّ رائحتها من بعيد خلَص بلا شكّ
ومن أوصافها إن صُبَّت في قارورة صبّا ٣،٤،٦
تشاكل الأمر راح الطَرف من حسنها يحكو
ومن أوصاف خمرتنا إن غنّت هند
ترجمت بكل لسان مثل سَناء المُلْك
وقد شرب منها مرجان شربة
فأضحى بها هائم في الكون بلا شكّ
فدونك مدامتنا لا تحود عن شربها
ففي شربها يا خالي البال الحكّه والدلكّ
وفي شربها في حانها وسط مجلسها
من يد ساقيها السعد والمُلْك
وأختم خمرتي هذه بصلاتي وسلامي ٤،٤،٦
على نبيّ عربيّ جاه الجمل يشكو
وعلى آله وأصحابه كلما حطّوا الحجّاج
عند سيرهم الحمول وفكّوا

فانظر إلى عدم إصابة ميزان هذه الخمريّة وفرضها * لكون أنّ ناظمها قلب طولها في عرضها *

(واتّفق أنّ بعض القضاة من الأروام قال لنائبه) نحن ننظم الشعر ونسمّى بيت النظّامون ونقول الشعر محاظرةً فقال له النائب هذا لا يبعد عليكم فقال له نظمت بيتاً محاظرةً فقال النائب أسمعنا إيّاه فقال [وزن غير معروف] ٥،٦

شين الشرع بالاشاره تقطع مثل المنشارهْ

ما تقول أيّها النائب في هذا الكلام * وحسن هذا النظام * فقال بعد أن ضحك عليه * وأشار بكلامه إليه * وأنا الآخر نظمت محاظرةً عروض كلامك وما يشابه قولك ونظامك فقال القاضي تكلّم أيّها النائب ومن هو صاحب الرأي الصائب فقال [مجتثّ مع كسر]

سعيده كانت مزاره * تحبّ طبيخ البيسارهْ

قال فَهام ذلك القاضي طرباً من كلامه * ومن شدّة ما أعجبه من نظامه * وأعطاه جوخة كانت عليه * ومال بقلبه إليه * ولم يزل معه في عزّ وإكرام * وهيبة واحترام * إلى أن عُزِلَ وأموره للسفرقد حضرت وودّعه النائب بقوله فلا رَجَعْتَ

(وكتب بعض البلداء ممّن يدّعي النظم) لرجل من العلماء يسمّى الشيخ محمّد السلسليّ مراسلة يعرّفه فيها عن حال بنت تسمّى هِنْد وعن أخت لها تسمّى عَرَب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبّهما لأنّ طبعه كان يميل للإناث حتّى أنّه كان لا يأكل إلّا من الزُبْديّة ولا يشرب إلّا من القُلّة ولا يركب إلّا الأنثى من الدوابّ ولا يقبل المذكَّر قطّ وكان من الأولياء العارفين غير أنّه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لأجل التستّر على أحواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فأرسل إليه يقول [خفيف] ٦،٦

بَعْدَ أَزْكَى السَّلامِ مِنِّي نَهاضَهْ | لِحَبيبٍ يُحَبُّ مِن غَيْرِ بَغاضَهْ
إسمُهُ السَّلْسَلي والشَّيْخ محمّدْ | زادَكَ اللهُ في الأَنامِ وِعاضَهْ
أَنْتَ في ذا الزَّمانْ قَمْحٌ غزيرٌ | وسِواكَ الأَنامِ مِثْلُ النِفاضَهْ
أَنْتَ أَرْسَلتَ في الكِتابْ بِتَسْأَلْ | عن عُرَيْبٍ فإنّها من بِياضَهْ
وهُنَيْدٌ زادت عن الكلِّ عَجَبًا | بِسَوادِ العُيونْ لا بِالغِلاضَهْ
مَنْ يُحِبُّ المِلاحَ يَسْلى الدَراهِمْ | عَهْدُنا بِكْ ما تَمْتَلِكْ شَيْ قُراضَهْ
وأنا إِسْمي الرازِقي والشيخ محمّد | أَلْضُمُ القَوْلْ وَطَرِّزْهْ بِالفِضاضَهْ

قال فلمّا قرأ الشيخ هذه الأبيات ضحك وجعلها معه وصار كلّما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرأها له لأنّه كان بصيراً فينشرح ويزول عنه انقباضه

(ويقرب من هذا النظم المرثيّة التي رأيتها لبعض البلداء) من الشعراء في رجل مات من الأمراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فأحببت أن أثبتها لما فيها من الأبيات المجرفة والمعاني المقلحفة وهي هذه [وزن غير معروف] ٦،٧

أحمد الله لطيف اللطفا | في ابتدائي بمديح صُنِفا ١،٧،٦
وعلى أزكى البرايا كلّها | صلوات الله جاءت بالوَفا
وعلى الآل جميعا كلّهم | وعلى أصحابه الخُلَفا
بعد هذا أبتدي مرثيّة | في أمير موته قد حَتَفا
جاءه الموت سريعا عاجلا | وعليه عزريل[١] حقا عَكَفا
عندما مات بلغني موته | صحت بأعلى صيحتي يا أسفا ٢،٧،٦
ودموعي من عيوني قد جرت | مثل ما تجري سواقي مَرْصَفا
قلت لما أن بلغني موته | بعدما دمعي بعيني دلفا
مات من في الناس يذكر اسمه | بالأمير ابن الخواجا مصطفى

١ كذا في جميع النسخ.

يوم مات الأرض كادت أن تغور … والسما صارت سحابا كَسَفا
والأمـاكن كلّهـا من بعـده … ونبات الأرض حقّـا قَلْحَفا
كم له وسط المـدينة سمعـة … كالصناجق بل وأعلى شَرَفا
كان حامي الخيل شُجاعا بطلا … حين تنظره العِدى تَرْتَجِفا ٣،٧،٦
قد تولّى وانقـضت ايّامـه … يا نعم يا ابن الخواجه مصطفى
وجميع أمواله قد قُسّمَتْ … أخذوها أهل الطمع بالجَزَفا
والأعـادي فرحوا في موتـه … لاجـل مـال ينهـبوه جَرَفا
من مـعادن فضّة مع ذهب … وكنوز أخـرجوهـا قُـفَـفا
وَرِثوهـا أعـداؤه من بعـده … فـرّقوها اليوم بِفـرَد العَـلَفا
من جواهر لامعات كِسَـر … لاهطات نورهـا قد رُصِفـا ٤،٧،٦
ويواقيت زبرجد لؤلؤا … ودِلاص سابغـات رَعَفـا
قـررت في بيت مال عدّهـا … ألف ألفي ألف ألفي مِقْطَفا
وعَلِيّ الكاشـف منها أخـذا … بعـد ما أشـرع فيـها مِقْحَفا
خزّنوهـا في بيت مال بعـده … أخذ الكاشـف منها واكتفى
كم أتى في بيتـه من مـرأة … مع بنات لابسـات الغُدَفا ٥،٧،٦
ثـمّ نوّحت عـليه حـزنا … وعليه الناس صلّت صُفَفا
كم أمير جـاء في تـربتـه … ووضع فوق التراب الشُقَفـا
كم فقـيه جـاء في موتتـه … وتلا ياسـين ثـمّ الزُخْـرُفا
يا تـرى قد مـرض بالبـطن … أو بالوبا أو بالرُعاف ارتَعَفـا
ليتني شـاهـدتـه في كفن … أبيـض حين عليه هَفْهَفا ٦،٧،٦
ليـته لو عـاش قـرنا كامـلا … لكن الموت عليـه زَحَفـا
ثـمّ أخلى داره من حِسّـه … وحِمام الموت منهـا زَحَفـا
يا ترى من عاد يخلف بعده … حين يأتي بعده كي يَخْلُفـا
فـعَسَى يأتي حسـين بعده … يفـتح البيت ويبقى مُنْصِفـا

ليت شعري لو تخلّف بعده   ولد مثله كي يُخلَفا   ٧،٧،٦
هكذا الدنيا دواما طبعها   تَقْهَر الناس وتأتي بالجَفا
كل ما فيها تراه زائل   تنقلب بالغدر مثل المَجْرَفا
ليس يعجبني الأمارة كلّهم   كالأمير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا إحسانه مع جوده   كم عطايا زائدات بالوَفا   ٨،٧،٦
كيف لا أبكي على من جاد لي   بعطايا ما عطاها خُسَرَفا
ربِّ ارحمه وخلّي بعده   أمّه والستّ وابنه يوسُفا
قد توفّى في جماد اوّل   سادس الشهر خميسا شُرِّفا
عام أربع من ثلاثين مضت   بعد ألف من سنين تُعرَفا
بعد هجرة من أتانا رحمة   بالهدى أزكى البرايا شَرَفا
يا إلهي اغفر لناظمها اسمه   عابد الرحمن وابنه يوسُفا   ٩،٧،٦
جده يسمى محمد مغوري   فارضَ عنه يا لطيفَ اللُّطَفا
وارحم الوالد وأجداد له   والأمير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي دائما   على النبيّ والآل أصحاب الوَفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك الظاهر بَيْبَرْس وقد فتح قرية من قرى الكفّار فقال له أطال الله بقاء الملك أنا فلان بن فلان بن فلانة عاش أبي من العمر ستّين سنة وعاشت أمّي أربعين سنة وأنا في سنّ الخمسين سنة وقد عملت لك أبياتًا تتضمّن تأريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثمّ أخرج له رقعة مكتوب فيها   ٨،٦

[وزن غير معروف]

قد فتح السلطان بلده   وأتى السعد البلدهْ
فلمّا فتحها أرّختُها   حاكما في شهر ذي القعده

فقال له الملك لم أر أبرد من كلامك إلّا شعرك ولم أر أبرد من شعرك ونثرك إلّا لحيتك قال فخجل الرجل ومضى إلى حال سبيله (أقول) قد تقدّم أن هذا كلّه من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلّة المعرفة وإلّا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بمثل هذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر أن يَعرِض قصيدته على الرواة حتّى يهذّب ألفاظها ويدقّق معانيها وبعد ذلك يعرضها على من شاء ويعطيها لمن أحبّ وقال الشاعر [كامل]

لا تَعرِضْ على الرُواة قَصيدةً ... ما لَمْ تَكُنْ بالَغْتَ في تَهْذيبِها
فإذا رَوَيْتَ الشِعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ ... جَعَلوهُ مِنْكَ وَساوِساً تَهْذي بِها[١]

١ بي: تهذو بها.

﴿ذِكرُ فقرائهم الجهّال * وارتكابهم الجهل والضلال﴾ *

١،٧ أمّا فقراؤهم فليس لهم طريقة إلّا هزّ الجحوف * وطَرق الكفوف * والنطّ والزعيق * والسِبحة والإبريق * وأخذ الدراويش * وكثرة التشاويش * وعدم معرفة الطريقه * والديك والعليقه * وترك تعليم ما تصحّ به العباده * وقلّة الدين بزياده * والنوم الزائد * والزحف على القُصَع والمتارد * والدردشة باللسان * وقولهم خَبَّرَ الولي فلان * لا يَرْكَنوا لأهل الفضل * ولا يقولوا إلّا بأهل الجهل * لا يعرفوا مسألة في الدين * وليس لهم في الطريق يقين * قد ارتكبوا أشد العظائم * وحُكمهم حُكم البهائم * فهم طائفة تربّوا في أطراف البلدان * ولا يعرفوا الفقر سوى باللسان * والسبحة والانخناس * والخوبشة والانعكاس * وأخذ البدايات * والدوارة في الحارات * وحضور الموالد * والزحف على الموائد * والنخّة الشيطانيّه * والمصائب والبليّه * لا يميّزوا بين حرام وحلال * ولا يألفوا إلّا لأهل الضلال * قد أباحوا الزنا * وشرب المُنْكَر والخَنى * يجتمعوا بالنساء المحرَّمات * ويعتقدون أنّ نكاحهنّ من المباحات * قد احتوى عليهم إبليس بكثرة الوساوس * وهم الطائفة الخوامس *

٢،٧ ﴿حكى بعض أهل العلم﴾ أنّه شاف جماعة منهم فرآهم مختلطين بالنساء مثل البهائم ثمّ إنّهم أرادوا أن يَزْنوا فيهن بحضرته فزجرهم ونهاهم فأرادوا قتله فتحايل عليهم حتّى خلص من بين أيديهم ولم يرجع بعد ذلك إليهم

٣،٧ ﴿وحكى رجل من أهل الفضل﴾ أنّه رأى جماعة منهم يأكلون في رمضان من غير عذر يبيح الفِطْر فسألهم عن ذلك فقالوا نحن قوم قد سقط عنّا التكليف وليس علينا جُناح لأنّنا في مقام الشهود مع الله تعالى وصرنا في حالة الفناء في الله وإذا فنا الشخص سقط عنه التكليف فنحن على حدّ قول القائل [طويل]

وبَعْدَ الفَنا في اللهِ كُنْ كَيْفَ ما تَشاءُ　　فَعِلْمُكَ لا جَهْلٌ وفِعْلُكَ لا وِزْرُ

قال فصاح عليهم هذا الرجل بالويل والثُبور * وعظائم الأمور * فولّوا منه الأدبار * وركنوا إلى الفرار * فانظر كيف دخل الشيطان على عقولهم * وكيف سوّل لهم أموراً جعلها أهلاً لضلالهم *

٤،٧ والّا فالعارف بالله تعالى لا يقدر الشيطان أن يدخل عليه من هذا القبيل (كما اتّفق للجُنَيْد) رحمه الله أنّه مرّ في ليلة من بعض الليالي في بادية وخلفه تلميذه فسمع هاتفاً يقول يا جنيد قد أسقطنا عنك التكليف فقال له الشيخ كذبت يا ملعون الأبعد فقال له التلميذ يا سيّدي أليس هو من قِبَل الله تعالى فقال له تأدّب يا ولدي هذا الشيطان يريد أن يدخل على عقولنا بشيء يُضِلّنا به

٥،٧ فهذه الطائفة ينبغي البعد عنهم والتحرّز منهم (وقيل دخل رجل من الملحاء بعض أضرحة الأولياء فرأى رجلاً من الخوامس يَزْني بامرأة) وكلّما ينكحها قالت الله وغابت عن وجودها وكذلك الرجل يفعل مثلها ويهيم ويصير في وجد عظيم وهما على هذه الحالة فقال لهما الرجل يا أشقياء كيف تذكروا الله وأنتم في هذه الحالة الرذلة فقال له يا سيّدي سمعنا قول بعضهم حيث قال [طويل]

وَيَلْتَذُّ مِنّي كُلُّ عُضْوٍ وَمَفْصِلٍ   إذا ذُكِرَ المَحْبُوبُ ثُـمّ أَهِيـمُ

فأنا ألذّ أيري بالذكر وهي تلذّذ فرجها كذلك قال فقام عليهما ذلك الرجل بالضرب والسبّ والصياح حتّى اجتمعت عليه الناس وعرفوا الأمر فأرادوا قتلهما فشفع فيهما البعض من الناس وأخرجوهما من مقام الوليّ على أيشم حال وكلّ هذا ببركة ذلك الوليّ الذي ارتكبوا في ضريحه هذه الأمور الشنيعة وتجاوزوا الحدّ نعوذ بالله من ذلك

٦،٧ (ومرّ بعضهم بامرأة من الخوامس كانت تدّعي الزهد والعبادة) وهي نائمة في محلّ منفرد في رمضان وحولها رجال يزنون بها فقال لها الرجل ما هذا يا عابدة وأنتي على العبادة والصلاة والصوم فقالت نعم ولكن كُسّي فطر فيه يوم القَدْر فلا حَرَج عليه قال فأنشد الرجل يقول [وزن غير معروف]

بعيني رأيت عابده وهي نايمه في النوم
وسيقانها مرفوعه ويستعملوها القوم
وانا قلت يا عابده أين الصلاة والصوم
قالت انا صايمه كسّي فطر منه يوم

٧،٧ (وأمّا اصطلاح هؤلاء الطائفة القبيحة قاتلهم الله تعالى) فإنهم إذا اجتمعوا في مجلس وأرادوا الذكر الذي لا يقبله الله تعالى فيجعلوا النساء أمامهم وكذلك الأحداث ويخلعوا وتهيم النساء والأولاد فإذا نظروا إلى تلك الخدود المضرّجات بالخَفَر * والوجوه الحاسرات للنَظَر * والعيون الفاتكات بالحَوَر * وشاهدوا الأحداث بهاتيك الخصور الرقاق * والقدود الرشاق * والخصور النحال * والأرداف الثقال * ماجت أعينهم * وانتصبت أيورهم * فمن أراد منهم الفعل الخسيس * أتى إلى شيخهم إبليس التعيس * فيقول له يا فلان * تريد الحُور أو الوِلْدان * فإن كان من التعساء * وقلبه يميل إلى النساء * فيقول أريد الحور العين * فيقول له خذ ما تريد منهنّ يا مسكين * وإن كان من الفَسَقة العكساء * المفضّلين البنين على النساء * المائلين لما حسُن من الأمرد ورقّ * القائلين ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ * فيقول أريد الولدان * وأتملّى بالمُرْدان * فيقول له أُذُنُ منهم * ولا تَحَدّ يا مريدي عنهم * فيجعلوا النساء مثل الحور العين والأحداث مثل الولدان ويصيّروا مجلسهم مثل البعث والقيامة وأنّ فيه الجنّة والنار وأنّ قيامهم لذلك مثل قيام الساعة وأنّ الشخص منهم إذا صار في الذكر فني عن الدنيا فإذا صحا فكأنّه بُعِثَ وسقط عنه التكليف فإذا وقف بين يدي الشيخ فكأنّه واقف بين يدي الله تعالى في صورة العرض عليه فإذا رضي عنه يقول له مثل ما تقدّم خذ ما شئت من الحور أو الولدان فإنّك متّ وبعثت وقد أسقطتُ عنك التكليف وأدخلتُك جنّتي يعني أنّي أَبَحْتُ ذلك الزناء في النساء واللواط في الأولاد وسائر المحرّمات وإذا غضب على إنسان لكونه باح بالسرّ أو حصل منه هَفْوة أو أَطّلع

على حالهم أحد ألقاه في بير عميق مظلم وربّما ذبحه وطبخه وأطعمه لأصحابه الأشقياء وينشد عند قتله هذا البيت شعر [بسيط]

مَنْ باحَ بِالسِّرِّ كانَ القَتْلُ سِيمَتَهُ   بَيْنَ الرِّجالِ ولا يُؤْخَذْ لَه ثَأْرُ

فنعوذ بالله من أحوالهم ونتبرّأ إلى الله من أفعالهم ونسأل الله تعالى السلامة في الدنيا والموت على الإخلاص واليقين

(ولقد رأيت رجلاً من هذه الطائفة قبّحهم الله تعالى يقول لآخر) يا فلان أنت عينه وهو عينك وأنت هو وهو أنت فأنت الله وأنت الرزّاق وأنت الحيّ وأنت العرش والكرسيّ واللوح والقلم ثمّ ينشد قول ابن العربيّ رضي الله عنه [طويل]   ٨،٧

ثَمانِيَةٌ حَمّالَةٌ عَرشَ ذاتِهِ   أنا وصِفاتي بَلْ أنا العَرْشُ فَابْحَثوا

ثمّ يقول وأنت ناسوته وهو لاهوتك فالناسوت قائم بعين اللاهوت واللاهوت هو شرط في قِدَم الناسوت فكن يا فلان كيف شئت وافعل ما أردت فلا حَرَجَ عليك في عدم الصوم والصلاة فإنّ هذا كلّه منك وفيك أما سمعت قول القائل [متقارب]

شِفاؤُكَ مِنْكَ وَتَسْتَنْكِرُ   وداؤُكَ مِنْكَ ولا تَشْعُرُ
أَتَزْعَمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغيرٌ   وفيكَ ٱنْطَوى العالَمُ الأَكْبَرُ

في وقول الجبُّلي عينيّته [طويل]

وصَوْمي هُوَ الإمساكُ عَنْ رُؤْيَةِ السُّوء

وقال بعضهم [طويل]

وما القَسُّ والرُهْبانُ إلّا إلهُنا   وما اللهُ إلّا راهِبٌ في كَنيسَتي

وأنّ آدم على صورة الرحمن وأنت من آدم وحوّاء فأنت على صورة أبيك وأبيك على صورة المعبود فأنت ترجع لأصلك وأيضاً إذا كانت الخِلْقة من التراب ولاصق التراب التراب فلا حُرْمة في ذلك فأنت إذا زنيت أو لُطت فإنّما هي تزاحمة أجرام والتصاق تراب ببعضه البعض وقال فلان وقال فلان وصار يخبط خبط عشواء وهو في محلّ منعكف على هذا الرجل وأنا أسمع منه هذا الكلام وكان الرجل المقول له من أعيان الناس غير أنّ هذا القائل الخبيث لم يشعر أنّي من أهل المعرفة لأنّي كنت في حالة اشتغال في صنعة الحياكة وغيرها فلمّا تمّ هلفطته * وفرغ من دردشته * ولقلقة لسانه * وبَغْيه وبُهتانه * وضلاله المبين * أقبلتُ عليه وبيدي سِكّين * وأشرت بها ودنوت بها إليه فانقلب إلى الأرض مرعوب * وصار في حالة الكروب * ثمّ إنّ الرجل قال لي ما الخبر * وما الذي بان منه وظهر * فقلت له هذا بان جهله * وحلّ قتله * ثمّ إنّي أظهرت للرجل الأمور * وبيّنت له الصدق من الزور * وقد كان مال إلى ضلاله * وسوء أفعاله * فأنقذه الله وللحق عرف * وذلك الشيطان فرّ هارباً وانصرف * ولم يمكث غير ساعة في القرية ومضى * وعلى لحيته ألف لعنة وخَزْيه *

٩،٧ وأخبروني جماعة أنّه أفسد عقول خلائق كثيرة وهو يدخل عليهم بأمور الحقيقة بحيث أنّه لا يدري حقيقة ولا شريعة وكان إذا رأى ثوراً أو بقرة يقول أنت الله أنت هو ثمّ ينشد [وزن غير معروف]

حُـبَيِّبي عـمّ الوجود
وقد ظهر في بيض وسود
وفي نَصـارى مع يهود
وفي كلاب وفي قـطط

ولا يدري معنى هذا الكلام * ولا القصد من هذا النظام *

١٠،٧ ثمّ إنّ هذا الشقيّ غاب عنّي أياما * وأراحني الله منه أعواما * ثمّ ساقته التعاكيس الأزليّه * والدواهي والبليّه * وجمعتني على تعريصه وهو مريض في وُجاق قهوة راقد على الجلّة والرماد وعليه قطعة جبّة لم تستر ما عدا أكتافه لا غير وباقي جسده مكشوف وقد طال شعر رأسه وانقلبت عيناه وطالت أظافيره واسودّ جلده وبان عليه الخزي الأبديّ والمقت من الله تعالى بعد الثياب الفاخرة والهيبة الحسنة ثمّ زاد عليه ذلك المرض فقام إلى بيت الراحة فقُبِض عليه فما أخرج منه إلّا ميتّاً وأُخبِرتُ أنّهم لم يروا له قبرًا إلّا جانب حائط بجوار تربة خراب فلمّا حفروا رأوا بنيانًا ففتحوه فإذا هو مرحاض قديم فدفنوه فيه فعاش خرى ومات في الخرى وقلت فيه [خفيف]

أَهْلَكَ اللهُ مُلْحِدًا كان نَحْسًا على الوَرَى
عاشَ في القَيْءِ والرَّدَى ماتَ في الخِزْيِ والخَرَى

فانظر رحمك الله بعين الاعتبار * إلى ما حصل لهذا المُضِلّ الغدّار * وهذه الأحوال الذميمة الّتي أوجبت له سوء ختامه

١١،٧ (ودخل عليّ رجل من الفقراء) عليه مَلْبَس حسن وله شعر مرخيّ على أكتافه فأجلسته وأكرمته إلى أن توجّه إلى حال سبيله ثمّ جاءني بعد أيام فقال يا سيّدي عندي الليلة جماعة من الفقراء فأنت تحضر ليحصل لك الثواب ومزيد الإكرام فاعتقدت صلاحه فحضرت معه إلى منزله فأدخلني بيتاً مُظلِماً وأغلق عليّ الباب وغاب عنّي ساعة ودخل ومعه جماعة محلّقين الذقون ومعهم القرون فسلّموا عليّ وجلسوا ثمّ غاب وأقبل ومعه امرأة جميلة الذات حسنة الشكل لطيفة القدّ صبيحة الوجه تخطر في الحُلَى والحُلَل فقال لها سلّمي على إخوانك الفقراء وأكرميهم وتلطّفي معهم وأكرمي الشيخ بزيادة فلما نظرتُ إليها ونظرتْ اليّ قالت هو على قَدَمنا وطريقتنا قال نعم ثمّ إنّها صارت تجلس في أحجار القوم وتُظْهِر الغنج والشهيق وأفعال النساء حالة الجماع وتقول الله الله فيقبّلها الرجل منهم ويضمّها إليه إلى أن أقبلت عليّ وجلست على أفخاذي فاعتراني الخجل وسار عليّ العرق من الحياء من هؤلاء فتكلّموا بلسانهم

الذي يعرفوه ثمّ نظروا إليّ شذراً وتقلّبت أعينهم فتحقّقت منهم ذلك فقلت للذي عزمني الضيافة ما هذا الحال فقال لي سِرّاً كن معنا وإلّا تموت واحضنها وقبّلها ففعلت ذلك وأنا في حالة لا أشعر بما فعلت ثمّ إنّهم قالوا له ما بال هذا الشيخ توقّف أوّلاً واعتراه الخجل الله أعلم أنّه ليس على مذهبنا وهذا يُبيح بسرّنا فقال لهم لا تقولوا ذلك إنّما هو قادم على أول السلوك فقالوا لا نصدّقك حتّى فعل في هذه قبلنا بحضرتنا وإلّا قتلناه فعند ذلك ألزمني بالزناء فيها فزاد عليّ الخجل وحلّ بي الكرب فتحيّلتُ عليهم بأنّي محصور بالبول وتركت عندهم الفوطة وبعض حوائج وخرجت من البيت فرأيت برّا البيت طاقة واسعة عن يميني إلّا أنّها مسدودة بالطوب لكن رُصّ من غير بنيان وأنها تُطِلّ على خَرّارة زاوية والزاوية على الطريق فألقيت الطوب بيدي فنزل في الخرّارة ونَطّيْت من الطاقة في الخرارة وطلعت أجري من جنب الزاوية فرآني مُقَدَّم الدَرَك وكان من نسائبي ويدّعي لي بالقرابة فقال لي ما نابك وما هذا الحال فأخبرته بالقضيّة فهجم عليهم ورأى المرأة عندهم فقبض على الجميع وأسلمهم للحكام وأخذت أنا ما تركته من الحوائج وكان لهم ضَجّة عظيمة وحصل للمرأة غاية الضرر ولولا أنّ زوجها من أعيان الناس وإلّا كانوا أهلكوها فنعوذ بالله من أحوالهم ونتبرّأ إليه من أفعالهم ونسأل الله تعالى السلامة من ضلالهم ومكرهم وقد أفتى بعضهم أنّ قتل رجل من هؤلاء الطائفة أفضل عند الله من قتل سبعين كافر حربيّ لأنّ الحربيّ كُفْره قاصر عليه وهؤلاء ضلالهم متعدّي فهم ضالّون مُضِلّون

١٢،٧ (وسمعت أنّ رجلاً كان في ثغر إسكندريّة يدّعي علم الغيب وهو في لبس الصوف) ومتخلّق بأخلاق الصالحين وكان كلّ من أتاه وسأله عن شيء ضاع له أو سُرق يخبره بخبره ويدُلّه على محلّه ومَنْ أخذه فأقبلت إليه الناس واعتقدوه وعظّموه وحازَ أموالاً كثيرة إلى أن أماته الله تعالى فدفنوه وعملوا عليه قبّة عظيمة وصار الناس يزورروه ويتبرّكوا به فتخلّف بعده ولد صالح وكان هذا الولد يتعجّب من فعل أبيه وإخباره المغيّبات ولا يعرف ما السبب إلى أن دخل يوماً إلى القاعة التي كان يجلس فيها والده فرأى في جانبها رخامة كبيرة وفي وسطها حلقة من الحديد فقبض على الحلقة

ونزع الرخامة بقوّة فقلعها فرآها على باب طابق نازل في الأرض وفيه سُلَّمٌ فنزل من على السلّم إلى أن انتهى إلى محلّ متّسع وفي وسطها سِنْدال من الحديد وبجانبه مِطْرَقة من الحديد أيضاً قال فتعجّب وأخذ المطرقة وطرق بها على السندال وإذا بالقائل يقول نعم يا سيّدي فأرهب الولد وقال له ما تكون فقال يا سيّدي أنا خادم أبوك الّذي مات وأنا الذي كنت أخبره المغيّبات فإذا سُرِقَ من أحد شيء فيأتي ويطرق السندال فأحضر إليه وأخبره به وكلّ حاجة أرادها فهذا السندال رَصَدٌ عليّ هو والمطرقة فإن أردت يا سيّدي أن تكون مثل والدك تطيعني وتفعل ما آمرك به في كلّ يوم وأنا أخبرك بكلّ شيء سألوك منه الناس فقال له وما كان والدي يفعل لك قال كان كلّ يوم ينزل إليّ ويطرق السندال فأحضر فيسجد لي سجدتين من دون الله تعالى وأخبره فقال الولد أعوذ بالله من ذلك ومات أبي على هذه الحالة قال الجِنّي نعم فقال لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم مات كافرا ثمّ إنّه خرج وتوجّه إلى أفندي المدينة وقال يا مولانا مرادي هدم القبّة التي على قبر أبي وإخراجه من القبر وحرقه بالنار فقال له ولماذا قال لأنّه مات كافرًا وأخبره بالقصّة وأظهره على الرصد واستنطق الجنّي فأخبره كما أخبر الولد فتحقّقوا أهل المدينة أنّه مات كافرًا وهدموا قبّته وأخرجه ولده وحرقه بالنار وكتب على أثر قبره كم من قبر يزار * وصاحبه في النار * فنسأل الله السلامة في الدنيا والعبادة على يقين وأن يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحقّ * وساروا على قدم الصدق * وعرفوا الله بخلوص النيّات * وترك المحرّمات * ومنع الشهوات * والقيام على قدم المجاهدات * وترك الفضول * واتّباع ما جاء به الرسول * فهؤلاء الطائفة المتّقون * والجماعة الموحّدون * ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * فليس الفقر بلبس الثياب والطُرَح * ولا بالصوف والسُبَح * وإنّما الفقر ترك الأسباب * وملازمة المحراب * واجتناب الناس * وموت الحواسّ * قال سيّدي عليّ وفا [وزن غير معروف]

ما الفـقـرُ بالدرفاسْ ولا الخَنّاسْ
ما الفـقـرُ إلا كاسْ موت الحواسْ
فكن به موصوفْ والبس صوفْ
لو[1] الصلاح في الصوفْ طار الخروفْ

١٣،٧ (نادرة) حلف شخص أنّه لا يزوّج ابنته إلّا لحمار فأفتاه رجل من العلماء أنّه يزوّجها لمغنّي فقراء فإنّه في حُكْم الحمار

١٤،٧ وقيل لفقير من فقراء الريف ما مذهبك فقال أنا مذهبي يا نصر يالحرام وكلّ من قال يالسعد يالجدام قتلته

١٥،٧ (وسئل رجل منهم عن الفقر) فقال ما دام الفقير يَفْقُر وسبحته في رقبته وإبريقه في كتفه هو فقير حقّ إن صلّى وإلّا ما صلّى

١٦،٧ (ومرّ رجل من فقراء الريف ومعه تلميذه) فمرّوا على غيط فول أخضر فاشتهى التلميذ أن يأكل من الفول فأخبر شيخه فقال له انتظر لا يأتي أحد من الناس وأنا أدخل إلى الغيط وأجب لك منه ما تريد قال فوقف التلميذ يحرس شيخه ودخل الشيخ وجمع له ما يكفيه من الفول الأخضر وفضل معه بقيّة ليفرّقها الشيخ على أصحابه لمّا وصل إليهم ثمّ إنّهما سارا فرأى التلميذ في طريقه نخلة حاملة من الرُطَب فقال لشيخه قد اشتهيت الأكل من هذا الرطب فقال له اطلع إليها يا ولدي وأنا أقف أحرسك حتّى تأخذ منها ما يكفيك فطلع التلميذ وأكل وأخذ منها جانب ونزل وسار هو وشيخه إلى أن طلعوا قرية فرأوا فيها مولد عظيم وفقراء قائمين فيه بالذكر وضرب الكفوف قال فنزل هذا الشيخ وتلميذه في وسط الجمع وهام ودردش باللسان * وأظهر الزُور والبُهتان * وقال [طويل]

[1] بي: لو أن (كذا في ك با م ولا يوجد هذا الجزء من النص في ب).

تجرّدَ لها عَلاّمُ في عَشْوَةِ[1] الدُّجى جَنَى تَمْرَها والغافلينَ نيامُ

وكان تلميذه سميّ علاّم فأجابه يقول [طويل]

سَعَدَ بِها شَيخي وفازَ بِما طَلَبْ وَعادَ وفرّقْها وَنالَ المَواهِبْ

قال فلمّا سمع القوم كلام الشيخ والتلميذ صرخوا وهاموا وضربوا بالكفوف وأزبدوا وأرعنوا وترجموا باللسان ولم يعرفوا حقيقة الأمر ولا ما قصد هذا الفقير في كلامه هو وتلميذه والحال أنّه أخبرعن السرقة من الفول الأخضر وطلوع تلميذه النخلة وأخذ الرطب منها فلو كان لهؤلاء الطائفة اطّلاع على الحقيقة أو كشف صريح أو قدرة صادقة ما حصل لهم الوجد والهيام *على شيء من السرقة حرام*

١٧،٧ (وأخبرني بعض العلماء أنّ بعض الفقراء كان جالساً في قرية من قرى الريف فحضرت الصلاة) وكان هذا الفقير جالس في القبلة وعليه طيلسان وجبّة من الصوف حسنة وعمامة كبيرة وهو أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب فأقيمت صلاة العشاء فقالوا له أهل القرية صلّي بنا فنفخه الشيطان وتقدّم إلى المحراب وقرأ الفاتحة ثمّ قرأ بعدها هذا الكلام قالوا لها يا مريم دا جاكي منين قالت جاني من عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني بذلك قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الآية ثمّ إنّه ركع وتمّ الصلاة فانظر إلى جهله وجرأته على القراءة من غير معرفة وتبديل كلام الله تعالى من غير علم

١٨،٧ (وأخبرني بعض العلماء أيضاً أنّه دخل مسجداً فرأى فيه جماعة من الفقراء) قال فجلس هذا العالم يعظ الناس فسمع رجلاً من هؤلاء الفقراء يقول ما بقي في الدنيا علم ولا علماء ما كان إلّا شيخي الّذي علّمني الفقر والطريق كان شيخ مليح يعدّي البحر على السجّاده وعلّمني علوم مليحه قال هذا العالم فلمّا سمعت ما قاله قمت إليه وقبضت على لحيته وقلت له مثلك من يقول ما بقي في الدنيا علماء ولا علم ولكن لا أَفْلِتُك من يدي

١ بي: عشو؛ ك با: عشو؛ م: عشوة [؟]

حتّى تقرأ الفاتحة إن كان عندك معرفة مثل ما تقول قال فاعتراه الخجل وانكرب منّي وأراد الانفلات من بين يدي فحلفت لا أطلقه حتّى يقرأ الفاتحة فقال بسم اللّٰه الرُحمن الرُحيم برفع راء الرحمن والرحيم الحمد للّٰه مالك العالمين وهادم الصراط يوم الدين الّذين أنعمت عليهم يوم الضالّين آمين هذه القراءة الّتي قالها كما أخبرني بها هذا الرجل الصالح قال فقمتُ عليه بالسبّ والضرب وقلت له من علّمك هذه القراءة فقال شيخي فقلت له أحَيٌّ هو قال لا بل مات قلت وهل علّمك شيئاً غير هذا قال نعم لمّا قرب موته قال لي يا ولدي أنا ما نلت هذه المراتب وصار لي بدايات وسبحة وإبريق وديك وعلّيقة إلّا بوِرْد كنت أقوله عند النوم كلّ ليلة فقلت له يا سيّدي علّمني هذا الورد فقال لي قل كلّ ليلة عند النوم سبحان العتّاب سبحان البوّاب سبحان التوّاب الصبّاب الكتّاب فحفظته من شيخي وأنا أقوله لهذا الوقت قال فقلت له قاتل اللّٰه الأبعد ولا تغمّد شيخه برحمته ما كان أقبح صلاته وأشنع تسبيحه قال ثمّ إنّه لاطفني وخضع إليّ وكسر النفس فعلّمته الفاتحة ومنعته من هذا التسبيح الشنيع ومضى إلى حال سبيله

١٩.٧ (ويقرب من هذا المعنى ما أخبرني به بعض الفضلاء أنّه دخل قرية من قرى الريف قبيل الفجر) فسمع رجلاً من الفقراء على رأسه قحف طويل وهو يسبّح ويقول سبحان اللّٰه عدد كلاب الأجران سبحان اللّٰه عدد فراخ الجيران سبحان اللّٰه عدد قَوَقع الغيطان وصار يسبّح من هذا الكلام وأضرابه فحلف هذا الرجل أنّه لا يصلّي الفجر في هذه القرية وصلّى في قرية أخرى

٢٠.٧ (وتشاجر فقير مع تلميذه) وصار يضربه ويشتمه فقال له رجل صالح اخش اللّٰه ورسوله وارفق بالتلميذ فقال له من جهله يا رجل اللّٰه ورسوله ما لهم شيء في طريق الفقراء طريق الفقراء شيء وطريق اللّٰه ورسوله شيء قلت وهو صادق في قوله لأنّ طريقهم طريق الشيطان * وطريق اللّٰه ورسوله هي قواعد الإيمان * وسلوك شريعة سيّد ولد عَدْنان *

٢١،٧ (وكان بعض الفقراء يهوى تلميذًا جميلًا) على أنّه لا يقدر على مخالطته خوفًا من شيخه فلمّا مات الشيخ أخذ ذلك الفقير المشيخة وجلس على السجّادة لأجل ذلك التلميذ حتّى يحظى به فلمّا راق له الزمن واختلى به قال له ما كان يفعل معك الشيخ الذي كان قبلي إذا اختلى بك قال كان يبوس ويعنّق ثمّ يلقيني على الأرض ويكشف عن القبّة البيضاء المعلومة ويبوسها وينقر عليها ويقول قَدَرْنا وعَفَوْنا ثمّ يقوم عنّي فكانت هذه طريقته معي فقال له هذا الشيخ وأنا الآخر أفعل معك مثله وأكون على قدمه انطرح يا ولدي على الأرض قال فرقد التلميذ على وجهه وكشف هذا الشقيّ عن ردف أبيض مربرب سمين * مثل قول المثل حرير في عجين * قد زالت عنه الخشونه * وصار أبا جَهْل في الغِلْظة والنعومه * كما قال فيه بعض واصفيه [طويل]

أبو طـالِبٍ في كَفِّهِ وخُـدودُهُ   أبو لَهَبٍ والقَدُّ منه أبو جَهْلِ

ثمّ إنّ هذا الشقيّ لمّا رأى هذه القبّة العظيمة المشوَّبة بالحُمْرة وهذه الوجنات المضرَّجة بالخَفَر نقر عليها بيده وباس وعنّق فانتصب أيره واشتدّ * وقام عليه وامتدّ * وطلب الأنس والصفا * ونيك هذا الجمال بلا خفا * لأنّ بعض الحكماء قال التقبيل زرع والنيك حصاده فالعاشق لا يشفيه بعد التقبيل من المحبوب * إلّا النيك المطلوب * كما قال شريك * لا يشتفي العاشق بالبوس والغنج حتّى ينيك * قال ثمّ مسك هذا الشقيّ التعيس * المفترق من فَيْض إبليس * أيره ونقر به على ردف الغلام * وهو في وجد وهيام * وقرّبه إلى الباب * ودفعه من غير حجاب * فلم يمنعه إلّا الخصيتان * فصاح التلميذ الأمان الأمان * ثمّ ناداه ما كان شيخي يفعل هذا الأمر ولا يجاوز هذا القدر فقال له اسكت يا ولدي كلّ شيخ له طريقه * وكلّ إنسان له حقيقه * وهذا مقام لم يصل إليه شيخك فاصبر فإنّ الطريق صعبة لا تنقطع إلّا بالتحمّل والصبر على المكارِهِ والشدائد * وترك العَذول المُعانِد * ولم يزل معه على هذا القدم التعيس * والمسلك الخسيس * حتّى انقضى أمره على دين والده إبليس *

٢٢،٧ (ومرّ بعضهم بامرأة صوفيّة) وهي تصلّي فاستقبلها بالنيك من خلفها لمّا ركعت فصبرت حتّى تمّ أمره وبلغ صفاءه وخرّت إلى الأرض وسجدت وتَحَتّ وسلّمت والتفتت إليه وقالت له يا بطّال أتظنّ أنّ فعلك هذا يَشْغَلني عن الله وعن إتمام الصلاة فانظر إلى جهل هذه المرأة وإلى شقاوة هذا الرجل وجرأتهما على الفعل القبيح

٢٣،٧ (وذكر لي سيّدي عليّ السقّا) المدفون بثغر دمياط نفعنا الله ببركاته يقول أضافني جماعة من الفقراء الخوامس في بعض الليالي فأكرمتهم تلك الليلة وناموا في الزاوية ثمّ قمت أصلّي تباشير في الليل فتيقّظوا فرأوني وأنا أصلّي فقالوا لي يا سيدي بلغت إلى هذه الرتبة وتصلّي وتصوم وأنت قد سقط عنك التكليف قال فقمت عليهم بالسبّ والشتم لمّا تحقّقت أنّهم من الخوامس وقلت لهم يا أشقياء كلّ قولٍ رَدّ * وكلّ طريقٍ سَدّ * ولا وصول * إلّا بما جاء به الرسول * وحلفت أنّهم لا يمكثوا عندي بقيّةً الليلة وأخرجتهم من الزاوية وحمدت الله تعالى على خروجهم من عندي

٢٤،٧ (ودخل بعض الفقراء المتلبّسين على العارف بالله تعالى سيّدي عبد الوهّاب الشعرانيّ) نفعنا الله به فصار يترجم بين يديه باللسان ويُرْغي ويُزْبِد وهو في حالة مكربة فلمّا صحي من السَكْرة الشيطانيّة قال له سيّدي عبد الوهّاب أتعرف فروض الوضوء فقال يا سيّدي هذا كتاب ما قرأت فيه قطّ فقال له قم واخرج من عندي وتعلّم شيئاً في الدين تنفع به غير هذا التلبيس الّذي أنت فيه فخرج من عنده في غاية الخِزْي والخجل والفضيحة

٢٥،٧ (وسئل بعض الفقراء أَهَلْ تعرف الصلوات الخمس) فقال أعرفهنّ بعقدانهنّ وجعدانهنّ وما بقي يغباني فيهنّ إلّا الفاتحة والحجبات الّي يقولوا عليها الناس

٢٦،٧ (وسأل بعض الفقراء المتخوبشين أخينا في الله تعالى الشيخ عليّ حبشيّ الشربينيّ) كان الله له عن منام رآه سوّله له الشيطان فقال له رأيت فرساً شهياً وعليها سرج أخضر فما تكون هذه لعلّها النجيبة الّتي تركبها الأولياء فقال له الشيخ عليّ إن صَدَقَتْ رؤياك فإنّها نخلة خضراء تملكها لأنّ النخلة رأسها بيضاء وعروقها خضر فالفرس هي

النجلة والعروق السرج والزبل وكان هذا التعبير من لطافة أخينا الشيخ عليّ لأنّ هذا الفقير أراد أن يوافقه على التلبيس والخوشة فلم يوافقه فجزاه الله خيراً

٢٧،٧ (وبذكر هذا المنام ذكرتُ ما اتّفق أنّ أبا نواس) دخل يوماً مجلس هارون الرشيد فأقبلت عليه عِنان جارية الناطفيّ وعليها حُلّة خضراء وكان يُضرَب بها المثل في الفصاحة والملاحة فقال لها أبو نواس يريد معها المداعبة والملاعبة رأيت الليلة في منامي كأنّي ركبت فرساً شهيّاً عليها جُلّ أخضر فقالت له إن صدقت رؤياك فإنّه تدخل في استك نجلة وتصير عروقها خارجة قال فخجل أبو نواس من قولها وانصرف

٢٨،٧ (واتّفق أنّ جماعة من الفقراء عملوا سماعاً) ودخلوا مسجداً يناموا فيه وكان فيه جماعة من الفقهاء يتلون في كتاب الله تعالى فقام رجل من هؤلاء الفقراء وقال لهؤلاء الفقهاء أنتم طول الليلة تقولوا قاقا قاقا خلّوا الفقراء تنام ثمّ بعد ساعة تيقّظ شخص منهم وقال بعلوّ صوته [طويل]

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ غَيَّرتَ حالتي وخَلَّيْتَني بَيْنَ العِبادِ ذَليلُ

فقاموا كلّهم وزعقوا وهاموا ورقصوا وضربوا بالكفوف فقاموا إليهم الجماعة الفقهاء وصاروا يضربوهم ويلعنوهم ويقولون لهم يا أشقياء عملتم كلام الله قاقا قاقا ولمّا زعق الخبيث ألا يا غراب البين هِمتم وزعقتم وصار لكم وجد وهل يا أشقياء الغراب يقول إلّا قاقا قاقا ثمّ إنّهم أخرجوهم من المسجد على أيشم حالة

٢٩،٧ (ونظير ذلك ما أخبرني به بعض السادة الأشراف بالمحلّة الكبرى) بمنزل العلّامة الشيخ عبد الحقّ العَبدِلاّويّ رحمه الله تعالى أنّ بعض الإخوان عزم عليه ليلة وكان عنده جماعة من القُرّاء يتلون في كلام الله تعالى ثمّ حضر جماعة من الفقراء إلى منزل الرجل المذكور وأرادوا الذكر ومال صاحب المنزل إلى إبطال الفقهاء فنهاه حفظه الله وقال له القرآن أفضل وهؤلاء الجهلة لا يعرفوا شيء في الذكر ولا غيره فقال له صاحب المنزل إنّهم عارفون مشهورون بالولاية فقام رجل من أتباع السيّد وقال

لصاحب المنزل ولمن حضروا أنا أبيّن لك جهلهم ثمّ إنّه قام يمشي حتّى وقف في وسطهم وغنّى وقال يصف قردًا [رجز]

لُو مَخْطَمَهْ مِنْ جِلْدْ وأَزْرارْ مِنْ وَدَعْ والطَّبْـلُ دايـَرْ ـفي الِلادْ وَراهْ

قال فقاموا وقعدوا وأرغوا وأزبدوا وقالوا اللّهم صلّ وسلّم عليه وفهموا بجهلهم أنّه يصف الرسول فضحكوا عليهم وتبيّن لصاحب المنزل جهلهم فقام عليهم وأخرجهم من منزله وأبقى الفقهاء يتلون في كتاب الله إلى الصباح

٣٠،٧ (وعشق بعض الفقراء غلامًا) فأراد الخلوة به فلم يتمكّن منه ذلك فدخل إلى طرق الحيل والمكر وصار يترجم باللسان زور وبهتان ويخبر عن أراض بعيدة ويدخل وسط الجمع ويَشْخَصُ بصره إلى السماء ويقول شي لله انظروا يا محجوبين الأولياء طائرين فوق النجائب ثمّ يصيح ويقع على الأرض ويقول يا فقراء النجائب أقبلت من الشرق والغرب فيقبّلون يديه ويلتمسوا الدعاء فلما رآهم الغلام على هذه الحالة اعتقد أنّه وليّ فقال في نفسه أنا لي مدّة أخدم شيخي ما رأيته يقول شفت ولي ولا نبي ولا أوراني لا أولياء ولا نجائب إلّا يقول لي صلّي وصوم على هذه الكيفية والأولى أني أخدم هذا الفقير لعله أن يطلّعني على الأولياء العارفين وأهل النجائب الطيّارين ثمّ إنّه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقيّ الخبيث وقال له يا سيّدي جئتك طائعًا ولأمرك سامعًا وقد تعبت من شيخي وهو يقول لي صوم صلّي واعبد ربّك الّذي لا إله الّا هو ولا أرى منه بركة وأنا مرادي أنظر إلى الأولياء الطيّارين وأصحاب النجباء العارفين وأرباب النجائب السالكين وأركب على النجائب الخضر فقال له هذا الشقيّ يا ولدي اعلم أنّ الطريق ليست بصوم ولا بصلاة ولا عبادة فأنت تريّح نفسك من هذا التعب وأنا أصبّ لك عمود النور في بطنك فتنظر سائر الأولياء من وقتك وتقبل عليك النجائب الخضر تركب منها ما شئت وتشاهد الملكوت العُلْويّ والسُفْليّ فقال له يا سيّدي ومتى تصبّ لي عمود النور هذا فقال له حتّى أدبّر لك ماء الحياة فقال له وما يكون ماء الحياة فقال له شيء أبيض يجري في قصبة الذكر

عند حصول الوجد للفقير وعند الخَلْوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفَّل لا يعرف شيئاً من هذه الأمور فقال له قم بنا إلى الخلوة فأخذه ومضى إلى أن صارا في خلوة العكس والخمول ومحلّ الفسق والفجور فقال له انطرح على بطنك حتّى أصبّ لك عمود النور فانطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقيّ يترجم ويهمهم ويرغي ويزبد ويظهر الزور والبهتان * والنزع الواقع من الشيطان * ثمّ إنّه كشف عن ردف الغلام * فازداد به الوجد والهيام * واشتعلت في قلبه النيران * وقام عليه الأعور الجبّار فحطّه على باب تلك القُبّة المشيَّدة الأركان * المرخَّمة الألوان * ودكّه فلم يمنعه إلّا الخصيتان * فعند ذلك صاح الغلام الأمان الأمان * فلم يفلته حتّى قضى منه المراد * والغلام معه في همّ ونكاد * فأنشد يقول [طويل]

كَفَى حَزَنًا أَنْ لا نَجَائِبَ خِلْتُهَا ولا أَوْلِيَا إلّا القَبَائِحُ والذَّمُّ

ثمّ قام الغلام من تحته وصار يضربه ويشتمه ويلعنه ثمّ تركه واستوفى ما عليه الله قدّر وقضى فانظر إلى هذا الخبيث وشدّة تحيّله على الفعل القبيح قاتلهم الله أجمعين

٣١،٧ (وكان لبعضهم زوجة تدّعي الزهد والعبادة والورع الفشرويّ) وتغطّي وجهها من القمر وتقول هذا ذكر ولا تتوضّأ من الإبريق وتغطّي وجهها من الكلب والحمار والبغل وكلّ مذكَّر من جماد وحيوان وتدّعي الورع الفشرويّ وإذا خرج زوجها من عندها تغلق الباب وتسدّ خروقه بمُشاق ودائماً في صراخ وصياح وكلما قامت أو قعدت تقول الله الله فاتّفق أنّ زوجها حضر في مجلس عند رجل من الأكابر وفيه جماعة من إخوانه فذكروا الرجال الصالحين والنساء الصالحات فقال زوجها بطّلوا هذا الكلام فما من هذا الزمان أصلح من زوجتي ولا أورع منها ولا أكثر عبادة فإنّها تغطّي وجهها من القمر من شدّة ورعها ومن كلّ مذكّر وتفعل كذا وكذا وصار يثني عليها بحسب ما شاهد هو منها قال فقال له صاحب المنزل والله يا فلان ما في هذا الزمان أبدع ولا أقحب ولا أنجس من زوجتك قال فاشتدّ به الغيظ وقال له تَقْذِف

زوجتي وأنت لا تعرفها ولا رأيتها فقال له بل والله أعرفها واجتمعت بها مراراً على الأنس والصفاء أنا وغيري فقال له زوجها تثبت ما تقول بحضرة هؤلاء الأكابر وإلّا ما يقع بيني وبينك خير فقال له تبات عندي هذه الليلة أنت والحاضرين وأنا أبيّن لك قحبها وشقاوتها قال نعم وأنا أطيعك في ذلك فقال له امضي في هذه الساعة وقل لها أنا مرادي أبات في القرية الفلانيّة لأمرضروريّ وائتني أخفيك في محلّ عندي في القاعة التي نجلس فيها ويبان لك الحقّ من الباطل قال فمضى زوجها من وقته إليها وقال لها مرادي أبات هذه الليلة في القرية الفلانيّة لمصلحة ضروريّة قال فلمّا سمعت كلامه صرخت وبكت وولولت وقالت له كيف تتركني وأنا أخاف من القطّ إذا نطّ ومن الكلب إذا مشى على الحيط ومن خيال القمر وغيره فقال لها أمر الله ولا بدّ من ذلك وربّما يستر الليلة فقالت لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم اقفل الباب وقامت سدّت خروقه وصارت تصيح وتقول الله الله استر يا رب حتّى يعود زوجي ثمّ مضى زوجها إلى الرجل صاحب المنزل وأخبره فقال له اجلس إلى أن يدخل الليل فجلس هو وبقيّة الجماعة إلى أن أقبل الليل وحضر العشاء فأكلوا وشربوا ثمّ إنّه قال لزوجها قم معي حتّى أبيّن لك قحب امرأتك وبدعها وشقاوتها فأجلسه في محلّ مظلم بعيد عن من في الحضرة في صدر القاعة وفيه طاقة تطلّ على من في القاعة بحيث من فيه يرى من في المحلّ ولا يرونه لكونه في ظلمة شديدة ثمّ إنّ صاحب المنزل قال لبعض غلمانه تعرف بيت فلانة قال نعم فقال امض إليها وقل لها سيّدي عنده جماعة من الأكابر وبلّغه أنّ زوجكي توجّه إلى القرية الفلانيّة ومراده الاجتماع بك لأجل الأنس والصفاء والبسط والانشراح لإخوانه قال فمضى الغلام إلى دارها وطرق الباب فقالت له من أنت فقال غلام فلان وأخبرها بما قال له فقالت السمع والطاعة اقف حتّى أمضي معك ثمّ إنّها قامت وتعطّرت وتكحّلت وتزيّنت ولبست أفخر ما عندها وسارت مع الغلام إلى أن أقبلت على المحلّ فرأته ملآناً من الأكابر وتلك الشموع موقودة والمدام والشربات والنُقل والمكارم والمآكل وكلّ شيء حاضر فلمّا دخلت من باب القاعة حسرت عن وجهها وخضعت وساقت القحب والبدع

وخطرت وقالت السلام عليكم فقال لها صاحب المحلّ سلّمي سلام المحبّين فإنّ لنا مدّة ما رأيناك ونحن مشتاقين إليك فقالت يا سيّدي حتّى يسافر هذا التعيس زوجي لا ردّه الله وزوجها يسمع ما تقول ويرى ما تفعل قال ثمّ إنّها صارت تقعد في أحجار القوم وهم يقبّلونها ويعانقونها وهي تشهق وتغنج وتظهر القحب والسَوَس إلى أن اشتهوا الفعل منها ففعلوا كلّهم فيها وزوجها يرى ذلك حتّى كاد يموت من الحياء والخجل ثمّ بعد ذلك قال لها صاحب المنزل يا ستّي عندنا رجل من الأكابر غريب إلّا أنّه يستحي أن يفعل شيئاً بحضرتنا وهو في محلّ في صدر القاعة فأنتي تجابريه بحضن وبوسة ولو كان في الظلام فقالت حباً وكرامة نجبر بخاطره ثمّ إنّه أخذها ودلها عليه فارتمت في حضنه فامتنع منها وخجل فقالت له ما هذا الحياء وهذا الخجل اخلع الوهم وانحظّ وانبسط كلّ هذا وهو في غاية الغمّ منها ومراده هلاكها لكن لا يقدر على ذلك قال فقام صاحب المنزل وأخذ شمعة من الشموع المسروجة وأقبل عليها وعلى زوجها وقال له ليلة مباركة قال فلمّا تحقّقت أنّه زوجها صاحت وخجلت فقال لها يا قحبه يا خاينه أنتي الّتي تستحي من القمر ومن الكلب والحمار وغير ذلك قاتلك الله يا شقيّه وقام عليها بالضرب فصاحت وخرجت هاربة وقام زوجها يجري وهو في غاية الخجل وقال أُشهِدُكم على أنّها طالق ثلاثا ثمّ مضى إلى داره فرآها قد مضت إلى أهلها فأرسل لها حوائجها وأعلم أهلها بطلاقها وخرج من القرية هائماً على وجهه لا يدري أين يذهب من شدّة الفضيحة من أهل البلد ومن أصحابه إلى أن طلع مدينة مصر ليلاً فرأى حانوتاً وقدّامه مَسْطَبة واسعة فقام عليها من شدّة التعب وما قاساه من ألم السفر فقدّر الله تعالى أنّ اللصوص أتوا إلى هذا الحانوت الّذي راقد عليه وفتحوه وأخذوا جميع ما فيه وهو نائم عليه لا يدري فجاء صاحب الحانوت فرأى جميع ما في دكّانه سُرِق ورأى هذا الرجل فدقّ فيه وأقام الصياح وقال هذا سرق حانوتي فأقبل صاحب الشرطة ومسكه وقال له أنت أخذت ما في هذا الحانوت قال نعم فقال لا عذر لمن أقرّ فأخذه وأتى به إلى الملك وأخبره بالقضيّة فسأله الملك فأقرّ فقال له الملك وأين الذي أخذته فقال عند أصحابي فقال له الملك وأين أصحابك فقال

يا ملك أرسل معي أحداً أفتّش عليهم قال فوكّل الملك به جماعة مرسَّمين عليه ودار في شوارع مصر إلى أخير النهار فرأى مجلس فقراء قائم الذكر ورأى شيخهم عليه ملابس حسنة وفي هيئة الصلحاء وهو قائم في وسط الجمع يرغي ويزبد ويترجم باللسان والخَلْق يقبّلوا يديه ويقولوا شي لله فقال هذا الرجل للموكّلين عليه رأيت أصحابي الّذين سرقت أنا وإيّاهم الحانوت فقالوا من هم فقال هذا الشيخ وجماعته قال فنهروه وشتموه وقالوا له تتّهم الأولياء وتدّعي أنّهم لصوص وهذا كلّ المدينة تعتقده وتعتقد جماعته فقال لهم أنتم ما تعرفوا حاله جميع ما راح من الحانوت وغيره ما أخذه إلّا هذا الشيخ وجماعته وهو رفيقي هو وأصحابه في السرقة خذوه للملك يعاقبه وهو يقرّ وأنا شاهد عليه قال فلم يطيعوه وقالوا حتّى نخبّر الملك فأخذوه وأوقفوه بين يديه فقال لهم أين أصحابه فقالوا أيّد الله الملك إنّه ادّعى أنّ شيخ الفقراء فلان وطائفته أصحابه في السرقة وتعرف أن الشيخ مُعْتَقَد المدينة ومن الأولياء فقال له الملك أحقّ ما تقول فقال نعم يا ملك هو رفيقي وجميع ما راح من المدينة فعله هو وجماعته فإنّهم فقراء بالنهار ولصوص بالليل وهم مستّرين بالفقر والمشيخة ولله وللرسول تصديق كلامي وتأتي به وتعاقبه فإنّه يقرّ بما أخذه من قديم وجديد قال فالتفت الملك للوزير وقال له ما تقول فقال له يا ملك الناس كثير ولو لا يعلم أنّه رفيقه ما تكلّم عليه فأمر الملك بإحضار الشيخ وطائفته فطلع في ذكر وأعلام على رأسه إلى أن أقبل على الديوان وصار بحضرة الملك فقال له يا شيخ هذا الرجل يخبّر أنّك سرقت أنت وإيّاه الحانوت الفلانيّ فقال الشيخ معاذ الله يا ملك نحن فقراء لا نعرف إلّا الذكر والعبادة قال فصاح الرجل وقال والله يا ملك هو رفيقي في السرقة عاقبه يظهر لك الحقّ فالتفت الملك إلى الوزير فقال له افعل بما قال الرجل فلولا أنّه رفيقه ما قرّ عليه قال فأشار الملك إلى الجلّاد وقال اطرح هذا الشيخ على الأرض وعاقبه قال فعرّاه الجلّاد من ثيابه وشبّحه في أربع سِكَك ونزل عليه بالضرب المبرّح فصاح الشيخ يا ملك الأمان أخذت ما في الحانوت وكلام الرجل صادق وهو عندي في محلّي قال فأمر الملك أن يهجموا داره فهجموها فرأوا ما سرق من الحانوت وما راح من المدينة من قديم وجديد عنده في مطمورة فأتوا به

للملك فرآه ونادى كلّ من عرف شيئاً سرق له من قديم أو جديد يأخذه وتعجّب الملك من حاله وحال جماعته وقال لصاحب الشرطة خذه هو وجماعته والرجل الّذي قرّ عليه وأشهر قتلهم في البلد حتّى يعتبر غيرهم قال فصاح الرجل المذكور وقال سألتك بالله يا ملك لا تأخذني ظلماً فإنّي رجل غريب وعمري ما طلعت المدينة إلا ليلة أن بِتُّ على الحانوت ولا عمري رأيت هذا الشيخ إلّا في هذه الأوقات واسأله يا ملك فقال الملك للشيخ تعرف هذا الرجل فقال لا والله يا ملك ولا رأيته قطّ إلّا بين يديك وأنا مقتول أنا وأصحابي وما يَحُلّ لي من الله أن آخذ هذا الرجل الغريب في ذِمّتي قال فقال له الملك يا رجل فمن أين عرفت أن هذا الشيخ وأصحابه لصوص فقال يا ملك عرفت بالفراسة والقياس على فعل زوجتي وأحكى للملك على قضيّة زوجته من أوّلها إلى آخرها قال فتعجّب الملك من حسن فراسته وأطلقه وأنعم عليه بجارية حسناء عوض زوجته وجعله من ندمائه وصار يستشيره في بعض الأمور وحصلت له السعادة إلى آخر عمره وكلّ هذا بصدق الكلام وخلوص النيّة مع الله وما يعلم الظاهر والباطن إلّا ربّ العالمين

٣٢.٧ (وقد شاهدت في ثغر دمياط) وأنا ساكن بها سنة ستّة وستّين وألف أنّ جماعة الفقراء المتلبّسين كانوا بالنهار فقراء يظهروا الدين والصلاح وبالليل يتجرّدوا للسرقة وأخذ أموال الناس فيكسروا الحوانيت ويَنْقُبوا الدور فحصل من فعلهم في دمياط للحكّام وأرباب الدَرَك غاية الكرب الشديد قال فقدّر الله تعالى بهَتْك هؤلاء الأشقياء وكشف الستر عنهم فقبضوا أرباب الدرك على رجل منهم وهو يسرق في دار وأتوا به إلى الحكّام فعاقبوه فأقرّ على جماعة مثله من الفقراء فهجموا عليهم وقبضوا البعض منهم وهرب البقيّة وأخرجوا من عندهم شيئاً كثيراً من أمتعة وغيرها وشيئاً له عدّة سنين وصار كلّ من عرف شيئاً يأخذه ورأيت بعيني جميع ما أخرجوه من عندهم وكان يوماً مشهوراً قبّح الله أفعالهم وخيّب الله آمالهم

٣٣.٧ (واتّفق أنّ الأمير مُقَلَّد) رحمه الله تعالى كان مارّاً بموكبه يريد قرية من بعض القرى فرأى رجلاً مقتولاً والدمّ يجري من أوداجه وعروقه ونظر فلم ير أحداً فسار

قليلاً فرأى رجلاً عليه لبس الصوف متقلّد بالسُبَح وهو واقف يصلّي وقُدّامه عُكّازه والإبريق قال فوقف الأمير مقلّد حتّى فرغ من صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشقيّ فقبضوا عليه وأوقفوه بين يديه فقال له الأمير مقلّد يا متلبّس على الله وعلى الناس بالفقر والزوكرة هل يُخفى على الله خافية لأيّ شيء قتلت هذا الرجل الّذي مَرّينا عليه وأخذت ما معه فصار يحلف هذا الرجل ويتضرّع إلى الله تعالى ويدعو على من قتله وقال له يا سيّدي أنا رجل فقير دائر على أهل الخير ألتمس منهم الإحسان فقال الأمير مقلّد فتّشوا حوائجه ففتّشوها فرأوا معه السكّين الّتي ذُبِحَ بها الرجل وعليه الدم ورأوا حوائج المقتول معه قال فأمر الأمير بقتله فقطعوا رأسه ووضعوا على صدره الإبريق والعكّاز والسبح وعلّن أنّه لا يدفن فمكث على قارعة الطريق حتّى جاف وأكلته الوحوش والطيور فكان هذا من شدّة معرفة الأمير مقلّد وقوّة فراسته رحمه الله

٣٤،٧ (وسمعت بعض الملحدين من الدراويش المحلّقين الدقون يقول كلاما يخالف الكتاب والسنّة) إنّ البعث والنُشور والجنّة والنار لا حقيقة لهم وإن الشخص جنّته وناره وحسابه في نفسه وإن الدنيا لا تفنى ولا تزول وإنّما هي شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول أبي العلاء المعرّيّ رحمه الله [وافر]

أَتَى عِيسىَ فَبَطَّلَ شَرْعَ مُوسىَ ... وَجاءَ مُحَمَّدٌ بصلاةِ خَمْسِ
وقالوا لا نَبِيٌّ بَعْدَ هذا ... فَضَلَّ القومُ بَيْنَ غَدٍ وأمسِ
وَمَهْما عِشْتَ في دُنياكَ هذي ... فما تُخَلِّيكَ من قَمَرٍ وشَمْسِ
إذا قُلْتُ المُحالَ رَفَعْتُ صوتي ... وإِنْ قلتُ الصَحيحَ أَطَلْتُ هَمْسي

ثمّ يقول إنّ الشخص إذا طلعت روحه ومات دخلت في جسد من الأجساد من آدميّ أو حيوان حتّى يدور عليها الدَوْر فترجع إلى صاحبها الأوّل فيظهر بصورته الّتي كان عليها أوّلا وهكذا سائر العوالم فانظروا إلى شدّة جهلهم وسوء اعتقادهم قاتلهم الله تعالى

٣٥،٧ (وكان بجوارنا رجل فاضل فأضاف جماعة من المتلبّسين) يعتقد أنّهم من الصلحاء فلمّا فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدّثوا فيما بينهم إلى أن تكلّموا في القرآن فقالوا لجارنا أتزعم أنّ القرآن كلام الله فقال نعم ومَنْ شكّ في هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وإنّما هو كلام بَحِيرا الراهب علّمه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم فلمّا سمع ما قالوا قام عليهم بالسبّ واللعن وعرف ضلالهم وأخرجهم من منزله على أيشم حال نسأل الله السلامة منهم والبعد عنهم

٣٦،٧ (واجتمعتُ برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة) وكنت أعتقده فجلست معه يوماً نتكلّم في فضل العبادة فقال لي يا سيّدي أنا لي عشرين سنة على هذا القَدَم ثمّ قام فصلّى فلمّا فرغ من صلاته توجّه إلى نحو سيّدي أحمد البدويّ نفعنا الله به وقال كن معي يا أبو الفَرَجات وتقبَّل عبادتي ويسِّر لي رزقي فقلت له ما هذا الكلام لا يتقبّل العبادة إلّا الله تعالى ولا يرزق الخلق إلّا ربّ العالمين وإنّما سيّدي أحمد البدويّ رجل من الأولياء لا يُقْصَد بالعبادة ولا بصوم ولا صلاة فمن فعل ذلك فقد أشرك وجعل لله شريكاً فقال لي يا سيّدي إنّما أفعل ذلك عن شيخي الّذي علّمني ذلك قبل موته وكان يقول لي اقصد بعبادتك وصومك وصلاتك سيّدي أحمد البدويّ فقلت له معاذ الله إنّما هو مخلوق والعبادة لا تكون إلّا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلّها فاسدة باطلة هذه المدة ثمّ إنّه تاب على يدي وأنقذه الله من الضلال إلى الهدى وتوجّه إلى الله تعالى وأخلص في عبادته رحمه الله

٣٧،٧ (وحضرتُ مرّة بعض الموالد) فسمعت رجلاً من الفقراء هام في الجمع وغنّى وقال

[رجز]

يا مالِكُ خُذْ مِن لَظَى نارِ مُهْجَتِي   وعَذِّبْ بِها المُذْنِبِينَ حَدالكْ

فأجبته أقول [رجز]

يا هايِفًا خُذ من خراطِيزِ كَلَبْتي ‏ ‏ ‏ واَلْطُخ لِحاكَ والحاضِرينَ وَراكْ

(وعشق بعض الفقراء غلاماً جميلاً) فتحيّل إلى الوصول إليه فلم يمكنه ذلك فجاء ٣٨،٧
إلى رجل أشقى منه وأعرض عليه حاله وشدّة حبّه لهذا الغلام فقال له خذ مُصْران
غنم واملأه زيتاً ولفّه على بطنك من داخل الثياب وأُقفْ في وسط الجمع ودردش
باللسان وخبّر عن الشام وعن شجر الزيتون وأدخل يدك بلطافة وأنت بجانب الغلام وحلّ
المصران وخذ في يدك شيئاً من الزيت وارفع يدك في الهواء فإنّ الزيت يسيل منها
وتكون قد وضعت في جيبك زيتونة خضراء فأخرجها بلطافة وأوريها للغلام وللناس
فيعتقدوا أنّك من الأولياء ويميل قلب الغلام إليك فإذا أتاك وقال لك علّمني الولاية
وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصحّ إلّا بتدبير النقطة الخارقة فإن قال لك ما هي
النقطة الخارقة فقل له هي المَنِيّ ولا يصحّ تدبيره إلّا في الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة
حتّى تقضي منه المراد قال ففعل ما أمره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب
الغلام ودردش باللسان وأخبر عن الشام وعن شجر الزيتون ومدّ يده إلى الهواء فسال
الزيت من يده وأظهر الزيتونة الخضراء فصاحوا الفقراء كلّهم وقالوا شي لله وقبلوا
يديه وجاء الغلام وقبل يده ومال إليه وقال له يا سيّدي أكون معك وعلّمني وأطلعني
على الكرامات والولاية فقال له يا ولدي الولاية لا تُنال إلّا بالنقطة الخارقة فقال له يا
سيّدي وما النقطة الخارقة قال هي المنيّ فقال يا سيّدي ومتى تفعل معي ذلك فقال
له هذا لا يكون إلّا في الخلوة ولا يصح بحضرة أحد فقال له الغلام سر بنا فأخذه
ومضى إلى الخلوة وقال له نام على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقيّ عن ردف ثقيل
* وخصر نحيل * وركب فوقه * ودفع أيره * فما مانعه إلّا الخصيتان * فصاح الغلام
الأمان * ما هذه ولاية قاتل الله الأبعد ثمّ قام من عليه بعد أن قضى مراده وتحقّق
الغلام أنّ هذا كلّه من الحِيَل حتّى وقع له ذلك قال ثمّ سار هو وإيّاه فاعترضهما جمع
فقراء في مولد فنزل هذا الشقيّ في الجمع وترجم وهمهم فقال [وزن غير معروف]

علونا على قبّه مليحه مرخّمه وصبّينا فيها من النور جانب

قال فأجابه الغلام يقول [وزن غير معروف]

ما عُدت تنظرها من اليومِ يا فتى ما عاد لك إلّا التعب والمصائب

قال فزعقوا الفقراء وهاموا وظنّوا أن هذا الفقير وصل إلى قبّة الفَلَك الأعلى ورقي عليها وأنّ الغلام فات مَرْتَبته وحجبه عنها وفاق على شيخه والحال أنّه إنّما رقي على هذا الردف الثقيل * والخصر النحيل * وصبّ في تلك القبّة الدمعة الخارقة * الحارة الحاذقة * وقبّل الخدود * ودفع فيها العمود * فهم في ﴿سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ * ﴿قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ * ولقد صدق من قال وصرح المقال [طويل مع كسر في الشطر الثاني]

يَضال الوَلَدْ مُنصانَ في حُضْنِ والدِهْ ولمّا يدروش يدور نيّالك

أي لمّا يحتوي عليه جماعة من الفقراء أو من طائفة المحدين المحلّقين الذقون أو الطائفة الخوامس قاتلهم الله فيفسدوا عقيدته ويشغلوه عن الدنيا والدين ويدور معهم في التعاسة والخزي والنجاسة حتّى تطلع لحيته فيتركوه خراباً يُلْقَع * لا نيك يشبع * ولا مال يجمع *

ومنهم طائفة لا يعتقون الأمرد ولو التحى وشاب * ويتمثّلوا بقول من قال ويظنّوا أنّه الصواب [كامل] ٣٩،٧

أَهْواهُ طِفلاً في القِماطِ وأَمْرَدا وبِلِحْيةٍ وإذا علاه مَشيبُ

وقول الآخر [طويل]

بِلُوطيٍّ يُدْعَى عاشِقُ المُرْدِ في الوَرَى ويُدْعَى بِزانٍ مَنْ يُحِبُّ الغوانِيا
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِ اللِحاءِ تَعَفُّفًا فَما أنا لوطِيًّا وما أنا زانِيا

٤٠،٧ وهذا بخلاف مذهبنا في المحبّة وسلوكنا في العشق فإنّ الأمرد إذا جاوز الثمانية عشر سنة مجّته النفوس * ولا يرغب فيه إلّا وقت قشل من الفلوس * فإذا بلغ العشرين * أخشن وجهه بيقين * وظهرت لحيته وتغيّر حاله * وعمّه الغمّ وخفي خاله * وصار وجهه مثل قفاه * وتُلِيَ عليه لا حول ولا قوّة إلّا بالله * ولله در القائل [خفيف]

اِلْتَحَى الأَمْرَدُ الّذي كانَ في التِّيه مُسْرِفَا
حَسَنًا كانَ وَجْهُهُ وسَرِيعًا تَصَحَّفَا
سُرَّ ولِلّهِ ناظِري مُذْ رَأَى ذاكَ واشْتَفَى
شَكَرَ اللهُ لِحْيَةً صَيَّرَتْ وَجْهَهُ قَفَا

وقال آخر [خفيف]

سَلَبَ الناسَ بالمَحاسِنِ حَتَّى أَذْهَبَ اللهُ حُسْنَهُ والجَمالا
طَلَعَتْ ذَقْنُهُ وراحَتْ عَلَيْهِ وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتالا

ولوالدي عفا الله عنه مع التشبيه البديع والجناس المصحّف [خفيف]

قارَبَتْ في الطُّلوعِ في الخَدّ ذَقْنٌ أَثّرَتْ ظُلْمَةً قُبَيْلَ النباتِ
كانْتِشارِ الظَلامِ في الشَرْقِ لمّا تَغْرُبُ الشَّمْسُ عِنْدَ وَقْتِ البَياتِ

وأبلغ من هذا قول بعضهم [بسيط]

ما فَعَلَ اللهُ بِاليَهودِ ولا بِعادٍ ولا ثَمودِ
ولا بِفِرْعَوْنَ مُذْ عَصاهُ ما فَعَلَ الشَّعْرُ بالخُدودِ

فالعشق والغرام * لا يكون إلّا لرشيق القوام * حلو الابتسام * من أبناء العَشْر * وذوي اللطافة في الطَيِّ والنَشْر * فإذا بلغ الخمسة عشر سنه * صارت محاسنه لعُشّاقه مَحْسَنه * ولواحظه لعُذّاله مَلْسَنه * وهذا هو الغرض والغرام * والمراد والمرام * ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف * فإنّ حبّهم لدين الهوى مخالف * وقبائحهم بادية * وضلالتهم عاديه * واعتقاداتهم فاسده * وتجاراتهم كاسده *

(وأكبر فعل هؤلاء الطوائف الّذي ابتدعوه * والأمر القبيح الّذي اخترعوه) * مع هذه الأحوال * وارتكابهم الضلال * إذا مات بينهم إنسان غسلوه وكفّنوه * وعلى النعش وضعوه * وتعاطى حمله أربعة أبالسه * كأنّهم من جنس القساقسه * أو من دير الرهبان * أو من جنّ سليمان * فيجرّوا النعش بقوّة باس * وشدّة أنفاس * ويقيموا الصياح والزعيق * ويقولوا طار الشيخ بتحقيق * ويقفوا به في بعض المحلّات يقرّوا فواتح * وتضيع بسببهم المصالح * ويطوفون به حول البلد والمقبره * وهم في ﴿غَبَرَةٌ وعَفَرَه * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَه * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَه﴾ * وربما ساروا به من بلد إلى أخرى * وقد يرجعوا به القَهْقَرَى * وهم في خباط وعياط * وصياح وشياط * وطرد وجنان * ويقولوا شي لله يا شيخ فلان * وربّما زلغطوا النسوان * وأرموا عليه الطُرَح بإمكان * وأخبرني بعض الإخوان * ممّن شاهد الأمرعَيان * أنّهم مكثوا دائرين بميّت من أوّل النهار إلى غروب الشمس * حتّى انتفخ من شدّة الحرّ وصار جلده لا يطيق اللمس * فانظر رحمك الله هذه البدعة الذميمه * والطريقة الشنيعه * الّتي ارتكبوها من غير دليل ولا إثبات * وإنّما هي إثم عليهم وأذيّة للأموات * ولم يرد في حديث ولا كتاب * ولا قال به أحد من أهل الصواب * فسبيل العارف أن يقف على قدم الشرع * ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع * قال صاحب الزُبَد رحمه الله تعالى [رجز]

وَزِنْ بِوَزْنِ الشَّرْعِ كُلَّ خاطِرِ ... فَإِنْ يَكُنْ مَأْمورَهُ فَبادِرِ

وأن لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلّين * وأرباب البدع الملحدين * بل يكون على حذر منهم * وبمعزل عنهم * وإن رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم إن استطاع * وإلّا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع * قال بعضهم لا تصحب إلّا من أعجبك حاله * ودلّك على الله مقاله *

(ولنختم هـذا الجزء بأُرجوزة تتضمّن مـا ذكرناه في هـذه الأوراق * ومـا عـاينّاه من أحوالهـم باتّفـاق) *

كما تقدّم الوعد به عن تحقيق * فنقول وبالله التوفيق [رجز] ١،٨

قالَ الفقيرُ يوسفُ بْنُ خِضْرِ ... لله حَـمدي دائمًا وشُكْرِي ٢،٨

ثمّ الصلاةُ والسلامُ أبداً ... على النبيّ المصطَفَى محمّدا

كَذاكَ على آلٍ لَهُ وصَحبِهْ ... ومَن قَفـا لِدِينِهـمْ وحـزبِهْ

وبَعـدُ إنّي ناظِـمٌ أُرجوزهْ ... لَطيفـةً مُـفيدةً وَجيـزهْ

تُخْـبرُ عَن حالِ ذَوي الرَّذالَهْ ... كَذا عَوامَّ الرِّيفِ لا مَحـالَهْ

فَخُـذْ هَـداك الله ما أقولُ ... في نَظْـمِها وَعَنْـهُ لا تَحُولُ ٣،٨

إذا أَرَدْتَ وَصفَ أهلِ الرِّيفِ ... أهلِ الرَّذائِلِ وَذَوي القُحوفِ

وَغيرِهِـم مِن فُقَهـاءِ الجَهلِ ... كَذا القُضاةِ ناقِصين العَـقلِ

والعُـلَماءِ مِنهـم والخُطَبـا ... وغَيرِهِـم ثـمّ النِسـا والأُدَبا

فـاعلَمْ هَـداكَ الله للصَّوابِ ... لا تَصحبِ الفلاّحَ لاكتِسابِ

ولا لِفَضـلٍ مِنْهُ حقًّا تَعرِفُـهْ ... ولا لأمرٍ مِن مُهِـمٍّ يَكْشِفُـهْ ٤،٨

ولا تُرَجِّ مِنْـهُ نَفْعًا يَحصَـلُ ... ولا تَرَاهُ للشَّـدائِدِ يَحْـمِلُ

وليس يُرْجَى لِقضاءِ حاجَـهْ ... وليسَ تَلْقَى عِنـدهُ لُجاجـه

بل إن قَضاها ويكونُ نادِمًا ... تَلْقَى له وَجهًا عَبوسًا كاشِرا

وَيطلُبَ الأجرةَ في قَضاها ... أو تتَّخِـذُه سَـيِّدًا وَجاهـا

تَصيرُ في خِدمَتِـهِ والنَّفـعِ ... في الحَفْرِ والقَلْعِ وضَمِّ الزَّرعِ ٥،٨

وكُلَّمـا أرَدْتَ مِـنهُ تَخَـلُّصُ ... يَرمِـيكَ في هَـمٍّ له مُـنَغِّصُ

فـاسمَعْ لِقولي إنْ تُرِدْ فَلاّحا ... لِحاجَـةٍ فَما تَـرى نَجـاحا

ولا تُسلّمْهُ على معامَلَهْ فَلَيس يُعطيكَ سِوى المُماطَلهْ
وإنْ تَزِدْ مَعَهُ سَرِيعًا تَخْتَصِمْ يقولُ حتّى اسدُّ مالَ المُلتَزِمْ
وإنْ فَضَلْ م الزرع[1] شيءْ فهو لكْ خذْهُ وإلّا لا تُطَوِّلْ أَمَلَكْ[2] ٦،٨
وإنْ أطَلتَ مَعَهُ المخاصَمهْ أتاكَ بالشّرِّ مَعَ المُلاكَمهْ
ويَسحَبُ النّبُّوتَ والحِزاما ويُلْزِمُكْ بما لَهُ إلزاما
وربّما يَقولُ للمُلتزمِ هذا يُريدُ أنْ يُزيلَ نِعَمي
ويأخذَ الزّرعَ ويَذْهَبْ جُلَّهْ والمالُ يَبقَى يا أميرُ كلَّهْ
واخْرَبْ سَريعًا وتَبورُ الأرضُ مِن حَيِّ فلّاحٍ عليهِ القَرْضُ ٧،٨
فيَمْنَعَ الأميرُ رَبَّ الدَيْنِ عَنهُ ويُصبحْ حائرًا في شَيْنِ
فَليسَ فيهِم أبدًا نجاحُ وليس يُرجَى مِنهمُ صَلاحُ
بل مِثْلُهُم مِثلُ الكِلابِ الجائعَهْ وحَالُهم حالُ الوُحوشِ الرّاتِعهْ
ونَطُّهُم في الوحل ثمّ الجِلّهْ وضَربُهُم للثّورِ ثمّ العِجْلهْ
تَسبيحُهُم قُمْ رُحْ بِنا للسّاقيهْ واحْسِبْ لنا مالَ البلدِ في الزاويهْ ٨،٨
غالِبُهُم عُورَتُه مَكشوفهْ وشِعْرَتُه من طولها مَلفوفهْ
وإنْ نزلْ لِحَفرِ بيرٍ أو قَنا ينزِلُ عَريانًا كما خَلَقْتَنا
وليسَ فوقَ جِسمِهِ ما يَستُرُ بل أيرُهُ مُمَطَّطٌ مُطَرْطِرُ
وفِلْسُهُ للحَرّ والبَردِ بَرَزْ وطيزُهُ مِن الشّقا بها غُرَزْ
رِجلاه لو تَراهُما من القَشَفْ مِثلُ جُلودٍ أُخِذَتْ مِن العُطَفْ ٩،٨
وهَمُّهُم وشُغْلُهُم في الطَردِ في حالَةِ الحَرِّ وَوَقْتَ البَرْدِ
ونَطُّهُم في الحَرِّ في الغِيطانِ كَمِثْلِ نَطّ الوَحْشِ في الوِدْيانِ
وضَمُّهُم للزّرعِ وقتَ القَيظِ مِثلُ عَفاريتٍ أتَتْ في غَيْظِ
وإنْ يُريدوا المزحَ والمُلاعَبهْ مِثلُ كُبوشٍ قد أتَتْ مُحارِبهْ
تَلْقَى لَهُم زَعَقاتٍ مثلَ الرّعدِ وعَفْرَةٍ وغَبْرَةٍ وطَرْدِ ١٠،٨

---

١ بي: من الزرع. ٢ بي: خذه ولا تطوّل أَمَلَكْ.

وعِندما يَجتَمِعوا للكورهْ كأنّهم في غارةٍ أو غَورهْ
مِن كَثرةِ الصِّياحِ والزَّعيقِ والطَّردِ في الزُقاقِ والطريقِ
أولادهم حينْ يِلعبوا للدّارهْ ويَجلِسوا للرَّقصِ والزُمّارهْ
أو يَسرَحوا يُجَمّعون الجِلّهْ أو يَلقُطوا للسَّبَلِ أو رِجْلَهْ
مثلُ عَفاريتٍ أَتَتْ في زَوبَعهْ أو فِرْقَةٍ مِنَ القُرودِ الجائعهْ ١١،٨
صُنانُهم إذ يَلْعَبونَ فائحُ كأنّهُم بَهائِمٌ سَوارِحُ
ولَو تَراهُمْ إذ أتوا يُعَلِّلوا تَعليلَةُ الصِّبيانِ تِلكَ العِلَلُ
وفي المَواسِمْ إن أتوا لِلعيدِ يُعَيِّدوا في النَّطِّ كالقُرودِ
والمُردُ تَرقُصْ بَينَهم كما النِّسا فَعيدُهُم وحَظُّهُم كما الفُسا
طِباعُهُم مِثلُ طِباعِ البَقَرِ عِشْرَتُهُم فيها مَزيدُ الضَّرَرِ ١٢،٨
ونَطُّهُم كَغارَةٍ إذا أتَتْ مِثلَ قُرودٍ في الفَيافي أقبَلَتْ
وقَتلُهُم للنَّفسِ عِندَ الكِلْمَهْ إن قالَ شَخصٌ يا لَضِدِّ الذِمّهْ
شَخصٌ يَميلُ مِنهُمُ لِسَعدٍ ويُظهِرُ البَغضاءَ لَهْ ويُبدي
ثمّ يصيحُ يا لَسَعدٍ يا جُدامِ ودونَكم دا من بني حَرامِ
خذوهُ مِن قَبلِ تَرون باسَهْ ثُمّ اقتلوهْ وأَخمِدوا أنفاسَهْ ١٣،٨
فذا يصيحُ يا لَسَعْدٍ أَسعِدوا وآخرٌ يا لَحَرامٍ أَنجِدوا
كأنّ ذينِ الكلمتينِ عندَهم دِينٌ عليهِ يقتلونَ بَعضَهم
ويُخرِبوا البِلادَ بالغاراتِ ويَقِفوا للقَتلِ في الطُرُقاتِ
وإنْ أتاهُم عَسكرٌ يحاربُ قاموا إلى روس الجِبالِ هَرَبوا
وعندما يَرجِعُ للبِلادِ فَيَرجِعوا للشَّرِّ والفَسادِ ١٤،٨
فلا جَزاهُم غيرُ قَطعِ الرَّأسِ وشَنقِهِم وضَربِهِم والحَبسِ
فَقَسوةُ القَلبِ لهم طَبيعهْ وقِلّةُ الخَيرِ لَهم ذَريعهْ
ومَشيُهم في الحَرِّ مِن غَيرْ وَطا ونومُهم في الغَيْطِ من غيرِ غَطا
وطَردُهم في ظُلَمِ اللَّيالي حَولَ الشُّونْ والجُرُنِ والتِّلالِ

جُلودُهم تَسَخَّمَت بالحَرِّ كأنّهم قد خُلقَت مِن صَخرِ ١٥،٨
ونَطُّهم في الطينِ ثمّ الوَحلِ وضَربُهم للثورِ ثمّ العِجلِ
وحَفرُهم في البيرِ والسَّواقي ومَشيُهم أيضًا بلا طَواقي
وقَد يَصيرُ الشَّخصُ منهُم شَهرًا لا يَحلِقُ الرَّأسَ وقيل عُمرا
ولا يَقصُّ شاربًا ولحيَهْ ولا يُنظِّفُ فِلسَهُ من خَريَهْ
وشِدّةُ الشّخصِ على الخناقِ منهُم وطولُ الشَّرِّ باتِّفاقِ ١٦،٨
وضَربُهُ للأب ثمّ الأُمِّ وصَبرُهُ للحَبسِ ثمّ اللَّطمِ
وأكْلُهُ في العَدسِ والبِسِلَّهْ كمِثلِ أكلِ كلبَةٍ أو عِجلَهْ
ومَن تَراهُ منهُمُ يُصلّي تَراهُ لا يَعرِفُ فُروضَ الغُسلِ
ولا يُميِّز طاهرًا من نَجِسِ ولا يُنظِّفُ ثوبَه من دَنَسِ
وإنْ جَلَسْ يومًا على الفِسقيّهْ يجلسْ وتلقى طيزَهُ مَربيّهْ ١٧،٨
كذاكَ مَنْ بجَنْبِهِ وآخَرْ وذا يخاصمُ وذا يشاجِرْ
وإنْ سَكَنْ في حيّهم ذو فضلِ فَهْوَ حقيرٌ عِندَهم في ذُلِّ
ولا يُطيعوا الشَّرعَ إلّا غَصبًا أو عِندَما قد يأكُلونَ الضَّربا
وهم عَبيدُ قابِضِ الأموالِ فعِندَهم كالعَمِّ أوْ الخالِ
ويَجلسونَ عَندَه في أدَبِ ومَن يَقِفْ منهمْ يكونُ كالصَّبي ١٨،٨
فَليسَ فيهمْ رَحْمَةٌ لعالِمِ إلّا لأهلِ الشَّرِّ والمظالمِ
فالشَّرُّ والعُدوانُ فيهمْ شائعُ والخيرُ والإحسانُ منهمْ ضائعُ
أخلاقُهم تُروى عن ابنِ حَجَرْ طِباعُهم تُروى عن ابنِ بَقَرْ
دَناسَةُ اللِّبس لهُم مَرويّهْ عن ابن شَلْتوتٍ لَهُ معزيّهْ ١٩،٨
ذُقونُهم تُروى عن ابن وَحلِ والضَّرط ابو فَسْوٍ وابنُ زِبلِ
فلا جَزاهُم ربُّنا خيرًا ولا لِقاهُم سِوى الهُمومَ والبَلا
فَقيهُهُم ذو الكُمِّ والعِمامَهْ إذا أتَى كأنّه غِمامَهْ
والعِلمُ عندَ الله ليسَ يُعرَفْ سِوى بِذاكَ الإسمِ حينَ يُوصَفْ

وإنْ جَلَسْ يوماً على الثَّباتِ كأنّه ناطورُ في مَقاتِ ٢٠،٨
يَقولُ قالَ اللهُ عِينوا الشّاري ولا تُعِينوا البائعَ الفَشّارِ
وقَد رَوَيتُ اليَومْ لكُمْ رِوايهْ في سيرَةِ الضّاهِرْ لها دِرايهْ
وفي غَدٍ أروي لَكُمْ قِصّهْ تُسَمّى قِصَّةُ عَنترٍ وعَبْلَهْ
والدَلْهَمَهْ أروي عَنِ البَطّالِ وسِيرَةَ الرّاهِبِ والجَمّالِ
واشرَحْ لَكُمْ واقلْ لَكُمْ عن شِيحَهْ وأمِّ جابرْ بنتِ ابو فُرَيحَهْ ٢١،٨
واروي لَكُمْ ما قَدْ أتَى عَنِ النَّبِيّ قالَ كذا قالَ كذا قالّ أبي
وقالَ جَدّي ذاكْ أبو غِنْدافِ صَلّوا وَلَو كُنتم على مِقْدافِ
وَلَوْ بِلا وُضُوءْ بِلا طَهارهْ كما رُوِيَتْ عن جَدَّتي شَرارهْ
قاضِيهِمُ إذا أتَى لِشغلِ كأنّه رَئيسِ جَوقِ الطَّبلِ
ينزِلُ عَن البغلهْ أو الحمارهْ كأنّه الرّاهِبْ أبو زَرارهْ ٢٢،٨
فعِندما يجلِسُ في انتِفاخِ يُفْرَشُ له مِن قِطَعِ الأنخاخِ
وبعد ذا يأتي إليه المُشتكي ثمّ يَقِفْ على عَصاهُ مُتّكي
أو بعضُهم على العَصا يلفُّ رِجْلاً لَهُ وَهوَ ثقيلٌ تُحَفُ
يقولُ يا قاضي بِحرف الجيمِ هاتْ لي لِعندي إبنَ ابو دُعمومِ
واحياةِ دقنكْ جِلّتي سرقْها وَارْبَعْ قُفَفْ من زِبْلنا فَرَّقْها ٢٣،٨
وقد أخذْ واحْياتِ راسكْ حِذْوتي وإشتواني قد أخَذْ ولِبْدتي
أُحكمْ بحُكْم اللهِ يا قاضي البلدْ والّا أرصّكْ ألفَ نَبُّوتْ بالعددْ
يقولُ هذا قد لَزِمَهُ الحدُّ حيثِ سَرَقْ ومِنْهُ تُقْطَعْ يدُّ
رح يا قِنِفْ يا عَرَصْ يا ابن الزبلهْ إدْفَعْ لَهُ قيمَةَ هذي[١] العَمَلهْ
وصالحِ الخَصْمَ وهاتْ لي فرخهْ والّا على دقنكْ أشَخُّ شَخّهْ ٢٤،٨
وإن عقد عقدا فليس يدري غيرَ قولِهِ أنكحتُ بنت النَّمرِ
وليس يَعْرَفْ شاهداً ولا وَلِي وليس يَعْرَفْ صِحّةً من عِلَلِ

---

١ بي: هذه.

إذا قضى قضيّةً وخلّتها فاقرأ سريعًا عندها يا ليتها
فقيرهمْ ألزُّنّطُ والإبريقُ والنطُّ والصريخُ والزعيقُ
وذا مريدي ومريدُ جدّي وذا الولدْ بدايتي وعبدي ٢٥،٨
يصير طول الدهرخلف ظَهري ولا يصلّي مغربًا ولا ظُهري
إلّا بإذني أو عليهْ تشويشُهْ ومن رآهُ قالَ ذا درويشُهْ
وعندما قد يحضر الموالدا من خلفِهِ تلقاهُ حقًا لابدا
ويدخلُ الجمع به ينتفشُ وباللّسان بينَهم يدردشُ
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا ثمّ يقوموا كلُّهم صُفوفا ٢٦،٨
ثمّ يقولوا أخبر الشيخ الولي عن أولياجاءت مِنَ أرضِ المَوصِلِ
هذا يطيرْ بين السما والأرضِ على النجايبْ ما عليهْ من فَرضِ
ولا بقى يحتاجْ إلى عبادهْ هذا بقى في رُتبةِ السيادهْ
هذا فقيرْ بالقولِ والإشارهْ هذا وَلِي وقيّد الحمارهْ
وإنْ تَسَلْهُ شرطَ في الطّريقِ يقولُ لا أعرفْ سوى الإبريقِ ٢٧،٨
وهزّ وسطي ثمّ طَرَق اليدّ ومَيلانُ لبدتي وشدّي
وقَدِّم الماجورْ أحُطّ كفّي واطلَعْ بِلُقْمَهْ مثلِ دَوْر الخُفّ
وبالدّراويشِ بجنبِ الشّطّ أمشي وإبريقي تحتَ إبطي
وأنزِلْ على مَن لي عليهْ سيادهْ وأقولُ لُهْ أليّته وهات العادهْ
وهاتْ لِيَ الديك مع العليقهْ ولَيْسَ أعرفْ غيرَ ذي الطريقهْ ٢٨،٨
ومذهبي يا سعدُ يا حرامُ ولا أقولُ يا فتىٰ[1] حَرامُ
أخذتُ عن شيخِيَ بهذا[2] الفِعلِ فَهْوَ حقيقٌ مُشبهٌ بالعِجْلِ
ومنهمو طائفةٌ خوامِسُ كلُّهمو بجمعهمْ أبالِسُ
لا يعرفوا الصّلاهْ ولا الصّياما ولا حلالاً ولا حَراما
الشّخصُ منهم ينكح العمّاتِ وينكح الأخَواتِ والخالاتِ ٢٩،٨

---

١ بي: يا ضِدّ؛ ب: يا ذا؛ ك با: يا ضو؛ م: يا فتى. ٢ بي: هذا.

ويستبيح الفعلَ وَهْوَ كافرُ وقتله قد حلَّ هذا ظاهرُ
فكلُّهم بجمعهم أراذلُ وليس فيهم رَجُلٌ يماثلُ
لأهل فضلٍ أو ذوي كمالِ بل كلُّهم في رُتَب الجهّالِ
ناظمهم إن قالَ حقًّا شِعْرَا فشعرُهُ يُشْبِهُ طعم العَذْرا
أو حشْوَ قولٍ جا بلا روايهْ أو رَصَّ قُلَقَيْلٍ بلا درايهْ

٣٠،٨

إن لم تكن ذقت الخرا في العُمرِ فذق كلامَ نظمهم والنثْرِ
سماعه إذا بدا رزيّهْ لكنْ له ما بينهم مزيّهْ
لكونهم أجلافُ معْ أوباشِ مِثْلُ حمير الجُرْنِ والكِباشِ
أسماؤهمْ تُخْبِرُ عن أوصافهمْ ألقابهمْ تُنْبيكَ عن أشرافهمْ
وِهيَ حُنَيْجِلْ وجُليْجِلْ وقَطا والحاجُّ عُنْطوزُ بنِ ٱبو فَرْدَةْ وطا

٣١،٨

وعَفْرُ معْ دُعْمومِ معْ زُعَيْطِ كذا قُسَيْطٌ وأبو مُعَيْطِ
ثمّ قليبط وشلاّطه قد وردْ كذا لهاطهْ وزعّاطهْ في العددْ
شُقَلَيْطُ معْ مُقَلَيطِ معْ خُبَيْطِ صَفّارُ معْ بَهْوارُ معْ شُلَيْبَطِ
بُزبوزُ معْ عَمّوزِ معْ قَرّوشِ سُمْعوتُ معْ بُرْغوتِ معْ غَلّوش
كذا النَّبّشُ ثمّ العَفْشُ عنهم ذكروا ثمّ حُنَيْن بن بُنَيْنٍ أخبروا

٣٢،٨

كذا سمعنا أنّهم يُكَنّوا أبو شوالي ومتاردْ يَعْنوا
كذا أبو عَفْرٍ أبو دعمومِ وَابو الدواهي معْ أبو الميشومِ
شادوفْ أبو جاروفْ أبو نطّاحِ مِشْكاحْ أبو رمّاحْ أبو ريّاحِ
من جهلهم ميمَ محمّدْ يَكْسَروا والحاءُ أيضا قد أتى مكرَّرُ
محمّدَيْنِ قد سمعتُ منهُمُ كذا بهايم وترمش عنهُمُ

٣٣،٨

والقَلْطَ والضرّاطَ كما روينا ويُبْدِلون صالحا بسينا
فهذه أسماءُ مِثْل الوحلِ أو أنها شِبْهُ ضُراط النملِ
وإن ترى الأسماء لا تُعَلَّلُ فإنّها والله بئسَ العِلَلُ
وإن ينادي الشَّخصُ منهمَ آخرا يجيبه بلفظ هاه كالخرا

وهَيّهْ وإشمالكْ تعيّط قل لِي   نشربْ أجيكْ لما يشُخُّ عِجّلِي   ٣٤،٨

قد تُنْسَبُ إليهمُ لغاتِ   كقولهمْ في الإرثِ ذا ميراتي

وصُبَّ في البوشهْ وهاتْ جوادي   ماضالَ أيْ مازالَ هذا الوادي

يعنونَ بالجوادِ مركوب حَضَرْ   كذاكَ هات الكَرْ أَلْفو من سَحَرْ

جعبوتي راحت من المرجونهْ   سيري وأسكِنِي حدا الطابونهْ

قومي انحتي لي في الزريبهْ نُقْرَهْ   لأجلِ ما أقومْ وفيها أخْرَهْ[١]   ٣٥،٨

غدًا ترى الجدعانْ تنطّ في الفرحْ   يوم الهروبه في الزريبهْ نَنْشَرِحْ

هدهودْ مجعمصْ ما يُرى فيهِ بجلّهْ   اليومَ لُهْ عَنْزَيْنْ وعِنْدُهْ عِجْلهْ

والحاجُّ عنطوزْ بانْظُرُهْ في نَفْشَهْ   أليومَ راحْ هُرَيْبَطْ وجابْ لُهْ كَرْشَهْ

وحطّها في الدِشْتِ عِنْدُهْ فَرْحهْ   بِنْتُهْ أخذْها إبنُ رَاسِ المِسْحهْ

أليومْ بلدْنا شيخُها ٱبو عَوْكَلْ   وابو فُسُوٍّ وسطها يتْخَنْجَلْ   ٣٦،٨

والحاجُّ قلّوطْ طَرَفْها وهَوْدَجْ   والحاجُّ عُنْطُوزُ بْنُ خَرْق النَوْرَجْ

وإنّما أسماؤهم مناسبهْ   ذواتُهم وافْعالهُم مقاربهْ

نساؤهم أيضًا لهنّ أسما   فخذ هُديتَ عِدَّها إملا

زعرهْ وبعرهْ مَيْكلهْ خُطَيْطهْ   بلوهْ وعِلْوَهْ شايِعَهْ حُوَيْطهْ

شمّهْ زَرارهْ مَعْ شَبارهْ سمّوا   كذا مُعَيْكهْ ورُكَيْكهْ ضمُّوا   ٣٧،٨

ثمّ يسمّوا بينهم شِلْبايهْ   وقد يسمّوا بينهم عطايهْ

كذا شُقَيْرِه وغاسوله قد وَرَدْ   حمدهْ ولِبْدهْ وعطيّهْ في العددْ

وطالبهْ وهاربهْ حطبيّهْ   كذا فُريجهْ بِنْتْ أبو عربيّهْ

وقد سمعتُ رجلًا ينادي   حجّهْ خُريوه إغسلي الزبادي

وإحلبي البَقْرَهْ وهاتي العِجلهْ   روحي حدا الجدعانْ وسوقي نجلهْ   ٣٨،٨

قومي وحطّي العدسَ في القَفْقولهْ   وأمُّ دَعْبهْ بِنْتْ أبو بعبولهْ

يا داهِيَهْ يا داهِيَهْ تعالي   جتّكي من الحيطْ بنْتْ أبو شوالي

---

١ بي: أقومُ من سحر فيها؛ ب: اقوم بالليل فيها؛ ك با م: اقوم من سحر فيها.

قومي تعالي للعَشا والموضعْ إبْنَاكْ يِخْرى قوم كُلِ انْتَ وَاشْبَعْ
وهاتْ لنا قطعهْ وخذْ علارهْ وجمّع الجلّهْ وشوفْ عبارهْ
روحي وهاتي يا بوادي البَقْرَهْ إنتي وجَوْزَةُ وبنتكْ جَزْرَهْ ٣٩،٨
روحي وشوفي يا دعبه النُقْرَهْ في وسطها جلّهْ طريّهْ خَضْرَهْ
وحولها شوفي الحماره والبَقَرْ حتّى عليها يُزْرَبوا وقت السَحَرْ
فهذه الأسماءُ للنسا فَخْرا قد شُبِّهتْ بالوَحْل في الصَحْرا
وشتمهم لأمردٍ إذا بجْ يا خور اسريحه وبقره شلْجْ
يا هَراّ رايحْ فينْ يا ابوكارهْ يا واسع الصُرْمِ افْتَكِرْ في الحارهْ ٤٠،٨
وانْتا بِتَنْفِشْ للمُشا في الشونهْ وكم ينيكوكْ في الدرهْ بالعونهْ
إسرح ولاقيني على غيط الجزرْ وآدّيكَ فَرْقِلّهْ مليحهْ للبقرْ
وآدّيكْ مشمّرْ وأجِبْ لكْ لبدهْ ويومَ عيد الله طعّمتك كبدهْ
وإشتوانْ أعطيكَ من سنّ السمكْ تبقى حدا الجدعانِ ما حدْ يشتمكْ
وانشدّ لي يا عِلْقْ أنا أبو جلَصْ أنا مَشَدّ الكفْر آنا مجعمَصْ ٤١،٨
وعندنا عنْزينْ وجيرْوانهْ وآدّيكْ كمانْ سكّينْ أبو شقوانهْ
وآدورْ ويّاكْ في البلد نداورْ وآنزلكْ تلعبْ وَسَطْ ألسامرْ
إن طعتني يا خورُ خليّتكْ جَدَعْ وآلاّ أضالْ أهجيكْ أنا ابْنَ آبو بجعْ
فيسمع الأمردْ منه ما قد حَصَلْ يمضي معُهْ فيقدحُهْ جنب البَصَلْ
أو جنبَ مَدْودْ أو حدا مِذْرَهْ إذا ركبْ فوقُهْ عطا لُهْ طيزَهْ ٤٢،٨
ولقشُهمْ على النسا يا شلْقَهْ جيتي مِنَيْنْ يا خاينَهْ يا مِرْقَهْ
افتكري داك النهار يا خورهْ والحاجْ عُنْطُوزْ ماسِكِكْ في الجورهْ
والحاجْ فُسُوّ الدين وآبو دواهي عمّالْ يجخُّوا فيكِ حدا المواهي
والحاجُّ قلّوطْ وَابْنُ ضرّاب البَقَرْ وَإبْنُ ضرّاط النَمَلْ ناكوكِ في السَحَرْ
وإنتي شلكه دايرهْ بتضربي كيف البقرْ ولا تجينا تقربي ٤٣،٨
تعا لعندي يا مليحة البلدْ وآدّيكِ للعِجْلهْ تِباعَكِ دي الوتدْ

وآديكِ شِرشينَ من بَصَلْ وقُوطهْ ... ويومَ عيد اللهْ أجيبْ لكْ فوطهْ
وآنامْ ويّاكْ على القَصَلْ شِوَيّهْ ... ألیومْ أنا في الكفرِ شيخْ بَقيّهْ
فَانْظُرْ هداكَ اللهْ لذي القحافهْ ... في وصفهمْ لكنّهم ريّافهْ
فكن سريعاً منهمُ على حذرْ ... فعشرة الفلاّحِ تأتي بالضررْ ٤٤،٨
وعاشرأهل اللطفِ والصلاحْ ... وكن مَعَ اهْل الخيرِ والفلاحْ
وكلّ هذا في قُرىً قد بعُدتْ ... عن نيلِنا وبالجبال اتّصلتْ
وفي بلادٍ ليسَ فيها عالِمْ ... يدلّهمْ بل كلّهم بهائمْ
وليس في البلاد مثلُ مِصرِ ... وأهلِها كُفِيتَ شرَّ الحَصَرِ
لأنّها كِنانة اللهِ وَرَدْ ... ونيلُها يُجْلى برؤياه النَكَدْ ٤٥،٨
نسيمها ألطف شيء في الصفا ... وأهلها أهل سرورٍ ووفا
والحمد لله على الإقامهْ ... بها وأرجو الله في السلامهْ
مَعْ سعة الرزق وشرح الصَدْرْ ... وكشف غمٍّ وزَوال الحَصَرْ
ثمّ الصلاة والسلام أبدا ... على النبيّ الهاشميِّ أحمدا
وحِزْبِهِ وصَحْبِهِ والآلِ ... ما دامت الأيّامُ والليالي

المجلّد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٩ (الحمد لله) ربّ العالمين * والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد أشرف النبيّين * وعلى آله وصحبه أجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمّد بن عبد الجواد بن خضر الشربينيّ كان الله له ورحم سلفه إنّه لمّا كانت الهمّة البارده * والفكرة الكاسده * تحرّكت أيّاماً قلائل * لتأليف كتاب صار في الأوراق حاصل * في أحوال أهل الريف باتّفاق * وما لهم من نظم ونثر وحبّ واشتياق * وصار جزءاً لا يُرى في الكثافة له شبيه * ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه * وكان كالمقدّمة للقصيد * وقد حوى معاني تشبه قحوف الجريد * وخُتِمَ بالأرجوزة الحاوية لما فيه من النثر والأشعار * وغايته أنّه اعتراف من بنات الأفكار * أردت اتّصاله بهذا الجزء الثاني * وحلّ معاني القصيد الّتي عليه مدار تلك المباني * فحرّكْتُ فكرتي الخامله * وأطلقتُ عِنان اليراع لبيان تلك الأمور الحاصله * لحلّ معاني نظم القصيد * منسكباً عليه انسكاب الوابل على الصعيد * بألفاظ يفوح معناها كريح الفَسْوى * ومعاني تشبه في الوضع خابط عَشْوى * فساعدتني الفكرة لما إليه قصدت * وتحرّكت معي لما إليه أردت * وهذا أوان الشروع في المقصود * بعون الملك المعبود * فأقول

(ذكر نسب الناظم وما حواه * وذكر الموضع الّذي ضمّه وآواه * وسبب سعادته وحصولها * وصفة لحيته هل كانت طويلة أو قلّ طولها * وكيف مال عليه الدهر في آخر الزمان * حتّى أنشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان) *

١،١٠ فنقول أمّا نسبه فعلى أقوال فمنهم من صرّح أنّه أبو شادوف بن أبو جاروف بن شقادف بن لقالق بن بحلق بن عفلق بن عفر بن دعموم بن فلحس بن خرا الحس فإذا ذقت الكلام بمعقول * عرفت انتهاء نسبه على هذا القول * وقيل أبو شادوف بن أبو جاروف بن بردع بن زوبع بن بحلق بن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمره بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الأوّل لابن خرا الحس وعلى الثاني لابن كل خرا والثاني أصحّ لأنّ أكل الخرا أبلغ من لحسه

٢،١٠ (وأمّا قريته) ففيها خلاف قيل إنّه من تلّ فندروك وقيل من كفر شمرطاطي وهو الصحيح لأنّ الناظم صرّح بذلك في بعض أشعاره فقال [وافر]

١،٢،١٠

أَنَا يَا نَاسُ فِي قَوْلِي دَلَايِلْ	وَنَظْمِي حَقٌّ مَاهُوشِي هَبَايِلْ
أَبُو شَادُوفْ أَنَا قَالِّي أَبُويَهْ	عَلَيْهِ وَجِدَّتِي دِيكْ أُمُّ نَايِلْ
بِأَنِّي قَدْ تَرَبَّيْتْ يَا جَمَاعَهْ	بِكَفْرٍ يَعْرِفُوهْ نَاسٌ أَوَايِلْ
يُسَمَّى كَفْرْ شَمَّرْ لِي وَطَاطِي	فَكُنْ صَاحِبْ فَهَامَهْ يَا فَسَاقِلْ
وَذَا قَوْلِي وَأَبُو شَادُوفِ إِسْمِي	وَشِعْرِي حَقٌّ مَنْ جَانِي يُسَايِلْ

٢،٢،١٠ وسمعتُ شعراً لبعض أهل الريف يدلّ أنّه من تلّ فندروك وهو هذا [وافر]

سَمِعْنَا مِنْ قَدِيمٍ وَمِنْ جَدِيدِ كَلَامًا مَا كَنَّا شِبْهَ ٱلْحَدِيدِ
أَبُو شَادُوفٍ عَنْهُ خَبَّرُونَا بِقَوْلٍ حَقٍّ جَانَا بِٱلْوَكِيدِ
بِتَلِّ فَنْدَرُوكَ فِيهِ تَرَبَّى وَعَاشْ يَا قَوْمْ وَأَنْشَالُو قَصِيدِ
وَذَا قَوْلِي وَأَنَا غِنْدَافُ إِسْمِي وَكَمْ مِنْ نَظْمْ أَجِيبُو مِنْ بِعِيدِ

وقد يُجْمَع بين الروايتين فيقال إنّه وُلِدَ في كفرشمرطاطي وتربّى في تلّ فندروك

٣،١٠ (وأمّا صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدًّا وقال آخر كانت معتدلة في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال إنّه لمّا كان في ابتداء عمره في سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهّدها بدهن الفراخ والزيت الحارّ والتمشّط وإصلاح الشعر ونحو ذلك فلمّا كبر وتغيّر عليه الزمان واعتراه الهمّ والأحزان قلَّ طُولُهَا من أكل الطبوع والصئبان ونحو ذلك أي إنّها نشأت في الأوّل طويلة ثمّ إنّها عَرُضَتْ فعرضُها ضَرَّ طُولهَا فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر [خفيف]

ذَقَنٌ طالَتْ فأَفسَدَت عِندَما ضَرَّ طولُها
قَصَّروها فأَصلَحَت عِندَما قَلَّ طولُها

٤،١٠ (وقيل) من الدليل على قلّة عقل الرجل صِغَرُ رأسه وطول لحيته وإن كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلّيّة وفي المثل طويل ذقن قليل عقل (كما اتّفق أنّ بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدّب الأطفال) ففقده أيّامًا فسأل عنه فقيل هو منقطع في بيته حزين قال فظنّ صديقه أنّه مات له ولد أو أحد من أقاربه فذهب إليه فرآه في حالة الحزن وهو يبكي وينوح فقال له يا أخي عظّم الله أجرك وأحسن عزاك ورحم ميّتك كلّ نفس ذائقة الموت فقال له أتظنّ أنّه مات لي أحد فقال له فما الخبر فقال له الشيخ اعلم أنّي كنت جالسًا ذات يوم فسمعت رجلًا ينشد ويقول [بسيط]

يا أُمَّ عمرو جزاك الله مَكْرُمَـةً ... رُدّي عَـلَيَّ فؤادي أَيْنَما كانا
لا تُأْخُـذِينَ فؤادي تَلْعَبينَ بِـهِ ... فكَيـفَ يَلعَبُ بالإِنسانِ إِنسانا

فقلت في نفسي لولا أنّ أمّ عمرو هذه من أحسن الناس وأجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بها أيّاماً وانقطعت بحبّها ثمّ إنّي جلست يوماً من الأيّام زمانًا فسمعت قائلاً يقول [وافر]

إِذا ذَهَبَ الحِمارُ بِأُمِّ عَمرٍو ... فلا رَجَعَتْ ولا رَجَعَ الحِمارُ

فقلت لولا أنّ أمّ عمرو ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلني الحزن واعتراني الأسف قال فتحقّق صاحبه قلّة عقله وتركه ومضى

٥،١٠ (وقيل مرّ بعضهم في يوم شديد البرد) فرأى رجلاً صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدّة البرد ورأى تحت إبطه حِرام أبيض من الصوف مطويّ فقال له لأيّ شيء لا تضع هذا الحرام عليك يقيك ألم البرد فقال أخشى من نزول المطر عليه فيبتلّ فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقّق الرجل قلّة عقله وتركه ومضى

٦،١٠ وأجود اللحاء ما كان معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة (فإن قيل) إنّ فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شِبْرًا أو شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفاً فطناً (قلنا الجواب) أنّ الله تعالى كان قد أعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وأنّها كانت خضراء اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه إذا صعد ويداه إذا هبط أو يقال إنّه وإن كان على غاية من المعرفة فهو في حكم مسلوب العقل لادّعائه الإلهيّة وارتكابه الأمور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدّم انتهى

٧،١٠ (وقيل أحذر الناس وأشطنهم الأجاردة) فينبغي لمن صاحبهم أن يكون منهم على حذر لشدّة حذقهم وقوّة معرفتهم وكثرة محاورتهم للأمور (كما اتّفق أنّ بعض

الملوك قال لوزيره مَنْ أشطن الناس وأحذرهم قال الأُجْرود) قال أريد أن تطلّعني على حقيقة ذلك فقال تصنع طعاماً وتصنع له ملاعق كلّ ملعقة ثلاثة أذرع وتأمر الناس يحضروا لأكل الطعام فإذا حضروا وجلسوا تأمرهم أن لا يأكلوا إلّا بالملاعق وأنّ الرجل منهم لا يمسك الملعقة إلّا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلمّا جلسوا أمرهم أن لا يأكلوا إلّا بالملاعق وأن لا أحد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما مرّ قال فأرادوا الأكل فلم يقدروا وأرادوا القيام فمنعهم الملك وأمرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة وأراد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيّروا في أمره فبينما هم على هذه الحالة إذ دخل عليهم رجل أجرود فقال لهم ما بالكم لا تأكلون من الطعام فأخبروه بالقضيّة فقال هذا أمر سهل أنا أدلّكم على حيلة تأكلون بها ولا تخالفوا أمر الملك كلّ رجل منكم يُطْعِم الّذي قبالة وجهه وكذلك الآخر يمدّ ملعقته يطعم من أطعمه حتّى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يُلَقِّم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتّى اكتفوا جميعاً قال فتعجّب الملك من حيلة هذا الأجرود وقوّة شيطنته وشدّة فراسته وأمر له بِصِلَةٍ وأخلع على الوزير

٨،١٠ (ووقف رجل أجرود بين يدي بعض الملوك) يشكو خصمه فقال له الملك إنّي متعجّب من شكواك يعني إنّك أجرود لا يغلب عليك أحد فقال له العفو يا ملك إن كان في وجهي بعض شعرات فإنّ خصمي أملس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وأنصفه من خصمه وأمر له بصلة

٩،١٠ (وأمّا سبب سعادته في ابتداء أمره وكيف مال عليه الدهر) فعلى أقوال أحدها إنّه لمّا نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان في قوّة وشهامة ومعرفة في رعي الغنم والنطّ في الغيط والمشي في الحرّ حافي عريان وكان يشيل الجلّة الخضراء على رأسه من الغيط إلى داره في أسرع زمن حتّى أنّ الرطوبة المتحلّلة منها كانت تسيل على وجهه وربّما عطش فشرب منها وربّما عمّ ما يسيل منها بقيّة جسده كما هو عادة أولاد الأرياف

وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجهاً إلّا أن صادفه رشاش بول عجلة أو بقرة وهو سارح إلى الغيط أو مروّح فيمعكه بيده فيكون قائماً مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة الفشرويّة لا يغفل عن ضرب الأولاد ولعب الكورة حول الحارات والنطّ على المزابل والأجران ولعب الدارة * والطبلة والزُّمّاره * والعياط والغاره * وضرب الكلاب * والسخام والهباب * حتّى أنّه من دون رفاقته صار يومه بيومين * وشهره بشهرين * كما قال فيه شاعر القريتين * شعر [وافر]

أَبُو شَادُوفِ مِنْ يَوْمُو مُجَعْمِصْ　　شَبِيهُ ٱلْجَرْوِ يِتْنَطّطْ بِقُوَّهْ　　١،٩،١٠

وَيِسْرَحْ غَيْطْ أَبُو مَعْرَهْ يُجَمِّعْ　　مِنَ ٱلْجِلّهْ ٱلطّرِيَّهْ فِي ٱلْقُرُوَّهْ

وَهُوْ عُرْيَانْ وَشَايِلْ فَوْقَ رَاسُو　　وَوَجْهُو صَارْ كَمَا وَجْهِ ٱلْبَعْوَهْ

وَمَا قَدْ سَالْ مِنَ ٱلْجِلّهْ ٱلطّرِيّهْ　　يَسِيلُ عَلَيْهْ وَما عِنْدُو مُرُوَّهْ

وَيَقْعُدْ شَهْرَ مَا يَغْسِلْ لِوَجْهُو　　وَلَا شَهْرَيْنْ وَجِسْمُو فِيهِ قُوَّهْ

يُسَرِّحْ لِلضُّحَى فِي ٱلْجُرْنِ يَكْنُسْ　　وَيَطْرُدْ شِبْهَ كَلْبَتْنَا ٱمّْ صَرْوَهْ　　٢،٩،١٠

وَيَا زَيْنَكْ يَٱبُو شَادُوفِ لَمَّا　　يِجِي ٱلْجَامُوسْ يَقَعْ فِي وَسْطِ رَبْوَهْ

وَيِنْزِلْ يِنْغِرِزْ فِيهَا وَرَاهُمْ　　تَقُولْ ٱنْتَا كَمَا عِفْرِيتِ خَلْوَهْ

أَبُو شَادُوفِ مِنْ صُغْرُو مُدَلَّلْ　　تَرَبَّا عِنْدَنَا كَلْبَ ٱبْنِ جَرْوَهْ

أَبُو شَادُوفْ عَطَاهُ ٱللهُ نِعْمَهْ　　لِبِسْ لِبْدَهْ وَعِنْدُو ٱلْيَوْمَ فَرْوَهْ

وَٱبُوهُ ٱلْيَوْمَ شَيْخُ ٱلْكَفْرِ قَاعِدْ　　حِدَا ٱلصَّرَّافِ رُكْبَهْ جَنْبَ حِدْوَهْ

يَقُولْ سِيدِي[١] يَقُولْ لُهْ يَا مُعَرَّصْ　　تِحُطّ ٱلْمَالَ أَوْ أُخَلِّيكَ دَعْوَهْ　　٣،٩،١٠

وَهُوْ مِنْ مِتْلْ أَبُو شَادُوفْ وَجَدُّهْ　　وَٱبُوهُ وْعَمَّتُو بِنْتِ ٱمّْ فَسْوَهْ

وَنَخْتِمْ قَوْلَنَا بِمَدِيحْ مُحَمَّدْ　　رَسُولِ ٱللهِ كَمْ زَاحْ كُلَّ بَلْوَهْ

عَلَيْهِ[٢] يَا رَبَّنَا صَلِّي وَسَلِّمْ　　وَأَصْحَابُو ٱلْكِرَامْ أَهْلُ ٱلْفُتُوَّهْ

١ بي: يا سيّدي. ٢ بي: عليهِ.

وكان الناس يحسدوا والده عليه وعلى قوّته وشطارته وشدّة معرفته في نقر الطبلة وصوت الزُمّارة وكان أبوه قد ملك في حال حياته حماراً أعرج وعنزين وحِصّة في ثور الساقية ونصف بقرة وعشر فرخات وديكهم وأربع كيلات نُخال ورُبعين شعير وملك نحو أربعمائة قرص جلّة ومطمورة يخزن فيها الزبل أيّام الشتاء وكان عنده قُلّة مكسورة وزير أقلم وجيروانة يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلمّا تمّت له هذه السعادة توفّى إلى رحمة الله تعالى كما في الغالب أنّ الفقير يوم يسعد يموت وما أحسن ما قال الشاعر [متقارب] ١٠،١٠

إذا تَمَّ شَيءٌ بَدا نقْصُهُ   توَقَّعْ[1] زَوالاً إذا قِيلَ تَمّ

فكفّنه ولده أبو شادوف في رداء من محر الكتّان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن خاروق بسنط كفر[2] شمرطاطي وقيل بكفر تلّ فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات في كفر شمرطاطي ودفن في كفر تلّ فندروك وقبره الآن يعرف بقبر أبو جاروف تزوره الفلاّحون ويلعبون بجانبه الكورة وربّما تبول عليها البهائم في بعض الأوقات وقد رثاه بعض شعراء الأرياف بأبيات فقال [وافر] ١١،١٠

أَلَا كُونُوا ٱسْعِفُونِي يَا جَمَاعَهْ   وَٱبْكُوا يَا مُشَاهْ فِي كُلِّ سَاعَهْ ١،١١،١٠
أَبُو جَارُوفْ وَلَّى ٱلْيَوْمَ عَنَّا   وَخَلَّى ٱلْعَنْزَ وَٱلْبَقْرَهْ بِتَاعَهْ
وَخَلَّى بِنْتْ عَمُّو أُمَّ فَلْحَسْ   عَلَيهِ ٱلْيَوْمَ تَبْكِي وَسْطَ قَاعَهْ
وَٱبُو شَادُوفْ يُعَيِّطْ مَلْوَ رَاسُو   أَبُويَا مَاتْ وَعُدْنَا فِي بَشَاعَهْ
وَرَاحْ مَنْ كَانْ شَيْخَ ٱلْكَفْرِ يُحْكُمْ   عَلَى الجِدْعَانْ وَدَوْلِيكَ ٱلرَّبَاعَهْ
وَلَمَّا كَانَ يَرْكَبْ يَوْمَ غَارَهْ   عَلَى كَلْبُهْ وَيَدَّلَّعْ دِلَاعَهْ ٢،١١،١٠
وَيَلْبِسْ لِبْدَتُو مِنْ فَوْقِ رَاسُو   وَدَقْنُو بَارِدَهْ فِيهَا سَقَاعَهْ
وَحَوْلُو جَرْوِ إِبْنِ خَرَا ٱنْتَ فَلْحَسْ   وَمُشَاةُ ٱلْكَفْرِ مَا مِنْهُمْ نَجَاعَهْ

---

١ بي: تَوقّى. ٢ بي: سنط بكفر.

تَقُولْ رَيِّسْ عَلَى جَوْقِ ٱلْمَغَانِي — أَوِ ٱلْخَلْبُوصْ جَا يَشْفَعْ شَفَاعَةْ
وَجِيصُو رَاحَ يَا ٱللهُ ارحم عِضَامُو — وَيَشْبِشْ طُوبَتُو فِي كُلِّ سَاعَةْ
وَٱبُو شَادُوفْ يَا ٱللهُ أَبْقِي شبابو — وَيُصْبِحْ شَيْخَنَا صَاحِبْ نَفَاعَةْ ٣،١١،١٠
وَيَبْقَى مِثْلْ أَبُوهْ رَاكِبْ وَحَوْلُو — جَمَاعَةْ فِي جَمَاعَةْ فِي جَمَاعَةْ
وِيَتْعَنْطَزْ وَيَسْرَحْ فِي ٱلضَّهَارِي — وَيَجَّعْمَصْ وَيَقْعُدْ فِي ٱلشِّرَاعَةْ
وَنَخْتِمْ قَوْلَنَا وَٱلدَّائِمُ ٱللهْ — وَدَا ٱلْكَاسْ حَقَّ مَا فِيهِ ٱنْدِفَاعَةْ
وَٱنَا شَاطِرْ وَشَاعِرْ طُولَ عُمْرِي — وَأَلْضُمْ لَضْمْ يِتْلَمَّعْ لِمَاعَةْ
جَعَلْتُو فِيهِ يَحْزَنْ مَنْ يَشُوفُو — وَوَدَّعْتُو بِقَوْلِي ٱلْيَوْمْ وَدَاعَةْ ٤،١١،١٠
وَٱصَالْ عَالزَّيْنْ أُصَلِّي طُولَ عُمْرِي — نَبِيِّ ٱللهْ وَأَطْلُبْ لِي شَفَاعَةْ
وَمِنْ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ اسْمَعْ لِقَوْلِي[1] — وَضَرْبَةْ دَمِّ تِكْتِمْ دِي ٱلْجَمَاعَةْ

قال فلمّا فرغ العزا وراق الزمان * وأخذ خاطر أبو شادوف المشايخ والجدعان * ١٢،١٠
وتصدّق على والده بالفطير * المعمول بالنخالة والشعير * وليّس قبره بالوحل والجلّه *
وعمل بجانبه مدود العجله * سحب النبّوت * وتمشّى كالنُعوت * واتمشيخ على الكفر *
وأطاعه زيد وعمرو * وجلس على ركبة ونصف مورّط * وعيّط واتنطّط * وغنّا
وقال * وافتخر بهذا المقال * وأنشد وجعل يقول شعر [وافر]

أَبُو شَادُوف عُمْرِي يَا سَلَامَةْ — أَقُولُ ٱلْقَوْلْ وَٱنَا صَاحِبْ فَهَامَةْ ١،١٢،١٠
وَلَوْلَا أَنْ أَبُويَهْ فِي تُرَابُو — أَنَا فِي ٱلْكَفْرِ شَيْخْ بِلَا مَلَامَةْ
وَأَحْكُمْ عَٱلْمُشَاهْ وَٱسْرَحْ وَٱرَوِّحْ — وَٱخُوضْ ٱلْبَحْرْ إِلَى حَدِّ ٱلْحِزَامَةْ
وَٱشِدُّ عَلَى ٱلْحُمَارْ وَٱرْكَبْ وَحَوْلِي — جَمَاعَةْ شِبْهُ شَمْعَةْ فِي ضَلَامَةْ
أَبُو عُنْطُوزْ وَٱبُو بُزْبُوزْ وَعَفْلَقْ — وَدَمْ إِلْحَسْ قَفَاكْ وَأَبُو عِمَامَةْ
وَٱنَا مَا عَادْ كَيْفِي ٱلْيَوْمَ وَاحِدْ — وَٱصَالْ إِنِّي مُجَعْمِصْ فِي شَهَامَةْ ٢،١٢،١٠
وَأَطْحَنْ قَرْنَ مِنْ خَالَفْ كَلَامِي — بِنَبُّوتِي وَٱكْسِرْ بُوعِضَامَةْ

---

١ الأصل: قولي.

أَبُويَهْ كَانَ قَبْلِي شَيْخْ عَلَيْكُمْ فَخَلُّونِي وَرُوحُوا بِالسَّلَامَهْ
وَنَخْتِمْ قَوْلَنَا بِمَدِيحْ مُحَمَّدْ وَأَصْحَابُو ٱلْمِلَاحْ أَهْلِ ٱلْكَرَامَهْ

١٣،١٠ قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر الّتي حصلت له بعد والده على التركة فأغروا عليه الحكّام فأرسلوا إليه وعارضوه في جانب منها وقيل فيها كلّها ولم ينفعه إلّا مطمورة الزبل الّتي ادّخرها وهي الّتي كانت سبب سعادته بعد موت أبيه على ما قيل ثمّ صار يداري الناس ويتملّق لهم بالكلام إلى أن تناست القضيّة ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلاً وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول وقيل إنّه اقترض عشرين نصفاً وأخذ بهم بيضاً وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا السبب لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال إنّه باع الزبل وأخذ بثمنه بيضاً فكانت سعادته من مجموع الزبل وثمن البيض فلا تعارض في ذلك وكان يعطي ويتكرّم فقصدته الشعراء والأدباء من أطراف البلاد حتّى أنّه أجاز شاعراً بخمسين بيضة وكيلة شعير وأعطى آخر مائة قرص جلّة وجاءه آخر بغرارة فملأها زبل من أوّلها إلى آخرها ودفعها له وكان قد أقبل عليه الرزق بزيادة عن والده فكان عنده ورتين وعشرين ديك وقفص فراخ جريد ونبّوت أعوج ولبدة وخلقة زرقاء وقفّة ملانة نخال وعشر حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى في رزقه فإنّما الرزق من الله تعالى

١٤،١٠ (كما اتّفق أنّ بعض الصالحين كان فقيراً جدّاً) فبينما هو نائم إذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض إلى محلّ كذا خذ منه ألف دينار فقال أفيهم بركة قال لا قال اذهب عنّي فأتاه ثاني مرّة وقال له اذهب إلى المحلّ الفلانيّ خذ منه خمسمائة دينار فقال أفيهم بركة قال لا قال اذهب عنّي ولم يزل يأتيه مرّة بعد أخرى حتّى قال له اذهب إلى محلّ كذا وخذ منه ديناراً واحداً فقال أفيه بركة قال نعم فقال إذاً آخذه فذهب وأخذ الدينار وبورك له فيه وصار في نعمة زائدة وسعادة وافرة فالشخص إذا

قَنِعَ شَبِعَ وبورك له في قليله قال الوليّ العارف بالله تعالى سيّدي يحيى البهلول رضي الله عنه ونفعنا به آمين [وزن غير معروف]

واستقنع بقليلك   يأتيك الله بكثير

وقال [وزن غير معروف]

كم من عارض بعد رشاش   ينهلّ من المُزْن

١٥،١٠ وقال الشافعيّ رضي الله عنه [متقارب مع كسر]

وجدتُ القناعةَ كنزَ الغِنا   فصرتُ بأذيالِها ممتسكْ
فَلا ذا يَراني عَلى بابِهِ   ولا ذا يَراني لَه[١] منهمكْ
أَمُرُّ عَلى النّاس بلا درهمٍ   ولا لي مطالب كأنّي ملكْ

١٦،١٠ حتّى مال عليه الدهر والزمان * وجَفَتْه الأهل والخلاّن * ونَفِدَ جميع ما كان معه من المال * وصار في أكبر الهمّ وأشدّ الأحوال * ولم يجد له خِلاًّ ولا مساعد * ولم يبقَ إلّا ما خلَفه له الوالد * وأخذ مشيخة الكفر من كان له خديم * ولم ير له مساعداً ولا حميم * كما هو عادة الدهر في رفع السافل * وخفض السادة الأماثل * فهو كالميزان في فعله * أو المُنْخَل في حاله ونقله * كما قال الشاعر هذه الأبيات [وافر]

رَأَيتُ الدَّهرَ يَرفَعُ كُلَّ وَغدٍ   ويَخفِضُ كُلَّ ذي شِيَمٍ شريفَهْ
كَمِثْلِ البَحرِ يُغرِقُ كُلَّ حيٍّ   ولا يَنفَكُّ يطفو فيه[٢] جِيفَهْ
أو الميزانِ يَخفِضُ كُلَّ وافٍ   ويَرفَعُ كُلَّ ذي زِنَةٍ خَفِيفَهْ

١٧،١٠ وقال بعضهم [سريع]

١ بي (في جميع النسخ): عليه. ٢ بي: فيه كل.

الدّهـرُ كالمُنخّلِ في فِـعلِهِ   فـاعْجَبْ لِما يَصـنَعُهُ المنخلَ
يحـطُّ لُبَّ اللُّبِّ مِن تحتِـهِ   ويَـرفَعُ القِشْـرَةَ والفَشْوَلْ

فحوادث الدهر تأتي على غَرَر * وتُذْهِب الشخص على خَطَر *

وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الأبيات [بسيط] ١٨،١٠

حَوادِثُ الدَّهرِ قَد تَأتي عَلَى خَـطَرٍ   فاحذَر عَواقِبَها تَنجو مِنَ الضَـرَرِ
واعدُد لها مِن دُروعِ الصَّبرِ سابِغة[١]   تَقـيكَ شِدَّتَها[٢] إذ تُـرمَ بالشَّرَرِ
ودَعْ زَمـانَ الصِّبا أغصانُه يَبِسَتْ   مِن بَعدِ نَضْرَتِها في المَغْرِس النَّضِرِ
كانَت لَيـالي بِهـا اللّذّاتُ مُثْمِرَةً   قَطَفتُ مِنها ثِمارَ العِزِّ في الصِّغَرِ[٣]

إلى آخر هذه الأبيات

فليس لحوادث الدهر إلّا الصبر الجميل * والتسليم إلى الربّ الجليل * وممّن دهمه حادث الزمان * وانصرفت عنه الأهل والخلّان * (ما يحكى أنّ بعض الحسدة وشّى بالوزير الكاتب ابن مُقْلة) الذي انفرد في زمانه بعلوّ الخط وحسنه وادّعى أنّه دلس على الملك في بعض الأمور قال فأمر الملك بقطع يده فلمّا فعل به هذا الأمر لزم بيته وانصرفت عنه الأصدقاء والمحبّون ولم يأته أحد إلى نصف النهار فتبيّن للملك أنّ الكلام عليه باطل فأمر بقتل الرجل الّذي وشّى به وأعاد ابن مقلة إلى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلمّا رأوا إخوانه عَوْد النعمة إليه عادوا له يهنّوه وأقبلوا إليه يتعذّرون له فعند ذلك أنشد يقول شعر [بسيط] ١٩،١٠

تَخـالَفَ النّـاسُ والزّمـانُ   فَحَيثُ كانَ الزّمـانُ كانوا
عـاداني الدّهـرُ نِصفَ يَومٍ   فانكَشَفَ النّاسُ لي وبانوا
يا أَيُّهـا المُـعـرِضون عـنّي   عودوا فَقَدْ عـادَ لِيَ الزّمـانُ

---

١ بي: سابقةً. ٢ بي: شرتها. ٣ بي: الصَفَرِ

وقيل مكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغيّر خطّه حتّى مات

٢٠،١٠ (ومن النوادر الدالّة على فصاحة ابن مقلة) ما اتّفق أنّ رجلاً كتب رقعة وألقاها إليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكلّ لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر أن ينطق بهذا الحرف وصورتها أمر أمير الأمراء أن يُحفَرَ بيرًا على قارعة الطريق يشرب منه الشارد والوارد قال فلمّا أن تأمّلها غيّر الألفاظ وأتى بالمعنى وقال حكم حاكم الحكّام أن يُجْعَلَ جُبًّا على شاطئ الوادي ليستقي منه الغادي والبادي وكان هذا من قوّة بلاغته رحمه الله تعالى وقيل أربعة يُضْرَب منهم المثل حسّان بن ثابت في الفصاحة ولُقْمان في الحكمة وابن أدهم في الزهد وابن مقلة في حسن الكتابة والخطّ قال الشاعر يصف هذه الأربعة بهذه الأبيات [طويل]

فَصاحَةُ حَسّانٍ وَخَطُّ ابن مُقْلَةٍ وحِكمَةُ لُقْمانٍ وزُهدُ ابنِ أَدْهَمِ
إِذا اجتَمَعوا في المَرءِ والمَرءُ مُفْلِسٌ ونُودِي عَلَيه لا يُبـاعُ بِدِرهَمِ

٢١،١٠ وأمّا ضدّ هذه الأربعة فللّه درّ من قال فيها [طويل]

سَماجَةُ أُطروشٍ وثُقْل ابن قَيْـنةٍ وغَفلَةُ قَرْنانٍ وعَكْسُ ابنِ أَيْهَمِ
إذا اجتَمَعوا في المَرءِ والمَرءُ مُوسِرٌ لَكانَ فَصيحَ القَومِ عِنـدَ التَكَلُّمِ

٢٢،١٠ وممّا دهمه حادث الدهر * وعلاه الهمّ والقهر * فأصبح بعد العزّ حقيرا * وبعد الغنا فقيرا * (كما اتّفق أنّ رجلاً ركبته الديون فترك عياله وخرج هائمًا على وجهه) إلى أن أقبل بعد أيّام على مدينة عالية الأصوار عظيمة البنيان فدخلها في حالة الذلّ والانكسار وقد اشتدّ به الجوع وآلمه السفر فمرّ في بعض شوارعها فرأى جماعة من الأكابر متوجّهين فذهب معهم إلى أن انتهوا إلى محلّ يشبه محلّ الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم إلى أن انتهوا إلى رجل جالس في هيبة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنّه من أبناء الوزراء فلمّا رآهم قام لهم وأكرمهم قال فأخذ الرجل المذكور الوهم

واندهش ممّا رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخّر إلى ورائه وهو في حيرة وكربة وخائف على نفسه حتّى جلس في محلّ بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس إذ أقبل عليه رجل ومعه أربع كلاب من كلاب الصيد وعليهم أنواع الخزّ والديباج وفي أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضّة فربط كلّ كلب منهم في محلّ مُعَدّ له ثمّ غاب وأتى بأربع أصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكلّ واحد منهم صحناً على انفراده ثمّ مضى وتركهم قال فصار هذا الرجل ينظر إلى الطعام من شدّة الجوع ويريد أن يتقدّم إلى كلب منهم يأكل معه فيمنعه الخوف منهم فنظر إليه كلب منهم فعرف حاله فامتنع عن الأكل وأشار إليه فدنا منه فأشار إليه ثانياً أن كُلْ من هذا الصحن فتأخّر الكلب عن الصحن فأكل الرجل حتّى اكتفى وأراد أن يذهب فأشار إليه الكلب أن خُذ الصحن ببقيّة ما فيه من الطعام قال فأخذه ووضعه في كمّه ووقف ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن فمضى به إلى حال سبيله ثمّ سافر إلى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجّه إلى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كبيرة زائدة وبركة عميمة مدّة من الزمان ثمّ إنّه قال لنفسه لا بدّ أنك تسافر إلى مدينة صاحب الصحن وتأخذ له هديّة سنيّة تكافئه بها وتدفع له ثمنه وإن كان أنعم به عليك كلب من كلابه ثمّ إنّه أخذ هديّة تليق بمقام الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أيّاماً وليالي حتّى أقبل على تلك المدينة وطلع إليها يريد الاجتماع به حتّى أقبل إلى محلّه فلم ير إلّا طَلَلا باليا * وغراباً ناعيا * وديارًا قد أقفرت * وأحوالاً قد تغيّرت * وحالاً للقلوب قد أَرْجَفَ * ومحلاً تركه الدهر ﴿قاعًا صفصفا﴾ * كما قال بعضهم [طويل]

سَرَى طَيْفُ سُعْدى طارِقًا يَستَفِزُّني سُحَيْرًا وَصَحبى بالدِّيارِ رُقودُ
فَلَمّا انتَبَهنا للخَيالِ الّذي سَرَى أَرَى الدّارَ قَفْرًا والمَزارُ بَعيدُ

٢٣،١٠ فلمّا شاهد تلك الأطلال الباليه * ورأى ما صنع الدهر بها علانيه * اعترته الحيرة عن يقين * والتفت فرأى رجلاً مسكين * في حالة تقشعرّ منها الجلود * ورؤية يحنّ

إليها الجلمود * فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان * بصاحب هذا المكان * وأين بدوره السافره * ونجومه الزاهره * وما هذا الحادث الّذي حدث على بنيانه * وما هذا الأمر الّذي لم يُبْقِ منه غير جدرانه * فقال له هذا المسكين * وهو يتأوّه من قلب حزين * أمّا في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه * حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً في هذه الدار إلّا وضعه * وإن كان سؤالك عن أمر وسبب * فليس مع انقلاب الدهر عجب * أنا صاحب هذا المكان ومُنْشيه * وساكنه وبانيه * وصاحب بدوره السافره * وأمواله الفاخره * وتحفه الزاهيه * وجواره الباهيه * ولكنّ الزمان قد مال * فأذهب الخدم والمال * وصيّرني في هذه الحالة الراهنه * ودهمني بحوادث كانت عنده كامنه * وسؤالك هذا عن أمر وسبب * فأخبرني عنه واترك العجب * قال فأخبره بالقصّه * وهو في تألّم وغُصّه * وقال له قد جئتك بهديّة فيها النفوس ترغب * وثمن صحنك الّذي أخذتُه من الذهب * فإنّه كان سبباً لغنائي بعد الفقر * ولزوال ما كان عندي من الهمّ والحصر * قال فهزّ الرجل رأسه وبكى * وأنّ واشتكى * وقال يا هذا أظنّك مجنون * فإن هذا أمر لا يكون * كلب من كلابنا تكرّم عليك بصحن من الذهب * أَفَأَرْجِعُ فيه ولو كنتُ في أشدّ الهمّ والوَصَب * والله لم يأتني منك شيء يساوي قُلامه * فامض من حيث جئت بالسلامه * قال فقبّل الرجل أقدامه ويديه * وانصرف راجعاً يثني بالمديح عليه * ثمّ إنّه عند فراقه ووداعه * أنشد هذا البيت الّذي يُلْتَذّ بسماعه * فقال [خفيف]

ذَهَبَ النّاسُ والكِلابُ جَميعاً فَعَلى النّاسِ والكِلابِ السَّلامُ

٢٤،١٠ (وقد ناب مؤلّف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب) * ورمته الليالي بسهام الهموم من قُسِيّ المصائب * فأصبح بعد الجمع وحيدا * وبعد الأنس فريدا * يسامر النجوم * ويساور الهموم * يسكُب على فراق الأحِبّة الدموع * ويرجو عَوْد الدهر وهيهات الرجوع * قال الشاعر [بسيط]

فَلَيتَ شِعري والدُّنيا مَفرِّقَةٌ بَينَ الرِّفاقِ وأَيّامُ الوَرى دُوَلُ
هَل تَرجِعُ الدَّارُ بَعدَ البُعدِ آنِسَةً وهَل تَعودُ لَنا أَيّامُنا الأُوَلُ

لكن الصبر على غدوات الأيّام * من شِيَم السادة الكرام * شعر [بسيط] ٢٥،١٠

اصبر فَفِي الصَّبرِ فَضلٌ[١] لو عَلِمتَ به لَكُنتَ بادَرتَ شُكرًا صاحِبَ النِّعَمِ
واعلَم بأنَّكَ إن لَم تَصطَبِرْ كَرَمًا صَبَرتَ قهرًا على ما خُطَّ بالقَلَمِ

(وكلّ هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم * وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم * وهو الّذي كان سبباً لإنشاء هذا القصيد * وشكواه هذا الأمر الوافر المديد * فقال) [طويل] ٠،١١

ص

يَقُولُ أَبُو شَادُوفِ مِنْ عُظْمِ مَا شَكَا مِنَ ٱلْقِلِّ جِسْمُو مَا يَضَالْ نَحِيفْ ١،١١

ش

هذا الكلام له بحر وقدّ * وتقاطيع ومدّ * فبحره الطويل المديد * الناقص المزيد * ومن جعله من بحر الكامل * قال فيه متهابل متهابل * ومن قاسه ببحر الوافر * قال هو البحر الزاخر * ومن نسبه لبحر البسيط * قال هو من معنى الهلط والتخبيط * ومن قارنه ببحر السلسله * قال هو من معنى هلهله هلهله * ومن قارنه ببقيّة البحور * قال في تمثيله أنت حمار أو ثور * وأمّا قدّه المعهود * فعلى وزن بَرْوة تخلّي الماضغين جلود * وأمّا تقاطيعه المذكوره * فهي هذه الكلمات المنشوره * ١،١،١١

---

١ بي: فضلا.

يقول	أبوشا	دوف من	عظم ما شكى
نبول	عليها	في الضحى	مع غرو بها

وجموع هذا الكلام * من هذا النظام *

(نبول عليها في الضحى مع غروبها)

فإذا عرفت البحر والقدّ * والتقاطيع والمدّ * فلنشرع لك الآن في شرح الكلام على حسب التواقيع * أو على نمط الفراقيع *

٢،١،١١ فنقول قوله (يقول) أي يريد أن ينشئ[١] قولاً في الخارج فيه شرح حاله ودليل على ما نابه من حوادث الزمان * وما أصابه من دواعي الهمّ والأحزان * والقول له مصادر واشتقاقات فمصدره قال يقول قولاً ومقالة وربّما يزاد فيه قلّة وقيلولة واشتقاقه من القَيْلولة أو من القُلَل أو من الأقوال أو من قالوا أو قلنا

٣،١،١١ وإنّما زدت هذه المصادر الفشرويّة وهذه الاشتقاقات الهباليّة إلّا لنبني عليها ما سأذكره لك (ممّا اتّفق لي مع بعض من يدّعي العلم وهو جاهل) وما ذاك إلّا أنّي لمّا توجّهت إلى الحجّ إلى بيت الله الحرام سنة أربعة وسبعين وألف وبلغت بَنْدَر القُصَيْر أنتظر خروج السفن فجلست أيّاماً بزاوية على البحر المالح أَعِظُ الناس فبينما أنا ذات يوم في هذا المكان أقرأ فيه * وأبيّن للناس الكلام ومعانيه * وأنا في هيئة تشين النظر * وفي أُهْبة ذهاب وسفر * وبهللة وهبال * وهلفطة ومقال * إذ أقبل عليّ بلا محَاله * رجل يشبه دائرة الهاله * طويل هبيل * فظّ ثقيل * له عمّة كالهَيُولى في العظم * وطيلسان نُسِجَ من صوف الغنم * ثمّ جلس يريد الضرر * ونظر إليّ شذر * فظهر لي منه الشرّ والجدال * ومنتظر منّي متى قلت قال * وكان الأمر كما ذكرت * وما إليه بهذا المعنى أشرت * فابتدأت في الكلام * وقلت قال النبيّ عليه الصلاة والسلام *

---

١ بي: ينشي.

فعند ذلك قال لي بلفظ كثيف * ما معنى قال في التصريف * فلمّا سمعت سؤاله * تحقّقت جهله وهباله * وعلمت أنّه خالي من العلوم * وجاهل بالمنطوق والمفهوم * فقلت له إنّ قال يتصرّف منه أسماء وأفعال * وهي قال يقول قولاً ومقالة وقلّة وقَيلولة على الكمال * وإن أردت جعلت لك بيقين * تصريف هذه السـتّة سـتّاً وثلاثين * فقال لي وهذا التصريف في أيّ متن من المتون * فقلت له في ديوان ابن سودون * فركن إلى قولي على جهل منه وعمى * فعرفت أنّه لا يدري الاسم ولا المسمّى * ثمّ انقاد إليّ بعد الدعوى والهيس * انقياد الغنم للتيس * وامتثل الأمر في رواحه ومقبله * حتّى مضى إلى حال سبيله *

٤،١،١١ (فإن قيل) لأيّ شيء خلطتَ على هذا السائل في هذه المصادر والاشتقاقات * ووسّعت عليه في هذه الأمور الهباليّات * كنت تقتصر على ما قالوه في كتب الصرف * ولا تجرف الكلام جرف * (قلنا الجواب) نعم كان ينبغي هذا الكلام * ولكن مع من يدري العلم بالتمام * وأمّا الجاهل البليد * والفظّ العنيد * فليس له إلّا ما يناسب جهله من دشّ الكلام * والعجرفة فيما يليق بذلك المقام * فكان ما سبق من الجواب وحاله * مناسب لسؤاله وهباله * فاتّضح الإشكال * عن وجه هذا الهبال *

٥،١،١١ (مسألة هباليّة) ما الحكمة في أنّ الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضي كما قال صاحب ألفيّة النحو رحمه الله تعالى قال محمّد هو ابن مالك (الجواب الفشرويّ) أنّ هذا الفعل الماضي الّذي هو قال يتولّد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتي منه قولاً كما سبق في تأصيل الأفعال والأسماء فاكتفى بالفرع عن الأصل أو أنّه أراد تعداد الأمور الّتي حصلت له من تغيّر الزمان وانقلابه ولم يكن أخبر عنها سابقاً بلفظ الماضي فأراد الإخبار عنها بلفظ المضارع الّذي هو يقول وإن كان في معنى الماضي صورةً وفي معنى المضارع حقيقةً قال الشاعر [طويل]

فقالَ هو الماضي يَقولُ مُضـارِعٌ   وإنْ كان ذا الماضي له في الحقيقةِ

وقال أبو الطيّب المتنبّي عفا الله عنه شعر [طويل]

إذا كانَ ما يَنويهِ فِعلاً مُضارِعًا مَضَى قَبلَ أَن تُلْقَى عَلَيهِ الجَوازِمُ

أي إذا نوى شيئاً مستقبلاً أمضى فعله قبل أن يدخل عليه ما يجزُمُه أي يمنعه عنه ويسكّنه عن الحركة عن فعله انتهى وأيضاً لو أتى بالماضي لاختلّ الوزن وإن كان المعنى باق على حاله فاتّجه الجواب وبان الصواب وقوله

(أبو شادوف) هذه كُنْيَته وغلبت عليه فصارت عَلَماً كما قالوا في مَعْدِي كَرِب وبَعْلَبَكّ وبَرَقَ نَحْرُه ونحو ذلك وأمّا اسمه الحقيقي عُجَيْل تصغير عِجْل على ما قيل وسببه أنّ أمّه لمّا ولدته أَلْقَتْه في مَذْوِد البقرة فجاء العجل ولحسه فسمي بذلك أيّاماً حتّى اشتهر بهذه الكنية وسبب اشتهاره بها أقوال أحدها إنّه لمّا مال عليه الدهر كما تقدّم أجّر نفسه لسقي الزرع بالآلة الّتي يجعلوها أهل الريف تسمّى أبو شادوف وصورة فعلها أنّهم يجعلوا ناطورَيْن من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلّقوا فيها خشبة أيضاً بالعرض حكم قصبة الميزان يضعوا في طرفها الّذي من جهة البر شيئاً ثقيلاً والّذي من جهة البحر الدلو أو القَطَوة الّتي ينضحوا بها الماء ثمّ إنّ الرجل يقف إلى جهة البحر ويتّكي على طرف تلك القصبة فيقع الدلو أو القطوة في البحر ويغرف الماء ثمّ يتركه فيثقل طرفها الثاني ويصعد الدلو أو القطوة ويفرّغ في النقرة مع مساعدة الرجل له ويجري الماء إلى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مراراً عديدة ويسموا مجموع الآلة والناطورين أبو شادوف وهو مشتقّ من الشدف وهو الغرف قال في القاموس الأزرق والناموس الأبلق شدف يشدف شدفاً بمعنى غرف يغرف غرفاً قال الشاعر [طويل] ٦،١،١١

إذا ما رَأَيتَ الماءَ فاشْدُفْ بِراحةٍ فذلك للظّمآنِ أَهنَى وأَطيَبُ

٧،١،١١ فالناظم لمّا لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها في غالب الأوقات سُمّي باسمها من باب تسمية الحال باسم المحلّ وقيل إنّ أمّه ولدته عند أبو شادوف فسُمّي باسمه لكن يردّه ما تقدّم من أنّ اسمه الأصليّ عجيل وقد يُجْمَع بين الأقوال فيقال إنّ أمّه لمّا ولدته عند أبو شادوف أخذته ووضعته في المدود ولحسه العجل على ما تقدّم فسمّي عجيل ثمّ اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الأقوال وقيل سمّي بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كلّ من سأل عنه يقال له عند الشدف أي الغرف ثمّ زادوا هذه الكلمة الألف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الأب وقالوا أبو شادوف ووضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرّفوه بها فصارت علماً له يخاطَب بها كما سبق بيانه انتهى

٨،١،١١ (مسألة هباليّة) ما الحكمة في أنّ الدلو أو القطوة لا يفارق الخشبة التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هى حكم الأب له كما سبق من أنّ النواطير في حكم مقام الأب للشادوف وأن الدلو أو القطوة إنّما لازما هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفكّ عنها بطل عمله فهو مجاور لها في وقت الحاجة لا غير قلنا (الجواب الفشرويّ) أنّ الخشبة لا تستغني عن الدلو أو القطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الأب لما ذكر لأنّ كلاًّ من الدلو أو القطوة مرتبط بالخشبة فاتّجه المقال عن وجه هذا الهبال

٩،١،١١ (فائدة) الأب مشتقّ من آب إذا رجع قال ابن زُرَيْق رحمه الله في قصيدة له [بسيط]

مـا آبَ مِن سَفَـرٍ إِلّا وأَزعَجَـه رَأيٌ إلى سَفَـرٍ بالعَـزمِ يَمنَعُـهُ

أي ما رجع من سفر إلّا وأزعجه رأيه إلى سفر ثاني وكذلك الأب لأنّه في كلّ ساعة يرجع إلى ولده ويفتقده وينظر إليه وقيل مشتقّ من الأُبُوّة كما أنّ الأخ مشتقّ من الأُخُوّة قال الشاعر [طويل]

أبو المَرءِ مَن آبَ اشـتِقاقاً لإسمِهِ وَاخو المَرءِ أَيضاً قَد أَتَى مِن أخوّه

ومصدره آب يأوب أَوْباً فهو آبٍ

وقال ابن سودون إنّ أبو هذا فعل ماض ناقص وأصله أبوس ويدلّ على ذلك ١٠،١،١١
قول الشاعر [بسيط]

قَالوا حَبيبُكَ وارَى ثَغرَهُ صَلَفاً ماذا تُحاوِلُ إِن أَبداه قلتُ أبو

أي أبوس وإنّما حُذِفت السين لوجهين الأوّل لقصد حصول اللبس على السامع
إذ هو اللائق بهذا عند الأدباء والأقرب إلى السلامة من الواشين والرقباء والثاني
حُذِفت السين لأنّها في الجُمَّل بستّين والستّون في البوس إسراف عند البعض *
هذا كلامه المصرَّح به في ديوانه انتهى

قلت وكلام هذا البعض الذي نقله ابن سودون مردود لأنّ المحبّ إذا ظَفِر بمحبوبه ١١،١،١١
فلا يستفي فؤاده بستّين قُبْلة ولا بمائة خصوصاً إذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات *
حسن الصفات * مطيع للعاشق * مصافياً مصادق * وانطبع بقَدّه المأنوس * وانضمّ
لعاشقه انضمام العروس * وتملّى المحبّ بالحبيب * وخلا المجلس من الواشي والرقيب *
هنالك لا ينحصر البوس بعدّ * ولا يكون له غاية ولا حدّ * قال الشاعر [سريع]

سَأَلتُ بَدرَ التَّمِّ فِي قُبلةٍ أَجابَ أَنْ يوفِي ومُنْشِي السَّحابْ
لمّا اختَلَينا واجتَمَعنا بِهِ غَلِطتُ في العَدِّ وضاعَ الحِسابْ

وقلت في المعنى [طويل] ١٢،١،١١

رَأيتُ لَه شَرطاً عَلى الخَدِّ قَد حَوى جَمالاً وَقَد زانَ المَلاحَةَ بالقُرطِ
فَقُلتُ مُرادي اللَّثْمُ قالَ بخَلوَةٍ فَقبَّلتُهُ أَلفاً عَلَى ذلك الشَّرطِ

اللّٰهمّ إلّا أن يكون المحلّ غير قابل للمحبّ والحبيب * بأن يكون ثَمّ َخوف من واشٍ أو رقيب * فيكون الضمّ في تلك الحالة والتقبيل * بحسب أمن العاشق في الكثرة والتقليل * ومنهم من لا يعتريه في ذلك وَهْمٌ ولا إلباس * ويقبّل محبوبه ولو بحضرة الناس * ولو نفر منه وفرّ * ربّما مال نحوه ومرّ * قال الشاعر [رمل]

لو تـراني وحـبيبي عِـندَمـا فَـرَّ مِـثلَ الظبَيِ مِن بَينِ يَـدَيّ
وغَـدا يَعـدو وأعـدو[١] خـَلْفَهُ وكِلانا قَـد طَوَينـا الأرضَ طَيّ
قـالَ مـا تَرجِـعُ عنّي قُلتُ لا قـالَ ما تَطـلُبُ منّي قُـلتُ شَيّ
فَـنَأى عـنّي وَوَلّى خَجَلاً وانثَنَى بالتّـيهِ عـنّي لا إلَيّ
كِدتُ بَينَ النّـاسِ أنْ أَلْثِـمَهُ آهِ لَو أفـعـلُ مـا كان عـلَيّ

ومن اللطائف أنّ أبا نواس مرّ يوماً في شوارع بغداد فرأى غلاماً جميلاً فقبّله عِياناً ١٣،١،١١ فترافع الغلام هو وإيّاه على يد القاضي يحيى بن أكثم وادّعى عليه بما وقع قال فأطرق القاضي ساعة وأنشد يقول [طويل]

إذا كنتَ للتَّجميشِ والبَوسِ مانِعـا فـلا تَدخـلِ الأسواقَ إلّا مـنقَّبا
ولا تُرْخِيَ الأهدابَ مِن فَوقِ طُرّةٍ ولا تُظْهِرَنْ مِن فَوقِ صُدغِكَ عَقرَبا
فتَـقـتُلَ مِسْكيـناً وتُهجِـرَ عـاشِقاً وتَـتـرُكَ قـاضِي المسـلمِينَ مـعذَّبا

قال فأطرق الغلام ساعة وأنشد يقول [طويل]

وكُنّا نرجّي أن نـرَى العَدلَ بيَـنَنا[٢] فـأَعْـقَبَنَا بَعـدَ الرَّجـاءِ قُـنوطُ
مَتى تَصلُحُ الدُّنيا ويَصلُحُ أَهلُـهـا إذا كان قـاضي المسلِـين يَلوطُ

١ بي: يغدو وأغدو. ٢ بي: وكنّا إذا نرجو انتهاء العدل بيننا؛ ب: وكنّا اذا نرجوك للعدل بيننا؛ ك با م: وكنّا اذا نرجوك انتها للعدل بيننا.

١٤،١،١١ وقوله (من عظمِ ما شكا) أي من عظيم أمر أو أمور يشكو منها وصرّح بشكواه راجياً من الله تعالى أن يَفرِج عنه ويعيد له ما سلف من أيّام النعيم الّتي كان فيها فإنّ الأمر إذا اشتدّ هان وإذا ضاق اتّسع قال الشاعر [كامل]

وَلَرُبَّ ليلٍ في الهُمومِ كَدُمَّلٍ عالجتُهُ حتّى ظَفَرتُ بفَجرِهِ
وَلَقَدْ تَمرُّ النائِباتُ عَلَى الفتى وتَزولُ حتّى لا تَجولُ بِفكرِهِ

والشكوى على أقسام شكوى لله وهي محمودة وشكوى للمخلوق وهي مذمومة اللّهمّ إلّا أن يكون في حال شكواه معتمدًا على الله تعالى متّكلاً عليه مستعيناً به في دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك وإذا صبر واحتسب كان أولى وفرّج الله عنه قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ﴾ وقال تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ومن كلام الأستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى بركاته [هزج]

إذا ضاقَتْ بِكَ الأحوالُ تَفَكَّرْ في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾
تَجِدْ يُسْرَيْنِ بينْ عُسْرَيْنْ ولا تَحْزُنْ ولا تَفْرَحْ

١٥،١،١١ ثمّ إنّ الناظم أراد تعداد الأمور الّتي ترادفت عليه مبتدئًا بأعظمها وأهمّها فقال

١٦،١،١١ (من القلّ) بكسر القاف وسكون اللام أي إنّ أهمّ شكواي وأعظمها أوّلاً من القِلّ وهي قلّة المأكل والمشرب حُذِفَتْ تاء الكلمة لضرورة النظم وأيضاً عدم الميسرة في اللبس وشدّة التعب والنصب في كدّ المعيشة وفي الحديث كاد الفقر أن يكون كُفْرًا أي قارب أن يُوقِع في الكفر لأنّه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء وسُخُط الرزق وذلك يجرّ إلى الكفر وفي الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله [طويل]

لَعَمْري لَقَد قاسيتُ بالفَقرِ شِدَّةً وَقَعتُ بها في حَيْرَةٍ وشَتاتِ
فإِنْ بُحتُ بالشَّكوى هَتَكتُ سَريرتي وإِنْ لم أَبُحْ بالفَقرِ خِفْتُ مَماتي

(وقيل) وُجِدَ مكتوب على تاج كِسْرى أنوشِرْوان أربع كلمات وهي العدل إن دام عمّر * والظلم إن دام دمّر * والأعمى ميّت وإن لم يُقْبَر * والفقر هو الموت الأحمر * وهذه الكلمة يعاير بها أهل الأرياف الرجل الفقير فيقولوا فلان في قِلّ وربّما زادوا كلمة أخرى فقالوا في قِلّ وعَتْرَه أي في حالة كدّ وتعب وارتكاب أمور شنيعة وأحوال مكربة وهي من ألفاظ أهل الريف قال بعض شعرائهم [هزج]

أَبُو جَامُوسْ صِبِحْ حَالُو   يُبَكِّي ٱلنَّاسْ وَهُوْشُهْرَهْ
يِبَحْرِي مَا بِيَلْقَاشِي   وَفِي قِلَّهْ وَفِي عَتْرَهْ

١٧،١،١١ (والقلّ) على وزن الغِلّ أو الظِلّ مشتقّ من القَلْقَلة أو من القُلّة بضمّ القاف أو القولق وعَتْرَه بفتح العين المهملة وجزم الهاء في آخرها على وزن زُبْرَه فخذ زبره وَزِنْها على عتره لا تختلف أبدًا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلّة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر أي مرتكب هذه الأمور وأمّا بالثاء المثلّثة فهي واحدة العثرات وهي اللغة الفصحى بمعنى أنّ المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القلّ في كلام العرب (وهو ما حكي) أنّ رجلاً حضريًّا عزم على رجل بدويّ فأخرج له صحنًا من الطعام وشيئًا يسيرًا من الخبز فصار البدويّ كلّما أخذ لقمة يقول له الحضريّ قل بسم الله الرحمٰن الرحيم يا بدويّ ولم يزل يكرّر عليه التسمية فاستحى البدويّ وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثمّ بعد أيّام خرج البدويّ من منزله فرأى صاحبه الحضريّ فأخذه وأجلسه في داره وأخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضريّ وسفّ ما في القِلّة بركة أي ما في قِلّة الطعام مع الشُحّ بركة ودَعْك تسمّي الله أو تترك التسمية وإن كان محلّ ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وإن كان صاحبها فقيرًا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر [وافر]

إِذا كَثُرت عُيوبُكَ في البَرايا   وسَرَّكَ أَنْ يَكونَ لها غِطاءُ
تسَتَّرْ بالسَّخاءِ فَكُلُّ عَيبٍ   يُغَطّيهِ كَما قيلَ السَّخاءُ

وفي الأثر كلّ عيبٍ الكرم يغطّيه

١٨،١،١١ (مسألة هباليّة) ما الحكمة في اشتقاق القلّ من القولق أو من القُلّة أو من القَلْقَلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الألفاظ (الجواب الفشرويّ) أنّ القولق اسم لشيء من الجلد يُصْنَع لحفظ الدراهم ويُرْبَط في الحزام على الفخذ الأيمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتّساعه كما أنّ القلّ هو ضيق المعيشة وعدم اليسرة فناسب المعنى في ذلك وأمّا اشتقاقه من القُلّة بضمّ القاف فلأحد أمور إمّا لحصر الماء فيها فكذلك حكم القِلّة وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه أو أنّ المناسبة في ذلك لضيقها في حدّ ذاتها وأنّ الماء لا ينزل منها إلّا من خروم ضيّقة وأنّها إذا وُضِعَت في الماء بقبقت وصارت حكم الّذي يشكو إلى الماء قال الشاعر [بسيط]

ما بَقْبَقَ الكوزُ إلّا مِن تَأَلّمِهِ يَشكو إلى الماءِ ما قاسَى مِنَ النّارِ

فكان في ذلك مشقّة وشدّة تعب فناسب اشتقاق القلّ من هذا المعنى والقول الثالث إنّه من القَلْقَلة فهو كذلك من قلقلة الأمور أي سرعة حركاتها وشدّتها وارتكاب المشقّات ونحو ذلك قال الشاعر [كامل]

قَلْقِلْ رِكابَكَ في الفَلا وَدَعْ الغَواني في القُصورِ
القاطِنينَ بِأَرضِهِمْ عِندي كَسُكّانِ القُبورِ

أي حرّك ركابك في الفلا وهو الفضاء المتّسع والمعنى سر شرقًا وغربًا واكتسب ما يُغْنِيك عن سؤال الناس ولا تكن عَيْلة عليهم ولا تذلّ نفسك لهم ودع الغواني جمع غانية وهي ذات الجمال أي اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربّما اشتغالك بها يتولّد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها إلى غيرك ويترتّب على هذا مفاسد كثيرة فإذا سعيت وتركتها وأتيت لها بما يسدّ جوعتها ويستر عورتها ممّا

تحتاج إليه دامت معك على أتمّ مراد وأحسن حال وإن كان لا يفيدك من السعي والسفر إلّا اليسير فهو أَوْلى من عدمه بالكليّة قال الشاعر [طويل]

عـلى المَـرءِ أَنْ يَسعَى لِما فيـه نَفعُـهُ   ولَيسَ عَليـه أَنْ يُسـاعِـدَهُ الدَّهـرُ

(وفي بعض الكتب المُنْزَلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة تحرّكْ أَرْزَقُك وفي المثل الحركة فيها بركة وقال الإمام الشافعيّ رضي الله تعالى عنه شعر [طويل]

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلَى   وسـافِرْ ففي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِـدِ
تفـرُّجُ[1] هَـمٍّ واكتسـابُ مَعيشَـةٍ   وعِـلْمٌ وآدابٌ وصُحْبَـةُ مـاجِـدِ
فإِنْ قيل في الأَسفارِ ذُلٌّ وغُـرْبَةٌ   وتَشْتيتُ شَمْلٍ واجْتِمـاعُ شَـدائِدِ
فَمَوتُ الفَتَى خَيـرٌ لَه مِن حَيـاتِهِ   بِـدارِ هَوانٍ بَينَ واشٍ وحـاسَـدِ

فاتّضح الجواب باتّفاق *عن وجه هذا الاشتقاق* وقوله

١٩،١،١١ (جِسْمو) الضمير راجع للناظم أي جسمه وهو ذاته مشتقّ من التَجَسُّم أو من المُجَسِّمَة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبّحهم الله تعالى أو من جسم العاشق إذا أنحله بُعْد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيب وقوله

٢٠،١،١١ (ما يضال) كلمة ريفيّة ومعناها ما يزال كما تقدّم في الجزء الأوّل أي لم يزل جسمه من القلّ والتعب وعدم اليسرة

٢١،١،١١ (نحيف) على وزن رغيف وأصله نحيفا بالألف المقصورة وحُذِفَت لضرورة النظم والمعنى أنّ جسمه ضَعُفَ ورقّ من كثرة توارد الهموم عليه وتحمّل الأذى والكدّ في تعب المعيشة ونحو ذلك فإنّ الهمّ يُضْعِف الجسد ويُمْرِضه بخلاف الراحة وكثرة النعم

[1] بي: تفريج.

ومن هنا يظهر أنّ أصحاب المال والرفاهيّة في الغالب أنّ أجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقّتها فلا يرون بذلك للّهمّ تأثيرًا وقد قال الإمام الشافعيّ رضي الله تعالى عنه من نَظُفَ ثوبه قلّ همّه وفي الحديث الثوب يسبّح الله فإذا اتّسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهّده بالسقي والإصلاح وتنظيف الغَلَت عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيّرت عليه الأحوال وأمّا رقّة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبه أهيف قال الشاعر [رجز]

وأَهْيَفانِ لعبا بالنَّرْدِ أُنثى وذَكَرْ
قالَتْ أنا قُمْرِيَّةٌ قلتُ اسْكُتي أنتِ قَمَرْ

وأبلغ من هذا قول بعضهم [بسيط]

هَيفاءُ لَو خَطَرَت في جَفْنِ ذي رَمَدٍ لما أَحَسَّ له مِن وطْئِها أَلَما
خَفيفَةُ الرُّوحِ لَو رامَت لِخِفَّتِها رَقْصًا على الماءِ ما بلّت لها قَدَما

(مسألة هباليّة) لأيّ شيء قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه أنسب في المعنى وأفصح في العبارة وقد وردت في القرآن العظيم في قوله تعالى ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي من عبادتكم الأصنام (قلنا الجواب الفشرويّ) أنّ الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمّنها معنى اللفظة الّتي على وزنها وهي قطيم والقطيم بلغة الريّافة هو صاحب الأبنة وبلغة أخرى هو الخالي من الزواج فلو فرض أنّه أتى بها في النظم لربّما نسبوه أنّه كان به أبنة فيحصل من ذلك الضرر أو يقال إنّه راعى في ذلك قوافي الشعر فلا إشكال * فاتّضح المقول عن وجه هذا الهبال * ٢٢،١،١١

ثمّ إنّ الناظم أراد الإخبار عن بليّة ابتلى بها أيضًا نشأت من القلّ والعترة وعدم ما في اليد كما تقدّم فقال ٢٣،١،١١

ص

أَنَا ٱلْقَمْلُ وَٱلصِّيبَانُ فِي طَوْقِ جُبَّتِي   شَبِيـهُ ٱلنُّخَالَهْ يَجْـرُفُوهُ جـَرِيفْ   ٢،١١

ش

قوله (أنا) يعني أبو شادوف أخبركم أيضاً معاشر الأصحاب وأشكو إليكم   ١،٢،١١

وهو أنّ (القمل) المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القرآن العظيم فإنّه نوع من السوس أو القراد كما ذكره بعض المفسّرين (فائدة) ذكر الدِميريّ في حياة الحيوان عن بعضهم أنّ القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولّد من العرق ومن أوساخ الجسد واشتقاقه من التقمّل أو من تقميل الغزل إذا صُبِغَ وبُوِّشَ ووُضِعَ في شدّة حرارة الشمس فيبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمّل ومصدره قمل يقمل قملاً وهو اسم جنس الأنثى منه قملة وأمّا الذكر فلعلّه يسمّى قامل قال الشاعر شعر [طويل]   ٢،٢،١١

وما قامِلٌ في الثوبِ إلّا رأيتَهُ   يَدبُّ دبيبَ العُقْرُبانِ إذا مشى

(والعقربان) على لغة الثُعْلُبان اسم للثَعْلَب قال الشاعر [طويل]

أَرَبٌّ يبول الثُعْلُبان بوجهِهِ   لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعالبُ

وخوطب بلفظ المُثَنّى كما ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى خطاباً لمالك خازن النار ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ وقول الحجّاج يا غلام أضربا عنقه وأمّا قوله في البيت الأوّل يدبّ دبيب العقربان أي لأنّهم شبّهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل وهذا لأنها تلدغ والبرغوث يعضّ (فإن قيل) إذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلأيّ شيء لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر

الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) أنّ القمل لمّا كان مُنْشَأة من جسد الإنسان وأنّه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الإلهيّة وهي مصّ الدم الفاسد وإن كان يتحصّل منه الأذى كان المناسب لحكمة الله تعالى أن يكون صغيرًا ولدغته قليلة الألم إذ لو كانت القملة[١] قدر العقرب لَلَزِمَ أن يكون الآدميّ قدر الجمل ويكون دائمًا في خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها والله تعالى كرّم بني آدم وكذلك البرغوث لمّا جعله الله تعالى يسكن مخارق الثياب والمحلّات الضيّقة كان صغيرًا مثل القمل إذ لوكان قدر الفيل للزم أن يكون الآدميّ قدر الجبل والبرغوث واحد البراغيث والأنثى منه برغوثة وهو مشتقّ من البِرّ والغَوْث قال الجلال السيوطيّ رحمه الله [سريع]

لا تَكرَهِ البُرغوثَ إنَّ اسمهُ بِرٌّ وغَوْثٌ لا به تدري
فَبِرُّه مَصُّ دمٍ فاسدٍ والغَوثُ إيقاظُك للفَجرِ

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لأنّه تابع له

(سؤال) ما الحكمة في أنّ البرغوث ينطّ والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) أنّ القملة لمّا نشأت من العرق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها أنثى والأنثى عاجزة عن الذكر وأمّا البرغوث لمّا كان مَنْشَأُهُ من التراب كانت طينته قويّة ولهذا تشبّه بالفيل وهو أعظم الحيوانات ذاتًا فكانت القوّة ناشئة فيه فصار ينطّ فاتّضح الحال عن هذا الإشكال ٣،٢،١١

وقال بعضهم إنّ أذى البرغوث أقوى من أذى القمل قال الشاعر [بسيط] ٤،٢،١١

أشكو إليك براغيثا بُليتُ بها قد جرّعوا القلب كأسات من الغَصَصِ
أصيد هذا يجي هذا يؤالمني فتنقضي ليلتي في الصيد والقَنَصِ

وما أحسن ما قال بعضهم [طويل]

١ بي: القمل.

بَعُوضٌ وبُرْغُوثٌ وبَقٌّ لَزِمْنَني حَسِبْنَ دمي خمرًا فطاب لها الخَمْرُ
فيرقص برغوث لزَمْرِ بعوضةٍ وبَقُّهُمُ يسكتْ ليَسْمَعَهُ الزَمْرُ

٥،٢،١١ وأفادني بعض إخواننا الحشّاشين أدام الله بأكل الحشيش أُنْسَهم * وأخمد بدخول الأرطال عند النوم حِسَّهم * أنّ الشخص إذا أسقط ما يتيسّر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الأرطال ونام فلا يحسّ بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصاً إذا استعمل الحَلْوى بعد أكله فإنّه يفعل أفعالاً عجيبة ويُظهر مظاهر غريبة ولا يضرّه إلّا أكل الحامض كما قال بعضهم متضمّناً كلام سيّدي عمر بن الفارض رضي الله عنه [طويل]

أَمُنْسَطِلٌ بالزَّيـهِ من فقد قهوةٍ شَمولٍ على نيرانها يُجْمَعُ الشملُ
نصحتك إِنْ أصبحتَ في سَطْلَةٍ فلا تَذُقْ حامِضاً واخترْ لِنفسِكَ ما يحلو

٦،٢،١١ (وسمعت) من أمّي عفا الله عنها لُغزًا في البرغوث ولم أفهمه إلّا بعد زمن طويل لمّا فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا (يا شي من شي أحمر حِمَّيِّر ورق الجِمَّيِّر جروا وراه خمسه مسكوه اتنين) وتفسيره (يا شي) يا حرف نداء أي يا رجل فسّر لنا اسم يخرج (من شيء) مُبْهَم وهو أحمر (حِمَّيِّر) بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثنّاة من تحت تصغير أحمر بمعنى شديد الحُمْرة (ورق الجمير) أي كورق الجمير في لونه تصغير جُمّار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتفّ عليه (جروا وراه خمسة) وهي الأصابع (مسكوه اتنين) منهم وهو الشاهد والإبهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى

٧،٢،١١ (وممّا يمنع أذى البراغيث) البخور بقشر النارنج الناشف عند النوم (وممّا يقتل القمل) الحِنّاء والزِئْبَق إذا لُتّ منهما خيط صوف وعُلِّقَ في العنق فعل ذلك (وأمّا منافع القمل) فذكر صاحب طبّ الفقراء أنّ صاحب الشقيقة إذا أخذ قملة من رأس سالمة

من الوجع ووضعها في باقلاية مشويّة وسدّ عليها بشمع وعلّقها على موضع الشقيقة برئت بإذن الله تعالى

٨،٢،١١ (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولّد منه فعطف الفرع على الأصل لأنّه لازمه وغالب كثرته في رؤوس الأطفال لرِقّة أجسادهم فيُعالَج بالأدهان والحناء وتسريح الشعر ونحو ذلك وله أكلان في الجسد بسهولة فهو أخفّ ضرراً من القمل لكونه أضعف منه وألطف جسماً وأصله صُبْيان بتقديم الموحّدة على الياء المثنّاة من تحت جمع صَبِيّ ثمّ إنّهم أرادوا العدول عن هذا الجمع لئلّا يشتبه بأولاد الآدميّين فقدّموا الياء المثنّاة من تحت على الموحّدة وقالوا صيبان وهو مشتقّ من الصابون لبياضه أو من المُصِيبة أو من قناطر الصابونيّ ومصدره صبين يصبين صبياناً

٩،٢،١١ وسكت الناظم عن نوع آخر من أولاد القمل وهو النِمْنِمْ بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه أيضاً والفرع تابع للأصل كما تقدّم ونمنم على وزن سِمْسِم وهو مشتقّ من النَمْنَمَة أو النمّام نوع من المشموم وأمّا إذا فتحنا نونيه فيكون مركّباً من فعل أمر فكأنّه يأمره بالنوم مرّتين ومن معناه قول الحريريّ عفا الله عنه [سريع]

سِمْ سِمَةً تُحْمَدُ آثارُها فاشكرْ لمن أَعطَى ولو سِمْسِمَهْ

وهذا يقرب من فنّ الأحاجي كقولهم طاجن وطافية والياسَمين وقول بعضهم [بسيط]

إنّي رَأَيتُ عَجِيباً في دِياركُمُ شيخاً وجاريةً في بَطنِ عُصفورِ

وقول الآخر [مجتثّ]

وأحمرُ الخَدِّ قاني يُغْري إليه الخِضابُ
بِغَيرِ عَينٍ ونابٍ وفيه عينٌ ونابُ

١٠،٢،١١ ويطلق لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير إذا اشتهى الأكل فيقول نمنم أو بُفْ بضمّ الموحّدة وسكون الفاء لأنّه ينطق بألفاظ تخالف ألفاظ الكبير كما هو شاهد وأمّا لغته قبل نطقه فقيل أنّها بالسريانيّة وإذا اشتهى الماء يقول أُنْبُوهْ بضمّ الهمزة وسكون النون ورفع الموحّدة وجزم الهاء وإذا أدنى بيده لنجاسة يتناولها ينزجر بلفظ كُخّ بالكاف والخاء المعجمة وإذا دنا لأخذ شيء يؤذيه ينزجر أيضاً بلفظ أَحّ بالألف والحاء المهملة وإذا أخذ شيئاً أعجبه ولعب به يقال له أو يقول عليه دَحّ بالدال والحاء المهملتين ويقال له أو يقول على المأكول إذا فرغ منه بَحّ بالموحّدة والحاء المهملة وإذا أرادت أمّه تخويفه وسكوته عن الصياح تقول له اسكت لا ياكلك البِعْبِعْ بكسر الموحّدتين أو رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع) مشتقّ من البَعْبَعة وهو صوت الجمل وبين أَحّ ودَحّ وبَحّ الجناس المتغيّر الأوّل ويخاطب أمّه بلفظ ماما وأبوه بابا وأخوه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزّل بعضهم في صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الألفاظ فقال [بسيط]

يا مَن سَلَبْ للحَشا والرُّوحِ واوا أَحْ غيري يواصِلُكَ وأنا مِن وصالكْ بحْ
البُفّ أُطْعِمك والنَّمْنِمِ وقولةْ بحْ بِعْبِعْ أنا كُخِّ يا نِنّا وغيري دَحْ

وقال ابن سودون رحمه الله تعالى في معنى ذلك [هزج]

لموت آمّي أرى الاحزانَ تَحْنيني فطالما لحستنى لحسَ تَحْنينِ
وطالما دلّعتني حالَ تربيتي حتّى طلعتُ كما كانت تربّيني
أقولُ نَمْنَمْ تجي بالأكلِ تُطْعِمُني أقولُ انبُوهْ تجي بالماءِ تَسْقيني

وقوله (تحنيني وتحنيني) فيه الجناس التامّ الأوّل من الانحناء والثاني من التحنّن والشفقة كما لا يخفى

١١،٢،١١ ويقال عِذار مُنَمْنَم أي يشبه في نبته بدبيب النمنم أو نبات النمام وقد قلت في تشبيهه بدبيب النمنم [بسيط]

دَبُّ العذار على خدّيه خُيِّلَ لي بأنّه نِمْنِمٌ يمشي على مَهَلِ

١٢،٢،١١ (وبعضهم زاد نوعاً رابعاً) وسمّاه لِحِّيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بَعّبيص أو لِقِّيس مأخوذ من البعبصة وهي وضع الإِصْبَع في دُبُر الغير ولِقِّيس من اللِقاسة يقال لقس الكلب الإناء أي لَحِسَه بلسانه فيكون فيه نوع شبّه باللحيس أو يكون على قياس فطيس واللحاسة والنجاسة على وزن واحد يقال فلان لحس أي مرتكب شيئاً يشبه النجاسة أو كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنجاسة بمعنى واحد (قال) في القاموس الأزرق والناموس الأبلق لا فرق بين لقاسة ولحاسة والنجاسة فيها بلا شكّ فهذا أَصْوَب ويقال أنت تعيس لحس أي تشبه لحس الكلب للإناء أو أنّك تلحس الخراء بلسانك أو تتلحّس بالكلام ولا تدري منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك أيضاً فكلّها ألفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللِّحِّيس مزيد الضرر قال في القاموس الأزرق والناموس الأبلق [طويل]

ولي من أذى اللِّحِّيسِ في الرأسِ كُرْبَةٌ وغَلْيٌ وأَكْلٌ في الثياب وفي الجسدْ

ومصدره لحّس يلحّس تلحيساً

١٣،٢،١١ (فإن قيل) إنّ هذا اللحيس الّذي زاده هذا البعض شيء تافه جداً فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فما الجواب (قلنا) نعم وإن سلّمنا أنّه لا وجود له إلّا بعُسْر لدقته ففي الجملة له محض أذيّة وضرر فصار من أتباع القمل بل من أولاده كالصيبان والنمنم كما تقدّم * أو يكون هذا قياساً على من زاد في الأقوال نوعاً رابعاً وسمّاه خالفة وعنى به اسم الفعل وهو صَهْ بمعنى اسكت فاتّضح الحال عن وجه هذا الهبال وقوله

١٤،٢،١١ (في طوق جبتي) أي كائن أو مستقرّ في طوقها والطَوْق على وزن الجوْق كما يقال جوق الطبّالة وجوق المغاني ونحو ذلك وهو اسم لما طُوِّقَ به العنق من ثوب أو غيره كالحديد والفضّة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ أي المال الّذي كنزوه في الدنيا ولم يؤدّوا زكاته ولم يصرفوه في وجوه الخير يُجْعَل في عنقهم كالطوق ويعذَّبون به في النار والطوق مشتقّ من الطاقة أو من الطواقي لتدويرهم أو من خان أبو طاقيّة بمصر ومصدره طوّق يطوّق تطويقاً ونساء الأرياف يجعلونه من فضّة ويسمّى عندهم ضامن أيضاً وهو أحسن الحُليّ عندهم وأمّا ما يوضع في أعناق الرجال في السجن فإنّه يسمّى ضامنة يقال فلان في الضامنة أي بمعنى أنّ هذه الآلة الحديد الّتي في عنقه ضامنة له لا يقدر أن ينفكّ عنها مثل الرجل الضامن للإنسان متى طُلِبَ منه أحضره وقوله

١٥،٢،١١ (جبتي) على وزن شختّي ولحيتي هذا إذا نسبتها لنفسك وأمّا إذا كانت لغيرك فتقول جبّتك على وزن شختّك ولحيتك مثلاً وإذا وصفتها وقلت جبّتك حمره فتكون بالتصحيف خَنَتَكْ حَمْزه أي ناكك رجل يسمّى حمزة والجبّة واحدة الجبب مشتقّة من الجَبّ وهو القطع لأنّ الخيّاط يجُبّها أي يقطعها ويفصّلها يقال جاب الفيافي بمعنى قطعها وقد قلت في المعنى [طويل]

أَجوبُ الفَيافي طامِعًا في وِصالكَ وأَقطعُ أرضاً لَست مِنها بخابرِ

ومصدره جب يجب جبا وجبة

١٦،٢،١١ وهي على قسمين ريفيّة وحضريّة فالريفيّة من صوف تخين غليظ مسدودة حكم الثوب ويجعلوا أكمامها متّسعة خصوصاً شعراؤهم فإنّهم يُعْرَفون بزيادة وسع الأكمام لأنّ كمّ الرجل منهم مُخْتَصَر زكيبة على شكل الشعراء في وسع الأكمام وزيادة وأمّا نساؤهم فإنّ كمّ المرأة منهنّ يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكمّ الثاني وربّما جامع الرجل زوجته من كمّها ولا يحتاج لرفع بقيّة الثوب كما وقع لي ذلك فإنّي تزوّجت منهنّ

وكنت أجامع زوجتي في بعض الأحايين من كمّها فسبحان من خصّهم بقلّة الهندام* حتّى فى الثياب والأكمام* فهي أمور بينهم محبوبه* والمناسبة مطلوبه* (وفي المثل) رأوا قرد يسكرعلى خرّاره فقالوا ما للمُدام الرايق إلّا لهذا الشَبّ العايق و رأوا جاموسة منقّبة بكِيب فقالوا ما للصبيّه القصّيفه إلّا للنقاب الرفيع قال الشاعر [وافر]

رأَيتُ مجَذَّماً في قاعِ بيرٍ   وآخرَ أبرصَ يخرا عليهِ
فقلتُ تعَجَّبوا مِن صُنْع ربّي   شَبيهُ الشَّيءِ مُنجَذِبٌ إليهِ

(وأمّا الحضريّة) وهي الّتي يستعملها أهل المدن خصوصاً العلماء والظرفاء وهي من الصوف الرفيع اللطيف يجعلوها محصورة الآباط مفتوحة ويقال لها جبّة مفرَّجة بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدَّم الشخص وبان ما تحتها ويصنعوا لها السِجاف الحرير وغيرها حتّى تصير أعجوبة للناظرين* وبهجة للابسين* فسبحان من حلاّهم بطلاوة الملبوس* وزيّنهم بكلّ قدّ مأنوس* وجعل نساءهم زينة النفوس* (كما في المثل) الأساس بحسب بانيه* وكلّ شيء يشبه قانيه* فالإنسان ينشأ على الطبع الّذي جُبِلَ عليه* وشبه الشيء منجذب إليه* قلت في المعنى [وافر]

رأَيتُ بخَدِّهِ ماءً ونارًا   وذاك الوَردُ مُنتَثِرٌ عليهِ
فقُلتُ تَعَجَّبوا مِن صُنْع ربّي   شبيهُ الشَّيءِ مُنجَذِبٌ إليهِ

١٧،٢،١١ (ثمّ إنّ الناظم)لمّا علم أنّ القمل والصيبان وغيره الكائن في طوق جبّته لا يمكن حصره لكثرته أراد أن يشبِّهه بشيء يناسبه في الكثرة واللون فقال

١٨،٢،١١ (شبيه النّخاله) وهي قشر البُرّ والشعير الّذي يعلو المُنْخَل عند النخل وسيأتي تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطي حكم المشبَّه به من وجهين الأوّل أنّ القمل أبيض والنخالة كذلك الثاني أنّه إذا تراكم على بعضه البعض يرى في العين كثيرًا كما ترى النخالة

فكان تشبيهه بها هو المناسب وهي مشتقّة من النَخَل أو المُنْخَل قال في القاموس الأزرق والناموس الأبلق شعر [بسيط]

اسمُ النِخالَةِ مُشتَقٌّ كما ذكروا   من مُنْخَلٍ ونَخيلٍ ثمَّ مِنْخالِ

ونخالة الشعير أقوى نفعاً لأنّها إذا نُقِعَت في الماء وسُخِّنَت بالنار وشربها من يشتكي وجع الصدر أبرأته بإذن الله تعالى

وقوله (يَجْرُفوه) أي القمل والصيبان وتوابعهما المتقدّمة ١٩،٢،١١

(جريف) أصله جرفا لأنّه مصدر حُذِفَتْ ألفها وزِيِّدَ فيها الياء لأجل الرويّ أو أنّها لغة ريفيّة فلا اعتراض وهو مشتقّ من الجَرْف أو المِجْرَفة أو الجَرّافة (فإن قيل) كان حقّ الناظم أن يرجّع الضمير لأقرب مذكور وهي النخالة وكان هذا هو الأنسب (قلنا) لعلّه عدل من تأنيث الضمير لضرورة النظم إذ لو فعل ذلك لاختلّ الوزن أو يكون من باب الترخيم كقولهم [طويل] ٢٠،٢،١١

أفاطمَ مهلاً بَعضَ هذا التَّدَلُّلِ   وإِذْ أَنتِ قَد أَصرَمْتِ حَبْلي فاجملي[١]

أو أنّه رجّعه إلى قشر البر والشعير المسمّيان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فإن قيل أيضاً) إنّ كلام الناظم يُفْهَم منه أنّ القمل والصيبان قد انحصروا في طوق جبّته فقط ولم يكن على بدنه منه شيء وإذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منه (قلنا) يمكن الجواب بأن يقال إنّ قوله في طوق جبّتي أي غالب القمل يتراكم ويصعد إلى طوق جبّته حتّى يصير من كثرته يشبه النخالة في الجرف ولا يلزم من هذه العبارة أنّ بقيّة جسده سالم منه بل إذا كان في طوق جبّته بهذا المقدار فيكون شيء منه في الجسد من باب أَوْلى لأنّ الجسد محلّ معاشه وغذائه من مصّ

١ بي (في جميع النسخ): فاحملي.

دمه وشرب أوساخه وإنّما القمل من شأنه أن يسبح أوّلاً في الثياب ثمّ ينتشر على البدن يمتصّ الدم الفاسد وكلّ من شبع منه صعد إلى أعلى الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما أنّ الآدميّ إذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلاً فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتّضح الجواب

٢١،٢،١١ (سؤال) لأيّ شيء لم يتعرّض الناظم للشكوى من البقّ والنمل والبعوض ولم يذكر شيئاً منهم مع أنّ لكلّ منهم أذيّة وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتّى الأوّل أنّ البقّ وإن كان كثيراً كما في المثل إنّ البقّه تولد مِيّه * واتقول يا قِلّة الدُرّية * فإنّه في الغالب لا يهوى إلّا بلاد المدن لعلوّ أماكنها وكثرة أخشابها وطليها بالجصّ والجير لأنّه يعيش بها ويتولّد فيها وبلاد الأرياف ليس فيها شيء من البناء العالي المكلّف وإن وُجِدَ في القرية فيكون دار الشادّ بها أو دار الملتزم مثلاً والناظم لا يتوصّل إليها ولا ينام بها وإنّما بيوتهم غالباً من الكِرْس والوَحَل وربّما كان فيها الجلّة أيضاً فلهذا لا يعرفوا البقّ ولا يروه ولا يهوى أماكنهم (وأمّا النمل) فإنّه وإن كان موجوداً في بلاد الأرياف فإنّه لا يهوى إلّا المحلّ الّذي فيه بعض الأدهان كالسمن والزيت ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكّر فيأتي إليه ويشمّه ويكون قُوته الشمّ كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكَمّون فإنّ الوعد يُغْنيه عن سقي الماء قال الشاعر

[بسيط]

لا تجعلنّي ككمّون بمزرعةٍ إنْ فَاتهُ السَّقيُ أَغْنَتْهُ المَواعيدُ

(والناظم) لم ير للنمل أثراً في بيته لقلّة ما فيه من الحلوى والأدهان بل لعدمه بالكليّة فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (وأمّا البعوض) وإن كان موجوداً في بلاد الأرياف فإنّه يأتي أيّاماً ويذهب بخلاف القمل والصيبان فإنّ أذاهما دائماً مستمرّ في الثياب وغيرها كما تقدّم والشيء إذا كان

يؤذي قليلاً ويغيب كثيرًا فيكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببًا لتركه الشكوى من الجميع فاتّضح الجواب

(فائدة) إذا نُقِعَ الحَنْظَل في مقّة الغزل بعد استوائه ورُشّ بها في المحلّ وهي حارّة قتلت البقّ ولم يبق منه شيء وإذا ظهر النمل في محلّ فيه البقّ أكله قال الشاعر ٢٢،٢،١١

[وزن غير معروف]

أكل البق آلمـني جسمي ما حمل بقّـهْ
جبت النمل ساعدني مـا خلّى ولا بقّـهْ

(وأمّا النمل) فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة

(مسألة هباليّة) ما الحكمة في أنّ الشخص إذا أكلته قملة أو قرصه برغوث أو شيء ممّا يؤذي يسري ذلك الأذى في جسده ظاهرًا وباطنًا حتّى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع أنّ القمل أو البرغوث ونحوه لا يتوصّل إلى باطن الجسد إلّا أن دخل من منفذ من المنافذ وإذا دخله نادرًا ربّما مات في الحال قبل وصوله إلى باطن الإنسان وكثيرًا ما يدخل البرغوث في أذني فيمكث قليلاً في حركة وأذيّة ويخرج بسرعة أو يموت فما وجه ذلك (الجواب الفشرويّ) عن هذا البحث الهباليّ أن يقال إنّ الجسم باطنه وظاهره في التألّم على حدّ سواء لأنّ الروح سارية فيه كسريان الماء في العود الأخضر فإذا حصل الأذى في ظاهره تألّمت الروح وسرى الألم في جميع الجسد ظاهرًا وباطنًا وأمثّل لك مثالاً فشرويّ وهو أنّ الشخص إذا حبس في خزانة صغيرة مثلاً وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فإنّ جسمه يضعف ويتغيّر وتعتريه الأمراض ويتألّم ظاهرًا وباطنًا خصوصًا إذا حصره البول وبال فيها حتّى ملأها أو ضرط فيها أيضًا فتصعد تلك الروائح إلى العلوّ فلا تجد لها مصرفًا فتعود على لحيته وشواربه فتضرّه ضررًا بليغًا خصوصًا صاحب اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها ضرّ ٢٣،٢،١١

طولها فيخفّ الضرر أو قلّ طولها فكذلك على كلّ من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال

ثمّ إنّ الناظم شرع في ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها وهي في الجملة أشدّ ضرراً من القمل والصيبان لكونها من جهة الأقارب فقال ٢٤،٢،١١

ص

وَلَا ضَرَّنِي إِلَّا ٱبْنُ عَمِّي مُحَيْلِبَهْ   يَوْمٍ تَجِي ٱلْوَجْبَهْ عَلَيَّ يَحِيفْ ٣،١١

ش

قوله (ولا ضَرَّني) أي ضرراً زائداً على ما تقدّم ١،٣،١١

(إلّا ابن عمّي) أخو والدي وهو مشتقّ من العموم لأنّ نفعه يعمّ أولاده وأولاد أخيه لأنّه في حكم الأب لهم إذا فقد والدهم ولهذا تسمّيه العرب أبا (قال) بعض المفسّرين في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ إنّ المراد به عمّه أو من العِمامة لعلوّها فوق الرأس حكم التاج كما في الحديث العمائم تيجان العرب فذلك العمّ له الرفعة على أولاد أخيه لكفالته إيّاهم وولايته عليهم وقوله ٢،٣،١١

(محيلبه) تصغير محلبة وهي إناء يعمل من فخار أحمر مجوّف البطن محصور الرقبة لها أذن واحدة وتُعْمَل بأذنين أيضاً إذا كانت كبيرة سمّيت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف ٣،٣،١١

(والحاصل) إنّ الأواني المُعَدّة للحلب على أقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة أقسام صغير وكبير ومتوسّط والمحلاب أطول من المحلبة وأوسع منها فمّاً وأضيق بَطْناً قعره يشبه قعر القادوس صغير جدّاً ورُبَع وهو إناء صغير يأخذ في الكيل قدر ربع المحلبة ٤،٣،١١

وقَرّوفهْ بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الهاء في آخرها وهي تشبه المحلاب في صغر القعر إلّا أنّها محصورة الرقبة واسعة البطن جدًّا مثل المحلبة ولها أذنين أو أذن واحدة وأكبر أواني اللبن القِسْط وهو جرّة كبيرة وهناك إناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في البركة ومحيلبة على وزن مدولبة ومحلاب على وزن دولاب وقِسْط على وزن قِبْط سمّي بذلك لكونه مقسَّطا بالوزن أو الكيل وربع على وزن سُرْع وكوز على وزن بُوز لأنّه يشبه بوز البقرة أو العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكزّ وهو العَضّ يقال كزّت الأرض على المحراث إذا عضّت عليه وكزّ الطفل على إصبعه إذا عضّه هكذا رأيته في القاموس الأزرق والناموس الأبلق فالكوز إذا وضع فيه اللبن أو الماء بقبق وتألّم يشكو ما ناله من ألم النار وما قاساه من العناء حتّى صار فخارًا قال الشاعر [بسيط]

ما بَقبَقَ الكوزُ إلّا مِن تَألّمِهِ ... يشكو إلى الماء ما قاسى من النارِ

فكان القياس الفطيسيّ من هذا القبيل فهذه الأواني معروفة عند أهل الريف هي وغيرها ومنها الزِير والتُمْنة وغير ذلك

٥،٣،١١ (فإن قيل) إنّ المحلبة والمحلاب ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدّم تعريف أسمائهم واشتقاق بعضهم فما معنى القرّوفه وما أصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الإناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الأوّل) أنّ هذا الإناء عُمِلَ في زمن القِرّ بخفض القاف وجزم الراء وهو شدّة البرد ثمّ إنّهم وَفَوْا حرقه في زمن الصيف فصار يقال قرّوفه أي هذا الإناء وَفِيَ حرقه وتمّ أمره ثمّ إنّهم حرّكوا الراء من قرّ مع ضمها مشدّدة وجعلوا مجموع هذه الحروف علمًا عليه وقالوا قرّوفه فصار مركّبًا من اسم وفعل (الثاني) أنّه لمّا أُتِيَ به وهو جديد ووضعه الحلاّب بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلّل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الإناء فصار ينادي اللبن قرّ فيه قرّ فيه أي اسكن فيه واستقرّ ثمّ زادوا في هذا اللفظ واوًا بين فعل الأمر والجارّ والمجرور وحذفوا الياء المثنّاة من تحت لثقلها في اللفظ وحرّكوا

الواو وقالوا قرّوفه فسمّي بذلك (الثالث) أنّ طينته في الأصل أُخِذَت من محلّ قريب من قَرافة مصر فصاروا يقولوا إناء قرافيّ ثمّ إنّهم اشتقّوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قرّوفه (الرابع) أنّه مشتقّ من القِرْفة بكسر القاف وهو نوع من البُهار زكيّ الطعم والرائحة يدخل في الأطعمة الفاخرة والمآكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيّب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى ﴿لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ ثمّ زادوا فيه واوًا وجعلوه علماً عليه (الخامس) أنّ الأسماء لا تُعَلَّلُ فلا نحتاج إلى هذه الأبحاث الفشرويّة وهذه الخرافات الهباليّة فاتّضح الجواب وبان الصواب

٦،٣،١١ (وأمّا) سبب تسمية ابن عمّ الناظم بهذا الاسم فعلى أقوال (أحدها) أنّ أمّه لمّا وضعته سمعت إنسانًا يقول لآخر هات المحلبة فسمّته بذلك تفاؤلاً بهذا اللفظ وصغّرته لكون الولد صغيرًا (الثاني) أنّ أمّه أتت بولد قبله وسمّته محلاب فمات ثمّ ولدته وكرهت أن تسمّيه باسم أخيه فأنّثت اللفظ وصغّرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك (الثالث) أنّ أمّه لمّا ولدته زارها إنسان بمحلبة جديدة ساعةَ ولادتها فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لي من هذه المباحث الفشرويّة والخرافات الهباليّة وقوله

٧،٣،١١ (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضيء المُشْرِق بسبب الشمس الّذي يُصام شرعًا كما لا يخفى وقوله

٨،٣،١١ (تجي) من المجيء وهو الحضور

٩،٣،١١ (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرّد طلوع الشادّ أو الملتزم أو النصرانيّ إلى الكفر أو البلد فتوزعّ على الفلاّحين بحسب ما يخصّهم من الأرض من القراريط والفِدْن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه في الشهر يوماً ومنهم من يفعلها في كلّ جمعة مرّة ومنهم من يجعلها في كلّ ثلاثة أيّام وهكذا بحسب كثرة الفلاّحين وقلّتهم وحسب زيادة الأرض ونقصها فلا بدّ منها في كلّ يوم مدّة الإقامة فيقوم الرجل بكُلْفة الشادّ والنصرانيّ إن كان حاضرًا وجميع من يكون من طائفة الملتزم بأكلهم وشربهم وجميع

ما يحتاجوا إليه من عليق دوابهم وما يتمنّوه عليه من المآكل من اللحم والدجاج ولوكان فقيرًا ألزموه بذلك قهرًا عليه وإلّا حبسه الشادّ وضربه ضربًا موجعًا وربّما هرب من قلّة شيء يضعه فيرسل إلى أولاده وزوجته ويهدّدهم ويطلب منهم فربّما رهنت المرأة شيئًا من مصاغها أو ملبوسها على دراهم وأخذت بهم الدجاج أو اللحم وطبختة وأحرمت أولادها من الأكل منه خوفًا على نفسها من أنّه لا يكفيهم مثلًا وقد يربّي الفلّاح الدجاج فلا يأكل منه شيئًا ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج والسمن[1] والدقيق يبقيه لأجل هذه البليّة ويطبخ بالسيرج ويأكل الخبز الشعير ويضع لهم القمح الزريع ويأكل الجبن القَرِيش المالح ويتكلّف لشري الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كلّ ذلك خوفًا على نفسه من هذه الأمور

١٠،٣،١١ وسمّيت وجبة لكونها صارت على الفلّاحين حكم الأمر الواجب عليهم للملتزمين فلا بدّ من فعلها للشادّ بالقرية أو النصرانيّ أو الملتزم إذا حضر كما تقدّم بيانه وإذا أسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلها شيئًا معلومًا من الدراهم وأضافه إلى المال ويلزمهم بدفعه إلى الشادّ بالقرية يؤخذ منهم كلّ عام فهي من أنواع الظلم والأكل منها حرام ما لم تكن من الفلّاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث أنّ الملتزم يرضيهم بشيء من الأرض أو غيرها في مقابل ذلك وبعض الملتزمين يتوقّف عنها بالكليّة ولا يجعل عليهم شيئًا لا للشادّ ولا لغيره إلّا إذا تبرّعوا بشيء من عند أنفسهم فعلى هذا لا تكون حرامًا ويحِلّ الأكل منها ومثل الوجبة غرامة البطّالين واستخدامهم بغير أجرة ما لم يكن عن رضاء منهم في مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكلّ ما كان فيه أضرار للناس فهو حرام قال الشاعر [بسيط]

كُنْ كَيفَ شِئْتَ فإنَّ اللهَ ذو كرمٍ   وما عَليكَ إذا أذنبتَ مِن بَأْسِ
إلّا اثنَتَين فَلا تَقرَبهُما أبَدًا   الشِّركُ باللهِ والإضرارُ بالنّاسِ

[1] بي: السمن.

١١،٣،١١ (فإن قيل) إنّ الأمير أو غيره إذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطّالين وغير ذلك ممّا هو من أنواع الظلم فيجعل ذلك على أهلها حكم الخوالي السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الإثم عليه أو على من أحدث هذا قبله أو عليهما معاً (الجواب) ورد في الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رَدّ أي من أتى بشيء لم يكن موجوداً في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو المسمّى بالبدعة فهو ردّ أي مردود ومعناه باطل لا يُقْتَدى به وفيه بيان على أنّه لا فرق بين أن يكون أحدثه بنفسه أو سبقه به غيره فالإثم على كلّ من فعله أو أمر بفعله إذ كلّ فعل لم يكن على أمر الشرع ففاعله آثم لقوله صلّى الله عليه وسلّم من أحدث حَدَثًا أو آوى مُحْدِثًا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث ردّ على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك ممّا لا يوافق الشرع فاتّضح الجواب وبان الصواب

١٢،٣،١١ وفي قوله (تجي الوجبه) نوع من أنواع البديع يسمّى التوزيع وهو أن يوزّع الشاعر حرفًا من حروف الهجاء في كلّ كلمة من ألفاظ البيت أو غالبه كقول الصَفيّ الحِلّيّ رحمه الله في بديعيّته [بسيط]

محمّدُ المُصطفى المُختارُ مَنْ خُتِمَتْ　　بمَجدِهِ مُرْسَلو الرحمٰن للأُمَمِ

فإنّه كرّر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حُكِمَ له حرف الجيم في كلمتين فقط

١٣،٣،١١ (ويقرب من هذا المعنى) ما اتّفق أنّ رجلاً قلاّء سمك كان يهوى امراة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فأرسله يوماً إليها لتأتي إلى محلّه فذهب الغلام حتّى أتى محلّها وأخبرها أنّ معلّمه يريدها فامتثلت الأمر وأرادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكّر الغلام ومضى ولم يشعر به أحد حتّى أتى إلى معلّمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والناس حوله يطلبوا منه فابتدره بكلام مقفّى موزون يفهّمه فيه القضيّة ويعمّي فيه على الحاضرين فقال (يا معلّمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجا لو لم يجي لجت ولكن ترتجي لمّا يروح تجي)

(وتفسير) هذه الكلمات أنّ قوله (يا معلّمي فق لي) أي تنبّه لقولي واستمع له وافهمه ١٤،٣،١١

(من ذا السمك فاقلي) أتى بهذا الكلام ليوهم الحاضرين أنّه يريد شيئاً من السمك أو أنّه يطلب منه سرعة قليه وبيّن قوله (فق لي) و (فاقلي) الجناس المحرّف المزيد وقوله ١٥،٣،١١

(جات تجي) أي أرادت المجيء وامتثلت الأمر ١٦،٣،١١

(فجا) أي زوجها في وقت الإرادة للذهاب ثمّ قال ١٧،٣،١١

(لو لم يجي) أي زوجها ١٨،٣،١١

(لجت) أصله لجاءت سهّله للضرورة أي لحضرت إليك ولم تخالف أمرك ثمّ استدرك الكلام بقوله ١٩،٣،١١

(ولكن ترتجي) أي حضورها من الرجاء وهو حصول الشيء على وفق إرادة الطالب ٢٠،٣،١١

(لمّا يروح) زوجها ويخلو مكانها ٢١،٣،١١

(تجي) إليك ويحصل المطلوب والشاهد في قوله جات تجي فجا إلى آخره فإنّه كرّر حرف الجيم في كلّ كلمة كما لا يخفى ٢٢،٣،١١

(فإن قيل) إنّ النصرانيّ إذا نزل قرية لقبض مالها يحضر إليه الفلاّحون ويكرموه ويرسلوا له الوجبة ويتذلّلوا بين يديه ويطيعوا أمره ونهيه بل يكون غالبهم في خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونوا آثمين بذلك أم كيف الحال (قلنا) الجواب أنّ خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلّل بين يديه ويكون الفاعل آثماً بذلك ما لم يَخَفْ منه ضرراً أو أذيّة بأن يكون حاكماً عليه ومتولّي أمره واضطرّ إليه في أمر قِبَاض المال من النصارى في بلاد الأرياف وغيرهم فإنّهم ٢٣،٣،١١

مالكون هذا الأمر بل إنّ بعض الملتزمين يولّي النصرانيّ أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاّح إلّا وهو يرتعد من شدّة الخوف

٢٤،٣،١١ (كما اتّفق أنّ في زمن الأستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد) نفعنا الله به ولّى السلطان شخصاً من النصارى على إقليم مصر كلّه يقبض ماله فكان ينـزل إلى الإقليم في موكب عظيم من الخدم والحشم ويمرّ على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينـزل إلّا لضرورة الأكل والشرب والمبيت من شدّة أذيّته وقوّة ضرره وكان لفرسه رِكاباً من الفولاد مطليّ بالذهب وقد جعل فيه سَفُّوتَيْنِ من الحديد خارجين إلى الخلاء قدر شِبْرٍ ثمّ يرسل خلف الرجل فلا يأتيه إلّا وهو يرتعد من شدّة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال في هذه الساعة فإن أجاب وإلّا ضربه بالسفُّوتَيْن فيجرحه أو يخرق أجنابه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتّفق أنّه طلع إلى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وأرسل خلف رجل من أتباعه عليه بقيّة مال من خراج أرض يزرعها فلمّا حضر إليه قال له ادفع ما عليك فقال الرجل أمهلني بقيّة النهار فأراد أن يحرّك الركاب ويضربه بتلك السفافيت يقتله فولّى هارباً والنصرانيّ يتبعه على الأثر إلى أن ألقى بنفسه بين يدي الشيخ وهو يحرق في قَمِين جير لأنّها كانت صنعة الشيخ في ابتداء أمره فقال له ما الخبر فقصّ عليه الأمر فلم يشعر إلّا والنصراني واقف على رأسه فقال له الشيخ أمهله بقيّة النهار فأغلظ على الشيخ بالكلام فأخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام إليه وجذبه من أطواقه فبقي في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الأبعد طال عمرك واشتدّ ضررك على المسلمين والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثمّ اتّكأ عليه حتّى قصف ظهره وألقاه في تنّور القمين فانحرق ثمّ نظر إلى جماعته نظرة الغضب فألقى الله الرعب في قلوبهم فولّوا الأدبار حتّى وصلوا إلى السلطان وأخبروه بالقضيّة فاشتدّ به الغضب وأرسل خلف الشيخ فسار إليه حتّى طلع الديوان فلمّا مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانيّ فقال له الشيخ وأنت ما حملك على أن تولّيه على المسلمين وتأمره

بأذيّتهم فزاد به الغيظ وأراد أن يَبْطِش بالشيخ فأشار الشيخ إلى الكرسيّ الذي هو جالس عليه فتحرّك من تحته فانكبّ إلى الأرض مغشياً عليه وصار للكرسيّ دَوَرَان وطَنِين في القلعة ودَوِيّ كالرعد وهاجت العسكر في بعضهم البعض وارتجّت القلعة بمن فيها من الجند فصاحوا الأمان الأمان فأشار الشيخ بيده فرجع كلّ شيء إلى حاله ثمّ أشار إلى الملك فصَحي من غشوته فلمّا أفاق قبّل يديه وقال له العفو يا سيّدي تَمَنَّ عليّ ما تريد فقال له لا أريد منك شيئاً غير أنّك لا تولّي أحداً من النصارى على المسلمين وإلّا هلكت فقال السمع والطاعة ثمّ إنّ الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والمحبّة وسار إلى قريته ولم يزل هذا الأمر منقطعاً زماناً لا يتولّى أحد من النصارى أمر المسلمين في قبض المال ولا غيره إلى أن احتاجوا إليهم الحكّام لِحِذْقهم وصحّة عقولهم في الحساب فولّوهم هذا الأمر إلى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطبّ حتّى يتصرّفوا الفريقين في الأموال والأرواح ولله درّ القائل حيث قال [كامل]

لُعِنَ النَّصَارَى واليَهُودُ جَمِيعُهُمْ نَالُوا بِمَكْرٍ مِنْهُمُ الآمالا
جُعِلُوا أَطِبّاءً وحُسّاباً لِكَي يَتَقَاسَمُوا الأَرْوَاحَ والأَمْوالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم إذا خشي على نفسه أو عياله ضرراً منهم في أمر دينيّ أو دنيويّ يتوقّف على ذلك وقد اضطّر إليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوقب سيّدي عبد العزيز الديرينيّ نفعنا الله به بسبب تردّده على نصرانيّ بلدته فقال [طويل] ١١،٣،٢٥

يَلومونَني في عِشرَةِ القُبطِ خُلّتي فوالله طُولُ الدَّهرِ ما حَبَّهُم قَلبي
ولكنّني صيّادُ رزقٍ بأرضهمْ ولا بدّ للصَّيّادِ مِن عِشرَةِ الكَلبِ

وأمّا إذا داخلهم الإنسان بالمحبّة والصحبة لا لغرض دنيويّ قد اضطرّ إليه ولا لخوف ضرر منهم فربّما دخل في ضمن قوله صلّى الله عليه وسلّم من أحبّ قوماً حُشِرَ معهم وقوله

٢٦،٣،١١ (عليّ) يريد نفسه لا غيره

٢٧،٣،١١ (يحيف) أي يميل عليّ ويظلمني ويكلّفني ما لا أطيق فكان عليه هذا الضرر أشدّ من غيره الذي هو أذيّة القمل والصيبان ونحوهما كما تقدّم لكونه ناشئاً من الأقارب قال الشاعر [وافر]

أَقارِبُ كالعَقارِبِ فاجْتَنِبْهُمْ ولا تَرْكَنْ إلى عَمٍّ وخالِ
فَكَمْ عَمٍّ أَتاكَ الغَمُّ مِنْهُ وَكَمْ خالٍ مِنَ الخَيْراتِ خالِ

(فانظر) إلى هذا الشاعر اللبيب كيف أتى بالعمّ والخال وصحّف الأوّل بالغمّ واستخدم لفظ الثاني في كونه خالي من الخيرات وحكّم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم [رجز]

عَداوَةُ الأَهْلِ ذَوِي القَرابَهْ كَالنّارِ يَومَ الرِّيحِ وَسْطَ غابَهْ

٢٨،٣،١١ (وقال) عليّ كرّم الله وجهه العداوة في الأهل والحسد في الجيران والمَوَدّة في الإخوان وأصل عداوة الأهل من قصّة قابيل لمّا قتل هابيل فصارت العداوة بين الإخوة والأقارب إلى زماننا هذا ومنشأ هذا كلّه الحسد فالحسود لا يسود (وفي الحديث) لا حسد إلّا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هَلَكَتِهِ في الخير و رجل آتاه الله عِلْماً فهو يعلّمه الناس وقال الشاعر [بسيط]

إنْ يَحْسُدُوني فإنّي غَيرُ لائِمِهِمْ قَبْلي مِنَ النّاسِ أَهلُ الفَضْلِ قَد حُسِدُوا
فَدامَ لِي ولَهُمْ ما بِي وَما بِهِمُ وَماتَ أَكْثَرُنا غَيْظًا بِما يَجِدُ

وقال آخر [سريع]

لا ماتَ أَعداؤُكَ بَلْ خُلِّدُوا حَتّى يَرَوا مِنكَ الّذي يُكْمِدُ
وَلا خَلاكَ الدَّهرُ مِنْ حاسِدٍ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يُحْسَدُ

ثمّ إنّ الناظم انتقل من شكوى ابن عمّه محيلبه إلى شكواه من ابن أخيه خنافر لكونه أيشم عليه من ابن عمّه فقال ٢٩،٣،١١

ص

وَأَيْشَمْ مِنُّو إِبْنُ اخُوهُ خَنافِرْ يُقَرِّطْ عَلَى بَيْضِي بِخُلْبَةْ لِيفْ ٤،١١

ش

قوله (وأيشم) من الشؤم أو من التيشمة وأصله أشأم على وزن أبلم أو أقطم وفي المثل أشأم من طُوَيْس ويقال فلان ميشوم وذو تيشمة أي عنده قوّة وتجبّر وشدّة ظلم وسمّي الخشب الشُوم شوماً لقوّته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم ١،٤،١١

(قيل) بنى جعفر البرمكيّ قصراً بديعاً وزخرفه بأنواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه أيّاماً فبينما هو ينظر يوماً من شبّاك له إذ نظر إلى أعرابيّ يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما [بسيط] ٢،٤،١١

يا قصرَ جَعْفَرَ علاكَ الشومُ واللومُ حتّى يُعَشِّشَ في أركانِكَ البُومُ
إذا يُعَشِّشُ ذاكَ البُومُ من فَرَحي أكونُ أوّلَ مَنْ يَنْعاكَ مَرْغومُ

فقال عليّ بهذا الأعرابيّ فلمّا حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعاءك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصِبْيَةٌ خلّفتُها كأفراخ القَطا يتعاوون من ألم الجوع وجئت لأستمطر إحسانك وأرجو نوالك فمكثت شهرًا على باب هذا القصر لا أتمكّن من الدخول إليك فلمّا أيست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرًا لا يفيدني منه شيء فإذا خرب ربّما أمرّ به فآخذ منه خشبة أو شيئًا من زخارفه فأنتفع به قال فتبسّم جعفر وقال عدم علمنا بك قد أطال وقوفك وأضرّ بعيالك أعطوه ألف دينار لقصده إيّانا وألف دينار لطول مكثه على باب دارنا وألف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب وألف دينار لحِلْمنا عليه وألف دينار لصبية خلّفها كأفراخ القطا فأخذ الأعرابيّ الخمسة آلاف دينار وارتدّ شاكرًا

وقوله (منّو) بتشديد النون للضرورة أي أشدّ وأقوى منه في الضرر عليّ والظلم لي ٣،٤،١١

(إبن ٱخوه) أي أخو محيلبه شقيقه وكان الأَوْلى جرّه على الإضافة ولكن لم يساعده لسانه على هذا الوضع لكونه من أهل الريف ٤،٤،١١

ثمّ بيّن اسمه بقوله (خَنافِرْ) مشتقّ من الخنفرة على وزن الخرخرة أو البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى أنّه ردّد النَفَس في حَلْقه وأخرجه من خياشيمه حتّى صار نفسًا عاليًا بخنفرة وبربرة قال الشاعر [طويل] ٥،٤،١١

وَخَنْفَرَ عِنْدَ النَّوْمِ مِنْ خَيْشومِـهِ فَصارَ بِهذا الإِسْمِ يُدْعَى خَنافِرا

وسمّي بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرةً فهو خَنْفور على وزن خَنْشور وخَنافر على وزن عَباير واحدتها عبورة وأمّا أخوه فاسمه قادوس على وزن بَعْبُوص وقادوس هذا خلّف ولدين محيلبه وفساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمّه وابن أخي ابن عمّه

ثمّ بيّن الضرر الحاصل منه بقوله (يقرّط) بضمّ المثنّاة من تحت على وزن يضرّط ويضرط فيها لغتان كمّا تقدّم قال الشاعر [وافر] ٦،٤،١١

فَفِيها ضَرَطَ الواشُون جَمْعًا فَصارَ ضُراطُهُمْ فيها يَفوحُ

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدّة وقوّة وأمّا القَرْط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو أخذ سنبله وإبقاء أصله في أرضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضمّ القاف اسم لحَلَقَة صغيرة من لُجَيْن أو فضّة تُعْمَل في أذن الصبيّ وهي ممدوحة خصوصاً الولد الجميل فإنّها تزيده حسناً وتكسوه حلاوة قال أبو نواس في مطلع قصيدة له [كامل]

ومُقَرطَقٍ يَسْعَى إلى النُّدَماءِ بِعَقِيقَةٍ في دُرّةٍ بَيْضاءِ

أي إنّ هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذي زانه هذا القرط واتّصف به صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيق في لونها وهي في كأس يشبه الدرّة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم ممّا في يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القدّ وحسن الكلام إلى آخر ما قال

وقوله (على بيضي) أي بيض الناظم لا بيض المتكلّم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمّي بيضاً لشبهه بالبيض إذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتقّ من البياض أو من أبو بيوض حيوان يشبه العنكبوت أو من بيضة القبّان ٧،٤،١١

(مسألة هباليّة) ما الحكمة في تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصيّ لهما في الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب الفشرويّ) وهو أنّ الخصيتين واحدتهما خِصْية بكسر الياء المعجمة وكذلك مثنّى الخِصا خِصْوَان واحدهما خِصي فإذا أخذت الخصي مثلاً وأضفت إليه آخر صرت آخذاً خِصْوَيْن بلا خلاف فافهم ٨،٤،١١

ذلك وقد يقال له خِصْو بالواو بدل الألف وهو اسم للذكر وهو في حكم الأب للخصيتين لأنّه لا يفارقهما وهما في حكم البنتين له فاشْتُقّ من اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا أنّ الخصيتين دائماً في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما وهما في مقام التدلّي وهو في مقام الترقّي وهما أيضاً في مقام الإضافة وهو في مقام الرفع والنصب وأيضاً له قوّة في فتح الأبواب المغلقة وهجم الحصون وقرع القُبَب المسطّحة وهما واقفان له على الباب تأدّباً معه وهذا من علامة البرّ بالوالد (كما اتّفق) أنّ بعض الشعراء قصد ملكاً يستمطر إحسانه فرآه في البستان فوقف على الباب وأراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط البستان فرأى جَدْوَل ماء يجري وينتهي إلى محلّ تحت الحائط ينصبّ في فِسْقية كبيرة ورأى الملك جالس عليها فأخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت [بسيط]

النّاسُ كُلُّهُمُ كالأَيْرِ قَدْ دَخَلوا وَالعَبْدُ مِثْلُ الخِصا مُلْقىً[1] على البابِ

ثمّ طواها ووضعها في قصبة فارسيّة وسدّ عليها بشمع وألقاها في الجدول فأخذه الماء حتّى ألقاها بين يدي الملك فتناولها وفكّ ختامها وأخرج الورقة فلمّا قرأ البيت تبسّم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر هذا منك عن وسع عظيم أطال الله بقاك فانسرّ الملك لمصادفة هذه النكتة وأنعم عليه وارتدّ شاكرًا

٩،٤،١١ (قلت) وبذكر مصادفة هذه الألفاظ ذكرت ما اتّفق أنّ السلطان قانصوه الغوريّ رحمه الله غضب على إنسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتي بهم فلقيه رجل من أصدقائه وهو على سُلَّم الديوان فقال له بلغني أنّ الملك عمل عليك ألف دينار فقال لا عليّ الطلاق ثلاثة قال فلمّا سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة آلاف دينار وأنعم عليه ومضى إلى حال سبيله

---

١ بي: (في جميع النسخ) واقف.

١٠،٤،١١ (وقد يطلق) لفظ الخصا على الذكر أيضاً ويسمّى الدُلْدُول والذَنَب والزُبّ والأَيْر والغُرْمول وغير ذلك لكنّ أشهر أسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الأنس فيما جرى بين الزُبّ والكُسّ وهي [رجز]

لي عِنْدَهم أَسْمـاءُ حَقًّا تُـذْكَرْ أَيْـرٌ وزُبٌّ دُلْدُلٌ وذَكَرْ
وَخامِسُ الأَسْماءِ أُدْعَى بِالخِصا إِذا غَضِبْتُ خِلْتَني كما العَصا

ويُلَقَّب بالأَعْوَر والأَفْطَس والسدّاد والمدّاد وهادم الحصون وفاتح البروج ويُكْنَى أبو الحَلات وأبو الصَدَمات وأبو الهيازع وأبو الزلازل ونحو ذلك وإذا أَطْلَق الإنسان عِنانه وأطاع هواه ألقاه في أشدّ المصائب قال ابن عروس رحمه الله [مجتثّ]

النّاسُ في الله تاهُوا والأجوادُ شاعَتْ تَناها
ما ضرّني غيرُ بطني والّي مدلّي حَداها

وقد تُشبَّه الخصيتين بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين [رجز]

يا رَبِّ زوِّلْ غَمَّنا يا ربَّا يا ربِّ إِقْبِضْ شيخَنا الأَدَبَّا
كَأَنَّ خِصْيَتَيْـهِ إِذْ أَكَبّا دَجاجَتانِ يَلْقُطانِ حَبّا

١١،٤،١١ فالخصا بالضمّ والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بإبدال الألف واوًا كما تقدّم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره وخِصْيَتَيْن على وزن ضَرْطتين أو شَخّتين فيكون فيها الضرطة والشخّة بيقين واشتقاقهما من الخُصّ بضمّ الخاء المعجمة أو من قرية تسمّى الخُصوص أو من قولهم للكلب إخْصا مثلاً ومصدرهما خصا يخصو خصاءً قال الشاعر [وافر]

خَصا يَخْصُو مَصادِرُ خِصْيَتَيْنِ خِصاءٌ صَحَّ في نَظْمِ الطُنَيْنِ

انتهى الجواب عن هذه المباحث الفشرويّة والإشكلات الهباليّة وقوله

(بخلبة ليف) أي ربطة قويّة دائرة على بيضه مرتّين بحبل مفتول من ليف النخل سمّي بذلك لكونه ملتفّاً على أصول الجريد وسمّيت هذه الربطة بالخلبة لكونها تَخْلِب على الشيء فلا ينفكّ منها إلّا بعسر وفي اصطلاح الرُعيان أنّهم إذا أرادوا ربط شيء بمُكْنة يقولوا اخلب عليه خُلْبَة وَتِد أي لُفَّ الحبل عليه مرّتين واربطه ربطة قويّة حتّى لا ينفكّ وهي مشتقّة من خلب الزرع أو من مخلاب الطير أو من البرق الخُلَّب بضمّ الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الّذي لا مطر فيه قال ابن العربيّ نفعنا الله به [كامل] ١٢،٤،١١

كُلُّ الّذي يَرْجُو نَوالَكَ أُمْطِروا   مَا كانَ بَرْقُكَ خُلَّباً إِلّا مَعِي

ثمّ إنّ الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شَيْبه قبل أوانه فقال ١٣،٤،١١

ص

وَمِنْ نَزْلَةِ الكُشَّافِ شَابَتْ عَوَارِضِي   وَصَارَ لِقَلْبِي لَوْعَةٌ وَرَجِيفُ ٥،١١

ش

قوله (ومن نَزْلَةِ) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة إذا نزلوا في محلّ واستمرّوا فيه زمناً كما يقال نزلة بني فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازي ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة وأمّا النزول فمعناه تدلّي الشيء من الأعلى إلى الأسفل وضدّه الصعود وهو الترقّي من الأدنى إلى الأعلى يقال صعد إلى أعلى الجبل ونزل إلى أدنى الأرض قال امرؤ القيس يصف فرساً شجاعاً [طويل] ١،٥،١١

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ

٢،٥،١١ وقوله (الكُشّافِ) جمع كاشف واتّصف بهذه الصفة لأنّه يكشف عن الإقليم المتولّي عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والمظالم ويسدّ النهور ويمكّن الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كلّ كاشف تولّى في قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمرّ على البلاد وإذا أقبل على قرية يَقْرَع الطبل فيخاف منه أهل البدع وأرباب المفاسد ويرتحلوا هاربين خوفًا منه وربّما وقعوا في يده فيعاقبهم بما يستحقّوه من قتل أو حبس أو ضرب أو أخذ دراهم ثمّ ينزل على القرية إن كان له عليها عادة بالنزول وتأتي إليه مشايخها ويقفوا بين يديه في أشدّ ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن أحوالهم ويسألهم عن أرباب المفاسد وأصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم إذا لم يكونوا في القرية ثمّ بعد ذلك يسرعوا له في الأكل والشرب والتقادم ممّا جرت به العادة وإذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم أو قتل أو خرجوا عن طاعة أستاذهم هجم عليهم بأمر الوزير وأخرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وأزال العصاة والجبابرة فعلى كلّ حال وجوده على الأقاليم رحمة وسُتْرة وكشف غمّة ما لم يحصل منه ومن عسكره الضرر على الناس من نهب متاعهم وأذيّتهم وتكلّفهم في المأكل والمشرب فوق طاقتهم وإلّا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب ردّه لأربابه إلّا إن سمحت نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله

٣،٥،١١ (الكشاف) ولم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره أي ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لي منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدّمين والبلاّصيّة وخوفي من هذا الأمر أن ينالني منه ضرر

٤،٥،١١ (شابت عوارضي) لضعفي عن مقابلة الكشّاف وعجزي عن شيء يأخذوه من داري من جلّة للمطبخ أو غير ذلك فمن هنا تنزع الأعضاء وترجف الجوانح وينبت الشيب في غير أوانه والشيب كرامة من الله تعالى لعبده أكرمه به وأوّل من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام شابَ نصف لحيته فقال يا ربّ ما هذا فقال هذا وقار لك في

الدنيا ونور لك في الآخرة فقال يا ربّ زدني من هذا الوقار فأصبح وقد ابيضّت لحيته كلّها وفي الحديث إنّ الله يستحي أن يعذّب شيبة شابت في الإسلام وللشيب فضائل كثيرة منها أنّه وقار للشخص كمّا تقدّم وهيبة له ويذكّره قرب حِمامه لأنّه نذير الموت قال بعضهم [طويل]

إِذا اِسْوَدَّ جِلْدُ المَرْءِ وابْيَضَّ شَعْرُهُ   وَطالَ عَلَيْهِ ثَوْبُهُ مِنْ أَمامِهِ
وَقارَبَ عِنْدَ المَشْيِ في خَطَواتِهِ   هُنالِكَ بَشِّرْهُ بِقُرْبِ حِمامِهِ

وقال آخر وأجاد [سريع]

تَبَسُّمُ الشَّيْبِ بِوَجْهِ الفَتَى   أَوْجَبَ سَحَّ الدَّمْعِ مِنْ جَفْنِهِ
وَكَيْفَ لا يَبْكي عَلَى نَفْسِهِ   مَنْ ضَحِكَ الشَّيْبُ عَلَى ذَقْنِهِ

١١،٥،٥ وفي هذين البيتين الطباق اللفظيّ كما لا يخفى والشيب مذموم عند النساء قال هارون الرشيد لزوجته ما تحبّون من الرجال فقالت من خدّه كخدّي * وأيره كزندي * قال فإذا التحا قالت يُطرِق الحَدَقَة * ويَعجَل بالنَفَقَة * قال فإذا شاب قالت يصبر على الخناق * أو يبادر بالطلاق * فهو عندهم مذموم * وصاحبه من أنس الغانيات محروم * خصوصاً إذا قل ماله * وساء حاله * قال بعضهم [طويل]

سَلُوني عَنِ ٱحوالِ النِّساءِ فَإِنَّني   خَبِيرٌ بِأَحْوالِ النِّساءِ طَبِيبُ
إِذا ابْيَضَّ شَعْرُ المَرْءِ أَو قَلَّ مالُهُ   فَلَيْسَ لَهُ في وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

١١،٥،٦ فكيف بمن فيه النوعين الشيب والفقر فهو عندهنّ وجوده كالعدم وقال القاضي الفاضل رحمه الله [بسيط]

تَعَجَّبَتْ حينَ راحَ سَعْدي　مِن بَعْدِ نَضْوِ الخِضابِ حالي
قالَتْ أَهذا الَّذي أَراهُ　غُبارُ طاحُونَةٍ بَدا لي
فَقُلْتُ لا تُعْجِبي فَهذا　غُبارُ طاحُونَةِ اللَّيالي

أي إنّها تكدّرت لمّا رأت هذا الشيب المشبّه بغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغيّر لحيته وتعجّبت من حدوثه بسرعة وتعجّبها منه يقتضي تكدّر صدرها وطيّ بساط أنسها فأجابها بقوله لا تعجّبي من إسراع ظهوره فإنّ عجائب الليالي واستنتاجها المصائب المشبّهة عند دورانها بالطاحون أظهرت هذا الغبار الّذي ترينه فلا تلومي واصبري على ما بُليتي به وبعضهم شبّه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنَسر لبياضه وشبّه بقيّتها في السواد بابن داية وهو الغراب الأسود فقال [طويل]

وَلَمّا رَأَيْتُ النَّسْرَ حَدَّ ابنِ دايَةٍ　وَعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ[1] ضاقَ لَهُ صَدْري

٧،٥،١١ (ومنهم) من شبّه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دُرَيْد رحمه الله تعالى في أوّل مقصورته [رجز]

يا ظَبْيَةً أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالمَها　راتِعَةً بَيْنَ العَقيقِ واللِّوا
أَما تَرَى رَأْسِيَ حاكَى لَوْنُهُ　طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيالِ الدُّجا
وَاشْتَعَلَ المُبْيَضُّ في مُسْوَدِّهِ　مِثْلَ اشْتِعالِ النّارِ في جَزْلِ الغَضا
فَكانَ كَاللَّيْلِ البَهِيمِ حَلَّ في　أَرْجائِهِ ضَوْءُ صَباحٍ فَانْجَلَى

٨،٥،١١ والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتقّ من الشَيْبَة الّتي تباع عند العطّار لبياضها ورقّة عروقها واشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا في الشيبة نجاسة مثلاً ومصدره شاب يشيب شيباً وذِكْرُه الشيب في العارضين أوّلاً

---

١ بي: وكرها.

يدلّ على أنّه كان من الأماثل والكرماء لأنّ أوّل ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العَنْفَقَة قال الشاعر [متقارب]

فَشَيْبُ الكِرامِ مِنَ العارِضَيْنِ وَشَيْبُ اللِّئامِ مِنَ العَنْفَقَهْ
وَشَيْبُ الرُّؤوسِ بِما في النُّفوسِ وَشَيْبُ الصُّدورِ مِنَ الزَّنْدَقَهْ

٩،٥،١١ وقصره الشيب في عارضيه ليس على بابه وإنّما كان ابتداؤه في عارضيه ثمّ جرى في بقيّة لحيته بيقين فذكر الأصل والفرع تابع له وأمّا إلحاقه تاء التأنيث في الفعل فهو جرى على لغة الريّافة والناظم منهم وأيضاً لو قال شاب عارضي أو شابوا عوارضي لاختلّ الوزن فراعى لغته ووزن الكلام

١٠،٥،١١ (مسألة هباليّة) لأيّ شيء قال ومن نزلة الكشّاف ولم يقل ومن نزولهم لئلّا يتوهّم سامع بليد الطبع أنّها النَزْلة الّتي تعتري الإنسان من حصول برد يحلّ به فينزل في رأسه ويتولّد منها العُطاس والأذى وغير ذلك ودواؤها أن تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجاً بالمصطكى فإنّه يخفّف ذلك وما الحكمة في أنّه أتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقّه أن يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر [رجز]

شواربكْ والعنفقهْ في طيزِ كَلْبَه مْطلَّقهْ
والّحسْ خراها يا فَهِمْ ومَرْمِزُهْ بالمِلْعَقهْ

(قلنا الجواب) أنّ النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالأقلّ دون الأكثر وأيضاً الأنثى ألطف من الذكر في الذات والصفات وإن كان الذكر أشرف وأيضاً الفلّاح عنده العجلة أو البقرة أكثر نفعاً من العجل والثور فَعُلِم من هذا أنّ الناظم كان يهوى الأناث دون الذكر بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفسّاق فإنّنا على حدّ قول أبي نواس [طويل]

عَجِبْتُ لِمَنْ يـَزْني وفي النّاسِ أَمْـرَدُ   أَلَيْسَ رُكوبُ الفَحْلِ في الحَرْبِ أَجْوَدُ

١١،٥،١١ وأمّا ذِكْرُه القلب مع العارضين إنّما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثيّة أنّ الروح سارية في الجسد كلّه فإذا اهتمّ القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشيء يعطي حكمه أو على حدّ قولهم شاب القلب فيكون شيباً معنويّاً فلا اعتراض فاتّضح الإشكال عن وجه هذا الهبال

١٢،٥،١١ والعارض مشتقّ من العرضيّ الّذي يُلَفُّ على الرأس أو من عارضة الباب أو من العَروض الّذي يعتري الإنسان من لمس الجنّ أو من العارض الّذي يأتي بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم [كامل]

قِـفْ بِالقَرافَـةِ تَحْتَ ذَيْلِ العـارِضِ   وَقُلْ السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابنَ الفـارِضِ

أو أنّه سمّي بذلك لتعرّضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضاً فهو عارض وقوله

١٣،٥،١١ (وصار) على وزن فار من الصيرورة أو من صاري المركب أو من الصُرّ الّذي يُنْقَل في كلّ عام إلى الحرمين

١٤،٥،١١ (لقلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل الفشرويّ وقوله

١٥،٥،١١ (لوعة) وهي شدّة حرارة القلب وتلهُّفه من ألم العشق أو الخوف أو بُعْد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك [بسيط]

أَوّاهُ وَاحَرَبَى مِنْ لَوْعَتي وكَفَى   أَنّي أُكابِدُ زَفْـراتٍ بِأَشْجـاني

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف أي رجفان لا يسكن ألمه ولا يهدأ تحرّكه من شدّة ما نالني من رعب نزول الكشّاف وخوفي منهم كما تقدّم ومصدره رجف يرجف رجفاً مثل غرف يغرف غرفاً ١٦،٥،١١

ثمّ إنّ الناظم شرع في ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها هو وإخوانه الفلاّحين وهي أشدّ ما عليهم من الأمور المهمّة فقال ١٧،٥،١١

ص

وَيَوْمٍ يِجِي ٱلدِّيوَانُ تَبْطُلْ مَفَاصِلِي   وَأَهْرُ عَلَى رُوحِي مِنَ ٱلتَّخْوِيفْ ٦،١١

ش

قوله (ويوم) بالتنوين ١،٦،١١

(يجي) وقت قبض مال ٢،٦،١١

(الديوان) وهذا من باب ﴿وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها وهو أنّ النصرانيّ إذا حضر إلى القرية أو الكفر وفرّد المال على الفلاّحين حُكْمَ الخوالي والقوانين الّتي جرت بها العادة وشرع في أخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال فمن الفلاّحين من يقترض الدراهم بزيادة أو يأخذ على زرعه إلى أوان طلوعه بناقص عن بيعه في ذلك الزمن أو يبيع بهيمته الّتي تحلب على عياله أو يأخذ مصاغ زوجته يرهنه أو يتصرّف فيه بالبيع ولو قهراً عليها ويدفع الثمن للنصرانيّ أو لمن هو متولّي قبض المال وإن لم يجد شيئاً ولا يرى من يعطيه وخشي الملتزم أو الشادّ من خرابه من البلد أخذ ولده رهينة عنه حتّى يغلّق المال أو يأخذ أخاه إن لم يكن له ولد أو أحداً من أقاربه أو يوضع في الحبس للضرب والعقوبة حتّى تنفّذ فيه أحكام الله تعالى ٣،٦،١١

ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله فلا يعود إلى بلده قطّ ويترك أهله ووطنه من همّ المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم [كامل]

هَمُّ المَعِيشَةِ فُرقَةٌ   بَيْنَ الأَحِبَّةِ وَالوَطَنْ

٤،٦،١١ فلا بدّ على كلّ حال * من تعليق المال * ولو حصل من ذلك الهمّ والغمّ * كما في المثل الّذي اشتهر وعمّ * مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام عليه شيء فهو في همّ شديد * ويوم السداد عند الفلّاح عيد *

٥،٦،١١ والحاصل أنّ الفلّاح على قسمين قسم ناجي ناجب * وقسم خائن خائب * (فأمّا الأوّل) فهو صاحب عقل وسياسه * وحسن تصريف ورياسه * عقله رزين * يلازم الصلاة والدين * والزرع والغيط * تارك السندة جنب الحيط * له على جماعته الحماسه * متجنّب الرذالة والخساسه * يباشر الزرع * ويقف عند الحصيدة والقلع * لا يتّكل على خولي ولا مُرابع * ولا يركن لتوّار ولا مُزارِع * بل يباشر الأمور كلّها * ويعرف مرضها وعِلَلها * ويلازم المَشَدّ والأستاد * ولا يسعى في خراب ولا فساد * فإن أخذ من مُعامِلٍ فلوس * لا يصرفها في أمر معكوس * بل على مصالح الزرع والبهائم * والأمر الّذي عليه لازم * وينوي السداد لصاحب الدين * ويشفق على الفقير والمسكين * ويفيق لأتواره * ويحفظ غيط جاره * وينوي سداد المال * ويتّكل على العليّ المتعال * ويترك نفش الشوارب * والجلوس على المصاطب * يبارك له الديّان * ويسدّ مال السلطان * وإن جاءه المعامل أوفاه * وإن طلب منه ثاني مرّة أعطاه * وترتاح أولاده * ويرضى عليه أستاده * ويعيش في راحة ودين * ويرضى عليه ربّ العالمين *

٦،٦،١١ (وأمّا القسم الثاني) لا عقل ولا معروف * عريان ومنتوف * لا صلاة ولا دين * ولا طاعة لربّ العالمين * ولا ذوق ولا معرفه * فائق للشرّ والمقرفه * بالنهار في لعب المَنْقَله * وبالليل ساحب العَتَلَه * لا يلازم غيط * يحبّ اللطعة جنب الحيط * نافش الشوارب * قليل المكاسب * عويل مِهْدار * شهلاط فشّار * إن دخل في ايده

فلوس * فرّقها على العتورة والتيوس * لا يلازم مشدّ ولا أستاد * دائر في العكس والفساد * نيرانه جائعه * وخيوله ضائعه * لا يصرف إلّا في شياط وعياط * وزرعته ما فيها إلّا ضراط * يصرف من غير قانون * مشحوت منحوت مديون * ممقوت مع أستاده * دائر في غَيّه وفساده * لو ضربه مقارع أو كسّارات * ما يخلي النطّ في الدور والحارات * إن قال له إستاده على الصواب * ينوي على الرحيل والخراب * دائماً في مقت وكرب * ولا يفيد فيه الحبس والضرب * قنف معكوس * مِحْراك شرّحرب البَسُوس * لا يقدر على وفاء دين * مكسور عليه الألف والألفين * فتنة في البلد * عمره في همّ ونَكَد * لا يوفي معامل * ولا له رأي كامل * أولاده عريانين * وأحواله أحوال المجانين * المقت منسكب عليه * وشبيه الشيء منجذب إليه * فلا خير في حياته * ولا يُبكى عليه عند وفاته * لأنّه طويل الكمّ فشّار * قليل الفرح للدار * عَتّر أكّال خره * لا دنيا له ولا آخره * كما قيل [طويل]

فَهذا الّذي إِنْ عاشَ لا يُعتَنَى بِهِ وَإِنْ ماتَ لا تَنْدَمُ عَلَيْهِ أَقارِبُهُ

(وأوّل) من وضع الدواوين سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وأوّل ديوان عُمِلَ في مصر على يد سيّدنا عمرو بن العاص لمّا فتح مصر ولم يُضْبَط على وتيرة واحدة وكان الخراج في زمانه يسيراً ولهذا لمّا فتحها صُلحاً أو عَنْوَة على ما قيل جمع منها أموالاً كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها * قال هشام بن رُقَيّة اللَخْميّ إنّ عمرو بن العاص لمّا فتح مصر قال لقبط مصر من كتمني كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته وإنّ قبطيّاً من أهل الصعيد يقال له بطرس ذُكِرَ لعمرو أنّ عنده كنزاً فطلبه وسأله فأنكر فحبسه في السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا إنّما سمعناه يسأل عن راهب من الطور فأرسل عمرو إلى بطرس وأخذ خاتمه وكتب بالقبطيّة إلى الراهب على لسان بطرس يحرّضه على المال وعلى مكانه وذكر له ما شاء أن يذكره وجهّز الكتاب مع قبطيّ وثق به فجاء الرسول بقُلّة شاميّة مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقيّة الكبيرة فحبس عنها الماء ثمّ

٧،٦،١١

قلع البلاطة الّتي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين إرْدَبًّا من الذهب الأحمر المضروب على سِكّة مصر فأخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى

٨،٦،١١ وإطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلاً إليه من باب تسمية الشيء بما يصير إليه وسمّي ديوانًا لإقامة الدين فيه بإظهار الحقّ وإنصاف الظالم من المظلوم أو لحضور ما دوّن الملك فيه أو لجمعه على أجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتوشيحات ومقاطيع الأشعار إذا أنشأه شخص ديوان فنزول الديوان في البلد على كلّ حال أمر مهول على الفلّاحين * ومصيبة على المُقِلّين * والناظم رحمه الله كان من المُفْلِسين المقلّين المنكسرين في مال السلطان كما سيأتي في قوله (يادوب عمري في الخراج وهمه) وإنّ الدهر والزمان مال عليه وصيّره في هذه الحالة كما تقدّم فلهذا قال عن نفسه إنّي إذا حضر الديوان أو قرب حضوره داخلني الخوف واعتراني الفزع ودهمتني الداهية الكبرى ولحقتني طَرْبَة عظيمة لعدم شيء من الدراهم أورده في مال السلطان أو لخوفي من العقوبة والحبس فبسبب ذلك

٩،٦،١١ (تَبْطُلْ) أي ترتخي وتسكن ويقلّ نفعها

١٠،٦،١١ (مفاصلي) جمع مَفْصِل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فإذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقلّ نفع ذلك العضو وقد ذُكِرَ لفظ المفصل في قول أبي نواس لمّا احتضر [سريع]

لَمْ يَبْقَ إِلّا نَفَسٌ هـافِتٌ وَمُـقْلَةٌ إِنسانُها باهِتُ
ومُـغْرَمٌ تَضْـرَمُ أحشـاؤُهُ بِالنّارِ إِلّا أَنَّهُ ساكِتُ
ما فيه مِن عُضْوٍ وَلا مَفْصِلٍ إِلّا وَفيـهِ أَلَمٌ ثابِتُ
رَثا لَهُ الشّـامِتُ مِـمّا بِـهِ يا وَيْحَ مَنْ يَرْثِي لَهُ الشّامِتُ

فمن هذا نبّه الناظم على هذا الأمر الّذي حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج الأرض ولكونه لم يُمهِله النصرانيّ ولا يرثي لحاله ولما كان يلزم من حدوث بُطلان مفاصله من شدّة الخوف والطربة وانطلاق البطن كما يقع غالباً لبعض الناس ١١،٦،١١

قال (وَأَهرّعلى روحي) أي على ذاتي لا الروح السارية في الجسم من شدّة الطربة وهمّ ١٢،٦،١١

(التّخويف) أي تخويف جماعة النصرانيّ أو الشادّ والخوف الّذي يصيبني بمعنى أنّ الطبيعة تلين من انحصار هذا الهمّ وشدّة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط ليّنا يشبه هِرار الطين بعد أن كان إذا ضربته في الحائط ردّ في وجهك من يُبْسه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا أتمالك دفعه لأنّه يتدفّق بسرعة من شدّة الخوف والهرّ واحد الهِرار والهرار على وزن الجِرار واحده الجَرّة من قولهم هرّعليك الحمار أو هرّت على لحيتك الكلبة أو هرّعلى ذقنك مثلاً ويقال هرّ التراب وهرّ الرمل إذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الأعلى للأدنى فإنّك إذا نظرت إلى أكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين أو هو مشتقّ من الهِرّة الّتي تصيد الفأر وتسمّى بلغة أهل الحجاز البُسّة بضمّ الموحّدة وبلغة أهل مصر القطّة ومصدره هرّ يهرّ هراراً ١٣،٦،١١

ثمّ إنّ الناظم نبّه على أنّه لم يسعه من هذا الأمر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدّة خوفه إلّا الهروب من هذا الأمر الّذي دهمه والاختفاء منه فقال ١٤،٦،١١

ص

وَأَهْرَبْ حِـدَا ٱلنِّسْوَانْ وأَلْتَفُّ بِالعَبَا وَيَبْقَى ضُرَاطِي شِـبْهَ طَبْلٍ عَـنِيفْ ٧،١١

ش

قوله (وأهرب) أي أنا لا أحد غيري ١،٧،١١

٢،٧،١١ (حدا) أصله بالمدّ والذال المعجمة واستُعْمِلَتْ بالدال المهملة جريًا على لغة الأرياف وقصّرها للضرورة وحذاء الشيء أي جانبه أو مقابله وقوله

٣،٧،١١ (النسوان) أي عندهنّ أو محاذي لهنّ ويُجْمَع على نِساء ونِسْوة مشتقّ من التأنّس أو الأُنْس أو المؤانسة لأنّ آدم صلوات الله وسلامه عليه لمّا رأى حوّاء أَنِسَ إليها وسعى لها فمن هذا أنّ الرجال تسعى إلى النساء وتميل إليهنّ لأنّهنّ غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل مرّ بعضهم بامرأة جميلة فأنشد يقول [بسيط]

إِنَّ النِّساءَ شَياطِينٌ خُلِقْنَ لَنا   نَعوذُ باللهِ مِن شَرِّ الشَّياطِينِ

فأجابته تقول [بسيط]

إِنَّ النِّساءَ رَياحِينٌ خُلِقْنَ لَكُم   وَكُلُّكُمْ يَشْتَهي شَمَّ الرَّياحِينِ

(والنِسْوان) على وزن الجِرْوان والنِسْوة على وزن القَهْوة أو العَجْوة والنِساء على وزن الكِساء وقد يأتي فيها الفِساء أيضاً

٤،٧،١١ والمعنى أنّي أخشى على نفسي وأخاف ممّا دهاني فأمضي بسرعة وأنا في هذه الحالة وأهرب أي أنطلق بسرعة إلى النسوان وأختفي بينهنّ أو أجلس بجانبهنّ أو مقابل لهنّ كما في المثل الهروب نصف الشطارة وقد هرب عنترة مع قوّته وشجاعته وقال أُعايَرُ بهذا ولا أُقْتَلُ فالشخص إذا خاف من ظالم أو أحد يؤذيه وتمكّن من الخلاص من بين يديه بالهروب له ذلك قال الله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

٥،٧،١١ (فإن قيل) لأيّ شيء اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أنّ النساء لا يقدرن على دفع الأذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهنّ لضعفهنّ وعدم مقاتلتهنّ فما حكم ذلك (قلنا الجواب من وجهين) (الأوّل) أنّه لمّا دهمه هذا الأمر وأتاه الديوان على حين غفلة وارتخت مفاصله وحصلت له حالة الهرّ هرّ عليها كما تقدّم ولم يستطع النهوض ولا المسير إلى أحد من الرجال يختفي عنده أو إلى محلّ

بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدّة خوفه وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها أيضاً إذ هو من لوازمه كما سيأتي ورأى هؤلاء النسوة قريباً منه أو من محلّه فتوارى بينهنّ (الثاني) يُفْهَمُ منه أنّه كان ضعيف القلب جبان لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شيء من أمور الرجال وخشي أن يمضي إلى أحد من الناس أو من أقاربه فيدلّ عليه النصرانيّ فيأخذه ويشوّش عليه وينتقم منه لأنّ الفلاّحين ليس لهم أمان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصاً الأقارب كما تقدّم فكلّ شيء له من جنسه آفة كما قيل [كامل]

وَلِكُلِّ شَيءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ حَتّى الحَديدُ سَطا عَلَيْهِ المِبْرَدُ

٦،٧،١١ وأيضاً النساء غير متّهمين بهذا الأمر فإذا رآهنّ أحد قد اجتمعن في محلّ لا يشكّ أنّ بينهنّ رجل إلّا إن ظهرت له قرائن تدلّ عليه وربّما منعه الحياء منهنّ عن التفتيش وقد توارى سيّدنا حسّان رضي الله عنه عند النساء في بعض الغزوات لجبنه وقلّة شجاعته كما هو مذكور في السِيَر فاتّضح الجواب ثمّ إنّه لمّا كان هروبه عند النساء يحتاج إلى شيء يواريه من الأعداء ويستر عنه الأعين قال

٧،٧،١١ (وألتفّ بالعبا) أي وقت جلوسي بين النساء أو بجانبهنّ أو قبالتهنّ ألتفّ في العباء أو أرقد بعد لفّي فيها لأطرد عنّي الوهم بالتفافي بها فإنّ الخائف أيّ شيء رآه توارى فيه سواء كان عباء أو ثوباً أو شيئاً يواريه عن الأعين بل ربّما تزيّا بزيّ النساء واختفى عن عدوّه ونجّاه الله تعالى

٨،٧،١١ (كما اتّفق) أنّ بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو في القرية الفلانيّة فأرسل له بعض الأمراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية وأحاطوا بها فلمّا عرف الرجل أنّهم يريدوا أخذه للملك تزيّا بزيّ النساء وخرج في جمع منهنّ ينوح ويبكي ويصيح فقال الأمير ما بال هؤلاء النسوة سَلُوهُنَّ عن حالهنّ فأقبلوا جماعة وسألوهنّ فقلن إنّه مات لنا ميّت في القرية الفلانيّة ونريد التوجّه إليه فخلّى سبيلهنّ

فذهبن والرجل المطلوب بينهنّ ولم يعرف الأمير حاله إلى أن جاوز العسكر ومضى إلى حال سبيله ونجّاه الله تعالى

٩،٧،١١ (ومثل هذه الواقعة) ما اتّفق لي أنّي كنت في سفينة مسافرًا من بلدي شِرْبِين لمصر فلمّا جاوزنا قرية تسمّى مَسِيد الخِضْر وإذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي خَدَمَة الأمراء وهو يصيح على رايس السفينة خذني ويتذلّل له ويتدخّل عليه أنّه يأخذه وهو في كرب عظيم فامتنع ريّس السفينة من أخذه وخشي أن يكون خلفه أحد يفتّش عليه أو يأتي في أثره وكان في السفينة ثلاثة من النساء وفيهنّ امرأة كبيرة فقالت يا رايس غلام مكروب يسألك في أخذه فلم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البرّ وخذه وأنا أصنع له حيلة تواريه عمّن يطلبه وأخفيه بين بناتي ولا يعرفه أحد فسمع الريّس كلامها وأخذ الغلام فلمّا صار في السفينة أخبر أنّه كان في خدمة بعض الأمراء وأنّه استغفله وهرب ولا بدّ من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعهم فأخذتهم وأخفتهم في حوائجها وألبسته لبس النساء وأجلسته بجانبها فبينما نحن في هذه الحالة وإذا بأمير راكب على فرس وهو يركض بها ركضاً شديداً وخلفه رجال ومماليك حتّى صار قبالة السفينة وقال للرايس ادخل البرّ حتّى أفتّشك فإنّه هرب لي غلام في هذه الساعة ومعه ألف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البرّ وصار كلّ من في السفينة في خوف من هذا الحال فطلع الأمير وأعوانه وفتّش السفينة والمرأة تقول هذا شيء ما رأيناه قطّ وإنّما رأينا غلاماً يجري من بعيد إلى الجهة الفلانيّة فمنعه الحياء وعدم الشكّ فطلع من المركب ولم يظفر بشيء وأمّا الغلام فإنّه مكث معنا في المركب إلى أن طلع مصر وذهب إلى أهله سالمًا

١٠،٧،١١ والناظم لمّا رأى هذه العباءة اندرج فيها والتفّ بها واللفّ هو الاندراج في الشيء واللفّ به مرارًا ويطلق على الأكل بلغة أهل الريف يقال فلان لفّ مترد عدس أو مترد بيسار بمعنى أنّه أكله ويقال داهية تلفّك مثلاً فالناظم اندرج في العباءة المذكورة ليُوهِم من رآه أنّ هذه عباءة ملتفّة ولا يشكّ أنّ داخلها أحداً والعباءة كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الألوان يجعلوها أهل الريف فراشاً في

الصيف وغطاء في الشتاء فهي مناسبة للفصلين وهي أفخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء في قول سيّدنا الحسين رضي الله تعالى عنه [رمل]

نَحْنُ أَصحابُ العَبا خَمْسَتُنا   قَدْ مَلَكْنا شَرْقَها والمَغْرِبَيْنِ

١١،٧،١١ والعباءة مشتقّة من عَبّ الماء لأنّها تعبّه إذا أُلْقِيَت فيه أو من عبوب البحر أيّام النيل أو من أبو عُبَيّة كنية لبعض الفراريج الصغار يكنّوه نساء الأرياف بها ومصدرها عبّ يعبّ عبّاً وقوله

١٢،٧،١١ (ويقي) أي عند هذه الحالة الّتي أنا فيها وهي انسهال الطبيعة وسيلان الهرار على نفسي من عدم الأمن وشدّة الخوف وأنا ملفوف في هذه العباءة ومندرج فيها

١٣،٧،١١ (ضراطي) أي صوت الريح المتلائم في بطني من أكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات الأعضاء ورجفان القلب

١٤،٧،١١ (شبه) أي يشبه صوت قرع

١٥،٧،١١ (طبل) وهو جلدة مركّبة على خشب أو نحاس تُقْرَع عند المواكب والتحام الحرب له دَوِيّ شديد ورعب زائد وكلّه حلال إلّا الكوبة وهي طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمّى أيضاً بالدَّرابُكّة وطبل الرِّقّ يستعملها أرباب الدخول وهي من آلات الملاهي وكذلك الزَمّر كلّه حرام إلّا النفير وقوله

١٦،٧،١١ (عنيف) أي شديد الضرب يقال فلان عنّف فلاناً بمعنى أنّه ضربه أو أدّبه والمعنى أنّ صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمّى بالضراط يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوّة وشدّة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب أو أنّ مراده بالطبل العنيف هو الكبير مثل النُقّارة ونحوها لكونه لا يعرف غيرها

١٧،٧،١١ والحاصل من هذه العبارة أنّ الضراط فيها على أربعة أقسام (الأوّل) ضراط يخرج رقيقاً ضعيف الصوت ممتدّاً (الثاني) ضراط يجول في البطن بقرقرة ثمّ يخرج ريحاً من غير صوت (الثالث) ضراط يخرج ممتزجاً بالغائط وصوته يشبه صوت قُلّة الماء عند امتلائها (الرابع) ضراط يخرج بعنف وله صوت عالي يفزع القلوب وهو الّذي نبّه عليه الناظم وصرّح به ولكلّ قسم من هذه الأقسام الأربعة سبب يتولّد منه

١٨،٧،١١ (فالأوّل) سببه أرياح لطيفة تتولّد في بطن الإنسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الأليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقّتها للطف المأكل قال الشاعر [كامل]

خَرَجَ الضُّراطُ مِنَ الحَبيبَ بِرِقَّةٍ   ولَطافَةٍ لِوُجودِ لُطْفِ المَأكَلِ

وهذا ينشأ من أصحاب الأجسام اللطيفة وأرباب المآكل الخفيفة

١٩،٧،١١ (والثاني) ضراط يجول في البطن بقرقرة وربّما وقف في وسطها فلا يتحرّك حتّى يكاد يهلك صاحبه ثمّ ينتقل في أركان البطن بقوّة انتفاخ وعلوّ قرقرة فيتولّد منه الضرر وهذا يسمّى عند الأطباء ضراطاً لا يَنْضَج وسببه من المآكل الغليظة وإذا نَضِجَ أسرع في الخروج وقبل نضاجه إذا خرج منه شيء يكون فساء وفي هذه الحالة يكون خروج الضراط فيها نادراً قال الشاعر [طويل]

يُخَلِّطُ في المَأكولِ طُولَ نَهارِهِ   وَفي اللَّيلِ تَلقَى بَطنَهُ يَتَقَرقَرُ

٢٠،٧،١١ (كما اتّفق أنّ رجلاً أتى إلى طبيب) فقال له أُحِسّ في بطني معمعة وقرقرة فقال له أمّا المعمعة فلا أعرفها وأمّا القرقرة فضراط لا ينضج وإذا كان الريح يجول في البطن من غير قرقرة مع شدّة وجع يقال له مَغَص يُعالَج بأكل شيء من الشِيح أو الصَعْتَر المغليّ بالسكّر فطوراً وربّما مكث يوماً كاملاً أو ليلة كاملة (كما اتّفق لابن الراونديّ) عفا الله عنه أنّه أصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى أن يفرّج عنه بفسوة تخرج

منه فلم يتيسّر له ذلك فخرج من الصباح يتوكّأ على عصاة له فسمع رجلاً يقول اللّٰهمّ ارزقني ألف دينار فقال له يا سقيع الذقن أنا طول ليلي أطلب منه فسوة فلم يعطها لي أيعطيك ألف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة قليلة الفساء

٢١،٧،١١ (والثالث) ضراط يخرج ممتزجاً مع الغائط وسببه أنّ الأرياح عند قرب خروج الخارج تمتزج به وتتلايم معه وتخرج هي وإيّاه عند قضاء الحاجة خصوصاً مع لين الطبيعة فيظهر منها أصوات متقطّعة غير ممتدّة كبقبقة قلّة الماء عند امتلائها وهذا يحصل من تساريح نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر [طويل]

إذا ما خَلا الإِنسانُ في بَيْتِ غائِطٍ فَلاحَتْ بِلا شَكٍّ تَساريحُ نَفْخَتِهْ
فَمَنْ كانَ ذا عَقْلٍ فَيَسْتِرُ ضارِطًا وَمَنْ كانَ ذا جَهْلٍ فَفي وَسْطِ لَحْيَتِهْ

٢٢،٧،١١ وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المِرْدَن ورنّته وقت غزل النساء به وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال [سريع مع كسر]

ذي بنت بطني خرجت تعيّط ضاعَ لي مِردَن ولا لقيتُهْ
ومن يقل لي اكتم ضراطك أجعل خرايَ جوّا لحيتُهْ

فجعل البطن مثل الأمّ وجعل الضرطة فيها مثل البنت لها الّتي فارقت أمّها وصارت تعيّط وتدندن كالمردن لمفارقتها إيّاها فمن هذا أنّه معذور ومن لم يعذره يكون جاهلاً بحاله ويكون خراه في لحيته

٢٣،٧،١١ وقد يأتي الضراط على بَغْتَةٍ عند حمل شيء ثقيل أو وثبة فاحشة أو تحرّك للقيام بشدّة ولكن لا يمتدّ له صوت مثل غيره وهذا أخفّ ضرراً ممّا سبق (كما اتّفق أنّ أعرابيًّا ضرط على حين غفلة) فلاموه فأنشد يقول [طويل]

ضَرَطْتُ فَمَا أَحْدَثْتُ في النَّاسِ بِدْعةً   وَلَمْ يَأْتِ إِسْتِي مُنْكَرًا فَأَتُوبُ
إِذا كانَتِ الأَسْتاهُ[1] تَضْرِطُ كُلُّها   فَلَيْسَ عَلَيَّ في الضُّراطِ رَقِيبُ

(وأتى) رجلان إلى قاض فتقدّم أحدهما فتظلّم من صاحبه وشكا قصّته فبينما هو يتكلّم إذ ضرط فالتفت إلى استه وقال لها إمّا أن أتكلم أنا أو أنت ٢٤،٧،١١

(وحكى نِفْطَوَيْه) عن حكيم بن عيّاش الكلبيّ قال اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس إذ دخل عليهم أعرابيّ كان عبد الملك يُعْجَب به فسُرّ عبد الملك وقال هذا يوم مسرور وأجلسه إلى جانبه ودعى بقوس رمى عنها وأعطاها مَن على يمينه فرمى عنها حتّى إذا صارت إلى الأعرابيّ فلمّا نزع فيها بقوّة ضرط الأعرابيّ فرمى بها مستحياً فقال عبد الملك دهينا في الأعرابيّ وكنّا نطمع في أنسه وإنّي لأعلم أنّه لا يسلّي ما به إلّا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدّم يا أعرابيّ لتضرط وإنّما أراد لتأكل فقال قد فعلت فقال إنّا لله وإنّا إليه راجعون لقد امتحنّا فيه اليوم والله لأجعلنّها مذكورة يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجاء بها فأعطاها للأعرابيّ فلمّا صارت إليه تسلّى وانبسط ونسي ما صدر منه فأنشد حكيم بن عيّاش الكلبيّ يقول [وافر] ٢٥،٧،١١

وَيَضْرُطُ ضارِطٌ مِنْ عَبْدِ قَيْسٍ   فَيَحْبُوهُ الأَمِيرُ بِها بُدُورا
فَيا لَكِ ضَرْطَةٌ جَرَّتْ كَثِيرًا   ويا لَكِ ضَرْطَةٌ أَغْنَتْ فَقِيرا
يَوَدُّ القَومُ لَوْ ضَرَطُوا جَمِيعًا   وَكانَ حِباؤُهُم مِنْها عَشِيرا
أَيَقْبَلُ ضارِطٌ أَلفًا بِأَلفٍ   فَأَضْرِطُ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرا

قال فابتسم عبد الملك وأجاز حكيم بن عيّاش بمثلها

(وقيل) أقبل الصَغيري على مجلس بعض الأمراء وأراد أن يتكلّم فضرط فولّى خجلاً فأنشد بعض من سمعه يقول [بسيط] ٢٦،٧،١١

١ بي: الأَسْتاتُ؛ ب ك با: الاستات؛ م: الاستان.

قل للصغيريّ إذ وَلّى على عَجَلٍ   مِنْ ضَرطَةٍ أَشْبَهَتْ نايًا على عُودِ
فَإِنَّما هِي رِيحٌ لَسْتَ تَمْلِكُها   إذ أَنتَ لَسْتَ سُليمانَ بْنَ داوُدِ

(وهذا) كلّه من باب الحلم والتستّر وإبداء العذر عن الجالس في الحضرة إذا ضرط فيها قهرًا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممّن لا يعذره ولهذا يُلْغَز في الضرطة ويقال [طويل] ٢٧،٧،١١

ومَولودَةٍ لَم تَعرِفِ الطّمْثَ أُمُّها   ولَيسَ لَها رُوحٌ ولا تَتَحَرَّكُ
تُقَهْقِهُ مِنها القَومُ مِن غَيرِ نَظْرَةٍ   وصاحِبُها مِن عارِها لَيسَ يَضحَكُ

وأمّا إذا كان الضراط باختيار الشخص لا لِعلّة ولا لمرض فإنّه يكون من القباحة وسوء الأدب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها أن يفعل ذلك ولو أراد به المزح مثلاً

(وقد شاهدنا في بلاد الأرياف) أنّ الشخص إذا ضرط في مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الأذيّة والضرر ويلزموه بطعام يفعله لهم وربّما جعلوا له علامة في الحائط الّذي جلس بجانبه من جِصّ أو جير حتّى يراها كلّ أحد ويعرف أنّه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة ما يلوموه على ما فعل وكلّ هذا من كثافة طباعهم وسوء أخلاقهم وقلّة معذرتهم للضارط وعدم تستّرهم عليه فعلى كلّ حال إنّ الضارط من غير اختيار معذور وخصوصاً إذا كان كَتْمُ الريح يشوّش عليه وكان في جلسة فلا بأس بضراطه فيها وينبغي مسامحته لهذه العلّة ٢٨،٧،١١

(ورأيت في بعض الكتب) أنّ سبب ما لُقِّبَ حاتم نفعنا الله به بالأصمّ أنّ امرأة جاءت إليه تسأله عن حاجة فلمّا تكلّمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم أَعْلِي صوتك بالكلام فإنّي رجل أصمّ وكان كلامه لها من باب التستّر عليها ففرحت المرأة وظنّت أنّه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضي الله عنه ٢٩،٧،١١

٣٠،٧،١١ (واتّفق لي أنّي كنت أهوى غلاماً جميل الذات) * لطيف الصفات * فصيح اللسان * رَطْب البَنان * بديع الجمال * رخيم الدلال * وأنا مشغوف بجماله * وراغب في وصاله * وكنت أترقّب أن أخلو به ساعة من الزمان * وأن يجمعني السعد أنا وإيّاه في مكان * إلى أن صدفته في روضة بالمشموم عابقه * ونخيلها باسقه * وطيورها بالتغريد ناطقه * يَرْفُلُ في ثياب العِزّ والإِمْداد * وكلّ صدفة خير من ميعاد * فباديته بالسلام * وأبديت له الغرام * وسألته الجلوس فأجاب * وما أحلى اجتماع الأحباب * فلمّا استقرّ بنا الجلوس * وأردت أن أتملّى بقدّه المأنوس * بين هاتيك الرياض الزاهره * والروائح العاطره * وأحظى بحديثه العذب الرائق * وبنطقه الشهيّ الفائق * إذ أقبل علينا جماعة من أرباب الذوات الكثيفه * وذوي الطباع العنيفه * وجلسوا من غير طلب * وخاضوا في الحديث من غير أدب * فخجل الغلام منهم وأطرق * واعتراه الوهم والحنَق * وأراد أن يتحرّك للنفار * فخرج منه صوت من غير اختيار * فضحكوا عليه وقاموا منصرفين * وعليه بالقول لائمين * فنظر إليّ بطرف كحيل * ووجه جميل * وقال ما تقول في لُؤم هؤلاء الأراذل فأنشدت أقول

[بين الكامل والرجز]

٣١،٧،١١ لاموا الحبيب وما دَرَوْا	قَصْدَ الحبيب بما فَعَلْ
لمـا ازدرى جُـلاّسَهُ	ورأى بهم ذاك الثِّقَلْ
ورأى التَفَوُّه معْهـمو	بلطيف لَفْـظٍ كالعَسَلْ
فيـه الخسـارة إذ هـمو	أهـل الكثـافة والمَلَلْ
ناداهـمُ مِنْ إسْـته	بلطيفِ صوتٍ قد حَصَلْ
٣٢،٧،١١ كيْمَا يُناسِبَ حالَهُمْ	ومقـامَهُمْ ذاك الأَقَلْ
فتـفـرّقوا عن مجـلسٍ	حاوى الغـزال مع الغَزَلْ
فـلا عـدمنا ضرطـةً	فـيها ذَهَـابٌ للعِـلَلْ
رقّت وراق محَلُّهـا	من العواذل والعَـذَلْ

والحمد لله على ذهاب همٍّ قد رَحَلْ
فاضرِطْ وغنِّ[1] وانبسط واشْطَحْ وَطِبْ يا ذا البَطَلْ ٣٣،٧،١١
في روضةٍ يا حُسنَهَا بها السرور قد وَصَلْ
فكلّما ترضى بهِ فالعبد عنه ما عَدَلْ
لكنْ بحقّ المصطفى غيري فلا تأْخُذْ بَدَلْ

٣٤،٧،١١ فتبسّم عن ثغر كأنّه عقود الجُمَان * ومال عليّ بقدّ كأنّه غصن البان * وقال لا وحقّ من فلق الحبّه * وغرس في فؤادك شجر المحبّه * لا أكون في يميني حانث * ولم يدخل بيننا مدى الدهر ثالث * ولم أزل أنا وإيّاه على هذا الحال * حتّى لحق بذي الجلال *

٣٥،٧،١١ (ومن اللطائف) أنّ السلطان قانصوه الغوريّ مرّ يوماً في شوارع مصر مختفياً هو والوزير فسمع رجلاً من أرباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر عليّ يا فلان وأنا أقدر أصوّر النغمات من طيزي فقال لوزيره عليّ بهذا الرجل فأحضره بين يديه فأخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بدّ من فعل ما التزمت به فقال له تعفوني يا ملك الرجل في المخاصمة يقول ما شاء قال لا بدّ من صدق مقالتك وإلّا قتلتك فقال تعطيني الأمان قال لك ذلك فقال يكون في محلّ خال قال نعم فتحوّل الملك إلى قاعة الجلوس وأحضره وطاب معه في الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغوريّ له دراية بهذا الفن وألّف فيه بعض رسائل فقال له أيّ نغمة تريد فقال الحِجاز مثلاً فحرّك أَلْيَتَيْهِ وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد أخرى حتّى أتى على جميع النغمات ونهزاتها ولم يترك شيئاً يلام عليه فتعجّب الملك وقال له مثلك لا يكون إلّا ريّس مصر في هذا الفنّ ثمّ إنّه أجازه بألف دينار وجعله رئيساً على أرباب الدخول كلّهم ويقال إنّه جدّ أولاد العَتْر المشهورين الآن

٣٦،٧،١١ (وقد) اجتمعتُ برجل يقال له ماضي الضرّاط كان رحمه الله على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ القرآن حفظاً جيّداً وضراطه كان مصنوعاً

[1] بي (في جميع النسخ): وغني.

يفعله بإبطه إلّا أنّه كان يفعل به أيّ نغمة كانت ويعمل منه أشغالاً ونحو ذلك فكان بهذه المثابة أعجوبة لكلّ من رآه وسمعه يضحّك الجماد وكان مشهوراً عند الأمراء مقبولاً عند العظماء عفا الله عنه

٣٧،٧،١١ (فائدة فشرويّة) سمعتها من بعض أهل الخلاعة وهو أنّ إبليس لعنه الله يضرط في كلّ يوم خمس ضرطات يفرّقها على خمسة أنفار أوّلهم من يركّب زوجته ويزوّرها أضرحة الأولياء والمقابر والثاني من رأى اثنين يتساررو وأدخل نفسه بينهما وهذا يسمّى عويل مصاحبة والثالث من رأى اثنين يتضاربا وأدخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل مايبنوب المخلّص إلّا تقطيع الثياب والرابع من يمشي في الطريق ويلتفت من غير حاجة والخامس محبوس الزوجة وقِسْ على أمثالهم

٣٨،٧،١١ (فإن قيل) إنّ الضراط صوت وقد عرّفوا الصوت بأنّه هواء منضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع إنّما هو يخرج من الاست عند انفتاح الأَلْيَتَيْن وتحرّكهما فما الحكم (قلنا الجواب) أن يقال إنّ هذا لا يتأتّى إلّا على التعريف الثاني وهو أنّ الصوت هواء يتموّج بتصادم جسمين فاتّضح الجواب

٣٩،٧،١١ (فإن قيل) إنّ في قول الناظم (ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف) إشكال من حيث أنّه إذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كلّ من سمعه أقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدلّ بهذه الحالة عليه النصرانيّ وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في اندراجه في العباءة فما الحكم (قلنا الجواب) أنّ الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة إلّا بعد لفّه في العباءة فهو وإن كان قويّاً وله صوت عالي فلقوّة اندراجه في العباءة لا يسمع منه شيء والمعنى أنّه لو كان خالياً عن اندراجه ولفّه ليُسْمَع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جُبّ عميق مثلاً ومعه طبل يقرعه فلا يُسْمَعُ منه إلّا قليلاً وإن كان ضربه شديداً فيكون سماعه قاصراً على نفسه أو من يكون واقفاً على باب الجبّ أو قريباً منه فالعباءة حكم الجبّ وهي أضيق لاندراجها ولفّها عليه ولو كان الضراط فيها قويّاً لا يظهر حسّه من الخارج إلّا ضعيفاً أو أنّه من باب الغلوّ في الشيء كما قال الصَفيّ الحِلّيّ في بديعيّته [بسيط]

عَزيزُ جارٍ لَو اللَّيـلُ اسـتَجَارَ بِـهِ   مِنَ الصَّباحِ لَعاشَ النَّاسُ في الظُّلَمِ

أو يقال إنّ هذا الضراط وإن سُمِعَ منه بالصفة الّتي ذكرها لا يتوهّم أنّه رجل مختفٍ بل ربّما يُظَنُّ أنّه رجل أو امرأة يقضي حاجة فلا يكون فيه مظنّة للتهمة فعلى كلّ حال لا إشكال في كلامه فاتّضح الجواب (قلت) ولم أر من صرّح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الأقسام وعرّفه بهذه التعاريف غيري ٤٠،٧،١١

ثمّ إنّ الناظم نبّه على أنّ عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدّة فقره وقلّة كسبه فقال ٤١،٧،١١

ص

وَيَادَوْبَ عُمْـرِي فِي ٱلْخَـرَاجِ وَهَمِّـهِ   تَقَـضَّى وَلَا لِي فِي ٱلْحَصَادِ سَعِيفُ ٨،١١

ش

قوله (ويا دوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات فشرويّة ومعاني مختلفة فإمّا أن تكون مشتقّة من دأب الإنسان وهو شأنه وحاله الّذي هو مهتمّ به والمعنى أنّكم تعلموا يا إخواني أنّ دأبي طول ١،٨،١١

(عمري) مع ما حصل لي من الهموم سابقاً في حساب وفكر وتعب شديد ممّا عليّ من ٢،٨،١١

(الخراج) وما ينشأ من (همّه) أي خراج الأرض وهو المال المكتتب عليّ تحت زرع الأرض وما يخرج منها في كلّ عام فلا يغطّي ما عليّ من المال لزيادته وقلّة الزرع ولضعفي وشدّة فقري وقلّة من يُسْعِفني في الزرع والقلع فلهذا ٣،٨،١١

(تقضّى) عمري وأنا في هذا الحال إلى آخره ٤،٨،١١

أو أنّه من الدَبّ ليلاً على الولد الأمرد إذا رقد بين جماعة ولم يتمكّن منه الفاسق فيصبر ٥،٨،١١ عليه حتّى ينام ويدبّ عليه على حين غفلة فما يشعر إلّا والأير قد دخل غالبه أو كلّه فيخشع خَوْفَ أحد يتحرّك أو خَشْيَةَ الفتنة حتّى يقضي الفاسق مراده وربّما عاتبه الأمرد عتاباً لطيفاً أو شتمه شتماً خفيفاً فيقول له قدّر الله وأنا عبدك مثلاً وإنّي هلكت في حبّك إلى أن تمضي القضيّة على أحسن حال قال بعضهم مواليا [بسيط]

دَبَّيْتُ ليلاً على مَن للمَلاحَةِ حازْ بَقَيْتُ راكِبْ على ظَهْرُو شبيهَ البازْ
لما انْتَبَهْ من مَنامُو قالَ مَنْ دا فازْ بِوَصْلِنا قُلْتُ أَعْمى جَسَّ بالعُكّازْ

(والمعنى) أنّي أكون على حين غفلة فيدبّ عليّ همّ الخراج وتعبه والحساب فيه ٦،٨،١١ فيمنعني الراحة في معاشي والسرور في أوقاتي وهكذا طول زماني كما يدبّ الفاسق على الأمرد فما يشعر إلّا وقد علا ظهره ونال مقصوده كما تقدّم أو أنّه من دبيب سمّ العقرب بمعنى أنّ الحساب في هذا الأمر في الليل والنهار يتولّد منه غمّ يسري على القلب ويدبّ فيه دبيب سمّ العقرب في سائر الجسد أو أنّه مشتقّ من الدُبّ بضمّ الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس في الحيوان أبلد طبعاً منه إلّا أنّ عنده قوّة إدراك عن غيره كما في المثل (بلادة الدبّ غلبت فطانة القرد) وعجيب منه أنّه إذا رأى أيّ جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثمّ يتمرّغ على الرمل حتّى يصير شعره يابس كالحجر فلا يؤثّر فيه ضرب النُشّاب ولا غيره ويكون وقاية له ففي التبلّد في الأمور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر [طويل]

تَبالَدْ تَرَنْ عَقْلَ الأَنامِ ويُظْهِروا إِلَيكَ أُموراً لَستَ مِنها بِخابِرِ

والمعنى أنّ كثرة الهمّ من حساب المال ووزن الخراج صيّرتني في حالة تشبه ٧،٨،١١ بلادة الدبّ وعدم حركته في السعي لعدم المكاسب وقلّة البركة في الزرع وشدّة الفقر

وتواتر الطلب عليّ في كلّ ساعة فأنا محروم من لذّات الدنيا ولم يفدني ما أنا فيه شيء
قال بعضهم [سريع]

أَصبحتُ لا شُغلٌ ولا عُطلَةٌ   مزيدُنا مِن صَفقَةٍ خاسِرهْ
وحاصِل الأَمرِ وغايَتُهُ   أَنِّي لا دُنيا ولا آخِرهْ

فلا أرى في الزرع بركة في ابتدائه لقلّة التقاوي وضعفي عن إصلاح الأرض لأنّ الأرض لا يقوم بزرعها إلّا الفلّاح القويّ المتيسّر خصوصاً لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادت الخراج والعوائد المكتتبة على الفلّاحين والمغارم فالزرع وإن ورد أنّ فيه تسعة أعشار البركة لا يفي بهذا المقدار من كثرة الظلم وإلّا في الزمن المتقدّم فلم يكن عليه عوائد ولا كُلَف ولا مغارم ولا شيء ممّا هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الأرض ويزن خراجها شيئاً يسيراً ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيء من ذلك قطّ وكانت البركة حاصلة بزيادة والأرض كلّها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب

(ولمّا دخل المأمون مصر) وسار في قراها كان يُبْنى له في القرية يوماً تكّة يضرب عليها سُرادِقه والعساكر حوله وكان يقيم في كلّ قرية يوماً وليلة فمرّ بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلمّا جاوزها خرجت إليه امرأة عجوز تُعْرَف بمارية القبطيّة صاحبة القرية وهي تصيح فظنّها المأمون مستغيثة متظلّمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كلّ جنس فذكروا له أنّ القبطيّة قالت أمير المؤمنين نزل في كلّ ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرّفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعَقِبي ولا يشمت الأعداء بي وبكت بكاءً كثيراً فرقّ لها المأمون وثنى عنان فرسه إليها ونزل فجاء ولدها إلى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك ممّا جرت به العادة قال كذا وكذا فأحضرت أمّه جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون أخوه المعتصم وولده العبّاس وأولاد أخيه ١١،٨،٨

الواثق والمتوكّل ويحيى بن أكثم والقاضي داود فأحضرت لكلّ واحد منهم ما يخصّه على انفراده ثمّ أحضرت هي للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئاً كثيراً حتّى أنّه تعجّب من ذلك فلمّا أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت إليه ومعها عشرة وصائف مع كلّ وصيفة طبق مغطّى فلمّا عاين المأمون ذلك ورآها قال قد جاءتكم القبطيّة بهديّة الريف فلمّا وضعت ذلك بين يديه وكشفت الأطباق فإذا كلّها ملآنة بالذهب فاستحسن ذلك وأمرها بإعادته إلى بيتها فقالت لا والله هذا هديّة لك يا أمير المؤمنين فتأمّل الذهب فإذا هو ضَرْب عام واحد كلّه فقال هذا عجب ربّما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقّر بنا فقال إنّ في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على أحد فردّي مالك عليك بارك الله لك فيه فأخذت قطعة من الأرض وقالت يا أمير المؤمنين هذا وأشارت إلى الذهب من هذا وأشارت إلى الطينة الّتي تناولتها من الأرض ثمّ من عدلك وإنصافك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فأمر به وأخذه منها وأعطاها عدّة ضِياع وأعطاها من قريتها طا النمل مائتي فَدّان بغير خراج وارتحل متعجباً من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر إلى ما كانت الأرض في الزمن الماضي تعطي زرّاعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكلّه من عدم المظالم وكثرة العدل وقلّة الحوادث

٩،٨،١١ (وأوّل) من أحدث بمصر مالاً سوى الخراج أحمد بن المدبّر لمّا ولي خراج مصر فإنّه كان من دُهاة الناس ابتدع بدعاً كثيرة منها أنّه حجر على الأَطرون بعد ما كان مباحاً لجميع الناس وقرّر على البهائم مالاً وسمّاه المراعي وقرّر على ما يُطْعم الله من البحر مالاً وسمّاه المصايد فانقسم من حينئذ مال مصر إلى خراجيّ وهلاليّ وعُرِفَ المال الهلاليّ بالجديد وقوله

١٠،٨،١١ (ولا لي في الحصاد سعيف) أي ولا أرى من يُسْعِفني في حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونني على تحميله على الجمال ونزوله في الجُرْن ودرسه ودوارته وحصاد الزرع هو ضمّه بآلة من حديد أو قلعه من أصله إذا بلغ الاستواء ويبس حبّه وطاب سنبله

ونشف وآل إلى السقوط فيحلوا عليه بالحصاد وقد شُبّه الآدميّ بالزرع فإنّه في ابتدائه يكون خضراً نضراً زاهياً كذلك الشخص في حال نشأته وصباه إذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فإذا طاب وآن أوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدميّ إذا صار كَهْلاً ودهمه الشيب آن أوان انقضاء عمره فإنّ الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل إذا دهمه الشيب طاب الزرع أي قرب الموت ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسّيّ والمعنويّ فالحسّيّ ما تقدّم ذكره والمعنويّ مثل فعل الخير مثلاً يقال زرع فلان الجميل أي فعله مع غيره قال الشاعر [بسيط]

اِزرَعْ جَميلاً وَلَو في غَيرِ مَوضِعِهِ   ما خابَ قَطُّ جَميلٌ أَيْنَما زُرِعا
إِنَّ الجَميلَ وَإِنْ طالَ الزَّمانُ بِهِ   فَلَيسَ يَحصِدُهُ إِلّا الَّذي زَرَعا

(ومن الحِكَم) من فرش رقد ومن زرع حصد وكلّ زارع يحصد ما زرعه من خير أو شرّ

(ثمّ إنّ الناظم) رحمه الله نبّه على مصيبة أخرى من أنواع الظلم ابْتُلِيَ بها هو وغيره من إخوانه الفلّاحين والبطّالين وغيرهم فقال ١١،٨،١١

ص

وَيَوْمٍ تِجِي ٱلْعَوْنَهْ عَلَى ٱلنَّاسِ فِي ٱلْبَلَدْ   تُخَبِّئُنِي فِي ٱلْفُرْنِ أُمُّ وَطِيفْ ٩،١١

ش

قوله (ويوم) بالتنوين وعَدَمِهِ في هذا البيت ١،٩،١١

(تجي العونه) وهو أوان حفر السواقي وضمّ الزرع وشيل القَنى ممّا يحتاج إليه في هذا المعنى والعونة إنّما تكون في بلاد الملتزمين الّتي فيها الأُوسِيَة وهو أنّ غالب الملتزمين ٢،٩،١١

إذا أخذ قرية أو كفرًا من كفور الريف يزرع فيها أو في الكفر جانبًا من الأرض والبقيّة يعطيها للفلّاحين بخراج معلوم ويسمّى هذا الجانب الّذي يزرعه زرع الأوسية فيرسل ثيرانًا وأخشابًا ومحاريث وما يحتاج إليه ويجعل له على ذلك وكيلًا ومحلًّا معدًّا لأخشابه وبهائمه ويقال لها دار الأوسية ويوكّل من يصرف على البهائم وغيرها بحساب وضبط فإذا احتاج الأمر لشيل الطين من الآبار أو حفر القنى أو ضمّ الزرع أمر الشادّ بالقرية أو الكفر رجلًا يقال له الغفير فينادي العونه يا فلّاحين العونه يا بطّالين فيخرجوا عند صَبِيحَةَ النهار جميعهم ويسرحوا للحفر أو الضمّ أو لكلّ ما يأمرهم به كلّ يوم من غير أجرة إلى أن يفرغ الحفر والضمّ وكلّ من تراخى أو تكاسل عن السروح أخذه الشادّ وعاقبه وغرّمه دراهم معلومة وبعض بلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلًا فيقولوا يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصين بحسب ما تقرّر عليهم قديمًا وحديثًا فلا ينفكّ من عليه العونة منها وإن مات جعلوها على ولده وهكذا فهي داهية كبرى على الفلّاحين ومصيبة عظمى على البطّالين ولله الحمد أراح قريتنا منها إنّما هي قراريط معلومة على الفلّاحين لا يعرف الملتزم إلّا خراجها يأخذه في كلّ سنة على التمام والكمال وإن كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الأوسية لأنّهم دائمًا في تعب وكدّ وغرامة وعونة وسخرة وهمّ زائد والناظم كان ساكنًا ببلاد الأوسية فلهذا ذكر أنّه إذا حضرت العونة

(على الناس في البلد) أي بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كلّ سكان القرية ولعلّ الناظم كان ممّن يسرح للعونة لقلّة زرعه وشدّة فقره وأنّه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا إلى ذلك فلا يقدر أن يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال ٣،٩،١١

(تخبّئني) أي تخبئني عن أعين الناس حتّى لا يراني أحد ولا يسمع بي ٤،٩،١١

٥،٩،١١ (في الفرن) أي فرنه الكائن في داره المُعَدّ لخَبْز العَيْش ودَمْس الفطير وطبيخ البيسار والفول المدمَّس ونحو ذلك

٦،٩،١١ (أمّ وطيف) أصله وطفه وذكره بلفظ المذكّر لضرورة النظم وهو مشتقّ من الطَّيْف وهو الخيال الساري مناماً قال الشاعر [طويل]

سَرَى طَيْفُ سُعْدى طارِقًا يَستَفِزُّني سُحَيْـرًا وصَحْـبي بالفَـلاة رُقودُ
فَلَمّـا انْتَبَهْنا للخَيـالِ الّذي سَرَـى أَرى الدَّارَ قَفْرى والمَزارَ بَعـيدُ

أو من الطوفان أو من أطواف الجلّة الّتي تفعلها نساء الأرياف فإنّها كانت كثيرة الشغل في لزق الجلّة وعملها أطوافاً فمن هذا كنّوها أمّ وطيف وأمّا اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطه أو معيكه وهي إمّا أنّها أمّ الناظم أو زوجته أو أخته وسمّيت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لأنّها جماعة يخرجوا معاونين بعضهم البعض في شغل الملتزم ونحوه أو أنّها اسم للجماعة المتعاونين على الشيء ولهذا يقال ناكوا فلان الليله عونه أي تعاونوا كلّهم على نيكه دفعة واحدة في الزريبة أو الشونة ويعايروا بهذا الأمرد ويقولوا له أنت يا خور يا بقره دايماً عونتك مِيّه أي مائة نفس أو أنّها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عوّن يعوّن تعويناً أو عان يعين إعانة قال الشاعر [طويل]

فـعَوَّنَ تَعوينًا وَعـانَ إعـانةً وكُلٌّ لَه مَعْنىً صَحيحٌ[١] وقَد وَرَدْ

٧،٩،١١ (فإن قيل) إنّ كلام الناظم يُشْعِرُ أنّه إذا اختفى في الفرن يتركوه ولم يَشْعُر به أحد وهذا بخلاف ما تقدّم من أنّ العونة لا بدّ من السروح إليها وخصوصاً إذا كانت مقرّرة على الشخص من قديم الزمان أو من زمن أجداده كما تقدّم فما الجواب (قلنا) الجواب أنّ الناظم لمّا مال عليه الزمان وبقي من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا أحد يفتكره وإنّما أراد الاختفاء خوفاً من أقاربه لا يسلّطوا عليه جماعة الملتزم

١ بي (من جميع النسخ): صحيحًا.

يؤذوه أو يشوّشوا عليه وعلى هذا القول يدلّ على أنّ العونة لم تكن مقرّرة عليه لأنّه كان في ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرّف فيه أو أنّه اعتراه الكِبَر وصار شيخًا عجوزًا فإذا حضر وقت العونة اختفى في الفرن سترًا على نفسه حتّى لا يراه أحد كما يقال (ابعد عن الشرّ وغنّي لُو) و(عين لا تنظر قلب لا يحزن) فاتّجه الجواب عن هذا الإشكال

٨،٩،١١ ولمّا فرغ الناظم من شكواه من القلّ والعترة والقمل والصيبان وعداوة أقاربه وما ناله من همّ الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع في تمنّي جملة المآكل أو رؤيتها لشدّة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وأنّه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه إلّا عند الناس فتمنّى أنّ الدهر يغلط معه ويرى ذلك أو يملكه ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكِشْك لأنّه أفخر مأكول أهل الريف فقال

ص

١٠،١١ وَلَا هَـدَّني مِنْ بَعْـدِ هَـادَهْ وَهَـادِهِ   سِوَى ٱلْكِشْكِ لَمَا يَسْـتَحِقُّ غَـرِيفْ

ش

١،١٠،١١ قوله (ولا هدّني) أي هد حَيْلِي وقوّتي مأخوذ من هدّ الحائط وأصله الهَدْم بزيادة الميم حُذِفَتْ منه جريًا على اللغة الريفيّة أو أنّه من الاكتفاء كقول الشاعر [بسيط]

مَـلِيكَةَ الحُسنِ جُودي بِاللِّقـا كَرَمًـا   لِمُغْـرِمٍ قَلبُـهُ قَد ذابَ فـيكِ أذا
أَفسَـدْتِ قلبي فقـالت تِلكَ عـادَتُنا   قـد قـالَ سُبحـانه إِنّ المُـلوكَ إذا

٢،١٠،١١ (وقيل) هد وهد مجموع هُدْهُد بضمّ الهاء فيكون اسم مركّب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن سيّدنا سليمان عليه السلام ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ لأنّه

كان رسول الطير وكان يدلّه على الماء لأنّه يرى الماء تحت الأرض بخاصّيّة جعلها الله تعالى فيه (وسئل ابن عبّاس) رضي الله عنه ما الحكمة في أنّ الهدهد يرى الماء تحت الأرض ولا يرى الفخّ ويقع فيه فقال رضي الله عنه (إذا وقع القضاء عمي البصر) أو أنّه مشتقّ من الهَدِيّة لمقاربة اللفظ وفي الحديث تهادوا تحابّوا ويقال أصل المحبّة الهديّة وأصل العداوة الشكيّة وأصل البِغْضة الأَسِيّة فالهديّة لها موقع في النفس ولوكانت شيئاً يسيراً وفي المثل (هديّة الأحباب على ورق السَداب) وقال بعضهم [بسيط]

جاءَ سُلَيمانَ يومَ العَرْضِ قُنبُرَةٌ   تُهْدي إِلَيهِ جَراداً كانَ في فِيها
وأَنشَدتْ بِلسانِ الحالِ قائِلَةً   إِنَّ الهَدِيَّةَ عَلَى مِقدارِ هادِيها
لَوكانَ يُهْدى إِلى الإِنسانِ قيمَتُهُ   لَكانَ يُهدى لَكَ الدُّنيا وما فيها

(أو أنّه) من الهَذَيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هد يهد هدّاً أو هدم يهدم هدماً على اللغتين من قولهم هدّك الله هدّاً أو هدمك هدماً بمعنى أنّه يُضْعِف قواك ويُبْطِل حركاتك كما يَبْطُل نفع الحائط إذا هُدِمَ ونحوه ٣،١٠،١١

قوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والألف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين أوّلها مثل آخرها إذا وقفتَ عليها وأصلها هذا اسم إشارة إلّا أنّ ألسنة أهل الريف غيّرتها والمعنى أنّ ما هدّ حيلي وأضعف قواي من بعد ما تقدّم أوّلاً وهو أكل القمل والصيبان والقلّ والعترة ونحوه والّذي أتى عقبه وهو الضرر من الأقارب وهَمّ الخراج والوجبة والخوف من نزول الكُشّاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد في الغيطان وغير ذلك ممّا تقدّم ذكره على حدّ قول الشاعر ٤،١٠،١١

[وزن غير معروف]

همّ الفِلاحه حيّرني   وكلّ ساعه في نقصان
ما انفكّ من همّ الوجبه   لما يجي مال السلطان

(فالفلّاح) إذا كان فقيراً تجده دائماً معرّض للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذّة المآكل والمشارب ولا يجد له راحة إلّا إن غلّق مال السلطان وأمّا إذا بقي عليه شيء يسير فإنّه دائماً في افتكار آناءَ الليل وأطرافَ النهار وطرد ونصب إلّا أن أعطاه الله تعالى البركة في الزرع فإنّه يأتي من القليل كثير بحسب نِيَّته وقت البذر في الأرض وقصده ذلك الوقت أنّه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدوابّ ونحو ذلك مع الاتّكال على الله تعالى في طلوعه وحفظه من الآفات فإنّ الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما رُوِيَ عن سيّدنا عمر) رضي الله عنه أنّه مرّ بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من أنتم قالوا نحن المتوكّلون فقال لستم كذلك إنّما المتوكّل من وضع الحَبَّة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزَرّاع أقوى توكّلاً من غيره إن لاحظ ما تقدّم ذكره وقت البذر ٥،١٠،١١

(فائدة) يُستحبّ عند بذر الحَبّ في الأرض أن يصلّي ركعتين ثمّ يقول إلهي أنا عبدك ضعيف إليك سلّمت هذا البذر فبارك لي فيه ثمّ يصلّي على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإنّ الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الإمام الزاهديّ ولكن نحمد الله الّذي أراحنا من الفلاحة وهمّها ولم تكن لآبائنا ولا أجدادنا فنحن على حدّ قول البهلول رحمه الله [وافر] ٦،١٠،١١

إِذا رَكِبَ المُـلوكُ عَـلَى الجِيادِ وَقَـد شَدّوا البُـنودَ عَلَى القِصـادِ[١]
رَكِبتُ قُـصَيْبَتي ولَبِستُ مِسْحي وسِـرتُ كَسَيرِهِـم في كُلِّ وادي
فَلا الأَجـنادُ تَطـلُبُني بِمـالٍ ولا الدّيوانُ يَغـلَطُ في عِـدادي

(فالفلاحة) على كلّ حال بليّة أعاذنا الله والمحبّين منها وقوله

١ بي (في جميع النسخ): الفِصادِ.

(سوى الكشْكُ) وهو في أصله مركَّب من البُرّ واللبن غليظ محرِّك للأمراض قال ٧،١٠،١١
الشاعر [مجتثّ]

الكِشْكُ فَظٌّ غَليظٌ مُحـرِّكٌ لَلسَّواكِنْ
الأَصـلُ دَرٌّ وبُرٌّ نِعْـمَ الجدودُ ولكِنْ

أي ولكن بئس ما خلّفوا ففيه اقتباس واكتفاء

وصفته أن يؤخذ البرّ وهو القمح ويُغْسَل غسلاً جيّداً ويُغْمَر بالماء ويوضع على ٨،١٠،١١
النار ويقاد عليه حتّى يلين ويغلظ الحبّ ويصير مصلوقاً ثمّ يُجفَّف في الشمس ويُدَشّ
ويوضع في إناء ويُصَبّ عليه اللبن والمِشّ الحصير ويُحرَّك ثمّ يترك أيّاماً ثمّ يحرك
ويوضع عليه اللبن وهكذا حتّى يتخمّر ويأخذ قوامها وتفوح له رائحة الحموضة ويصير
على غاية من جودة الطَعْمِ ثمّ يزاد من اللبن لأجل خفة حموضته ثمّ يُقرّص أقراصاً
صغاراً ويوضع في الشمس إلى أن يجفّ ويؤخذ ويخزّن لوقت الطبخ وهذه صفة
كشك بلاد البحر وهو الأجود والأحسن في المأكول وأمّا كشك الكفور وبلاد المَلَق
الّذي ذكره الناظم فلا أراك الله مكروهاً فإنّهم يصنعوه بالمشّ الحصير وقليل من اللبن
ولهذا أنّه كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع عن غيره محرّك للضرورات وهو
الّذي يضرب لونه إلى سمرة وكلّما كان أبيضاً نقيّ قليل رائحة الحموضة كان جيّداً
وكذلك كشك الصعيد فإنّه يشبه كشك الكفور في عدم الجودة إلّا أنّهم يجعلوه مثل
البنادق الكبار وفيه نوع جيّد لكثرة لبنه وحسن نظافته

وأمّا كيفيّة طبخه فعلى أقسام بحسب البلاد الّتي يعمل فيها فأهل بلاد البحر يطبخوه ٩،١٠،١١
بالأرز واللحم السمين تارة وبالدجاج أو شيء من أصناف الطيور المأكولة أخرى أو
يجعلوه بالأرز فقط ويصيّروه ثخيناً وأهالي المَنْزَلة ودمياط يطبخوه بالسمك البُوري
السمين وأكلتُه بدمياط مراراً وأبناء الترك يجعلوه رقيقاً مائعاً بقليل من الأرز بحيث
يُشْرَب بالملعقة ويقلّوا له بالخضرة والأدهان والسمن الطيّب ويجعلوه باللحم الضاني
السمين فيكون له لذّة عظيمة في المأكل وتعتدل طبيعته خصوصاً مع لحوم الضأن

المذكورة والدجاج والأرز ونحوه وأمّا القسم الرديء المحرّك للسواكن المذكور في الشعر المتقدّم فهو كشك أهل الكفور وبلاد الملق فإنّهم يتساهلون عند الطبخ في غسله وتصفيته ويضعوه في بوشة أو قِدْرة أو دِسْت على النار ويضيفوا إليه ملء كفّ من الفول المدشوش ويقيدوا عليه بالنار إلى أن يأخذ قوامه فينزّلوه ويخرطوا له بصلة وشيء قليل من الشيرج ويقلّوا له بذلك ويغرفوه في متارد أو شوالي فُخّار ويفتّوا فيه خبز الدرة أو الشعير ويأكل الشخص منهم متردًا بالمضغ واللهط ويسرح الغيط إلى وقت المساء يرى ما بقي منه قد جمد وظهر فيه فصوص الفول فيلهط منه إلى أن يكتفي وهذا يسمّى عندهم هِراش العجائز وهو أعزّ المأكول عندهم وغالب ما يصنعوه في أعراسهم كما سبق بيانه في الجزء الأوّل من هذا الشرح ولا يعرفوا طبخه بالأرز ولا اللحم فإنّ الأرز لا يوجد عندهم إلّا نادرًا واللحم لا يأكلوه إلّا من العام إلى العام كما سيأتي بيانه ونوع آخر من هذا القسم يطبخوه من غير فول بل مجرَّد كشك لا غير ومن غير وضع شيء من التقالي عليه يسمّى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولّد الأرياح ويحرّك السواكن ويضرّ بالمعدة لزيادة الفول فيه لأنّه غليظ الطبع وكذلك القمح فإنّه حار رطب والمشّ الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولّد الضرر من مجموع هؤلاء الأربعة

وللكشك منافع قبل طبخه منها إذا أذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب ١١،١٠،١٠ معدته وإذا توعّك الجمل من ألم الحرّ يُسْقى منه يزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون إذا أذاهم الحرّ وحصل لهم الضرر منه كالحُجّاج وغيرهم وينفع من ألم ضرب السياط طِلاء وله منافع أخرى مذكورة في كتب الطبّ وأمّا أهل الصعيد فإنّهم يطبخوه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخلّ لا غير فهذا لا فائدة فيه ولا طعم ولا لذّة لأنّ نفعه لا يكون إلّا بعد تصفيته لكنّ غالب مأكولهم الوَيْكة والمُلوخية كما شاهدناه في بلادهم (قيل) أتي رجل من أهل الصعيد من نواحي قِنا وقُوص إلى مصر ليشتري له جارية للخدمة فرأى جارية تباع بأغلى ثمن لمعرفتها بأنواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسني الطعام مثل ما يقولوا فنظرت إليه وقالت له من أيّ البلاد أنت قال من الصعيد فقالت أنت لا تحتاج إلى طعام فاخر فان مأكول أهل الصعيد في كلّ سنة

ستة أشهر ويكة وستة أشهر ملوخية فلا يحتاجوا إلى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجباً

١١،١٠،١١ (مسألة هباليّة) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمّى بالنيرب وما معنى قول الناظم إنّه هدّ حيله عند مشاهدته وقرب غرفه وشمّ رائحته فما الحكم (الجواب الفشرويّ) أنّ لفظة كشك هذه من الألفاظ المقلوبة الّتي تُقرأ طرداً وعكساً ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سِرّ فلا كبا بك الفرس وقِلْع مركّب بِبَكَرٍ معلّق وحسّك تتزوّج عجوز تكسّح وقد ورد ذلك في القرآن العظيم في قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ وغير القرآن مثل كمالك تحت كلامك وكلب يبلّك وعِلّق تحت قِلْع (ومن النظم قول الحريريّ) [رجز]

أُسْ أَرْمَلاً إذا عَرَا   وَارْعَ إذا المَرْءُ أَسا
أُسُلْ جَناب غاشِمٍ   مُشاغِبٍ إنْ جَلَسا

وأيضاً أنّ الكشك إذا قلّبوه في الشمس يكون باطنه مثل ظاهره وأوّل الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى أو أنّه عند وضعه في الشمس يكشّ ويَضْمُر من حرارتها أو أنّه من قول بعضهم فلان كشّك عند فلان بمعنى أنّه أكل أكلاً كثيراً حتّى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك أو من قولهم للكلب كشكش إذا أرادوا أن يُلْقوا له شيئاً يأكله ينادوه بهذا اللفظ أو من الكُشُك بضمّ الكاف والشين وهو محلّ خارج من البناء المرتفع مركّب على الأخشاب تجعله الأكابر للجلوس فيه أو أنّ الكشكة لمّا صارت مدوّرة كانت تشبه الكُسّ بالسين المهملة وهو الفَرْج ثمّ إنّهم غيّروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ وأضافوا إلى الكلمة كافاً وقالوا كشك ومصدره كشّك يكشّك تكشيكاً

١٢،١٠،١١ (وأمّا تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش في الأصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب إلى العجائز لأنّهم في الغالب يطبخوه شهوة ويتهارشوا عنده مهارشة تضيق منها النفوس * ويظهر منها الهمّ والعكوس * وناهيك بعجائز

أهل هذه البلدان * فإنّهن قسم من غيلة الجان * فلأجل مهارشتهنّ على هذا المأكول سمّي بذلك الاسم أو أنّه من باب هَرْش المعدة

(وأمّا تسمية النوع الآخر نيرب) فلعلّه من النيروب على وزن الديلوب أو أنّه نسب ١١،١٠،١٣ إلى رجل يقال له نيرب أو إلى الأرنب حيوان يحلّ أكله فخشوا الالتباس في اللفظ فقالوا نيرب أو أنّه فُعِلَ في زمن النَيْرَوز فقالوا أوّلاً نيروز فالتبس الأمر في اسمه واسم الزمن فأبدلوا الزاي الّتي في آخره بالباء الموحّدة وقالوا نيرب

وقول الناظم إنّه هدّ حيله وقد شاهده ورآه وشمّ رائحته فمن عدم ملكه له وقلّة ١١،١٠،١٤ طبخه عنده وإنّما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا إذا رآه قد استحقّ الأكل تحسّر وتأسّف وخصوصاً

(لمّا يستحِقُّ غَرِيفْ) أي لمّا ينتهي طبخه ويريدوا غرفه وتفوح رائحته عند غرفه وأصله ١١،١٠،١٥ لمّا يستحق الغرف بآلة التغريف لكن حذفها وزاد الياء المثنّاة من تحت لأجل النظم وغريف على وزن كَنِيف وهي نقرة معدّة للخراء فيها بيقين فعند مشاهدته لهذه الحالة وشمّ الرائحة ينهدّ حيله لأنّ همّة الشخص طول عمره بطنه وفَرْجه كما قال ابن عروس رحمه الله في ديوانه [مجتثّ]

النّاسُ فِي اللهِ تاهُوا والأَجوادُ شاعَتْ تَناها
ما ضَرَّني غَيرُ بَطني وَالّي مدلّي حَداها

وقال بعضهم مواليا [بسيط]

يا دنية الشومِ طول عمري وٱنا أشتدّ
في همّ دي البطنِ إلّي ما تريّح حدّ
أضالُ أبني وٱجي بعد العشا أنمدّ
وٱقومُ ٱلصبحَ ألقى ما بنيتو انهدّ

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لأنّه لا يقضي مراده ولا هو من قسم النمل يعيش بالشمّ بل من الآدميّين وخصوصاً من أهالي كفور الريف يفطر الشخص منهم على المترد أو المتردين من الكشك أو البيسار أو الفول المدمّس كما سيأتي فلا لوم عليه في هدّ حيله

(وبذكر هذا المعنى) ذكرتُ ما اتّفق لبعض الأطبّاء أنّه جلس في بعض الأسواق ينظر في أمراض الناس فأتى إليه رجل لطيف الذات من أبناء النعم وذوي الرفاهيّة وجلس بين يديه ومدّ يده إليه وقال له انظر ما بي فجسّ نبضه وقال له ما أكلت اليوم فقال شيئاً يسيراً من الفول الحارّ على الفطور فقال له تاخذ لك يسيراً من الزبيب والسَنا المكّي ويسيراً من السكر وتستعمل ذلك فإنّ فيه الشفاء ثمّ قام من عنده وإذا برجل من أهل الريف كأنّه في الشكل هِبَل * أو سارية فوق الجبل * أقبل على ذلك الطبيب * وهو ينخ نخ الدبيب * وقال له انظر ما بي من المرض بلطف * فأنا باحسّ في بطني ضعف * وقدّم له يداً كأنها خشبه * وساعداً كأنّه حطبه * فجسّ الطبيب يده وقال له ما الّذي دهاك * وما أكلت اليوم في فطورك وغداك * فقال له أنا احكي لك وحقّ النبيّ عليه السلام * وتربة ابو معيكه بن ابو جعرام * أنا لمّا قمت من النوم لقيت امراتي امّ معيكه عملت بوشة بيسار كبيره وكنت اسحب العيش ولهطت منها مترد متردين قل تلاته فقال الطبيب وغير ذلك فقال و رحت لجارتنا امّ دعموم لقيت عندها فول مدمّس اكلت منه مترد متردين قل تلاته قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت غيط الفول اكلت منه شِمال شمالين قل تلاته و رحت من الغيط رايت عند مشدّ الكفر كشك لهطت منه مترد متردين قل تلاته و رايت عندنا عرس في الحاره وعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كتير اكلت من داك الطعام مترد متردين قل تلاته و رايت عندنا خيار اصفر ينباع اكلت منه كوم كومين قل تلاته وجيتك تنضر حالي فإنّي باحسّ في نِفّسي ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين قل ثلاثة ومن السنا المكيّ قنطار قنطارين قل ثلاثة ومن السكّر قنطار قنطارين قل ثلاثة فقال له أنا سمعتك بتوصف للّي جالك قبلي شي يسير من السنا المكى والسكر والزبيب

١١،١٠،١٦

وبتوصف لي قناطير فقال له يا أخسّ الفلاّحين وهل يصلح هذه الأكلات إلّا هذه القناطير وهذه الشربات ثمّ أخذ خُرجه على كتفه وحلف أنّه لا يجلس بقيّة يومه في السوق لأجل هذا الفلاّح فاتّجه المقال *عن معنى هذه الأحوال * واتّضحت العبارات *عن هذه الخرافات *

(ثمّ إنّ الناظم) لمّا فرغ من ذكر هذا الطعام تشوّق إلى شيء أغلظ منه مستعملاً عند أهل الريف في غالب مأكولهم فقال ١٧،١٠،١١

ص

وَلَا شَاقَنِي إِلَّا ٱلْمُدَمَّسْ وَرِيحَتُو عَلَى مَنْ جَتُو جَفْنَهْ وَنُصّْ رَغِيفْ ١١،١١

ش

وقوله (ولا شاقَني) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال ابن الفارض نفعنا الله به (ولولاكم ما شاقني ذكر منزلي) وشاق على وزن قاق وهو صوت الإوَزّ ومصدره شاق يشوق شوقاً مثل قاق يقوق قوقاً والمعنى أنّه يقول لمّا كثر شوقي وزاد هيامي عن جميع المأكولات ١،١١،١١

(إلّا المدمَّس) مأخوذ من الدِمس لكونه يُدَمَّس في النار كما سيأتي ومصدره دمّس يدمّس تدميساً فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفيّ وحضريّ وإن كان الأصل واحد وهو الفول لأنّ الشيء يَشْرُفُ بشرف الأماكن تارة وبالصناعة الجيّدة أخرى ٢،١١،١١

(فأمّا الحضريّ) وهو ما يباع في مصر وغيرها من المدن فإنّهم يأخذوا الفول النقيّ الأبيض ويتركوا منه الرديء ويضعوه في قدور كبار واسعة البطون ضيّقة الأفواه بقدر ما تسع يد الرجل يتناول منها ثمّ يصبّوا عليه ما يغمره من الماء الرائق العذب ويسدّوا فم القدرة بشيء من الليف النظيف أو إناء طاهر سدّاً مُحكَماً ويُدَمَّس في نار قويّة نظيفة خالية عن الأدخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفرّان ونحوها ويتعهّدوه ٣،١١،١١

بالسقي كلّما نشف ليلة كاملة حتّى يطيب طعمه ويعتدل وتزكو رائحته ويصير على غاية من جودة الطعم وحسن الاستواء يشبه في لونه الذهب وفي استوائه العَجْوة مثلاً بحيث كلّ من رآه يشتهيه فإذا أرادوا أكله اشترى الشخص ما يكفيه أو المرأة إذا اشتهت ذلك وأضافوا إليه السمن البقريّ أو الزيت الطيّب أو قشطة اللبن وأحضروا الخبز الأبيض النظيف وربّما كان مصحوباً بالكُرّاث الأخضر والليمون أو الخلّ فمن هذا يصير غذاء جيّداً تكتسب منه الأعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلحه قليل من الصعتر وخصوصاً إذا شرب عليه القهوة بعد ذلك فيكتفي الشخص به عن غيره إلى المساء

(وأمّا النوع الثاني) وهو مدمّس أهل الريف الّذي اشتاقه الناظم فلا أراك الله مكروهاً إن كنت ما ذقت الخراء تأكل منه فإنّهم يأخذوا الفول دَعْه جيّداً أو رديء على سائر أوصافه وربّما أخذته زوجة الفلّاح من مدود البقرة أو الثور ونخت ما عليه من آثار التبن ووضعته في إناء يقال له البَوْشة وغمرته بماء كدر متغيّر الرائحة من ماء البرك أو من مقاطع النيل الّتي تبقى في بلادهم أو ماء الآبار وتسدّ فم البوشة بساس الكتّان أو بخرقة فيها الدناسة وتضعها في محماة الفرن الملآنة من الدمس والجلّة وربّما وضعت ذلك عليها أيضاً وتسدّ عليها باب المحماة المذكورة إلى الصباح تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلّة وذلك الماء المتغيّر واسودّ وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثمّ تأتي بالمترد وتهزّ البوشة وتفرغ الفول فيه ويجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاشر وتحضر له بخبز الدرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتّى تمتلئ بطنه فإذا أكلت منه فكأنّك تأكل من زبل الغنم مثلاً ومنهم من يأكله بالكرّاث أو البصل وربّما أضافوا عليه شيئاً من القمح أو الحِمّص والأكابر منهم يجعلون عليه شيئاً يسيراً من الزيت الحارّ ومنهم من لا يكون عنده خبز فيسفّ منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه إلى أن يكتفي ثمّ يشرب فوقه الماء حتّى يصير كالزِقّ المنفوخ ويسحب النبّوت ويسرح مثل النعوت فهذا مدمّسهم وصفة مأكولهم أعاذنا الله من ذلك وقوله

٤،١١،١١

(وريحَتو) أصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة أو جريًا على اللغة الريفيّة أي ٥،١١،١١
شاقني رائحته الممتزجة بالروائح المتقدّمة للذّتها عندي إذا اشتهيتها فأشتاق إليها
وإلى الأكل من الفول ولكن لا أجد ذلك لشدّة فقري والريحة مشتقّة من الريح أو من
الرواح أو من أبو رِياح الذي تلعب به الصبيان أو من الراح وهو من أسماء الخمرة
قال الشاعر [بسيط]

وَالرَّاحُ كَالرِّيحِ إِنْ مَـرَّت عَلَى عِـطَرٍ أَزكَتْ وتَخْبُثُ إِنْ مَرَّت على الجِيَفِ

أو من قولهم [وزن غير معروف]

المعدّيه رايحه جيّه تنسحب بالخيــط
يا ابو جــبّه إلّا أنا رزلّيتــــ

ومن هذا المعنى قال بعضهم مواليا لُغْزًا [بسيط]

وَٱيْشْ قُلْتَ يا صاحِبي في رايِحهْ جَيَّهْ
مِنْ تِحْتِ حَيْطْ وَهِيـا مَيِّـتَةٌ حَيَّهْ
وقـاعِدهْ واقِفهْ عـالأرضِ مَرْمِـيَّهْ
وجايِزهْ راقِـدهْ فَوْقْ حَـيْطِ مَـبْنِيَّهْ

(ثمّ إنّ الناظم) لمّا ذكر اشتياقه إلى المدمّس ورائحته وأن من لازم ذلك الأكل منه ٦،١١،١١
لأنّ النظر والشمّ لا يقوم مقام الأكل والمضغ فتمنّى ذلك وقال

(على) هذا من حروف الجرّ إلّا أنّه وقع هنا فِعْلًا والمعنى على وارتفع قدر (من جَتو ٧،١١،١١
جَفْنَه) أو على جسمه وقَوِيَ جَنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوّة بعد الجوع قال الشاعر
[طويل]

عَلَى زَيْدُنا يومَ اللُّقا رأسَ زَيدِكم بِأَبيَضَ ماضي الشَّفرَتَيْنِ يمـاني

أو يكون حرف الجرّ على بابه ويكون المعنى على كلّ حال أن

(من جَتو) أي حصلت له ٨،١١،١١

(جَفْنَهْ) ملآنة من هذا الفول المدمّس ولوكانت هديّة أو صدقة (و) حصل له معها ٩،١١،١١

(نُصُّ رَغيفْ) حذفت الفاء من نصف جرياً على اللغة الريفيّة كقولهم نصّ فضّه أو ١٠،١١،١١
من قبيل الاكتفاء أو من جهة الترخيم كقولهم (أَفاطِمَ مهلاً بعض[١] هذا التدلّل[٢]) فيكون يومه أبرك الأيّام وأسرّها إن حصل له هذا الأمر وطلبه نصف رغيف ولم يطلب رغيفاً كاملاً فيه إشارة إلى أنّ الفول المدمّس حامي الطبيعة فلا يحتاج إلى خبز كثير فيكون النصف رغيف كاف له مع كثرة الأكل من نفس الفول من غير خبز مثلاً أو من باب سدّ الجوعة

والجفنة إناء كبير معدّ لوضع الطعام فيه وقال الله ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية ١١،١١،١١
وهي الحوض الكبير (قال بعضهم) يصف قوماً بكثرة الأكل واتّساع البطن [رمل]

كُلُّ جِلْفٍ بَطنُهُ جابِيَهْ[٣] وإِذا صُحِّفَتْ كانت خابِيَهْ

(وفي نسخة أخرى) بالحاء المهملة أي حفنة من الفول المدمّس والحفنة ملء كفَّي ١٢،١١،١١
الإنسان مع انضمام الأصابع بعضها لبعض لكنّها بالجيم المعجمة أَوْلى وبين جفنة وحفنة الجناس المصحف وهي مشتقّة من جَفْن العين لكونها حافظة للطعام كما أنّ الجفن حافظ للعين ولما وُضِعَ فيها من كحل وغيره فيسري في أجفانها وتنطبق عليه وتحفظه حتّى يؤثّر في قوّة النظر وكمال حسن الخِلْقة بذلك قال الشاعر [وافر]

---

١ بي: بعد. ٢ بي (في جميع النسخ): التذلل. ٣ بي: خابيهْ.

أَقولُ لمُقْلَتيهِ حِينَ نامَتْ وكحلُ العَينِ في الأَجفانِ ساري
تَبارَكَ مَن تَوَفّاكُمْ بِلَيلٍ ويَعلَمُ ما جَرَحتُمْ بالنَّهارِ

(ومصدره) جفن يجفن جفنة

(ثمّ إنّ الناظم) تمنّى مأكولاً آخر من غالب مأكول قريته أغلظ طبعاً من المدمّس ١١.١١،١٣ فقال

ص

عَلَى مَنْ رَأَى ٱلْبِيسَارَ فِي ٱلْجُرْنِ جَالُو وَيَدْعَسْ وَلَوْكَانْ بِٱلْقُلِنْجِ ضَعِيفْ ١١،١٢

ش

قوله (على) تقدّم معناه في البيت الذي قبله ١١،١٢،١

(من رأى) رؤية بصريّة ١١،١٢،٢

(البيسارَ) وهو نوعين ريفيّ وحضريّ كما تقدّم في غيره (فالريفي) مركّب من شيئين ١١،١٢،٣ الملوخيّة الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفيّة طبخه عند الريّافة أنّهم يضعوا في البوشة الملوخيّة الناشفة وشيئاً من الفول المدشوش ويغمروه بالماء ويضعوا البوشة في الفرن إلى قرب الاستواء يخرجوها منه ويفركوها بالمفراك إلى أن يأخذ ما فيها قوامه وينهري الفول وتفوح رائحته فيعيدوها في الفرن يسيراً إن احتاج إلى ذلك ويزيدوها ماء إن افتقر إليه حتّى استوى ثمّ يُقلّوا له بشيء يسير من الشيرج بالبصل ويغرفوه في شالية أو مترد ويفتّوا فيه الخبز الشعير أو فطير الدرة حتّى يصير مثل قطع الكرس ويأكلوه بالبصل الأخضر أو الناشف يأكل الشخص منهم المترد الفتّ أو المتردين في الغداء والمترد في العشاء ويسحب نبّوته وحِدّوته خلف قفاه ويسرح بالبهائم أو للضمّ

أو المحراث وهذا غالب ماكولهم خصوصاً في رمضان وقت الفطور والسحور حتّى يصير الشخص منهم كأنّه الزقّ المنفوخ كما تقدّم ثمّ ينضجع على الفرن بالجلّة والوحل على رجليه هو وزوجته من غير صلاة ولا عبادة فتدور الروائح في بطونهم وتخرج من بينهم مثل الزوابع فيكون هذا بخورهم طول ليلتهم فلا يقوم الشخص منهم إلّا وجُبّته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وإن جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظّهم ضراط وعياط * وفساء وشياط * فهذا حالهم في الأكل والنكاح * فنعوذ بالله من طباع الفلّاح *

(وأمّا النوع الحضريّ) فما أَلَذَّه وأَشْهاه * وما أَطْيَبَه وأَهْناه * وهو أنّ الشخص من أكابر مصر أو غيرها من المدن الّتي تُجْلَب إليها الملوخيّة أو تُزْرَع فيها إذا اشتهى فعلها فعلى أصناف منهم من يأخذها ناشفة نقيّة من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها أو ربّما نشّفها في بيته ويسلّمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة أو خادم فتضعها في دست نحاس مبيَّض أو طنجرة رومي عليها غطاء مُحْكَم وتضع عليها الماء العَذْب الزُلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الروميّ حتّى تأخذ قوامها في الاستواء ثمّ تفركها فركاً لطيفاً ثمّ تقلّي لها بالثوم الشاميّ أو البلديّ ممزوجاً بالسمن البقريّ وتضيف إليه دهن الِليّة وتلقي عليها شيئاً من الحرارات كالفلفل وما أشبهه وشيئاً من الكَمُّون لدفع ضررها ومنهم من يضيف إلى هذا شيئاً يسيرًا من الفول المدشوش ولكن يزيد في الدهن والسمن حتّى يستهلك طعم الفول ويغلب طعم الدهن والسمن والحرارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكَباب من لحم الضأن ويسمّى هذا النوع بجمع الأحباب (ونوع آخر) وهو أنّها أي الملوخيّة تؤخذ وهي خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطاً جيّداً وبعض أبناء الترك يفعلها من غير خرط ثمّ يقاد عليها بالنار كما تقدّم ويُقَلّى لها بالأدهان والسمن والحرارات كما تقدّم ذكره فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمّى هذا النوع مليّن الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفّة في الجسد (ونوع آخر) وهو ألذّ وأشهى ممّا تقدّم وأقوى نفعاً وأشهى ماكولاً وهو أخذ الملوخيّة وهي صغيرة في ابتداء طلوعها

وخرطها جيّدًا وطبخها بالفراريج أو الإوزّ مع كثرة الأدهان والحرارات أو باللحم الضأن وأهل مصر يرغبون في هذا النوع ويفعلوه كثيرًا حتّى أنّ الشخص منهم ينفق على طعام الملوخيّة في ابتداء أمرها جملة من الدراهم ويدعو أعزّ أصحابه يأكل منها وتكون عندهم ألذّ من طعام الأعياد ويتحدّثون بهذه النعمة ويقول الضيف فلان أطعمني الليلة الملوخيّة بركة السنة وربّما أكلوها بالخبز النظيف المقطّف المقمّر المخبوز بالحبّة السوداء أو الشَمَر فيفتوا فيها حتّى تتشرّب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة

٥،١٢،١١ وهذا من جودة رأيهم وزكاوة عقولهم وحبّهم للشيء عند ابتداء طلوعه كما يقال (كلّ جديد له لذّة وكلّ قديم له هِجران) ويقرب من المعنى قول ابن عروس رحمه الله تعالى ونفعنا به [مجتثّ]

أولْ زمانكْ يعزّوكْ   غالي وقعْ في ايدْ غالي
وان دُبْتَ يا شاشْ يرموكْ   والّي جرى لكْ جرى لي

٦،١٢،١١ (فإنّ الشيء) في ابتداء طلوعه له لذّة عظيمه * وفرحة عند العيال عميمه * (ونوع) يسمّى بورانيّ وهو أنّه تُقَطَّف أوراق الملوخيّة ثمّ يقلوها بالسمن ثمّ يفعلوا بها كما مرّ

ولهذا ذكر سيّدي عبد الوهّاب الشعرانيّ نفعنا الله به أنّه يُستَحَبّ الأكل من الشيء عند ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فإنّ نَفْعه في ابتدائه أكثر من نفعه في انتهائه وأهل مصر على هذا القدم يتفاءلوا في أخذ الشيء في ابتدائه ولا يكترثوا به في انتهائه فجزاهم الله خيرًا عن مروءتهم * وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم * وأعاذنا الله من الريف وجهله * وغلظ مأكوله وطباع أهله *

٧،١٢،١١ (سؤال) ما الحكمة في تسمية الملوخيّا بالفول بيسار وأيضاً تسميتها ملوخيّا وما اشتقاقها وما معنى ذلك (الجواب الفشرويّ) على وجهين (الأوّل) أنّ الّذي اخترع البيسار في الأصل كان أبوه فلاّحاً يزرع الملوخيّا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب هذا

الرجل إلى غيط أبيه المذكور وسرق شيئاً من تلك الملوخيّا المذكورة وأتى به إلى زوجته فقالت له ما تريد بهذا فقال لها قصدي أصنعه طعاماً ثمّ أخذ ورقها ووضعه في بوشة وحطّها على النار فجاء ولده الصغير وألقى في البوشة شيئاً من الفول المدمّس أخذه من مدود الحمارة فامتزج الفول بالملوخيّا ثمّ إنّه أخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه في مترد وجلس يأكل منه فدخل أبوه وقال له ما هذا الشيء الأخضر فدلّس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثمّ بان الأمر أنّه سرق الملوخية من غيط أبيه فتضارب هو وإيّاه وحلف أبوه لا يمكث في البلد وركب حماره وسار إلى بلد أخرى فصار ابنه ينادي أبي سار أبي سار فحذفوا الألف من أبي وجعلوا هذا اللفظ المركّب من اسم وفعل عَلَمًا على هذا الطعام وقالوا بيسار (وأفادني) بعض إخواننا اللطفاء رحمه الله (وجهاً آخر) وهو أنّه لمّا وضع فيها الفول نادى لسان حاله بي سار[1] أي سار طعمي بهذا الفول طيّب (والوجه الثالث) أنّه مركّب من البُسْر أو من البيسارة من قولهم في معنى ذلك [مجتثّ مع كسر]

سعيدَه كانت مِـزارهْ تحب طبيخ البـيسارهْ

(وأمّا الملوخيّا) فقد عرّفها ابن سودون رحمه الله بهذا اللفظ الموضوع عليها بقوله في ديوانه [وافر] ٨،١٢،١١

أبو قُـرْدانْ زَرَعْ فَدّانْ
مُـلوخِيّـا وَبادِنْجـانْ

إنّ هذا اسم لنبات أخضر نضر وأصله يا ملوخي فأخّر حرف النداء وأبو قردان أوّل من سمّاه بذلك على ما قيل وسبب ذلك أنّه لمّا زرعه في فدّانه وصلح للطبخ ملَخ منه شيئاً وتركه في مكان وذهب لبعض شأنه فجاء بعض أولاده وأخذه فلمّا رجع

[1] بي: بيسار.

لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظنّ قربه منه وقال ملوخي فلم يجبه بشيء فأتى بحرف النداء وقبل أن يقول ملوخي أتاه ولده وأعلمه بأخذه فتحصّل من ملوخي بيا وأُدْغِمَتْ الياء في الياء فصارت ملوخيّا انتهى الجواب

٩،١٢،١١ وتُلَقَّب بالخضيرة وتُكنّى بأمّ الأدهان وأمّ الأفراح وليس في الأطعمة ألطف منها ولا أقوى نفعاً وقد صنّف بعض العلماء في منافعها كتاباً جليلاً وأمّا نهي الحاكم بأمر الله عنها فلميل سيّدنا معاوية رضي الله عنه إليها لأنّها كانت أحبّ الأطعمة إليه خصوصاً عند ابتداء طلوعها وقوله

١٠،١٢،١١ (في الجُرُنْ) وهو محلّ معدّ لدرس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الّذي يدقّ فيه بنّ القهوة يقال جرّن اليوم فلان زرعه بمعنى أنّه نقله من الغيط ووضعه في هذا المحلّ على بعضه البعض كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيئاً بعد شيء ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلّاح رَمْية وقيل أصل الجرن الجرم بالميم بدل النون مأخوذ من جَرْم اللحم وهو أخذه بالسِكّين من على العظم أبدلت الميم نوناً لقربها في المخرج والمناسبة لهذا المعنى أنّ النورج يجرم القمح أو الفول أو ما أُلْقِيَ إليه من الحبوب ويخلّصه مثل ما تخلّص السكّين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الّذي يعمل من الخوص وقوله

١١،١٢،١١ (جالو) بالتخفيف أي جاء إليه والضمير راجع للبيسار أي على من رأى البيسار جاء إليه وهو في الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج أو بيقلب في الرمية أو يحرس مثلاً لأنّه يكون في هذه الحالة تعبان جيعان ولهذا قال

١٢،١٢،١١ (ويَدْعَسْ) أي يأكل بحُرْقة وعَجَلة من غير تأنّي في المضغ والبلع والدعس لفظة ريفيّة استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعساً فهو داعس لأنّ الأكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفي المثل (صغّر لقمتك وطوّل مضغتك يبارك الله لك في أكلتك)

(مسألة هباليّة) وهي أنّ الناظم نسب المجيء للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتّى ذلك فما الحكم (الجواب الفشرويّ) أنّ هذا على تقدير حذف مضاف أي جاء به رجل حامله حتّى أوصله كما يقال جاءت السفينة مثلاً أي جاء بها الملّاح وكما تقول جاءني الليلة صحن ملآن عدس أو بيسار فهذا ممكن فعلى هذا لا إشكال في كلام الناظم وقوله ١٣،١٢،١١

(ولو كانْ) أي هذا المتمني لهذا الطعام الذي هو الناظم بمرض ١٤،١٢،١١

(القُلِنج ضَعيفْ) أي سقيم والقلنج ريح يابسة تمنع البخار أن يجري في الأعضاء فتكبّ الإنسان عند هيجانها وتمنعه الشمّ حتّى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلّة عند ملاقاة الحرارة والسمائم والانتباه من النوم وعلاجه أكل الصَبِر الأخضر على الريق دائماً فإنّه يقطع هذه العلّة من الجوف ويحلّلها وعلامة البارد هيجان العلّة عند ملاقاة البرد الشديد والغَيم والأمطار والرياح الباردة ونحو هذا وعلاجه أن يؤخذ صبر سُقُطَريّ وحَبّ الرَشاد وفلفل وزنجبيل يابس أجزاء سواء ويُدَقّ الجميع مع مثله سكّر أبيض دقّاً ناعماً ويُعمَل سَفوفاً يُفطَر عليه على الريق وعند هيجان العلّة فإنّه نافع ويجتنب صاحب هذه العلّة الحارّة أكل الأشياء الحارّة وصاحب العلّة الباردة أكل الأشياء الباردة وخصوصاً عند هيجان العلّة فإنّه نافع إن شاء الله تعالى ١٥،١٢،١١

والمعنى أنّ الناظم لشدّة فقره وجوعه وعدم شيء يصنع به هذا الطعام تمنّى مجيئه إليه ويشبع منه ولو كان مبتلى بمرض القَوْلَنج ولو كان في أكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الأطعمة الرديئة المغلّظة خصوصاً إذا استعمله صاحب هذا المرض فإنّه يؤذيه أذيّة بالغة (فإن قيل) لأيّ شيء ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما حكم معرفته له مع أنّه من أهل الريف وما اشتقاق اسمه (الجواب الفشرويّ) أنّه إنّما ذكر هذا المرض لكونه أرياحاً منعقدة فيكون من باب المبالغة في الشيء والبيسار يضرّ صاحب الأرياح ضرراً بالغاً خصوصاً إذا أكل البصل الأخضر أو الناشف فتمتلئ البطن أرياحاً ويكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضاً على مرض فتمنّى ذلك لشدّة جوعه ١٦،١٢،١١

ولوكان يحصل له هذا الأمر أو يموت في الحال وأمّا حكم معرفته له فلعلّه سمعه من بعض الأطبّاء وهو يصفه أو من غيرهم وأمّا اشتقاق اسمه فلعلّه من القَوْق أو القُوَيْقة وهي طائر قدر الحمامة كبير الرأس ويقال لها البومة تأوي الأماكن الخراب وفي المثل (اتبع البوم يؤدّيك الخراب) وقد يشبَّه الشيب ببياضها كما يشبَّه سواد الشعر بالغراب الأسود ومن هذا المعنى قول الإمام الشافعيّ رضي الله عنه [طويل]

أَيا بُومَةً قَد عَشَّشَتْ فَوقَ هامَتي عَلَى الرَّأسِ مِنّي حينَ طارَ غُرابُها
رَأَيتِ ذَهابَ العُمرِ مِنّي فَزُرتِني ومَأواكِ مِن كُلِّ الدِّيارِ خَرابُها

(وبذكر البومة) وأنّها تأوي الخراب ذكرت ما اتّفق لبعض الملوك أنّه ظلم رعيّته ظلماً فاحشاً وكان له وزير فطن عارف فشكوا الناس إليه وتضرّر من ظلمه بهم فأراد أن يتحيّل عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده إلى العدل فخرج هو وإيّاه يوماً يريد التَنَزُّه خارج المدينة إلى أن مرّوا على أماكن خربة فسمع الملك ذَكَر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما أحسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك أتدري ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال ما يقول لها قال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبّها ويقول لها يا ستّ الطيور وبهجة الأحباب مرادي وصالك والتقرّب إليك في الحلال فقالت له لن تقدر على صَداقي ولو أشغلك حبّي واشتياقي فقال لها وما صداقك فقالت له عشر مدائن خراب فقال لها أَبْشِرى فإن دام ملكنا هذا على حالته مع الرعيّة إلى آخر العام خذي مائة مدينة خراب قال فتفطّن الملك لكلام الوزير وعلم أنّه في غفلة عن الرعيّة وأنّهم في ظلم وبليّة وأنّه نصحه وأرشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيراً ثمّ إنّه أظهر العدل في الرعيّة وأزال عنهم ما هم فيه من المظالم والبليّة وعدل من وقته وساعته وارتاحت الناس من تغيير حالته فاتّضح المقال عن وجه هذا الإشكال ١٧،١٢،١١

(ثمّ إنّ الناظم) اشتاق إلى مأكول آخر يصنع في الريف وغيره فقال ١٨،١٢،١١

ص

عَلَى مَنْ قَشَعْ جَفْنَةْ بَلِيـلَهْ مَلاَنَهْ   وَلَوْكَانَتْ بِلاَ قُلْقَـاسِ يَا دَنـدِيفْ ١٣،١١

ش

١،١٣،١١ قوله (على من قَشَعْ) أي نظر بلغة الريّافة يقال قشعتك أي رأيتك وقشعت المحلّ الفلانيّ أي رأيته ويطلق على ميل الشيء يقال انقشع السحاب أي مال وانكشف إلى محلّ آخر

٢،١٣،١١ (ومن العجائب) أنّ شخصاً سمع هذه اللفظة من طائر في بعض بساتين الشام وذلك إنّه دخل يوماً يتفرّج في بستان ويأكل ممّا أسقطته الأشجار من الفواكه فسمع قائلاً يقول شفتك قشعتك روح فخرج هارباً وظنّ أنّه صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما بالك تجري فقال سمعت من داخل البستان إنساناً يقول لي كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهي ولا تختش من أحد هذا طائر وليس هو إنسان وهذه لغته يخوّف بها من يدخل البستان قال فتعجّب الرجل وأكل حتّى اكتفى ومضى إلى حال سبيله (وقد سمعت) وأنا متوجّه إلى الحجّ في البحر من الصعيد على بندر القُصَيْر سنة خمس وسبعين وألف طائرًا في غيط قمح يقول طاب دقيق السنبل سبحان القديم الأزليّ وسمعه كلّ من في السفينة (وذكر الحلبيّ) في السيرة النبويّة أنّ غراباً كان يحفظ سورة السجدة فإذا سجد قال سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي

٣،١٣،١١ (ومن العجائب) أنّه أُهْدِيَ لبعض الملوك طائر له أربعة أجنحة على شكل ظريف فإذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثمّ يقف على رأس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرّتين ثمّ يصلّي على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويسكت ومثل هؤلاء كثير فسبحان القادر على كلّ شيء ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وقوله

(جَفْنَةٌ) تقدّم معناها ٤،١٣،١١

(بَليلَةٌ) اسم للقمح المصلوق المضاف إليه بعض الحِمِّص وهذا يباع أيضاً ببلاد المدن وله لذّة ولذّته من إضافة الملح عليه والحمص عليه فإنّه يعدّل طبعه والحمص أزكى الطعام كما ذكره بعض المفسّرين في تفسير سورة الكهف وأمّا البليلة المذكورة هنا في النظم فإنّ أهل الريف يصنعوها طعاماً وهو إنّهم يضعوا القمح في بوشة فخّار وربّما أضافوا عليه ما يتيسّر من الحمص ويغمروه بالماء ويجعلوه في النار حتّى يستوي يأخذوه ويأكلوه بخبز درة أو شعير أو يقطعوا ويبلعوا من غير خبز لأنّهم يجعلوه يابساً يقطع الشخص بالكف ويبلع ويقلّوا له بالبصل وشيء من الشيرج والأكابر منهم يجعل فيه بعض قُلْقاس وسمّي بليلة لِبَلّه بالماء في حال صلقه أو لرخاوته وطراوته ولهذا يقال للرجل الهايف المرخي الأكمام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلّة بركته وبليلة على وزن هبيلة أو عويلة ومصدرها بلّ يبلّ بليلة وقوله ٥،١٣،١١

(ملانةٌ) راجع للجفنة ٦،١٣،١١

(ولوكانت) البليلة الّتي في الجفنة ٧،١٣،١١

(بلا قُلْقاسِ) أي فلا حاجة له به إنّما مراده شيء يسدّ الجوعة يقال له طعام والقلقاس من مأكولات فصل الشتاء وهو ألذّ طعام أُكِلَ في هذا الفصل لأنّه حارّ يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصاً عند ابتداء ظهوره إذا أُكِلَ بالحم الضأن وأضيف إليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فإنّه يعتدل ويصير له لذة عظيمة في المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه وأَجْوَده الرؤوس الأناثي وكذلك الصوابع وهي الرفيعة الّتي تشبه أصابع الآدمي لأنّ ذلك كلّه سريع الاستواء وأرداه الأحمر لكونه بطيء الهضم بطيء الاستواء وإذا أُكِلَ القلقاس مشويّاً منع ألم الكَبِد وسكن ضربان البواسير وأكله نيئاً ليس فيه فائدة ولا منفعة ٨،١٣،١١

(فائدة) أربع قافات تستعمل في فصل الشتاء وهي ما تقدّم ذكره والقُشْطة والقَصَب والقَسْطَل ٩،١٣،١١

وسمّي قلقاساً لاشتقاقه من القلقسة لأنّه يشبه الطين المقلقس أي اليابس لأنّه إذا قُلِعَ من أرضه فيكون حكم قِطَع الطين اليابسة المقلقسة وهو مركَّب من فِعْلين ماض وأمر قال بعضهم [وافر] ١٠،١٣،١١

فَإِنْ سَألوكَ عَن قَلبي وما قاسا   فَقُلْ قاسا وَقُل قاسا وَقُل قاسا

(فائدة أخرى) قيل لمّا ادّعى فرعون الألوهيّة لاموه وقالوا له إنّ الإله لا يبول ولا يتغوّط فاصطنع الموز وصار يأكله فصار لا يتغوّط إلّا نادراً وما ذاك إلّا أنّه أخذ القلقاس من أرضه وهو صغير وصار يفلق القلقاسة ويملؤها سكّراً ويعيدها في الطين بحكمة دبّرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس ونشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى أوراقه قريبة الشبه من ورق القلقاس في العرض إلّا أنّه طويل الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمة وقوله ١١،١٣،١١

(يا دَنْديفُ) أصله يا دندوف على وزن يا بعبوص قُلِبَت الواو ياءً لضرورة النظم والدندوف هو الّذي يروح ويغدو من غير فائدة يقال فلان يدندف أي لا فائدة في ذهابه وإيابه ولا بركة في سعيه وكسبه أو أنّه عَلَمٌ على شخص من أهل قرية الناظم كما هو معدود من أسمائهم وهو مشتقّ من الدندفة أو من أحمد الدَنَف أو من نَدْف القطن ١٢،١٣،١١

(ثمّ إنّ الناظم) تشوّق إلى قصعة ملآنة من أيّ طعام كان فقال ١٣،١٣،١١

ص

عَلَى مَنْ جَتُو قَصْعَهْ وَهُوَّ بِيحْرِتْ   وَيَقْعُدْ يُجَرِّفْ لِلْحَنَكْ تَجْرِيفْ ١٤،١١

ش

قوله (على من جتو) أصله جاءته ١،١٤،١١

(قَصْعَهْ) أي جاء بها واحد من الناس لا هي بنفسها كما تقدّم فالضمير راجع إلى المحذوف والقصعة إناء من خشب مدوّر معدّ للطعام وغيره وأمّا الّذي على شكل الحوض يقال له مَنْسَف وفي الحديث علّم الله آدم الأسماء كلّها حتّى القَصْعة والقُصَيْعة والفَسْوة والفُسَيْوة وسمّيت قصعة لأنّ الشخص إذا جلس يأكل منها يَقْصَعُ ظَهْرَه أي ينحني ويأكل فيكون من باب تسمية الشيء باسم صفة الآكل منه أو من قَصَعَ القَمْلَ والبراغيثَ وقوله ٢،١٤،١١

(وهوّ) بضمّ الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم أو جريًا على اللغة الريفيّة وقوله ٣،١٤،١١

(يِبحَرْتُ) على وزن يِيَضْرُطُ فيها ذلك بيقين أي في وقت الحرث من أيّ طعام كان من عدس أو بيسار أو غير ذلك ٤،١٤،١١

(ويَقْعُدْ) قعدة جيعان تعبان ممّا قاسى من مشقّة الحرث وغيره ٥،١٤،١١

و(يُجَرِّفْ) على وزن يخرّف أو يغرف أي يكون كفّه حكم المجرفة الّتي تجرف الشيء ٦،١٤،١١

(للحَنَكْ) من التحنيك على وزن التحكيك أو التدكيك ويطلق على الفكّ الأعلى والفكّ الأسفل من الإنسان وقد ورد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حنّك بعض الأطفال بالتمر فيكون من باب تسمية الشيء بما طرأ عليه ويطلق على الفم والفاه أيضاً يقال فتح فمه أو فتح فاه قال صاحب البديعيّة رحمه الله [بسيط] ٧،١٤،١١

فَمِي تَحَدَّثَ عَن سِرّي فَمَا نُطِقَتْ   سَرائِرُ القَلْبِ إلّا مِن حَديثِ فَمِي

وقوله (تَجْرِيفْ) أصله بالألف لأنّه مصدر وسكّن لأجل الرويّ أي يجرّف للحنك الّذي هو فمه تجريفاً زائداً متتابعاً بسرعة وعجلة حتّى يكتفي ويشبع الشبع المُفْرِط لما ناله من ألم الجوع وشدّة التعب وكثرة المشقّة فيقضي مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره ٨،١٤،١١

(ثمّ إنّه اشتهى) مأكولاً آخر خارجاً عن الطعام المطبوخ من مأكول أهل الريف فقال ٩،١٤،١١

ص

عَلَى مَنْ دَعَسْ بِٱلْعَزْمِ فِي ٱلْمِشّ بِٱلْبَصَلْ   وَلَوْ كَانَ بِٱلْكُرَّاتِ كَانَ ضَرِيفْ ١٥،١١

ش

قوله (على من دَعَسْ) تقدّم معناه ١،١٥،١١

(بالعَزْمِ) أي بالقوّة والشدّة لأنّ العزم على الشيء هو الإقدام عليه بجراءة وشدّة يقال فلان صاحب عزم شديد أي قوّة زائدة ٢،١٥،١١

(في المِشّ) أي مشّ الجبن القريش الأزرق الّذي مضى عليه زمان مستطيل حتّى صار يقطع ذنب الفأر من شدّة حرارته وقوّة ملوحته لأنّ هذا غالب مأكول أهل الريف في الغداء وربّما أكلوه في العشاء أيضاً فيأتي الشخص منهم بالمترد المشّ والخبز الشعير اليابس والبصل الأخضر أو الناشف ويأكل حتّى تَدْمَع عيناه من حرارة ذلك المشّ ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط يحرث أو يدرس والأكابر منهم تضع عليه شيئاً يسيراً من الزيت الحارّ ويعصر عليه الليمون خصوصاً ٣،١٥،١١

٤،١٥،١١ (بالبَصَلْ) المخروط فإنّه ألذّ من أكله خارجاً عنه وبعضهم يأكله بالكرّات أبو شويشة فيكون أقوى في جمع الأرياح خصوصاً إذا كان في دويرة ضيّقة فإنّ الفساء يتراكم فيها حتّى يملأها من أوّلها إلى آخرها

٥،١٥،١١ (والمشّ) على أقسام مشّ حصير وتقدّم معناه ومشّ بخيره وهو المستعمل في بلاد المدن وله فكاهة ولذّة ويقال له مشّ جبن حالوم ومشّ جبن قريش وهو مشّ الريّافة المتقدّم ذكره ويقال مشّ جبن التنّور والمشّ على وزن الوشّ بلغة الرَيّافة فإنّ الشخص منهم إذا شتم آخر يقول له (دمّ اهدم وشّك) مثلاً وهو مشتقّ من المَشَش وهو داء يعتري الخيل والحمير يقال (جاك المشش) أي أبلاك الله به والأوّل الّذي هو المشّ الحصير ينفع من الجرب شرباً والثاني ينفع السُدَد ويقوّي المعدة والثالث ليس به نفع بل هو محض الضرر لا غير أو أنّه مشتقّ من المشي لأنّه إذا صُبَّ على الأرض صار يمشي عليها أي يسيح فيها

٦،١٥،١١ (والبصل) حارّ يابس وقيل رَطْب يقطع البلغم إلّا أنّه يثير الشقيقة وصداع الرأس ويولد أرياحاً ويظلم البصر وكثرة أكله يورث النسيان ويفسد العقل (وأمّا منافعه) فإنّه يطرد الوباء لما رُوِيَ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال إذا دخلتم بلداً وبئة فخفتم وباءها فعليكم ببصلها وينفع من تغيير المياه ويَفْتُق الشهوة ويهيج الباه ويزيد في المَنِيّ ويحسن اللون وإذا سُحِقَ وعُجِنَ بعسل ووُضِعَ على الكَلَف الغليظ والقوابي والبَهَق الأسود قلع ذلك وإذا دُقّ ناعماً وطُلِيَ به موضع الشعر ينفع داء الثعلب وهو مَعْط شعر الرأس والاكتحال بمائه يُذْهِب الغشاوة ويُصلِحه الخلّ واللبن إذا أُكِلَ به

٧،١٥،١١ (ولو كانَ بالكُرّاتِ كانَ ضَريفْ) أي لأنّه حارّ ليّن يفتح المَرِيء والدم إلّا أنّه مثل البصل في ظُلْمة البصر وتولّد الأرياح كما تقدّم لكنّه يشدّ القضيب وينفع البواسير ويصلحه الأكل بالشيرج وأكل البصل والثوم والكرات نيئاً مكروه لداخل المسجد إن لم يُزِلْ رائحة فمه بشيء لقوله صلّى الله عليه وسلّم مَنْ أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربنّ مسجدنا فإنّ الملائكة تتأذّى ممّا يتأذّى منه بنو آدم وقِسْ على ذلك بقيّة المساجد

فاللفظ خاصّ أُرِيدَ به العموم (فائدة) رأيت في بعض الكتب أنّ جميع البقول نزلت في مائدة سيّدنا عيسى عليه السلام إلّا الكرّاث (وأمّا بصل العُنْصُل) فله خواصّ جيّدة مذكورة في كتب الطبّ ومن العجائب أنّ الذئب إذا وطئه مات لوقته ولهذا أنّ الثعلب إذا خاف على نفسه من الذئب يأتي بالبصلة منه ويضعها على باب جحره فإذا رآها الذئب وشمّها هرب ولم يأت إليه فتكون وقاية له فسبحان من ألهمه هذه الحكمة وقوله

(ضَرِيفْ) أصله ظريف بالظاء المشالة لا الضاد المعجمة أتى بهذا اللفظ جريًا على اللغة الريفيّة أي كان فيه الظرافة بمعنى أنّه يكون أخفّ ضررًا من البصل وإن كان أقوى أرياحًا فإنّه أجلّ شهوةً وألذّ أكلًا فلا بأس به إذا حضر فيكون هو المراد ١١،١٥،٨

(ثمّ إنّ الناظم) اشتهى شيئًا من الألبان يشربه فقال ١١،١٥،٩

ص

عَلَى مَنْ شَرِبْ مَتْرَدْ مَلَانَ مُطَنْبَرْ مِنَ ٱللَّبَنِ ٱلْحَامِضْ يِرِفُّ رَفِيفْ ١١،١٦

ش

قوله (على من شَرِبْ) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم إلى داخل الجوف قال الله تعالى ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا﴾ وقال ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لا ما وُضِعَ في الفم وأخرجه الإنسان كالدخان المستعمل الآن فلا يسمّى شربًا حقيقةً إلّا من باب المجاز وقوله ١١،١٦،١

(مَتْرَدْ) والمترد إناء من فخّار أحمر أصغر من الشالية وهو غالب أواني الريّافة خصوصًا في أعراسهم وأصله مركّب من فعلين مات وردّ لأنّه لمّا عُمِلَ في ابتدائه وكُسِرَ عملوا بدله فقالوا رَدَّ أي بعد ما مات ثمّ حذفوا الألف وجعلوه علمًا وقالوا مَتْرَد وهو على وزن مَقْعَد أو مَسْنَد فتمنّى اللبن الّذي داخله لا نفس المترد لأنّه ظرف لما حواه فلا ١١،١٦،٢

يتصوّر شرب المترد بعينه وقيل سمّي بهذا الاسم لتردّد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف أو أنّه عمل بمدينة تسمّى ماتريد الّتي ينسب إليها الشيخ الماتريدي نفعنا الله به وقوله

(مَلانَ) أي غير ناقص حتّى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لأنّ الناقص ربّما استقلّه الإنسان ولم يَقْنَعْ برؤيته فتمنّى أن يكون ملآنًا وقوله ‎١١،١٦،٣

(مُطَنبِرْ) على وزن مُزَنْبِر أو مُطَرطِر يقال كُسّ مُزَنْبِر وزُبّ مُطَرطِر أي عالي عن حوافيها لشدّة حموضته ويُبْسه يقال فلان بطنه مطنبر أي منفوخ[١] أو مات واطّنبر أي انتفخ كما يقال دمّ يطنبر بطنك مثلاً أي تموت وتنتفخ ويقال للشّدّ الحجازيّ المعمول بالحرير الأصفر والأبيض شدّ مطنبر وعلى قياسه الشدّ البلديّ ولعلّه وُصِفَ بهذا الوصف لكونه إذا لفّه الإنسان على رأسه صار كبيرًا عاليًا مطنبرًا كما يعلو اللبن الحامض عن حوافي المترد وهو مشتقّ من الطنبرة وهي التحكيك للأولاد الصغار قال الشاعر [طويل مع كسر] ‎١١،١٦،٤

إذا كنتَ آلاتي وطَبْعُكَ رِقّي   طَنْبِرْ برِقّهْ واعتبر بالمشنوقِ

(وأصل) هذا الكلام أنّ شخصًا من الفسّاق أخذ ولدًا صغيرًا وأراد أن يحكّك له فزَلِقَ العِيار فدكّه فمات الولد وشُنِقَ الرجل فقيل فيه كلامًا كثيرًا لم يحضرني منه غير هذا المطلع أو إنّه من الطنبورة على وزن العصفورة قال الشاعر [وزن غير معروف]

أيا عصفورة البستان كم ذا تنبشي   بايدك ورجلك ما في الأرض شي

ثمّ إنّه بيّن هذا الشيء المطنبر بقوله ‎١١،١٦،٥

١ بي: منفوج.

(من اللَبَنْ الحامضْ) قيّده بالحموضة لعدم وصوله إلى اللبن الحليب فلأجل هذا قال أشتهيه ولوكان حامضاً لأنّ غيره بعيد عليّ وخصوصاً إذا كان في شدّة الحرّ فإنّ شربه يسكّن عطشه ويروي فؤاده إذاكانت حموضته معتدلة فإنّه بارد رطب وأمّا إذا خرج عن الحدّ في الحموضة ضرّ وكلام الناظم يدلّ على أنّه إنّما اشتهى ما خرج عن حدّ الحموضة بدليل قوله الآتي يرفّ رفيف وأجود الألبان لبن البقر لأنّه موافق لسائر الأدوية وفي الحديث لحمها داء وألبانها شفاء وقوله

١١،١٦،٦ (يَرِفُّ رَفيفْ) أي صار من الحموضة الشديدة يرفّ كما يرف جناح الطائر بمعنى أنّه يسمع له غليان وبقبقة تحاكي رفّ الجناح ويرفّ على وزن يَسِفّ أو يَلُفّ ورفيف مصدر حذفت ألفه كما سبق في نظائره وهو مشتقّ من رَفّ الخشب الّذي يُعْمَل في البيوت أو من الرفرافة الّتي يعملوها قبل رمضان أو آخر شعبان من الدجاج والإوزّ وغير ذلك

١١،١٦،٧ (ثمّ إنّه تمنّى شيئاً آخر تستعمله أهل القرى القريبة من البحر المالح أو من البحائر المالحة ونحوها) فقال

ص

١١،١٧ عَلَى مَنْ جَتُو أُمُّ ٱلْخُلُولِ لِدَارُو وَيَعْزِمْ عَلَى أَهْلِ ٱلْبَلَدْ وَيِضِيفْ

ش

١١،١٧،١ قوله (على من جتو) أي جاءته بواسطةٍ وحضرت إليه

١١،١٧،٢ (أُمّ الخُلولِ) وهي حيوان يتكوّن من داخل المَحار الصغير الّذي يشبه اللوز يوجد على ساحل البحر المالح وجوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فإذا مسّه إنسان سكَن ولم يتحرك وصار كالحجر حتّى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتين صغيرتين ولونه

أبيض ثخين يشبه لون المَنِيّ أو المُخاط فيأخذوه وينزِعوه من هذه المحائر أو القوقع ويضعوا عليه الملح والخلّ والليمون ويأكلوه وربّما أخرجوه وهو طري ولتّوه بالملح وأكلوه وهذا أقبح المأكول وأرداه وأخبثه نعوذ بالله منه ولله الحمد والمِنّة على عدم الأكل منه لأنّ الطبائع السليمة تمجّه وتأباه وتَعافُه الأنفس وأمّا طباع أهل الريف فلا تطالبنا بها فإنّها خبيثة ولا تطلب إلّا الخبيث وله عندهم لذّة عظيمة وموقع في نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن أن يأكل منه بل ولا يراه لأنّ رؤيته ترث القرف فضلاً عن أكله وكُنِيَتْ بأمّ الخلول لتواتر الملح والخلّ والليمون عليه عند الأكل وقوله

٣،١٧،١١ (لِدارو) أي دار الناظم بمعنى أنّه لا يتعب في مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها في داره أتى بها شخص على سبيل الصدقة أو الهديّة وقوله

٤،١٧،١١ (ويَعْزِمْ على أَهل البلدْ[١]) أي يجمعهم لهذا المأكول النفيس الّذي يشبه عفّ الكلاب ويضيفهم في داره أي يُكرِمهم به يقال فلان عزم على فلان أي عزم في نِيّته وجزم في يقينه أنّه يأخذه ويكرمه أو عزمه بمعنى أذِن له أن يأتي إلى داره ويكرمه بطعام أو غيره

٥،١٧،١١ (ويَضيفْ) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له أو المعنى واحد لأنّ العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنيّة أوّلاً على أنّ هذا الشخص لا بدّ من حضوره وأنّه ينضاف إليه أي يتبعه إلى المحلّ الذي يريد كرامته فيه فيكون من إضافة الشيء إلى غيره ومصدره ضاف يضيف ضيافة أو ضيوفاً وسمّي الضَيْف ضيفاً لأنّه ينضاف إلى من يكرمه بمعنى أنّه يكون هو وإيّاه حكم الكلام المضاف لا ينفكّ عنه حتّى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الإضافة قال الشاعر [طويل]

أَراني تَنوِيناً وأَنتَ إِضافةً   إِذا ما اجتَمَعْنا لَم تُخَلِّ مَكانِيا

فاتّجه المعنى الفشرويّ عن هذا البحث الهباليّ

---

١ بي: البلد ويضيف.

(ثمّ إنّه انتقل) من تمنّيه إلى شيء آخر يقرب في الخباثة من أمّ الخلول فقال ٦،١٧،١١

ص

أَنَا ٱنْ شُفْتُ عِنْدِي يَوْمَ طَاجِنْ مُشَكْشِكٍ فَهْـٰذَاكَ يَوْمُ ٱلْبَسْـطِ وَالتَّقْصِـيفْ ١٨،١١

ش

وقوله (أَنَا) يعني أبو شادوف لا غيري ١،١٨،١١

(انْ شُفْتُ) الشوف ضدّ العمى أو من الشيافة بمعنى رأيت ٢،١٨،١١

(عندي) في منزلي أو في المحلّ الّذي أنا فيه أو الغيط والجرن مثلاً ٣،١٨،١١

(يوم) أي في يوم من الأيّام غلط به الدهر ويسّر الله تعالى لي فيه ٤،١٨،١١

(طاجنْ) اسم لإناء فُخّار مدوَّر واسع الجوف يطبخ فيه السمك والأرز واللحم والطير وغير ذلك يستعمل في سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه إلّا في الفرن وهو مشتقّ من التطجين أو من الطجانة أو من وَطْء الجِنّ لأنّ لفظة طاجن من ألفاظ المُعَمَّيات بمعنى أنّ إنسانًا وطئ جِنًّا أي داس جماعة من الجنّ فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره أنت أي طأ أنت جنًّا ومثله طافية أي طافية من الناس ٥،١٨،١١

وقسم آخر من المعمّيات غير ما تقدّم كقول بعضهم في اسم حماد خذ فارغ واملاه ماء ومن النظم قولي في اسم شحاته [رمل] ٦،١٨،١١

سلَب الناسَ دلالا وإلفُ من بعد شُحّ
قلت بَدْري تِهِ كمالا تمّ معناكَ بشرحِ

ولم أر في المعمّيات أرقّ من قول بعضهم في اسم أحمد [طويل]

ورِاكِعَـةٍ في ظِلّ بانٍ تَعـلّقَتْ   بِلؤلؤةٍ نِيطَتْ بِمِنقـارِ طائِرِ

وقوله (مُشَكْشِكٍ) على وزن محكّك اسم للطعام الّذي تمنّى رؤيته والأكل منه وهو ١١،١٨،٧ جلود الفسيخ يأكلوا لحمه ويأخذوا جلوده فيغسلوها بالماء ويضعوها في طاجن ويخرّطوا عليها بصل وشيء يسير من الزيت الحارّ ويدخّلوها الفرن حتّى تستوي ويأكلوها بالخبز وربّما وضعوا عليها شيئاً من الكُسْب المذاب بالماء يجعلوه بدل الطحينة وهذا له موقع عندهم وعند نسائهم كأنّه خاروف شوي ولهذا قال

(فهداكَ) بالدال المهملة جرياً على اللغة الريفيّة كقول بعضهم مواليا [بسيط] ١١،١٨،٨

لَكْ وردَتَيْنِ على الخَدّيْنِ يا هـادالـكْ
وـالّ بلاني بعِشْـقَكْ آهِ لو أبلالـكْ
وحقّ من سبّحتْ لوُ في السَّما الأملاكْ
لو ماتَ لي كلّ يومْ أخّينِ ما أسلالـكْ

وقوله (يومُ) أي فهذا اليوم الّذي يأتيني فيه هذا الطاجن المشكشك هو يوم ١١،١٨،٩

(البَسْطِ) ضدّ القبض أي بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المُنى وتيسير ١١،١٨،١٠ المطلوب وحضور المرغوب فيه وسدّ الجوعة وسرور أهل المنزل والجماعة الحاضرين معي وقت مجيئه إليّ قال الشاعر [وزن غير معروف]

إنّ من اطيبـ اوقـاتي   حين اكون مبسوط في ذاتي

(والتّقصيفُ) عطف على البسط مشتقّ من القصافة يقال فلان اليوم قصّيف ١١،١٨،١١ بتشديد الصاد المهملة أي مسرور فرحان ماشي مشية الخيلاء متحزّم بسير وسكين راخي صنائف البردة تنجرّ على الأرض أو أنّه لبس اليوم قميص جديد وأرخى فوقه البردة وهو اليوم قصّيف الكفر بمعنى أنّ ما هناك أحد في الكفر أشلب منه ولا أعيق أو أنّه مشتقّ من قَصْف العود وهو كسره أو من قولهم (قَصْفه تجيك) أو (قصفه نقاوه) أو (فلان جتو قصفه) مثلاً

(مسألة هباليّة) لأيّ شيء سمّي هذا الطعام مشكشك وما معنى هذا اللفظ وما ١٢،١٨،١١ مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الفشرويّ) أن يقال إنّ هذا الطعام لمّا كان يشبه في طعمه المشّ والكشك إذا خُلِطَا معاً ركّبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغيّر الحركات وقالوا مشكشك أو إنّه مأخوذ من شكشكة المرأة له بعود أو بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله أو من قولهم شكشكه بالإبرة أو إنّه من اللفظ المقلوب وهو شمّ كشك فيكون الّذي اصطنعه أوّلاً لمّا طبخه شمّه فقالوا ما شمّ هذا فقال بعضهم شمّ كشك أي شمّ طعاماً رائحته في الحموضة كرائحة الكشك ثمّ إنّهم قدّموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه عَلَماً وقالوا مشَكْشِكْ بفتح الشين الأولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتّجه المقال عن هذا الهبال

(ثمّ إنّ الناظم) اشتهى شيئاً آخر من الخضروات يطبخ ويؤكل عند أوانه وهو أطيب ١٣،١٨،١١ مأكول أهل الريف فقال

ص

مَتَى أَنْضُرُ ٱلْخُبَّيْزَ فِي ٱلدَّارِ عِنْدَنَا ۝ وَأَنْدِفُ مِنْهَا بِٱلْعُوَيْشِ نَدِيفْ ١٩،١١

ش

قوله (متى) أي أجزم وأنوي أنّي متى ١،١٩،١١

(أَنْضُرُ) بالضاد المعجمة جرياً على اللغة الريفيّة والظاء المشالة على اللغة الفصحى أي أنظر ٢،١٩،١١
بعيني لا بأذني ولا بفمي لأنّ النظر خاصّ بالعين قال الشاعر [وزن غير معروف]

عيـني نظرتْ وآفتي من عيـني

(الخُبَيْزَ) جمع خبائز بضمّ الخاء المعجمة وتشديد الموحَّدة وتُجْمَع الخبيز على خُبوز وخبايز ٣،١٩،١١
وخبّازين من هذه الجموع الفشرويّة وتأنيثه خبيزة وهي المراد بقول الناظم لرجوع
الضمير إليها كما سيأتي في قوله (وأندف منها) وهي مشتقّة من الخبز لأنّ ورقها في
التدوير يشبه أقراص الخبز وهي تنبت في أطراف الزرع من كثرة الأمطار وفي
الأراضي المنخفضة وغيرها وأجودها ما كان ساقه طويل وورقه عريض وهو النابت
في جوانب الزرع شديد الخضرة أو النابت بالبِزْر وأرداها القصيرة الساق المائل
ورقها لزرقة وهي البعيدة عن الزرع والماء وهي كثيرة تنبت في المقابر وفي منخفض
الأرض المسبَّخة وهي باردة رطبة تليّن الطبيعة وتفتح السدد وتسكّن الحرارات وهي
قريبة في اللطف من طعام الملوخيّة إذا عملت بالشروط الآتية ثمّ إنّ أهل الريف
يأخذوا ورقها ويخرّطوه مثل الملوخيّة ويضعوا عليه الكُزْبَرة الخضراء ويقلّوا لها بالبصل
والشيرج ويفتّوا فيها الخبز الشعير ويأكلوها وهي غالب طعامهم مدّة إقامتها عندهم
لأنّها لا تكلّفهم شيئاً ما عدا البصل والشيرج ويسير من الكزبرة كما تقدّم فهي غالب
مأكولهم زمن الشتاء وأهل بلاد البحر يطبخوها بالإوزّ والدجاج وغيره وأهل المدن
يطبخوها باللحوم الدسمة كالضأن وغيره وبالدجاج ويضيفوا عليها الأدهان والسمن
البقريّ والخضر والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل إلّا بهذه الكيفيّة فتكون بهذا الحكم
خفيفة لذيذة الطعم وأمّا فعل الريّافة لها كما تقدّم فوجوده كالعدم وكذلك أهل بلاد
البحر فإنّهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفوا لها سمناً ولا دسماً إلّا الأرزّ والشيرج ولا
خضر ولا غيرها بل هي بمفردها وعلى كلّ حال فهي أرقى من طعام الريّافة المتقدّم
ذكره وألذّ مأكولها في بلاد المدن لأنّهم يكلّفوها فيصير لها خفّة في المأكل ولذّة عظيمة
وقالوا (إنّ الطعام كُلْفة كَلِّفْ تَجِدْ)

٤،١٩،١١ (قيل)لمّا نزل السلطان قايتباي لدمياط اجتمع بالعينيّ الّذي بنى العينيّة وهي مسجد على سِمة مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصّه بصحن من الذهب فيه دجاجتين ووضعهم بين يديه فأكل السلطان منهما فلم ير طول عمره ألذّ طعاماً منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندي فقال هل من سُلُوّعنها فقال هي ومولاها في خدمة الملك فأهداها له فلمّا أتى بها إلى مصر أمرها أن تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما لذّة مثل اللّتين أكلهما في دمياط فعاتبها الملك فقالت له يا سيّدي كلّف ترى إنّ سيّدي الّذي صنع لك الدجاجتين طبخهما في إناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القَماريّ وحشاهما بحرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما في صحن فيروزج فمن هذا حصل هذا فتعجّب الملك ممّا صنع رحمه الله تعالى وقوله

٥،١٩،١١ (في الدارِ عندنا) أي في دار الناظم لا غيره لأنّه هو الّذي تمنّاه ولهذا قال عندنا أي في محلّنا لا محلّ غيرنا لأجل ما تأكل منه العيال وينسرّوا بوجوده وسمّيت الدار لتدويرها بالطوب الآجُرّ والحجر الكَدّان وغير ذلك وهذه صفة دور بلاد المدن وأمّا دور بلاد الأرياف فإنّها تبنى بالكِرْس وربّما يكون فيها الوحل والجلّة أيضاً أو لأنّ الشخص يدور ويرجع إليها أو أنّها مشتقّة من لعب الدارة الّتي يلعبوها أولاد الريّافة بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر ويجعل ظهره في ظهره وتدور الأولاد حولهما ويضربونهما فإذا مسك واحد منهما ولداً أجلسه مكانه وهكذا فيتعلّموا من ذلك خفّة الأيدي وسرعة الضرب والمشي ونحوه وقوله

٦،١٩،١١ (وأَنْدِفُ مِنْها) أي من طعام الخبيز ومعناه يأخذ منه بسرعة ويحشي في بطنه فصار يشبه ندّاف القطن إذا أخذه بالقوس وحشاه في الطَرّاحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف متردين عدس أو بيسار أي أكلهم بسرعة أو أنّه مشتقّ من أحمد الدَنَف من شُطّار مصر الّذين تقدّموا وسيرته مشهورة عند المخرّفين وقوله

(بالعُوَيْشِ) تصغير عَيْش سمّي بذلك لأنّ به قيام المعيشة قال الشاعر [كامل] ٧،١٩،١١

لا تـرْكُنَنَّ إلى الثِّيابِ الفاخِرهْ   واذكُرْ عِظامَكَ حينَ تُمْسِي ناخِرهْ
وإذا رأيتَ زَخارفَ الدُّنيا فقُلْ   لا هُمَّ إنّ العَيشَ عَيشُ الآخِرهْ

أو أنّه مشتقّ من عُشّ الطائر لتدويره مثل تدوير العيش وأمّا تسميته خبز فهو من التخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلان حتّى خبّز أضلاعه أي صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز أو كسرها كما أنّ الخبز آيل للتكسير مثلاً أو يكون خبّز أضلاعه بمعنى فكّها من بعضها البعض وقوله

(نَديفْ) على وزن نتَيف وهو الّذي ينتف ذقنه لأجل الخنات أو كان به مرض الأُبْنة ٨،١٩،١١
أعاذنا الله منها فإنّها داء يَغْلي في الدبر بحرقة كغْلي الدود في العفن قال الشاعر [بسيط]

فإنّهُ مَرَضٌ كالنّارِ مُشْعَلةٌ   في الدُبْرِ يَغلي كغَلْيِ الدّودِ في العَفَنِ

وأكبر دوائها ما ذكره الشعرانيّ نفعنا الله به أن يُحْتَقَن بماء الفسيخ السائل منه مراراً فإنّه يبرأ بإذن الله تعالى وأصله نَدْفاً سُكّنَ وصُغِّرَ لأجل الرويّ أي أندف من الخبيز ندفاً كثيرًا حتّى أشبع شبعاً مفرطاً ليس بعده جوع بقيّة اليوم أو بقيّة الليلة
ثمّ انتقل من الطعام إلى الباقلّة الخضراء فقال ٩،١٩،١١

ص

مَتَى أَنْضُرُ ٱلْفُولَ ٱلْمُشَيْوِي بِفُرْنِنَا   وَٱلْفُو بِقِشْرُو وَٱلْعُروقِ لَفِيفْ ٢٠،١١

ش

قوله (متى أَنْضُرُ) بعيني كما تقدّم في البيت الّذي قبله ١١،٢٠،١

(الفولَ) الأخضر إذا أُتِيَ به من الغيط ووُضِعَ في الفرن وصار مشويّاً والمطلوب أن يكون هذا الفول ١١،٢٠،٢

(المُشَيْوِيّ) تصغير مَشْويّ على وزن عطيويّ أو خريويّ وخريويّ فيها بيقين التصغير والوزن ١١،٢٠،٣

(بفُرْنِنا) لا بفرن غيرنا ١١،٢٠،٤

(وٱلُفّو) أصله وأَلُفُّهُ بالهمز تركه للضرورة من اللفّ وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمّل ولا تفتيش في المأكول ولهذا قال ١١،٢٠،٥

(بِقشْرو) أي آكله من غير نزع قشره من فرحتي به ومن شدّة الجوع ١١،٢٠،٦

(والعروقِ) معطوف على القشر أي وألفّ عروقه أيضاً ١١،٢٠،٧

(لَفيفْ) أي لفّاً زائداً بحرقة قويّة وشهوة بهيميّة حتّى أكتفي منه ولا أنظر إلى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا أنظر لهذا المعنى كما فعله غيري من أنّه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتّى يبرد ويقشر منه ويأكل فأنا لشدّة اشتياقي إليه وكثرة الجوع والقِلّة والعَتْرة ألفّه بجميع ما عليه ١١،٢٠،٨

(فائدة) الفول الأخضر قبل شَيِّه بارد رطب وقيل بارد يابس ويُعَدّ له الأكل بالملح والصعتر ونفع أكله حارّاً أو مشويّاً نزعه من قشوره جميعاً وأكله بالسكّر وفي بعض ١١،٢٠،٩

كتب الطبّ من أكل الباقلا أربعين يوماً وأصابه مرض الجُذام فلا يلومنّ إلّا نفسه
ومتّى أكلت المرأة الباقلا أربعين يوماً لم تحبل أبدًا وقد عدّوه من موانع الحمل
ثمّ إنّه اشتهى شيئاً ممّا يُخْبَز ويتمنّى حصوله فقال ١٠،٢٠،١١

ص

مَتَى أَنْضُرُ ٱنْ طَحَنَ ٱلطَّحِينَ وجِبْتُو   وَٱبَطَّطُ مِنُّو فَطِيرَ رَهِيفْ ٢١،١١

ش

قوله (متى أَنْضُرُ) تقدّم معناه ١،٢١،١١

(انْ طَحَنَ) أحد من الطحّانين ٢،٢١،١١

(الطحينَ) الّذي وضعته في الطاحون ورحت إليه ورأيته ٣،٢١،١١

(وجِبْتو) أي وجئت به بعد أن أعطيت الطحّان أجرته إلى منزلي ٤،٢١،١١

(وٱبَطِّطُ) على وزن وَضَرِّطُ وَبَرْبِطُ وضرّط وبربط فيها بيقين المناسبة وهو مشتقّ من البطّ وهو طير يُربّى في الدور يشبه الإوزّ إلّا أنّه صغير عنه وأرجله قصيرة جدًّا أو من البطبطة أو من البِطَط الّتي يوضع فيها السمن وغيره أو هو من الهلفطة لا كلام ٥،٢١،١١

(مسألة هباليّة) لأيّ شيء سمّي مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة أو عَلَمَ عليه (قلنا الجواب الفشرويّ) أنّه كان في الأوّل قمحًا لا كلام ثمّ طرأ عليه الطحن فنقله من حالة إلى حالة أخرى فيكون من تسمية الشيء بما طرأ عليه من الوصف الّذي قام به ونقله من حال إلى حال ومثله الإنسان في حال حياته إذا مات فإنّه لمّا طرأ عليه الموت ٦،٢١،١١

صار يقال له ميّت فلذلك لمّا كان في قوّته قبل الطحن كان حكم الإنسان في حال حياته فكان أوّلاً معروفاً بالقمح فلمّا دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الأوّل وصار طحيناً فكذلك الإنسان لما تدور عليه المَنِيّة خفي اسمه وصار ميّتاً وطحنته الأرض ومضى أمره إلى أن يُبعث فاتّجه الجواب عن هذه الأبحاث الفشرويّة

٧،٢١،١١ وفي بعض نسخ المتن (ان طحنتُ الطحين) بإثبات التاء المثنّاة من فوق فيكون هو الّذي طحنه بنفسه وهذا هو الأَوْلى لأنّ أهل الريف يجعلوا في الدار أو في الكفر طاحونة مشتركة بينهم وإن كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثوره ويعلّقه ويطحن عليه وأمّا بلاد البحر فإنّهم يطحنون بالأجرة وطواحينهم كلّها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدّم إلّا أهل الكفور والقرى الصغيرة ولا شكّ أنّ الناظم منهم كما تقدّم في ذكر قريته فلهذا قال ان طحنتُ الطحين وجبتو وَبَطّطُ أي أعجنه بالماء أو بشيء من اللبن وآخذ القطعة العجين وأضعها على خرقة أو رَدّة أو قرص جلّة مثلاً وأخبطها بالكفّ حتّى ترقّ وآخذ غيرها فيتحصّل لي

٨،٢١،١١ (مِنّو) أي من هذا العجين

٩،٢١،١١ (فَطيرَ) مشتقّ من الفطور لكونهم يفطرون به أو من الفُطْرة أو من عيد الفِطْر

١٠،٢١،١١ (رهيفْ) صفةً للفطير أي طريّ رقيق وفي كلامه اكتفاء فإنّه ذكر الفطير وكيفيّة عمله ولم يذكر أكله فيُفْهَم من الكلام أنّه لمّا بطّط الفطير خبزه في الفرن أو في الجورة الّتي يصنعوها في الزريبة ويحطّوا عليها الزبل وفي بعض الأحيان الجلّة أيضاً وأكل منه حتّى اكتفى

١١،٢١،١١ ثمّ إنّه قال

ص

٢٢،١١ أَيَا مَطْيبَ ٱلْجُلْبَانَ وَٱلعَدَسَ ٱذَا ٱسْتَوَى   وَشِرْشُ بَصَلْ حَوْلُو وَمِـيّتْ رَغِيفْ

ش

قوله (أيا) ناس ١،٢٢،١١

(ما أطيب) في الطعم واللذّة ٢،٢٢،١١

(الجُلْبانَ) على وزن الجِدْيان أو الخِرْفان مشتقّ من جِلْبة النبّوت أو أنّ الّذي زرعه سقاه في الأصل على ثور جَلَب أو من جَلَبَة العبيد والجلبان نبات يُزْرَعُ حَبُّه يشبه حَبّ الملوخيّة وله قرون صغار مثل قرون الملوخيّة مشتبك في بعضه البعض مثل البرسيم يزرعوه أهل الريف ويأكلوه مثل الفول الأخضر وربّما طبخوه بالعدس وأكلوه كما قال الناظم ويزرعوه كثيراً وتأكل منه البهائم أيضاً وقوله ٣،٢٢،١١

(والعَدَس) معطوف عليه أي وما أطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج إلى بيان ٤،٢٢،١١

(إذا استوى) فإنّه لا يؤكل نيئاً بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخاً وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدُخْن في فعله يُمَسِك إطلاق البطن ومَرَقُه أنفع من حَبّه وأكله يرقّق القلب (وفي زهر الكِمام) أنّ بعض الأنبياء شكا إلى الله تعالى قسوة قلوب قومه فأَوحى الله إليه (مُرْهُمَ فيأكلوا العدس فإنّه يرقّق قلوبهم) (وفي الحديث) عليكم بالعدس فإنّه يُرِقّ القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيّاً والإكثار من أكله يخاف منه الضرر وفي القانون الإكثار منه يرث الجذام ويضرّ بالعصب ويولّد الأخلاط السوداويّة (وقال) بعض الأطباء يُعَدّ له السَلْق الأخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو أخفّ من غيره وغير مدشوش ويسمّى عدساً بجُبّته فأهل الريف يضعونه في بوشة فخّار ويحطّوه في محماة الفرن أو في الفرن ويغمروه بالماء حتّى يستوي ويفركوه بالمفراك ويقلّوا له بما يتيسّر من الشيرج والبصل مثل البيسار (وأمّا أهل المدن) فإنّهم يطبخوه طبخاً جيّداً ويضعوا عليه دهن الليّة والسمن الخالص والحرارات خصوصاً أبناء الترك ٥،٢٢،١١

فإنّهم يُكْثِروا فيه الأدهان وربّما فعلوه باللحم الضأن ولهذا يأتون به رأس السِماط فهو عندهم له موقع عظيم وربّما عُمِلَ بالقلقاس إذا كان مدشوشاً وهو ألذّ وأطيب وبلاد البحر يطبخوه بالأرزّ ثخيناً يدشوه ويضيفوا عليه الأرزّ ويسمّوه بَغْلِيَّة بفتح الموحّدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثنّاة تحت وسكون الهاء المربوطة في آخره وهذا النوع ثقيل جدّاً يشبه البِسِلَّة في ثقلها وربّما أكلوه بالبصل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعوها أيضاً بالأرزّ

٦،٢٢،١١ وكلّ هذا يولّد الأرياح ويضرّ بالمعدة خصوصاً البسلّة فإنّها أشدّ في الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء في اسمها في وصفين منها فقال بسلة باردة بايتة ثمّ استطرد حرف التاء في مضرتها فقال تُعْشي تُفْسي تُنْسي فيكون لفّ ونشر مرتَّب ومعناه بسلّة تعشي باردة تفسي بايتة تنسي ثمّ قال

٧،٢٢،١١ (وِشِرْشُ بَصَلْ) اسم للحِزْمة المربوطة منه فإنّه يقال لها شرش ويطلق على أوّل خروج الفساء أيضاً فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال (في لحيتك شرش) مثلاً وهو من الألفاظ الّتي تُقرأ طرداً وعكساً أوّلها مثل آخرها وقوله

٨،٢٢،١١ (حَوْلو) أي حول العدس بعد وضعه مغروفاً في المترد أو الشالية ويكون البصل موضوعاً حوله كما جرت به العادة في بلاد الريف وغيرها أنّهم يضعوا البصل حول العدس والبيسار والمش أو غير ذلك ويأخذ الرجل البصلة يقطم منها مثل الخيارة وأمّا أهل المدن فيقشّروه ويفلقوا البصلة أربع فلقات ويضعوها حول السُفْرة ولكلّ شيء مناسبة وإذا عُصِرَ ماء البصلة ذهبت حرارتها واعتدلت في الأكل وقوله

٩،٢٢،١١ (ومِيّتْ رَغيفْ) أصله ومائة سهّله لضرورة النظم أي من خبز الشعير وذكر هذا العدد لأجل ما يشفي غليله من الأكل أو ربّما يعزم على أحد بالأكل مثلاً أو يأتيه أحد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للأكل منها والتفرقة وكذلك الشرش

البصل وهي الحزمة الّتي تملأ الكفّ كما تقدّم تكون الأخرى تكفيه للأكل منها وتفرقتها إن شاركه أحد

ثمّ إنّه استطرد شيئاً آخر واشتهى حصوله فقال ١٠،٢٢،١١

ص

أَيَا مَحْسَنَ ٱلْخُبْزَ ٱلمقَمَّرَ عَلَى ٱلنَّدَهْ   وَفَوْقُو مِنَ ٱلسَّرْسُوبِ حَلْبُ نَضِيفْ ٢٣،١١

ش

قوله (أيا) ناس ١،٢٣،١١

(ما أحسن) أي ما أظرف وألطف وألذّ مأكول ٢،٢٣،١١

(الخُبْز) النظيف الأبيض ٣،٢٣،١١

(المُقَمَّر) بالنار لا بالشمس ٤،٢٣،١١

(على النَدَهْ) أي على الفطور عند نزول الندى وهو الماء اللطيف الّذي ينزل وقت الصبح إلى طلوع الشمس سمّي بذلك لأنّه يندّي الأرض أي يبلّها بللاً خفيفاً وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبّه بالسخاء والكرم يقال (كفُّه نَدِيّ) ويقال (فلان ما عنده ندى) مثلاً والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيد والي مكة المشرّفة رحمه الله تعالى [طويل] ٥،٢٣،١١

سَأَلْتُ الندى والجودَ من عَهْدِ آدمٍ   لَقَدْ عِشْتُمَا دهرًا وَقَدْ مُتُّمَا أحيانا
فقالا نَعَمْ مُتْنا زمانا وعِنْدَما   أَتى زيدُ والي كَعْبَةِ الله أحيانا

فالفطور في هذا الوقت على الخبز المقمَّر فيه منفعة عظيمة وفي كلام الحكماء الكَسْرة اليابسة مَرْهَم البدن ورأيت في بعض كتب الطبّ أنّ المعدة يعلوها شيء يشبه الشعر فإذا فطر الإنسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسى فتحلّقها فعلى كلّ حال الفطور على الخبز اليابس المقمّر أنفع من غيره ٦،٢٣،١١

(و) خصوصاً إذا كان ٧،٢٣،١١

(فوقو) أي فوق الخبز المقمّر بعد تكسيره ووضعه في الإناء ٨،٢٣،١١

(مِنَ ٱلسَّرْسُوبِ) على وزن الجعبوب وهو اللبن الّذي يوضع فيه شيء يسير من اللبن الّذي ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمّوه مسماراً يأخذوه ويضعوه في طاجن فخّار أحمر ويضعوا عليه شيئاً من الملح لإصلاحه ومكثه لحاجتهم فإذا أرادوا السرسوب يضعوا اللبن في الدست ويصبّوا عليه من هذا الّذي يسمّوه المسمار ويفوّروه على النار فيقال له مفوَّر ويقال له سرسوب ويفتّوا فيه الخبز المقمّر مع العجوة ويأكلوه وله لذّة عظيمة ويجعلوه أيضاً في طواجن ويضعوه في الفرن بعد وضع المسمار فيه فيجمد ويسمّوه لِبّه بخفض اللام والباء الموحّدة ويأكلوه وله لذّة عظيمة ٩،٢٣،١١

وأفضل الألبان لبن الأنعام وأجودها لبن البقر لقوله صلّى الله عليه وسلّم (عليكم بألبان البقر فإنّ لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء) (وأجودها) ما شرب من تحت الضرع أو كما حلب وإذا خلط بالسكّر خضّب البدن وصفّى اللون وليّن الطبيعة وزاد قوّة في الباه وسمّي اللبّه لبّه لأنّه مشتقّ من اللُبّ أو من اللَبْوة أو من قولهم (لبّك واحد بفرّقِلّه) مثلاً أو من لَبَّ الجَدْي الصغير أمّه إذا أراد شربها قال الشاعر ١٠،٢٣،١١

[بسيط]

فأنت كالجـدي لما أن يَلُبّ وكـ . . . الجرّ والمطوّق إسراعًا إلى اللبنِ

وقوله (حَلْبُ) أي قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلاب أو المحلبة أو أنّه مشتقّ من ١١،٢٣،١١
حلب الرجل بيده فيكون اسم لما حُلِبَ من البهيمة والمعنى أنّه يكون فوق هذا الخبز
ما يعمّه من لبن السرسوب المحلوب حلباً

(نَضيفْ) أصله نظيفاً ذكره بالضاد المعجمة جريًا على اللغة الريفيّة وسكّنه لضرورة النظم ١٢،٢٣،١١
أي ليس فيه شيء يدنّسه من أثر جلّة أو غبار يلحقه ونحو ذلك كما أنّهم إذا تعاطوا
الحلب لا يتحاشوا عن مسك جلّة وغيرها من أنواع النجاسات بل ربّما أنّ دِرّة البقرة
أو الجاموسة يلطّخوها جلّة فتحلب اللبن بسرعة فطلب الناظم أن يكون هذا السرسوب
طيّباً نظيفاً خالي من هذه الأمور وإن كان معفوًّا عنها
ثمّ بيّن كيفيّة الأكل منه فقال ١٣،٢٣،١١

ص

وَأَقْعُدْ عـلى رُكْبَهْ وَنُـصٍّ وَٱشَـمّرْ   عَنِ ٱلْكَفِّ بِيَدِي مَا أَخَـافُ مُخِيفْ ٢٤،١١

ش

قوله (وأَقْعُدْ) متأهّب للأكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهُّب الجيعان الشديد الشهوة ١،٢٤،١١
لهذا المأكول

(على رُكْبَهْ ونُصٍّ) وهي قعدة القويّ الشديد الّذي يريد الأكل الكثير أو الّذي عنده ٢،٢٤،١١
شَرَه في الطعام مثلاً وأمّا جلسة الأدب فإنّها بخلاف ذلك بأن يجلس على الركبتين
ولا يلتفت يميناً ولا يساراً ويأكل ممّا يليه ولا يمدّ يده إلى طعام بعيد عنه مدّاً عنيفاً
(كما اتّفق أنّ شخصاً قال لآخر وهما في وليمة يأكلان) يا فلان أقرّب لك هذا الصحن
فقال أنا ايدي تجيب من مكّه ومدّ يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض في
مكّه كام الكورجة فخجل وقام من غير أكل وللأكل آداب مذكورة في بعض الكتب وقوله

(وَٱشَمِّرِ[1]) من التشمير وهو رفع كمه ٣،٢٤،١١

(عن الكَفِّ) أي كفّه يقال شمّر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمّر عن ذَكَره أي أراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنويّ هو الكفّ عن الذنوب قال الشاعر [بسيط] ٤،٢٤،١١

شمّرْ فَإِنَّكَ ماضي العَزْمِ شِمِّيرُ ولا يَهولُكَ أَحوالٌ وتَكديـرُ

لكنّ الناظم مراده التشمير الحسّيّ وهو رفع الأكمام ومنه الِشمار الّذي تصنعه أولاد الأرياف من الصوف ويضعوه في أكتافهم يرفعوا به أكمامهم وله هُدّاب سائل إلى كَفَل الأمرد وفيه نوع من الجمال وهو عندهم أمر عظيم حتّى أنّ بعض الأولاد يعمله ويجعل[2] فيه من الخزّ والحرير الأصفر والأحمر والأخضر والأسود حتّى يُرْغِب العاشق فيه وغالب أولاد الطبّالة به يجعلوه حكم أعقصة النساء ويجعلوا له عُقَدًا صغارًا في رؤوس الهداديب ويزيّنوه بها وقوله

(بايدي) أصله بيدي لا بيد غيري فلا أحتاج إلى أحد غيري يشمّر لي بل أنا أتعاطى تشميره بنفسي لأجل خلوص يدي عن شيء يمنعها من تناول الطعام وهذا يدلّ على أنّ كمّه كان طويلاً حتّى احتاج لتشميره أو أنّ مراده بالتشمير رفع يده وخفضها في حالة الأكل بسرعة وقوّة من غير التفات لأحد ولهذا قال ٥،٢٤،١١

(ما أخافُ) أي وآكل من هذا السرسوب ما أخاف من أحد يأتيني أو يمنعني عنه ٦،٢٤،١١

(مُخيفِ) أصله مخيفاً أي مخوِّفًا يمنعني عن شهوتي بل لا أبالي إذا حصل لي وظفرت به من أحد أبدًا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتّى أكتفي وأشبع منه الشبع المفرط ولا أختشي من تُخَمَة ولا غيرها ٧،٢٤،١١

ثمّ إنّه اشتاق مأكول آخر من ألذّ مأكول أهل الريف فقال ٨،٢٤،١١

---

[1] بي: وَشَمَّرُ. [2] بي: ويلظم.

ص

عَلَى مَنْ قَشَعْ رُوحُو حِدَا ٱلرُّزّ بِٱللَّبَنْ وَيَقْـطَعْ وَيَبْـلَعْ مِنْ تَقِيـلْ وَخَفِيـفْ ٢٥،١١

ش

قوله (على من قَشَعْ روحو) أي على من نظر روحه أي ذاته لا ذات غيره ١،٢٥،١١

(حِدا الرُّزّ باللَبَنْ) أي حذاءه بالذال المعجمة أي مُحاذِيَهُ بمعنى أنه جالس بجانبه والأرزّ ٢،٢٥،١١ باللبن هذا طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الأرزّ أيضاً وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما ألذّه وأطيبه إذا وضع عليه السمن البقريّ في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة المَخْصيّة أيضاً إلّا أنّه بالسمن أطيب وأشهى للأكل وكلّما كان لبنه كثيراً كان جيّداً وكلّما قلّ أرزّه كان أجود وأرداه الكثير من خلط الماء والأرزّ كما تفعله أهل الأرياف فإنّهم يجعلوه ثخيناً جدّاً يقطعوا منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس وأمّا أبناء الترك فإنّهم يصنعوه باللبن الخالص من غير ماء ويجعلوا فيه شيئاً يسيراً من الأرزّ حكم الشرب ولهذا يشربوه بالملاعق فيصير حلواً لذيذاً وهذا النوع أجود طعامه وأطيبه وطبيخ اللبن على كلّ حال أطيب من العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر [طويل]

طَبيخ اللبَنْ أَحْسَنْ من اللّي بكُزْبَرَهْ وأَلْعَدْسُ والبيسارْ يجيبوا الحوادرْ

(وأمّا النوع الّذي تمنّاه الناظم) أن يكون بجانبه هو الّذي تقدّم ذكره وهو الثخين الّذي ٣،٢٥،١١ يشبه الطين في يبسه لأنّه المشهور عندهم وفي بلاده وأمّا بلاد البحر فيفعلوه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع إلّا في الغالب يضعوا عليه شيئاً من الماء وأمّا الناظم فلا يعرف إلّا ما في بلده ولهذا قال

(ويَقْطَعْ) والقطع لا يكون إلّا من الطعام اليابس أي يقطع بكفّه وقوله ٤،٢٥،١١

(وبَلَعَ) من البلع وهو جواز الأكل من الحلق يقال (فلان بلعه الحوت) بمعنى أنّه دخل جوفه ووصل إلى بطنه ومنه سمّيت البلاّعة لأنّها تبلع الماء في جوفه والقطع هو فصل الشيء من الشيء وبعده عنه يقال (فلان قطع فلانًا) مدّة بمعنى أنّه هجره وبعد عنه وقوله ٥،٢٥،١١

(من تقيلٍ) أي من قِطَع وافية عن اللُقَم المعتادة بحيث يكون قطعاً وافرًا فتكون اللقمة ملأ الكف بحيث تُدْمِع العين من كبرها (كما ذكرتُ ذلك في خطبة) كنت ألّفتها سابقًا في المأكولات وهي هذه ٦،٢٥،١١

(الحمد لله) مستحقّ الحمد على التحقيق * الّذي وفّق بين الفَرَج والضيق * وأمرنا بالحجّ إلى بيته العتيق * وجعل السمن البقريّ للعسل النحل رفيق * أحمده حمد من عنده من الجوع دسيسه * وأغاثه الله بقصعة من البسيسه * بالفطير الرقيق فملأ منها بطنه * وأحسن بالله ظنّه * ونام على راحة من الله وتوفيق * وأشكره شكر عبد تقلّع عن الحوامض والمشّ العتيق * وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من الضيق * وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم عبده ورسوله الناطق بالحقّ والموصوف بالصدق والتصديق * وعلى آله وأصحابه أهل الكشف والتحقيق * وسلّم تسليماً كثيرًا ٧،٢٥،١١

أيّها الناس مالي أراكم عن الزَرْدة بالعسل النحل غافلون * وعن الأرزّ المفلفل باللحم الضاني تاركون * وعن البقلاوة في الصواني مُعرِضون * وعن الإوزّ السمين والدجاج المحمّر لاهون * فما هذا يا إخواني إلّا أحوال المُفْلِسون * وأفعال الفقراء المُقِلّون * فجِدّوا رحمكم الله في تحصيل الدراهم لتغتنموا المآكل النفيسه * والمطاعم اللذيذه * فقد قال الإمام سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه صاحب العلم والفهم لذّة الدنيا ثلاث أكل اللحم وركوب اللحم وإدخال اللحم في اللحم فمن أنعم الله عليه فليشكر * ومن أحرمه فليصبر * ٨،٢٥،١١

وعليكم بالأرزّ باللبن * فإنّه طعام جيّد حسن * وصباحه أبرك الصباح * خصوصاً عند الفلاّح * إذا جاء وحلب بقرتُهْ * وأتت زوجته بالدست وعلّقتُهْ * وصبّت فيه ٩،٢٥،١١

اللبن وقادت عليه وحرّكتُهْ * وبالأرزّ الأبيض طبختُهْ * وفي الصحون غرفتُهْ * وجاء الشيخ الكبير وقعد وثنى ركبتُهْ * فعند ذلك يا إخواني * انصفّت الأواني * ولاذ كلّ إنسان بإنسانِ * فلا ترى إلّا أيادي تقطع * وألسنة تبلع * وزراديم تفرقع * وحلق يتقلقع * والعين من كبر اللقمة تَدْمَع * والبطن من شدّة الوجد تتّسع * بل تزيد افتعالاً * وهي تقول جلّ ربّنا وتعالى * إن سبقك أخوك المؤمن بلُقْمه * فبادر على جدع رقبته بلكمه * واغتنموا رحمكم الله هذه المَوْعِظه * ودعوا المآكل المغلّظه * كالعدس والبيسار * والمدمّس والفول الحار * والبسلّة والكشك بالفول * وجبن التنُّور المعمول * فإنّهم يورثوا الأرياح * وليس في أكلهم صلاح *

١٠،٢٥،١١ وعليكم بالأطعمة الفاخره * كاللحم الضاني فإنّه سيّد طعام الدنيا والآخره * وعليكم بالشراب الحلو البارد * ففيه حديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وارد * واحمدوا الله أيّها الأغنياء المتنعّمون * واصبروا أيّها الفقراء المقلّون * نسأل الله أن يمنّ علينا وعليكم بالأطعمة الفاخره * ويرزقنا وإيّاكم الراحة في الدنيا والآخره * وأن يجعلنا وإيّاكم من الآكلين المتنعّمين * ويجنُبنا وإيّاكم موارد الجيعانين المقِلّين * وأن يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين * آمين * ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ يغفر لكم فيا فوز المستغفرين *

١١،٢٥،١١ (رُوِيَ) عن سهلب * بن مهلب * عن زنطاح * بن النطّاح * بن قليل الأفراح * أنّه قال كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ أحلامه وأكل في فطوره فصيلاً ابن عامين وصبر إلى ضحوة النهار فأكل أربعين دجاجة محشيّة باللحم الضاني محمّرة بالسمن البقريّ وشرب زِقّين من الخمر ونام في الشمس فمات ولقي الله شبعان سكران ريّان

١٢،٢٥،١١ (الحمد لله) مزيل الحزن * ومزين الأرزّ باللبن * وأشهد أنّ اللحم الضاني سيّد الأطعمة ومُصْلِح للبدن * واعلموا أنّ القشطة لا تُتْرَك * وأنّ المَهَلَّبيّة أحسن وأبرك * فتهيّأوا لأكلكم وشربكم واعلموا أنّكم غداً بين يدي الله موقوفون * وبأعمالكم محاسَبون * وعلى ربّ العزّة تُعْرَضون * وسيعلم الّذين جاعوا ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ * اللّهمّ وارض عن الأربعة الأعيان * الّذين ذكرهم الله تعالى في القرآن * التين والزيتون والخوخ والرمان *

وارض عن الستة الباقين من العشره * الأطعمة المفتخره * الماوَرْديّة والمهلّبيّه * والشعيريّة بالزغاليل المربّيّه * والأرزّ المفلفل باللحم الضاني المحشيّ المحمَّر * والكُنافة المتبَّلة بالسمن والعسل النحل والسكّر * والقطايف الغارقة بالسمن والعسل * والقَرَع المحشيّ باللحم والبصل * والبقلاوة الموصوفه * وخرفان القمـمة المعلوفه * والنخني والقِرْمِزيّة باللحم السمين * متّعنا الله وإيّاكم بهم أجمعين *

١٣،٢٥،١١ اللهمّ وأَدِمْ النصر والتأييد والثبات * ولمّ الشمل بعد الشتات * ببقاء السلطان السكّر النبات * ابن القنانيّ * مَنْ أصله من القصب المَلَّوانيّ * اللّٰهمّ وأيّده بأرماح القصب * وبسبائط الرُطَب * وبعناقيد العنب * وأجمعنا عليه من أوّل النهار وفي وسطه وآخرُهْ * وأنصر عساكرُهْ * في الدنيا تنتفع به يا ربّ العالمين واهلك اللّٰهمّ الثلاثة الفُجّار * العدس والبسلّة والبيسار *عبادَ الله من أراد خِلَع القبول أن تَفاضَ عليه * فليأكل الموز بين والديه * وتفكّهوا قبل الطعام * واقتدوا بسُنّة خير الأنام * ولا تتضاربون ولا تخابطون وكونوا عبادَ الله إخوانًا إنّ الله يأمركم بأكل الحلال ممّا تشتهي العقول * وينهى عن أكل الحرام ولو من أطيب المأكول * ﴿وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ * وقوله

١٤،٢٥،١١ (وخَفيفْ) أي ويأكل من خفيف اللقم وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغترّ بقول من قال [طويل]

كُلوا أَكْلَةً مَن عاشَ يُخْبِرُ أَهْلَهُ وَمَن ماتَ يَلقَى اللهَ وَهْوَ بَطِينُ

١٥،٢٥،١١ (فسبيل الإنسان) أن يجعل البطن ثلاثة أثلاث ثلث للأكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الأكل ولا يفرط في الجوع كما قال صاحب البردة رحمه الله [بسيط]

واخشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ ومِن شِبَعٍ فرُبَّ مَخْمَصةٍ شرٌّ من التُخَمِ

١٦،٢٥،١١ ثمّ إنّ الناظم انتقل إلى نوع من الأَدَم قد تمنّاه فقال

ص

عَلَى مَنْ مَلاَ قَحْفُو جُبَيْنَهْ طَرِيَّهْ   وَرَاحَ وَرَا ٱلْجَامُوسِ يَرْعَى ٱلنِّيفْ   ٢٦،١١

ش

١،٢٦،١١ قوله (على من ملا قَحْفو) القَحْف شيء طويل يعمل من الصوف أو الشعر يلبس على الرأس وليس له زيّ ولا هِنْدام تستعمله بعض الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسوا شيئًا يشبهه يقال له الطرطور ويختلف عنه القحف بكونه واسع من جهة الرأس وضيّق من أعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذاك في سابق الزمان كثيرًا واستعمال اللِبَد على أصناف شيء يشبه القحف وشيء يشبه البرانيط والآن طائفة تلبس هذه اللبد الّتي تشبه البرانيط وهم صلحاء متصوّفون ثمّ ظهرت القواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وأُنس وظَرْف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها إلّا بعض الفقراء المتصوّفين المتقشّفين ولهذا يقال اخي يا فلان خِفْوة اللبد ومن هذا قيل في تركها كلام كثير منه (يا لبده مالك في السوق يا لبده إلّا خازوق) (وسمّي) قحفًا لقحافته ويبسه ولهذا يشبَّه به الرجل السيّء الخُلُق فيقال هذا قحف أي سيء الطبائع قال الشاعر [كامل]

إِنَّ اللَّطَافَةَ لَمْ تَزَلْ   بَيْنَ الأَكَابِرِ فاشِيَهْ
فَهَل رَأَيتُم في الوَرَى   قَحْفًا رَقِيقَ الحاشِيَهْ

٢،٢٦،١١ وهو مشتقّ من قحف الحوت أو من أنّ الرجل الذي صنعه أوّلًا كان من قُحافة وهي قرية معروفة موقوفة على سيّدي أحمد البدويّ نفعنا الله به وقوله

٣،٢٦،١١ (جُبَيْنَهْ) تصغير جبنة على وزن أُبْنة وهي واحدة الجبن

(طَرِيَّةٌ) أي كما عُمِلَتْ قبل يبسها أي في وقت نزولها من على الحصير الّتي يعملوا فيها ١١،٢٦،٤
الجبن فاشتهى أنّ الله يمنّ عليه بملأ قحفه جبناً طريّاً ولو كان هديّة أو صدقة تصدّق
به عليه أحد أو سرقة فإنّ الرزق ما ينفع ولو حراماً قال صاحب الزُبَد رحمه الله
والرزق ما ينفع لو محرّماً وقال أبو نواس رحمه الله [وافر]

يَقولُ لِيَ العَذولُ وَليسَ يَدري   دَعِ المـالَ الحَرَامَ وكُنْ قَـنُوعَـا
إِذا أَنَا لَمْ أَجِدْ مـالاً حَـلالاً   ولَمْ آكُلْ حـرَامًا مُتُّ جُوعَـا

(فإن قيل) لأيّ شيء تمنّى الناظم ملأ قحفه من الجبن مع أنّ القحف لا يعدّ لشيل ١١،٢٦،٥
الجبن فيه وخصوصاً وقد قال جبينه طريّه فإذا وضعه في قحفه ففيه ضرر من وجهين
الأوّل أن يحصل لقحفه التقذير من جهة الجبن والثاني ماء الجبن يبلّ قحفه ويشوّش
عليه (قلنا الجواب الفشرويّ) من وجوه إمّا أنّه تمنّى شيئاً من الجبن بحيث لو وضع
في قحفه لملأه لكون قحفه كبيرًا طويلاً حتّى يكفيه للأدم بقيّة الجمعة أو الشهر لكونه
مفتقرًا لذلك ومحتاج إليه بخلاف ما إذا أتاه شيئاً يسيرًا لا يكفيه ولا يقوم بأولاده
أو أنّ الكلام على حقيقته وأنّ أهل الريف إذا أعطاهم أحد شيئاً من مأكول أو غيره
يأخذوه في أطراف بردهم وأرديتهم وفي أكمامهم وعلى شدودهم الّتي على رؤوسهم
وكانوا في الزمن السابق يضعوا الشيء في قحوفهم فإنّهم في الغالب كانوا يضعوها على
رؤوسهم من غير شيء يلفّوه حولها فكان الشخص منهم إذا أخذ شيئاً من السوق
ولم يكن معه مَقْطَف أو صحن مثلاً يضعه في قحفه وأمّا تلويث القحف وتقذيره فالناظم
كان لا يبالي بهذا الأمر فإنّ غاية قحفه كان يساوي نصفاً أو نصفين ومن كثرة
استعماله وتداول الأيّام عليه وطروء العرق والحال الّذي هو فيه يبس وصار مثل
الخشب فصار لا يؤثّر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته فاتّضح
الإشكال عن هذا الهبال وقوله

(وراحَ) أي وسار وهو مشتقّ من الرَوحْاء وهو محلّ بأرض الحجاز أو من الراحة أو من الريح أو من أبي رِياح الّذي يُصْنَع على غابة طويلة وهو أربع ورقات ملصوقة على أربع قطع من الغاب تلعب به الأولاد الصغار مشهور في بلاد المدن وغيرها وقوله ١١،٢٦،٦

(ورا) أي خلف ١١،٢٦،٧

(الجاموسِ) نوع من البقر فإنّ اسم البقر يشمل الجاموس وغيره وهو كبير ضخم غليظ الجلد أسود وسمّي البقر بقرًا لأنّه يَبْقُر الأرض أي يشقّها وواحدته بقرة وأهل الريف يعايرون الولد الأمرد بذلك ويقولون له أنت بقرة يعني ياكثير الخنات ١١،٢٦،٨

(مسألة هباليّة) لأيّ شيء لم يقولوا للولد الأمرد يا جاموسه مثلاً مع أنّها في حكم البقرة مع أنّ الفحل يطلع عليها ويضربها فهي في هذا الأمر مثل البقرة من غير خصوصيّة لذلك (قلنا الجواب الفشرويّ) من وجوه (الأوّل) أنّ الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدّم بيانه فصار شاملاً للنوعين (والوجه الثاني) أنّ لفظة جاموسة مركّبة من اسم وفعل فإذا قال الشخص للولد الأمرد أنت يا جاموسه ربّما يفهم منه أنت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلاً فكأنّه يستفهم منه فتندفع المَعْيَرة عن الولد الأمرد ولا يتوهّم ذلك كما يُلْغَز ويقال امرأة ولدت جاموسه أي وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى (الوجه الثالث) أنّ اسم الجاموس مشتقّ من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يجمّس في الظلام بمعنى أنّه يحسّس على شيء يأخذه واسم البقر مشتقّ من بَقَرَ الأرض أي شَقّها بالمحراث فكان مثل وضع الذكر في الكُسّ مثلاً لأنّه يشقّه أي يدخل فيه ومثله الأمرد فإنّه يُدْخَل الزب في استه مثلاً فكان مشبّهاً بالفعل وأمّا التجميس فهو مشبّه بمقدّماته والفعل أقوى لأنّ التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك ويقال له يا بقره فاتّضح الإشكال عن وجه هذا الهبال وقوله ١١،٢٦،٩

(يَرْعى النِيفْ) أي يسوق الجاموس لأجل ما يرعى لا أنّه هو يرعى بنفسه وإنّما الرعي ١٠،٢٦،١١
راجع للجاموس أي إنّه يسوق الجاموس إلى المحلّ الّذي ينبت فيه الحشيش المسمّى
بالنيف وهو يرعى أي يأكل يقال (الجاموس أو البقر بيرعى في المحلّ الفلانيّ) بمعنى أنّه
يأكل منه وأمّا قولهم للّذي يسوقه ويتعهّد مصالحه من حلبه وسوقه وربطه في الغيط
ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعي لأنّه من ملازمه وتحت كَنَفه فعليه أن يراعيه
بالشفقة عليه والرحمة به وفي الحديث كلّكم راع وكلّ راع مسؤول عن رعيّته أي يوم
القيامة يُسْأَل عمّن هو من لوازمه من حيوان وغيره والنيف حشيش ينبت في الأرض
بنفسه من آثار نزول المياه على الأرض وأكثره في الأراضي الّتي لا تزرع وهو مشتقّ
من النِيفة الّتي تعمل في بلاد المدن وهو لحم يُشْوى في التنّور ويؤكل وله لذّة عظيمة أو
من النوُف الّتي توضع على رقاب الثيران وقت استعمالهم في الساقية أو المحراث وذكر
الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر أنّه كان موجوداً عنده ومضى عليه مدّة وهو يأكل منه
من غير أُدْم فاشتهى ملأ قحفه جبناً لأجل ما يكفيه مدّة من الزمان

ثمّ انتقل لتمنّي شيء آخر من الأطعمة الّتي تفعل اشتهاء عند أهل الريف وغيرهم ١١،٢٦،١١
فقال

ص

عَلَى مَنْ قَشَعْ لَقّانَة ٱمُّو مَلاَنَهْ مِنَ ٱلْهَيْطَلِيَّه ٱلّي لها تَرْصِيفْ ٢٧،١١

ش

قوله (على من قَشَعْ) أي نظر نظرًا حقيقيًا ١،٢٧،١١

(لَقّانة ٱمّو) أو زوجة أبيه أيضاً واللقّانة تأنيث اللقّان على وزن الخِرْفان ويقال لها ٢،٢٧،١١
القَصْريّة أيضاً وهي إناء من الفخّار متّسع دون الماجور وفوق الشالية سمّيت لقّانة لأنّ
الشخص إذا أراد أن يشرب منها يَلُقّ بلسانه أو بفمه الماء لأنّه لا يقدر على حملها

أو أنّ الّذي صنعها في الأصل من لقّانة قرية مشهورة أنتج الله منها علماء أجلاّء وفضلهم مشهور وينتفع الناس بعلومهم إلى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم وإضافة اللقّانة إلى أمّه لكونها كانت لها ولم يكن يعرف غيرها ولا له شيء سواها فتمنّى رؤيتها بحيث أنّها تكون

(ملانَة) لا ناقصة وسهّل الهمزة لضرورة النظم ثمّ بيّن الشيء الّذي تمنّاه فقال ١١،٢٧،٣

(من الهَيْطَلِيَّه) وهي طعام يُعْمَل من نشاء القمح واللبن ولها لذّة عظيمة في المأكل وهي أخفّ من الأرزّ باللبن خصوصاً إذا أضيف إليها العسل لأنّ النشاء بارد يابس ويعدّله الحلو واللبن تقدّم أنّه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والأرزّ حارّ يابس فيكون النشاء أقلّ درجة منه وإن كان الأرزّ موافقاً لكلّ طعام وفي كلام بعضهم لو كان الأرزّ رجلاً لكان حليماً لأنّه موافق على ما يُفْعَل به وسمّيت هيطلية من هَطَل السحاب وهو المطر لكونها تشبه ببياضه أو من هطل الثياب وهو طولها وجرّها على الأرض ولمعانها ولهذا قال الناظم ١١،٢٧،٤

(ٱلّي) بتشديد اللام يعني الّتي وهي لغة ريفيّة ١١،٢٧،٥

(لها تَرْصِيفْ) أي من حسنها وشدّة بياضها ولمعانها ترصّف أي تضيء ويُشْتَهى أكلها ويُلْتَذّ بها يقال (فلان عليه مَلّوطة بيضاء ترصّف) أي تلمع وتضيء مشتقّ من الرُصافة قرية معروفة بنواحي العراق (ومن اللطائف) أنّ رجلاً مرّ بين الجِسْر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهي تمشي فقال صدق أبو العتاهية في ما قال ولم يذكر ما قال فهزّت رأسها وقالت بل صدق أبو العلاء المعرّيّ ولم تذكر هي أيضاً ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها أخبريني ما أردت وما أراد وإلّا أعلمت بكما أمير المؤمنين فقالت له إنّه عنى بقوله صدق أبو العتاهية قوله [طويل] ١١،٢٧،٦

عُـيونُ المَهَـا بَينَ الرُّصـافَـةِ والجِسْـرِ   جَلَبْنَ الهَوَى مِن حَيثُ أَدري ولا أَدري

وأنا عنيت بقول أبي العلاء المعرّيّ قوله [طويل]

أَيَا دارَهــا بالخَيْـفِ إِنَّ مَـزارَهــا   قَرِيبٌ ولكنَّ دونَ ذلك أَهوالُــ

فأفهمته أنّ الدار قريبة ولكنّها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر إلى الوصول لمطلوبك فانظر إلى قوّة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وإلى شدّة فصاحة الآخر وفهمه المقصود أيضاً

ثمّ إنّه بيّن كيفيّة الأكل من الهيطليّة فقال ٧،٢٧،١١

ص

وأَقْعُدُ لَهَا بِٱلْعَزْمِ فِي رَايِقِ ٱلضُّحَى   وَأَسْحَبُ لَهَا مَصْبُوبَةَ ٱمٍّ وَطِيفُ ٢٨،١١

ش

قوله (وأَقْعُدُ) أي أجلس من غير استعجال بل أقعد قعدة متمكّنة من غير خوف ولا فزع ولا أحد يشوّش عليّ ١،٢٨،١١

(لها) إمّا أنّ الضمير راجع للقانة الّتي فيها الهيطليّة فإن كان للقانة يكون قوله وأقعد لها بمعنى أنّي آكل ممّا فيها وهو الهيطليّة لا نفس اللقانة وإن كان الضمير راجع لنفس الهيطليّة فلا إشكال ورجوعه لها أصوب فاتّضح الجواب عن هذه الأبحاث الفشرويّة وقوله ٢،٢٨،١١

(بالعَزْم) أي بالقوّة والشدّة أو أنّه يقعد لها عازم على الأكل منها مثلاً ٣،٢٨،١١

(في رايق الضحى) أي وقت ارتفاع الشمس وقت جواز صلاة الضحى فيه ويقال ضَحْوَة النهار وقت احتكام الغداء وخلوّ الباطن واشتداد الجوع ٤،٢٨،١١

(وأَسْحَبْ) أي يأخذ أخذاً سريعاً مرّة بعد أخرى لأنّ السحب هو جرّ الشيء بحبل أو غيره جرّاً سريعاً قال الشاعر ٥،٢٨،١١

المعدّية رايحه جيّه تنسحب بالخيط

فيكون سحبه يطلق على الأخذ من غير عدد وقوله

(لها مصبوبةِ امّ وَطيفْ) أي من المصبوبة الّتي تعملها أمّ وطيف ووطيف ولدها وسمّي بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الجلّة أطوافاً وقيل كان له دُوَّيرة يحطّ فيها الجلّة طَوّفاً بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة في صغره وأمّا اسمه الّذي سمّي به عند ولادته على ما قيل دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار عَلَماً واشتهرت أمه به فصار يقال لها أمّ وطيف ٦،٢٨،١١

وأمّا المصبوبة فإنّها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الأرزّ فأهل الكفور والبلاد الّتي لم تزرع الأرزّ يصنعوها من الحنطة وأهل بلاد الأرزّ يصنعوها من دشيش الأرزّ ويقال للّتي تصنع من القمح قطايف وربّما صنعوها من الأرزّ خالصاً والفقراء يصنعوها من الدُنَيْبَة التي تخرج من الأرزّ عند بياضه مع خلط شيء عليها من دشيش الأرزّ وسمّيت مصبوبة لأنّهم يجعلوا عجيناً مائعاً مثل عجين الكنافة ويحمّوا الفرن ويأخذوا نصف قرعة ناشفة أو جوزة هند فارغة ويثقبوها ويجعلوها في عصا طويلة ويغرفوا من هذا العجين ويصبّوا في الفرن أقراصاً على قدر أرغفة الخبز وعندها رخاوة وطراوة فسمّيت بذلك لكونها تُصَبّ على هذا الحال وأمّا القطايف فإنّها تُعْمَل في بلاد المدن من الدقيق الأبيض الخالص المقطّف وتصبّ على صواني صغار يقال لها الرُقَع من الحديد أو من النحاس إلّا أنّها صغيرة مثل القرصة وهي ألذّ هذه الأنواع ٧،٢٨،١١

وأطيبها خصوصاً إذا قُلِيَتْ بالسمن وصُبّ عليها العسل النحل ولله الحمد أكلناها مراراً وتلذّذنا بها ونسأل الله تعالى أن يطعمها لإخواننا الفقراء ويُنْعِمهم بأكلها لكنّ هذه بعيدة عن مقصد الناظم بل ولا يعرفها بالكلّيّة وإنّما اشتهر في بلده مصبوبة أمّ وطيف هذه قيل إنّها زوجته على ما تقدّم وقيل كانت امرأة تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسمّيت قطايف لأنّ الدقيق الّذي تعمل منه مقطّف أي منخول من مُنْخَل رفيع فيكون من باب تسمية الشيء باسم الصفة الّتي تطرأ عليه

وتمام الكلام أنّه إذا سحب المصبوبة ورأى الهيطليّة فيقعد ويأكل منها حتّى يكتفي لئلّا يفهم أحد أنّ ما مراده إلّا النظر وهذا محال كما قال بعضهم [رمل] ٨،٢٨،١١

النَّظَرُ بالعَينِ لا يَقضي مَلامَهْ غَيرَ مَصِّ الرِّيقِ ولَثْمِ الخالْ وشامَهْ
النَّظَرُ بالعَينِ ما يَشفي غَليلَكْ إلّا أنْ واصَلتَ في بَيتِكْ خَليلَكْ
واجعَلِ الفِضّهْ لِمَحبوبِكْ رَسولَكْ وادخُلِ القُبّهْ تَرَى للشَّيخْ كَرامَهْ

إلى آخر ما قال ويجري هذا المعنى في الأبيات الّتي صرّح فيها بالرؤية جميعاً فإنّ ما مراده إلّا الرؤية مع الأكل وليس المراد النظر إلى الطعام لأنّه ما يكفيه ذلك خصوصاً مع كثرة شهوته له وشدّة جوعه

ثمّ إنّه التفت إلى مأكول آخر قال ٩،٢٨،١١

ص

أَلَا يَا تَرَى ٱشْحَالُ ٱللَّبَنْ بَعْدَ غَلْوِهِ وَلَوْكَانَ بِٱلْخُبْزِ ٱلسُّخَيْنِ رَدِيفْ ٢٩،١١

ش

قوله (ألا يا ترى) يريد أن يستفهم ويختبر ويسأل ويتحقّق عن شيء بعيد عنه لم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الإنسان عن صديقه الغائب عنه مدّة طويلة ولهذا قال ١،٢٩،١١

(ٱشْحال) يعني ما حال هذا الشيء الغائب كما يقول الرجل إذا لاقى صديقه بعد مدّة وأوحشه أيش حالك اليوم وما حالك اليوم مثلاً ٢،٢٩،١١

(اللبن) الحليب ٣،٢٩،١١

(بعد) وضعه في الدست ٤،٢٩،١١

و(غَلْوِه) أصله وغَلْيِهِ أُبْدِلَت الياء المثنّاة من تحت واوًا جريًا على اللغة الريفيّة أي غليه بالنار يعني هل له لذّة في المأكل وحلاوة في الطعم ٥،٢٩،١١

(و) خصوصاً ٦،٢٩،١١

(لوكانَ) أي هذا اللبن المغليّ ٧،٢٩،١١

(بالخُبْز) وتقدّم تعريفه ٨،٢٩،١١

(السُخَيْنِ) تصغيرسُخْن وصغّره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم [دوبيت] ٩،٢٩،١١

ما قـلتُ حُـبَيِّبي من التَّحـقيرِ بل يَعْذُبُ إسمِ الشيءِ[١] بالتَّصغيرِ

فلهذا قال السخين على وزن الطُنَيْن أي المسخَّن بالنار وقوله

(رَديفْ) على وزن كَنِيف مشتقّ من الرَدْف وهو ركوب الشخص على الدابّة خلف آخر والسخين مشتقّ من السخونة وهي الحُمّى لحرارتها وشدّة ضررها فكان الخبز إذا سُخِنَ يشبه الحمّى في حرارتها وسخونة الجسد إذا اعترته أعاذنا الله منها وجعل الخبز رديفاً للبن بمعنى أنّه لا يفارقه ولا ينفكّ عنه حتّى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف ١٠،٢٩،١١

١ بي: المليح.

خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابّة فهو وإيّاه على ظهرها لا يفترقا أو ينـزلا إلّا سَوِيّةً أو يفارق أحدهما صاحبه وقوله

هذا من باب تلذّذ إحدى الحواسّ الخمس وهو السمع فكأنّه يقول أخبروني عن حال ١١،٢٩،١١ اللبن وعن أكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لذيذ المأكل ولذّذوا سمعي بذكره فلعلّي أن أراه حقيقةً وآكل منه يقيناً كما قال أبو نواس رحمه الله [طويل]

أَلا فَاسْقِنِي خَمرًا وقُل لي هِيَ الخَمرُ ولا تَسقِني سِرًّا إِذا أَمكَنَ الجَهرُ

الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر أي لأجل ما ألتذّ بسماع اسمها وتلتذّ أُذنايَ بذكرها فإنّ الحواس الأربع قد التذّت وبقي حاسّيّة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به [طويل]

أَدِرْ ذِكرَ مَن أَهوى ولو بمَلامِ فإِنَّ أحاديثَ الحبيبِ مُدامي

ليشهد سمعي إلى آخر ما قال

(ثمّ لمّا أراد) تلذيذ سمعه باللبن المغليّ مع الخبز المسخّن أراد أن يلذّذ سمعه أيضاً ١٢،٢٩،١١ بمفروكة اللبن حتّى يريد الله له بالأكل من الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فإنّ الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم فقال

ص

أَلَا يَا تَرَى إِشْحَالُ مَفْرُوكَةُ ٱللَّبَنْ عَلَى رَلْطِهَا قَلْبِي يَرِفُّ رَفِيفْ ٣٠،١١

ش

معنى هذا البيت مثل الّذي قبله فقوله (ألا يا ترى) أي يا ترى أحداً يخبرني خبراً شافياً ١،٣٠،١١

(إشْحالُ) أي أسأل عن حال ٢،٣٠،١١

(مفروكة اللّبَنْ) أي الفطير الّذي يُفْرَك باللبن بمعنى أنّه يعمل من الدقيق الأبيض الناعم ٣،٣٠،١١ ويخبز في الفرن أو الجورة ويفرك أي يكسر بالأيدي وهو حارّ ويوضع في زبديّة أو مترد ويصبّ عليه اللبن الحليب حتّى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لين ناعم في البلع والزلط لأنّ الثريد فيه اللذّة وهو أفضل الطعام (وفي الحديث) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (وورد أيضاً) أثردوا فإنّ في الثريد بركة

ثمّ قال (على زَلْطِها) وكثرة شوقي إليها وحسرتي على بعدها ٤،٣٠،١١

(قلبي يرِفُّ رَفيفْ) أصله رفيفاً لأنّه مصدر حذفت ألفه للضرورة أي يَخْفِق خَفَقاناً ٥،٣٠،١١ زائداً يشبه في خفقانه رَفّ جناح الطائر وتحرّكه من شدّة الوجد على زلط هذه المفروكة

والزَلْط مشتقّ من الزَلَط بفتح اللام جمع زَلَطة وهي حجارة صغيرة ملساء تتكوّن ٦،٣٠،١١ في الرمال وسواحل البحر وسمّي زَلْط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ أو لأنّ اللقمة تحاكي الزلطة الكبيرة لأنّ الزلطة لها قوّة وسرعة في رميها من اليد كما يقال (زلطه في راسك) مثلاً يعني أتى لك ضربة زلطة في رأسك بسرعة حتّى يؤثّر ضربها فيها فشبّهت بذلك لأنّه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحدفها في حلقه ويزلطها كما يحدف الرجل الزلطة بشدّة وقوّة وأيضاً الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج لمضغ أسنان ولهذا تأسّف على فراق هذا المأكول وصار من شدّة وجده عليه يرفّ قلبه ويخفق كالغصن الّذي عليه طائر يتحرّك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعي الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فإنّك تجد العاشق دائماً قلبه يخفق على فراق محبوبه فلا يسكن إلّا أن اجتمع به وتحدّث معه ولاطفه في الحديث وآنسه في المسامرة فهناك يزول ما به وتسكن حواسّه بأنسه بحبيبه واجتماعه به قال سيّدي عمر بن الفارض نفعنا الله به [كامل]

ومُشَبَّهٍ بالغُصنِ قلـ ـبي لا يَزالُ عَلَيه طائِرْ
حُلوُ الحديثِ وإنّها لَحلاوةٌ شَقَّتْ مرائِرْ
أَشكو وأَشكرُ فِعلَهُ فاعجَب لِشاكٍ منه شاكِرْ

إلّا أنّ كلام الأستاذ نفعنا الله به ومَشرَبه ليس ممّا نحن بصدده

ثمّ إنّه آلى على نفسه أنّه متى رأى لقّانة ابن عمه الآتي ذكره ملآنة من الفتّ أكله ٧،٣٠،١١ كلّه لشدّة شهوته وكثرة جوعه وانتظاره لذلك فقال

ص

أَنَا آنْ شُفْتُ لَقّانة ابنِ عَمّي مُخَيمِر مَلانهْ مِنَ ٱلتَّفْتِيت مَلوْ طَفِيفْ ٣١،١١
أَقْشَرتُو جَمِيعُو مَا تَرَكْتُ بَقِيتُّو لِغَيْرِي وَلَا عِندِي بِدَا تَوْقِيفْ

ش

قوله (أَنَا) يعني أبو شادوف لا أحداً غيري ١،٣١،١١

(ان شُفْتُ) أي رأيت بعيني لا بأذني كما تقدّم تعريفه ٢،٣١،١١

(لَقّانة) تقدّم بيانها واشتقاقها وتعريفها ٣،٣١،١١

(ابنِ عمّي) أخو والدي ٤،٣١،١١

(مُخَيمِر) سمّي بذلك لأنّه كان له نقرة كبيرة يخمّر فيها الجلّة و ربّما بال فيها أيضًا أو لإتيانه ٥،٣١،١١ بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه أو لأكله من العجين المخمَّر قبل تقريصه أو لأنّ وجهه كان يشبه الخميرة المشقّقة لبشاعته ويعاير بذلك ويقال (يا وجه الخميره المشقّقه) وقوله

(ملانة) أي تلك اللقانة ٦،٣١،١١

(من التفتيت) جمع فتّ وهو تكسير الخبز لقماً صغاراً أو كباراً وأحسنها الصغار ٧،٣١،١١ ويصبّ عليه العدس أو البيسار حتّى ييبس ويصير كقطع الحجارة وقوله

(مَلوَ طَفيفْ) أي ملواً كاملاً مطفّفاً بمعنى أنّه زائد على حوافي الإناء مشتقّ من ٨،٣١،١١ تطفيف الكَيْل قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ أو من طَفّ الماء على الجروف إذا ارتفع عليها أو من الطَفّ محلّ بنواحي العراق من نواحي كَرْبَلاء قُتِلَ فيه سيّدنا الحسين رضي الله عنه

(وملخَّص قصّته) أنّ معاوية رضي الله عنه لمّا مات أخرج يزيد إليه من يأخذ ٩،٣١،١١ ببيعته فامتنع وخرج إلى مكّة فأتت كتب العراق بأنّهم بايعوه بعد موت معاوية فأشار عليه ابن الزُبَيْر بالخروج وابن عبّاس وابن عمر وجماعة من الصحابة بعدمه فلم يفد ذلك وأرسل إلى أهل العراق ابن عمّه مسلم بن عَقِيل يأخذ بيعتهم فأخذها وأرسل إليه يستقدمه فخرج الحسين من مكّة قاصداً للعراق فعلم يزيد بخروجه فأرسل إلى عُبَيْد الله بن زِياد واليه على الكوفة يأمره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسيناً ذلك حتّى صار بينه وبين القادسيّة ثلاثة أميال فلقيه الحُرّ بن يزيد التميميّ فقال له ارجع فإنّي لم أَدَعْ لك خلفي خيراً وأخبره الخبر ولقي الفَرَزْدَق فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أُمَيّة والقضاء ينزل من السماء وهَمّ أن يرجع وكان معه أخو مسلم فقال له لا نرجع حتّى نأخذ بثأره أو نُقْتَل وكان ابن زياد جهّز أربعة آلاف وقيل عشرين ألفاً لملاقاته فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارساً ونحو مائة راجل فلقيه الجيش وأميرهم عمر بن سعد بن أبي وَقّاص وكان ابن زياد ولاّه الرَيّ وكتب له بعَهْده عليها أن حارب الحسين ورجع

فلمّا التقيا وأرهقته السلاح قال له الحسين اختر منّي إحدى ثلاث إمّا أن ألحق ١٠،٣١،١١ بثغر من الثغور وإمّا أن أرجع إلى المدينة وإمّا أن أضع يدي في يد ابن معاوية فقبل عمر ذلك منه وأرسل إلى ابن زياد فكتب إليه لا أقبل منه حتّى يضع يده في يدي

فامتنع الحسين فتأهّبوا لقتاله وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والتابعين له فلمّا أيقن أنّهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال (قد تروا) من الأمر ما ترون وأنّ الدنيا تغيّرت وتلوّنت وأدبر معروفها واستمرّت حتّى لم يبق منها إلّا صُبابة الإناء وإلّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحقّ لا يُعْمَل به والباطل لا يُتَناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا جُرما فقاتلوه فكان آخر الأمر أن قتل وقتل معه سبعة عشر شابّاً من أهل بيته وذلك بكربلاء في خبر رواه الطبرانيّ

١١،٣١،١١ (قال العلاّمة سيّدي عبد الرؤوف المُناويّ) نفعنا الله به في طبقاته (فإن قلت) ينافيه ما ورد عن الطبرانيّ أيضاً عن عائشة أنّه عليه الصلاة والسلام قال أخبرني جبريل أنّ الحسين يقتل بأرض الطَفّ وجاءني جبريل بهذه التربة وأعلمني أنّ فيها مَضْجَعه ورواية سعد عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال دخلتُ على المصطفى ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال أخبرني جبريل أنّ حسيناً يُقتل بشاطئ الفُرات قلت لا تعارض لأنّ الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثمّ يمرّ بأرض الطَفّ وهي من بلاد كربلاء فالتأم الكلام واستقام على أحسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به

١٢،٣١،١١ ولمّا قتلوه حزّوا رأسه ثمّ أتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن معه من أهل بيته إلى يزيد ومنهم عليّ بن الحسين كان مريضاً وعمّته زينب فلمّا قدموا على يزيد سُرّ سروراً كثيراً وأوقفهم موقف السَبِيّ بباب المسجد وأهانهم وبالغ في إهانتهم ولمّا وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب على ثناياه بقضيب كان معه ويقول لقيت بعينك يا حسين وبالغ في الفرح ثمّ ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه العالم وقد أخرج أبو يَعْلى عن أبي عبيدة مرفوعاً لا يزال أمر أمّتي قائماً بالقِسط حتّى يكون أوّل من يثْلِمه رجل من بني أميّة يقال له يزيد وقد صحّ عن إبراهيم النَخَعيّ أنّه كان يقول لو كنت ممّن قاتل الحسين ثمّ أُدْخِلْتُ الجنّة لاستحيت أن أنظر إلى وجه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وسُمِعَت الجنّ تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره

وقُتِلَ يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستّين وكسفت الشمس وقت قتله ١٣،٣١،١١ كسفة أبدت الكواكب نصف النهار واحمرّت آفاق السماء مدّة ستة أشهر يُرى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة أيّام كأنّها عَلَقَة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضاً وقيل إنّه لم يُقَلَب حجر ببيت المَقْدِس يومئذ إلّا وُجِدَ فيه دم عبيط وصار الوَرْس الّذي في عسكرهم رماداً ونحروا ناقة في عسكرهم فصاروا يرون في لحمها النيران وطبخوها فصارت كالعلقم ثمّ ساروا برأسه إلى ابن معاوية فقعدوا في أوّل مرحلة يشربون الخمر فخرج عليهم قلم من حديد من حائط وصار يكتب بدم [وافر]

أَتَرجو أُمَّــةٌ قَتَلَتْ حُسَينًا شَفـاعَةَ جَدِّهِ يَومَ الحِسابِ

ثمّ إنّ يزيد ابن معاوية أمر بردّ أهله إلى المدينة وأن يطاف برأسه الشريفة في ١٤،٣١،١١ البلاد (وروى) ابن خالَوَيْه عن الأعمش عن مِنْهال بن عمرو الأسديّ قال والله رأيت رأس الحسين حين حُمِلَ وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ في سورة الكهف حتّى بلغ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ۝﴾ فنطق الرأس بلسان عربيّ فصيح فقال جهاراً أَعْجَبُ من أصحاب الكهف قتلي وحملي (وقال ابن حَجَر) ورد من طريق رواه عن عليّ عن المصطفى عليه السلام قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا (واختلفوا) في رأس الحسين بعد مصيره إلى الشام إلى أين صار وفي أيّ موضع استقرّت فذهبت طائفة إلى أنّه طيف به حتّى انتهى إلى عسقلان فلاقاه أميرها فدفنه بها فلمّا غلبت الفرنج على عسقلان افتداها منهم الصالح طلائع وزير الفاطميّين بمال جزيل ومشى إلى لقائها من عدّة مراحل ثمّ بنى عليها المشهد المعروف بالقاهرة (وذكر آخرون) أنّه حُمِلَ إلى المدينة مع أهله ودُفِنَ بالبَقِيع والّذي عليه طائفة من الصوفيّة أنّه في المدفن القاهريّ رضي الله عنهم أجمعين

ثمّ إنّ الناظم نبّه على عدم الاكتفاء برؤيته وأنّه لا يكفيه إلّا أكله جميعه فقال ١٥،٣١،١١

(قَشَرْتو جميعو) والقَشْر في الأكل وغيره أخذ الشيء جميعه أو إتلافه ويُتفاءل به ١٦،٣١،١١
ويقال (كعب فلان أقشر) و(كعبك أقشر) ومنه يقال (أكعاب وأعتاب ونواصي)
ويقال (امرأة قشراء) و (رجل أقشر) يعني أنّه قليل البركة قليل الرزق تأتي قلّة البركة
والرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك (وكان في قريتنا) رجل قصّاب يقال
له سُكَيْكَرعشق امرأة جميلة يقال لها كعب الخير فلمّا شغف بحبّها ماتت فقال فيه
بعض الأدباء [بسيط]

صُحْبَةْ سُكَيْكَرْ لِكَعبِ الخيرِ كانتْ فالْـــ
لُوكعبُ أَقْشَرْ قَشَرْها بالعَجَلْ في الحالْـــ
لَوْ شارَني الموتُ أوشفتوعلى الإمهالْـــ
قلتُ اقْتَلِعْ بو وخلّي كعبَ في الخُلْخالْـــ

(ومنه) قصّة طُوَيْس المذكورة في الكتب وكلّها أسباب يُجْرِيها الله تعالى على يد
من يشاء من خير أو شرّ وإلّا فالحديث الشريف لا عَدْوى ولا طِيرَةَ ولا فَأْل ونعق
غراب فقال رجل خير إن شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له
لا تقل هذا هل الخير والشرّ إلّا بيد الله وقوله

(قشَرْتو جميعو) أي أكلته جميعه ولا أبقي منه شيئاً لغيري لأنّي مشتهيه وعندي مجاعة ١٧،٣١،١١
شديدة فمتى رأيته لا أبقي منه شيئاً وهذا من قبيل قلّة البركة لأنّ الشخص إذا شَرِهَ
في الطعام وأرخى نفسه عليه وأكل منه زائداً عن القدر المعتاد ضرّه وآذاه وتولّد منه
الأمراض ولهذا قيل (وأكثر موت الناس بالتُخَمْ) قال الشاعر [طويل]

إذا شِئتَ أَن تَحْيَى صَحِيحاً مُنَعَّمَاً   فَكُل مِن طَعامٍ تَشْتَهيهِ قَليلا
كَما قالَ بُقْراط الحَكيمُ وغَيرُهُ   إذا قَلَّ أَكْلُ المرْءِ عاشَ طِويلا

١٨،٣١،١١ (قيل) اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هنديّ وروميّ ومصريّ فقال لهم ليصف لي كلّ واحد منكم دواء لا داء معه فقال الهنديّ الدواء الّذي لا داء معه أن تفطر كلّ يوم على شيء من بزر الهِندِباء وقال الروميّ الدواء الّذي لا داء معه أن تفطر كلّ يوم على ثلاث جرعات من الماء الساخن وقال المصريّ الدواء الّذي لا داء معه أن لا تأكل إلّا بعد الجوع وأن تقوم وأنت تشتهي الطعام فإنّك لا ترى علّة إلّا علّة الموت فقالوا كلّهم صدق المصريّ (ولمّا أرسل المُقَوقِس) ملك مصر إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة أَنْصِنا الّتي الآن خراب على شاطئ بحر النيل من إقليم الصعيد وأرسل له البغلة المسمّاة بالدُلدُل وأرسل له عسلاً من بَنْها قرية بإقليم مصر بنواحي القَلْيوبيّة أرسل معهم حكيماً وقال إن قبل الهديّة وردّ الحكيم فهو نبيّ فلمّا وصلت الهديّة والحكيم إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبلها وردّ الحكيم وقال نحن قوم لا نأكل إلّا بعد الجوع وإذا أكلنا لا نشبع فلا نحتاج إلى حكيم فلمّا بلغ المقوقس ما قاله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال يا له من نبيّ جمع الحكمة في كلمتين (وفي الحديث الشريف) جوعوا تَصِحّوا فالجوع محلّ النشاط للعبادة ويتولّد منه صحّة الجسم وعدم الأمراض خصوصاً أصحاب الرياضات وأرباب الخلوات فإنّ نتيجتهم في ذلك الجوع كما ذكر العارف بالله تعالى البونيّ في بعض كتبه أنّها لا تصحّ رياضة من أحد وفي قلبه مثقال حبّة من شبع

١٩،٣١،١١ وأمّا كثرة الأكل فإنّه ينشأ من أمور إمّا من شدّة الشره على الطعام أو يكون ذلك عادة (فقد رأينا) مَنْ أكل الماجور الطعام ولم يشبع (ورأينا) مَنْ أكل المائة بيضة مشويّة بالخبز ولم يشبع (وكان) بعض الجبابرة يأكل الفصيل مشويّاً في غدوته فأكله يوماً وأراد أن يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل إليّ وبيني وبينك فصيل (وذكر) سيّدي محيي الدين ابن العربيّ نفعنا الله به في مواقع النجوم أنّ عبد الملك كان أكولاً مرّ برجل معه زَنْبيلَيْن بيض مشويّ وتين فأكلهما جميعاً فمرض ومات بذلك (وكان الوليد) من ملوك بني أميّة جبّاراً عنيداً وكان يشرب الزقّ الخمر ويأكل الفصيل

وفتح يوماً المصحف فرأى ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فمزّقه وأنشد يقول
[وافر]

تُهَـدِّدُني بجبّـارٍ عنـيدٍ   وإنّي ذالـكَ جبّارٌ عنـيدُ
إذا ما جِئتَ رَبَّكَ يومَ حَشْرٍ   فقُـلْ يا ربِّ مزّقَني الوليـدُ

وهذا كلّه من تعنُّته وشدّة تجبُّره (وكان المأمون) يأكل كثيرًا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونيّة فصار يأكل منها فانسدّت معدته وقلّ أكله لأنّ قليلها يغذّي الشخص ولهذا نسبت إليه (وأمّا ما اتّفق) لبعض الأولياء من أنّه كان يأكل الطعام الكثير الّذي يكفي الجماعة الكثيرة إنّما هو من باب التصريف وإظهار الكرامة

(قيل مرّ رجل أكول) في سفره واجتاز بقرية فأضافه إنسان وأجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز العيش فأتاه بجانب من الخبز وذهب يأتي بالأدْم فلمّا رجع وجده قد أكل الخبز جميعه فوضع عنده الأدم وذهب يأتي له بخبز آخر ورجع فوجده أكل الأدم ولم يزل على هذه الحالة حتّى أكل جميع ما خبزته زوجة الرجل والأدم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لمّا رأى منه هذه الحالة إلى أين تمضي فقال إلى مصر قال ألك حاجة فيها قال نعم قال له وما هي قال وُصِفَ لي بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب إليه قال لآي شيء قال أنا رجل قلّ أكلي وانسدّت معدتي ومرادي شيء يصفه لي لعلّي أقطع في الأكل فقال له الرجل أنا بقي لي عليك إحسان وسألتك بالله إذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمرّ على منزلي إن كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف إذا اتّسعت ثمّ إنّه أخرجه من منزله وتوجّه إلى حال سبيله وقوله ٢٠،٣١،١١

(ما تركتُ بَقِيَّتو لغيري) أي لأحد غيري قريب أو بعيد ٢١،٣١،١١

(وَلا عِنْدي بِدا تَوْقيفْ) أي لا أتوقّف في الأكل ولا أستحي من أحد إذا كان مارًّا ولا أعزم ولا أطعم غيري منه ولا أنظر فيه إن كان باردًا أو حارًّا أو طيبًا أو مُقارَبًا أو من حلال أو من حرام فعلى كلّ حال لا أنظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الأمر ٢٢،٣١،١١

ثمّ إنّه تشوّق إلى مأكول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمنّاه واشتهاه فقال ٢٣،٣١،١١

ص

أَنَا خَاطِرِي أَكْلَةْ فِسِيخْ[1] عَلَى ٱلنَّدَهْ   أَضَالُ عَلَيْهَا بَاكِيًا وَأَسِيفْ ٣٢،١١

ش

قوله (أنا) يعني أبو شادوف لا غيري كما تقدّم معناه في أبيات غير هذا ١،٣٢،١١

(خاطري) أي مرادي ودائمًا يخطر ببالي ذلك وأنا متشوّق إليه ومشتهيه ومنتظره وهو ٢،٣٢،١١

(أَكْلَةْ فِسيخ) والأكلة واحدة الأكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البوري ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذوه ويرصّوه على بعضه البعض بعد أن يضعوا على كلّ رصّة الملح فيتنقع ثمّ يسيل منه ماء ثمّ يَضْمُر ويُصْلِحه الملح ويشدّه ثمّ إنّهم يأخذوه ويبيعوه ويأكله أهل الريف وغيرهم يأخذوا الفسيخة منه ويشقّوا بطنها ويضعها الرجل أو المرأة على يده اليسار أو في يديه الاثنين ويعصر عليها الليمون ويَنْتِش منها لُقْمة بلقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الّذي ينْهش في رِمّة مثلاً ويعلو فمه ويديه القذارة والرائحة الخبيثة ويأكلوه حتّى في الأسواق وأغرب من هذا أنّه أخبرني من أثق به من أهالي سَمَنُّود[2] أنّه دخل مطهرة مسجد وليّ على البحر يقال له العَدَويّ نفعنا الله به فرأى شخصًا من الأرياف قاعدًا في بيت الخلاء ومعه فسيخة ٣،٣٢،١١

---

١ بي: فَسيخٍ. ٢ بي (في جميع النسخ): سمانود.

ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل في بيت الخلاء فقال له أنت تطردني من بيت الله فضحك عليه وتركه

٤،٣٢،١١ ولكن له عند نساء الأرياف موقع عظيم وشهوة لا يعدّلها شيء خصوصاً أهالي الكفور وبلاد المَلَق فإنّهم لا يروه إلّا زمن النيل يُجْلَب لهم من دمياط ورشيد في المراكب ويباع عندهم بالقُمَح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب لبلاد الصعيد وغيرها وهو مشهور ببلاد مصر وأمّا البَطارِخ فإنّهم يبقوه في الهواء إلى أن يجمد ويصير يابساً عن الفسيخ وهو مأكول الأكابر وسمّي بطارخ لأنّ جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فإنّه خالي عن ذلك ويأكلوا لحمه بالخلّ والزيت وربّما أضافوا إليه الثوم والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة في بلاد المدن وغيرها يكلّفوا الأكل منه كُلْفة زائدة ويأكلوه وحده ويسمّوه صِرِص بكسر الصاد الأولى ويجعلوا البطارخ التي في جوفه في إناء ثاني ويضعوا عليه الشيرج وكلّ هذا له لذّة عظيمة لكنّه حارّ يابس واعتدال أكله في الشتاء

٥،٣٢،١١ وسمّي الفسيخ فسيخاً لتفسّخه عند الأكل أو أنّ الّذي صنعه في الأوّل خرج منه ريح عند أكله فشمّه آخر فقال فِسي إخّ فركّبوا هاتين الكلمتين وجعلوها علماً وقالوا فسيخ (قيل) سمع بعض أهل الريف قارئاً يقرأ قوله تعالى ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهي نفسك الخبيثة وقوله

٦،٣٢،١١ (على النَدَهْ) أي وقت نزول النداء لأجل برودة الزمن لأنّ الفسيخ حارّ يابس فإذا كان في أوّل النهار ربّما اعتدل أكله هذا إذا كان في زمن الصيف وأمّا زمن الشتاء ففي أي وقت كان ويستحبّ أن يشرب عليه شراباً حلواً أو يأكل[١] عليه تمراً فإنّه يُذْهِب ضرره وأذاه وقوله

٧،٣٢،١١ (أضالُ) تقدّم معناه

---

١ بي: يؤكل.

(عليها) أي على هذه الأكلة من الفسيخ لشدّة شهوة نفسي الخبيثة إليها ٨،٣٢،١١

(باكيا) أي على عدم حصول هذه الأكلة باكيًا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها ٩،٣٢،١١ على الخدود ويقال بكت السماء إذا نزل منها المطر قال تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال الشاعر [طويل]

بَكَيْتُ فأَبكاني بُكاها صَبابَةً عَلَيها فكانَ الفَضلُ للمُتَقدِّمِ

وهو مشتقّ من بكّ الجرح إذا خرج منه الدماء

وقوله (وأَسيفْ) سكّنه لضرورة النظم لأنّ أصله أضال أسيفًا على هذه الأكلة حتّى ١٠،٣٢،١١ تحصل لي فلا ينفكّ عنّي الحزن حتّى آكل منها وأشبع والأسف هو شدّة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق قال الشاعر [طويل]

ومـا أَسَفي إلا على مَنْ أَوَدّهُ ومَنْ لا أَوَدّو ما عليه مَـلامُ

ثمّ إنّه انتقل من شهوة الخبيث إلى الطيّب فقال ١١،٣٢،١١

ص

عَلَى مَنْ نَضَـرْ فِي فُـرْنِ دَارُو طَوَاجِنْ زَغَـالِيلَ مِنْ بُرْجِ ٱبْنْ ابُو شَعْـنِيفْ ٣٣،١١

ش

قوله (على من نَضَرْ) بالعين ١،٣٣،١١

(في فُرْنِ) وهو ما تُضْرَم فيه النار ويُخْبَز فيه الخبز وتقدّم تعريفه في الجزء الأوّل من ٢،٣٣،١١ هذا الكتاب

٣،٣٣،١١ (دارو) أي دار الناظم فالضمير في داره راجع إليه يعني لا يكون في دار غير داره ولا تكون الطواجن في فرن غير فرنه لأجل ما يصير مطمئنّ الخاطر منشرح الصدر إذا حصل له ذلك وقوله

٤،٣٣،١١ (طواجنْ) جمع طاجن وتقدّم تعريفه ملآنة

٥،٣٣،١١ (زغاليلَ) وهي أفراخ الحمام البَرّي المتّخذة من الأبراج ويقال له الحمام الغيطيّ لأنّه يرعى في الغيطان ومحلّات الزرع والأجران وأكلها نافع يقوّي الباه إذا أضيف لها الحرارات والسمن البقريّ فلا تسأل عن جودة طعمها ولذّة أكلها والحمام اسم شامل لكلّ ما عبّ وهدَر ثمّ إنّه بيّن أنّ الزغاليل الّتي أشار إليها لا تكون إلّا

٦،٣٣،١١ (من بُرْجِ) لا من الزغاليل المتولّدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض فيه قواديس فخّار يأتي إليه الحمام البرّيّ ويَبيض في تلك القواديس ويفرّخ ويخرى فيها أيضاً ويسمّوه عندهم رسمالاً يأخذوه لزرع البطّيخ والنخل ويطعموه به وأمره عندهم مشهور ويأخذوا من أفراخه ويبيعوا ويذبحوا وهكذا في سائر البلاد واسم الزغاليل مشتقّ من الزَغَلَنْته وهو نبات أزرق اللون شُبِّهَتْ به الزغاليل لزرقة ريشها أو أنّه مشتقّ من الزُغَلِيَّة طائفة يصنعوا الفضّة الزَغَل ويسمّوا الأنصاف الفضّة العصافير ويسمّوا القِرْش فرس والفحم الّذي يصنعوا به زبيب والكِير الّذي ينفخوا به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة لكن تراهم دائماً في شدّة خوف من الحكّام وفقر زائد وقلّة بركة (وسئل الإمام الشافعيّ) رضي الله عنه عن الكيمياء فقال أعرف من افتقر بها لا من استغنى فكذلك الحمام في كلّ قليل يدخلوا عليه ويأخذوا أفراخه ويذبحوهم ويبيعوا منهم فهم دائماً في خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زُغْلول كما أنّ واحد الهبابيل هِبَّوْل والبرج مشتقّ من التبرّج وهو المباهاة بالزينة قال تعالى ولا ﴿مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾

٧،٣٣،١١ (مسألة هباليّة) هل بين الحَمَام الطائر والحَمّام المعروف ببلاد المدن المُعَدّ للغسل ونظافة الأجساد مناسبة مع أنّ اللفظ واحد لا يختلف إلّا بتشديد الميم الأولى أم كيف الحال (قلنا الجواب الفشرويّ) أنّ المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسيّ ووجه طبيّ (فالأوّل) أنّ الحمّام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لأفراخه وتغريده وهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لأفراخه يشبه الخلاوي والاجتماع بالأولاد المرد لأجل التكبيس والتكييس ونحوه وصعوده بعد ذلك إلى أعلى البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمّام يكتسبون أرزاقهم ومعاشهم كما في الحديث لو أنّكم توكّلتم على الله حقّ التوكّل لرزقكم كما يرزق الطَّيْر تغدو خِماصاً وتعود بِطاناً فكان هذا هو وجه القياس الفطيسيّ (والوجه الثاني) أنّ الحمّام حارّ رطب ينفع جميع الأعضاء إذا كانت حرارته معتدلة وأحسن الحمّامات ما قَدُمَ بناؤه واتّسع فِناؤه وفيه منافع كثيرة حتّى قيل إنّه الطبيب الأبكم وكذلك لحم الحمام فإنّه مسخّن محرِّك للباه وإن كان في أفراخه الرطوبة والغلظ لا سيّما إذا أضيف إليها الحرارات كما تقدّم فإنّ نفعها يكون تامّاً وأجودها الحمام البرّيّ وأمّا المربّى في البيوت فإنّ المداومة على أكله يتولّد منها الحمّى وزيادة الدم فكان في ذلك المناسبة للحمّام من هذا المعنى فاتّجه الجواب عن هذا الهبال

٨،٣٣،١١ (أمّا اسم الحمام الطائر) فهو مشتقّ من الحَوْم وهو التردّد في الطَيَران يقال حام الطائر يحوم إذا فعل ما تقدّم ومصدره حام يحوم حوماً (وأمّا الحمّام المبنيّ) فإنّه مشتقّ من الحُمَّى وهي السخونة لأنّ الشخص إذا دخله صار كأنّه متلبّس بالحمّى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق أو من الحموم وهو الغطوس في الماء من قولهم فلان استحمّى في البحر بمعنى أنّه سبح فيه وغطس أو من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ومن ذلك قوله تعالى ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ ويطلق على الصديق المحبّ لما في المحبّة من شدّة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾

أي محبّ يشفع لهم ولشدّة حرارته وقوّة أفعاله شُدِّدَتْ ميمه الأولى (وأمّا الِحمام) بكسر الميم فهو الموت فإنّ حاءه ما كُسِرَت إلّا لأنّ الشخص يكون في حال حياته في قوّة وشدّة فإذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق إلّا أثره قال الشاعر [خفيف]

هـذه آثارُنا تـَدُلُّ عَلَيـنا   فـانظُروا بَعدَنا إلى الآثارِ

وهو مشتقّ من الشدّة يقال حمّ الأمر إذا اشتدّ ولا شكّ أنّ الموت شدّة عظيمة في معالجة طلوع الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الأبحاث الفشرويّة والمصادر الهباليّة وقوله

(ٱبْن) ويطلق عليه ولد ونَجْل يقال ولد فلان ونجل فلان ٩،٣٣،١١

(اَبو شَعْنِيفْ) أصله أبي ولكن لم يساعده لسانه لعجرفته في الكلام وهذه كنيته وأمّا ١٠،٣٣،١١ اسمه الأصليّ فهو عفلق أو بحلق على ما قيل وابنه المذكور في النظم اسمه فلحس وهو من أسماء الكلب واشتهر بهذه الكنية لأنّه كان يسرق الحشيش المسمّى بالنيف المتقدّم ذكره ويضعه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال في البلد شاع بالنيف أي بسرقة النيف ثمّ إنّهم حذفوا الجارّ والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركّبوه تركيباً مزجياً وقالوا شعنيف مشتقّ من الشعنفة على وزن القلحفة ولعلّها معناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة

ثمّ إنّه بيّن كيفيّة مأكوله في الزغاليل وأنّهم يؤكلوا بالفطير ١١،٣٣،١١

ص

وَفَطّرْ[١] فَطَايِرْ مِنْ طَحِينِ ٱبْنِ عَمُّو   وَيَقْعُدْ لَهَا قَعْدَةْ غُـلاَمٍ حَسِـيفْ ٣٤،١١

١ بي: وٱفَطِّرْ.

ش

قوله (وفَطَّرْ[1]) على وزن وشمّر قال الشاعر [طويل] ١،٣٤،١١

وَشَمَّـرَ عن أَيْرٍ وطَرْطَرَ عامدا   عليها ببولٍ فَهْيَ في البَول تَغْرَقُ

ومعناه أنّه يقول إذا حصلت لي هذه الطواجن الزغاليل وأشفى الله مرادي بحضورها عندي لا يلذّ لي أكلها إلّا بالفطير فلهذا قال

٢،٣٤،١١ (وَفَطَّرْ[2] فطايرْ) مصدرٍ مثل عمل عمايل أو مثل قشر قشاير ومعناه بطط أو صنع فطيرًا والفطاير جمع فطيرة وتُجْمَع على فطير مثل خَمِيرة وخَمِير أو حمارة وحمِير والفطير قيل إنّه ثقيل غليظ لا يوافق الآدميّ لأنّه يولّد الأرياح هذا إذا أُكِلَ وحده وأمّا مع غيره فلا بأس به هذا كلّه في فطير الريف الّذي أراده الناظم يأخذوا الدقيق لا غير ويعجنوه بالماء من غير خمير ويضعوه في الفرن أو يدمّسوه في الجورة ويقال له فطير دَمّاسيّ ثمّ إنّهم يأخذوه ويأكلوه فهذا هو الثقيل المنهيّ عنه (وأمّا الفطير) الّذي تفعله الأكابر فهو من الدقيق العَلامة ويَبُسّوه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به أو الّذي يصنعوه وقت عجنه بالسمن ويخبزوه للفطور ونحوه فهذا هو المطلوب وأمّا الكلام فيما تقدّم وقوله

٣،٣٤،١١ (من طحينِ ابْنِ عمّو) واسمه غنداف أي يكون ابن عمّه يتبرّع له به من غير مُقابِل أو يعيره الدقيق حتّى يفتح الله عليه ويردّه له أو يهبه إيّاه أو يتمكّن من سرقته ويخبزه في الفرن أو الجورة ويخرّج الطواجن الزغاليل من الفرن ويفتّ في مرقها الفطاير المذكورة ويتأهّب للأكل منها

٤،٣٤،١١ (ويَقْعُدْ لها) أي للزغاليل أو لمجموع ذلك

٥،٣٤،١١ (قَعْدَةْ) أي مثل قعدة

١ بي: وأَفَطَّرْ. ٢ بي: وأَفَطَّرْ.

(غلامٍ) وهو الذي أطرّشاربه قال الشاعر [بسيط] ٦،٣٤،١١

مِنّا الغُلامُ الّذي أَطَرَّ شاربُهُ   والعَانِسون ومِنّا المُرْدُ والشِّيبُ

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشدّة وقوله

(حَسيفٌ) صفة لغلام أي عنده حسافة أي تفكّر وكآبة وشدّة جوع وحزن فأكون مثله عندي تفكّر وشدّة جوع فما أصدّق أن أرى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتّى أكتفي ويذهب جوعي وتنقضي شهوتي مثل الغلام الّذي اعتراه الحزن والأسف وقعد متفكّرًا حتّى يُذْهِب الله حزنه ويجمعه على أحبابه وفرح وانسرّ بلقائهم فإنّ اجتماع الأَحِبّة عيد ٧،٣٤،١١

(كما اتّفق) أنّ بعض العارفين مرّ برجلين يأكلان في رمضان فقال لهما ما أمركما قالا نحن محبّين صادقين فرّقنا الدهر مدّة ثمّ اجتمعنا في هذا اليوم واجتماع المحبّين عيد وصوم العيد حرام فقال ما علامة محبّتكما فقال أحدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح فصارت أرواحهما وأجسادهما كأنّهما روح واحدة في جسد واحد كما قال الشاعر [رمل] ٨،٣٤،١١

نَحنُ جِسمَينِ بِجَسمٍ واحدٍ   نَحنُ روحَينِ حَلَلْنا بَدَنا

وقال ابن العربي نفعنا الله ببركاته [طويل]

ولمّا التَقَينا للوَداعِ حَسِبتُنا   لدى الضمِّ والتَّعنيقِ حَرفًا مُشَدَّدا
ونَحنُ وإِنْ كُنّا مُثنّى شُخوصُنا   فَما تُبصِرُ الأَبصارُ إلّا موحَّدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبّين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين

ثمّ إنّ الناظم انتقل إلى شهوة أخرى فتمنّاها وقال ٩،٣٤،١١

ص

عَلَى مَنْ نَضَرْ طَاجِنْ سَمَكْ فِي فُرِيْنِهِ[1] وَلَوْ كَانَ يَا ٱخْوَانِي بِلَا تَنْـضِـيفْ ٣٥،١١

ش

قوله (على من نَضَرْ) بعينه لا سمع بأذنه ١،٣٥،١١

(طاجنْ) ملآن ٢،٣٥،١١

(سمكْ) والسمك اسم جنس شامل لأنواع كثيرة أحلّ الله تعالى أكله هو والجَراد حيّاً وميّتاً قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أُحِلَّتْ لنا ميّتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف وأجوده الطريّ وإذا طُبِخَ بالسمن والبصل والكوامخ الحارّة اعتدل وزاد في الباه والمالح أحرّ من الطريّ وايبس ونفع الكبير منه أن يؤكل مع شراب عتيق وزبيب ونفع الصغير أن يؤكل بشراب عتيق وفالوذَج خصوصاً إذا كان متّخذاً من ماء عذب جاري والمفلّس منه أَوْلى من غيره (قال بعض الحكماء) كلْ منه ما تفلّس واترك منه ما تملّس والمتفلّس منه مثل البوري والقجّاج والبنّي فإن كلّ واحد منهم له لذّة عظيمة ويتفاوتوا في الطعم واللذّة أمّا البوري فيُحْشَى بالبصل والحرارات ويعمل على الأرزّ المفلفل ويعمل أيضاً في الطواجن مَرَقَةً وغيرها وله لذّة عظيمة ويعمل بالكشك أيضاً وأكلتُه بدمياط مراراً ويعمل أيضاً بأرزّ لكن قليل عن المفلفل ويضيفوا إليه ماء الليمون ويسمّوه فقاعية وأكلتُه وله لذّة عظيمة وطعميّة لطيفة وأمّا القجّاج فإنّه أرقى رتبة وأطيب طعماً من البوري وهو يشبه الشَبار الكبير وفي المثل إذا عَدِمَ الدجاج كلّ القجّاج * ويتنوّع في الأطعمة مثل البوري (وأمّا السمك البِنّيّ) ألذّ في الطعميّة من الكلّ ولا يوجد إلّا في قاع البحر العذب يتحيّلوا على صيده ويأخذوه ويهادوا به الأكابر والأمراء والوزراء وهو

[1] بي: فُرَيْنو.

جيّد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصاً إذا قُلِيَ وحُشِيَ فلا تسأل عن لذاذة طعمه فإنّك تودّ أن تأكل أصابعك من حسنه وفي المثل يقول لسان حال البنّيّ (إن رأيت أحسن مني لا تأكلني) ونوع من السمك يقال له شَبار له مرارة في الطعم ولذاذة في المأكل وقد ورد أنّه يأكل من حشيش الجنة

٤،٣٥،١١ وكلّ هذا بعيد عن مقصد الناظم وإنّما مراده السمك الّذي يصيدوه من بلاده لمّا ينزل عنها ماء النيل وتصير بِرَك ونُقَر ملآنة بالماء فيتولّد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصِير ونحو ذلك فتنزل أولادهم ويصيدوا منه فيأتوا به وينظّفوه ويضعوه في الطواجن ويضعوا عليه شيئاً يسيراً من الزيّحار وبعض بصل مخروط ويضعوه في الفرن يأخذ قوامه فيأكلوه بخبز الدرة أو الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم ألذّ المأكول ويأتوا بالقراميط السود الصغار ويدفنوها في الجورة إلى أن تنضج يسيراً ويأكلوها ودمها سائل أعاذنا الله من ذلك

٥،٣٥،١١ وبذكر السمك ذكرت (ما اتّفق أنّ رجلاً كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال) وكان زوجها من إخواننا المطاعيم المغفّلين فمرّ عليها يوماً وقال لها طال الموعد فقالت له في غد تأتيني أخير النهار ثمّ إنّها أصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك أطبخه في هذا اليوم ونأكله فمضى إلى السوق وأتى به فنظّفته وأصلحت شأنه ووضعته في طاجن كبير وقالت له خذه وامض به إلى الفرّان وأَرِحنا من طبيخه وقل للفرّان أن يرسله مع غلامه أذان العصر فأخذه زوجها وذهب به إلى الفرّان وأعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعاً وطاعة ثمّ إنّ الفرّان طبخه وأرسله لها في الوقت المعلوم فبينما هي جالسة وإذا بصاحبها الّذي أوعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع وأكل من ذلك السمك وتملّى بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها في الحديث إذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شيء والزم الصمت ولا تتكلّم ثمّ إنّها فتحت لزوجها الباب وأظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الّذي أصابك فقالت له أتاني غلام الفرّان بالطاجن السمك فلمّا كشفته وأكلت منه طلع لي رجل فجلست خائفة مرعوبة ولم يزل في البيت جالس قال فطلع زوجها يجري بسرعة فرآه جالساً

فقال له من وضعك في الطاجن هل هو الفرّان أو غلامه قالت له خذه وامضي إلى الفرّان يخبرك بحقيقة الحال وقل له من اليوم لا بقيت توضع لنا في طاجننا أحدًا يخوّفنا ويشوّش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجّه به إلى الفرّان وأعلمه بالقصة فعرف الفرّان الأمر وحقيقة الحال فقام وضرب الرجل وقال له أنا وضعتك في طاجن اللحم خالفتني ونزلت في طاجن السمك إن بقيت تخالفني شوّشت عليك فقال الرجل للفرّان يا سيّدي ما عدت أخالفك أبدًا الطاجن الّذي توضعني فيه لا أطلع منه أبدًا ثمّ إنّ الفرّان قال لزوجها أخبر زوجتك أنّي شوّشت عليه ولا بقي ينزل لها في طاجن أبدًا قال فمضى زوجها وأخبرها بالقصّة ففرحت وقالت إن عاد يوضع[1] لنا أحدًا في طاجن ما بقينا نطبخ عنده شيئًا أبدًا ثمّ تركها زوجها ومضى إلى أشغاله فانظر إلى هذا الطعم الحيدريّ وإلى هذا التغفّل العظيم

(ومن العجائب) أنّ بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبًا على جانبها بقلم القدرة لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فأطلقها كرامةً لكلمة الشهادة (وأعجب من هذا) أنّ بعض الأولياء كان في سفينة فهاجت الريح وأشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الوليّ اسكن أيّها البحر فما على ظهرك إلّا بحر مثلك أي بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح بإذن الله تعالى فخرج من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم أنّك بحر علوم ومعرفة ولكن أنا أسألك عن مسألة تردّ جوابها قال قولي فتكلّمت السمكة بلسان فصيح وقالت له إذا مُسِخَ الرجل هل تَعْتَدُّ زوجته عدّة الأحياء أم عدّة الأموات فتحيّر الشيخ في أمره ولم يردّ جوابًا فقالت له السمكة أين دعواك فقال إنّي استغفر الله ممّا قلت فأرشديني إلى الصواب فقالت له إن مسخ جمادًا تعتدّ عدّة الأموات وإن مسخ حيوانًا تعتدّ عدّة الأحياء ثمّ إنّها غابت في البحر فتاب الوليّ من دعواه ورجع إلى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه أنّه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كلّ شيء فعجائب البحر لا تُحْصى ٦،٣٥،١١

---

[1] بي: توضع.

وبذكر قصّة الفرّان والسمك تذكّرتُ أنّ حفظ الوداد قليل في الناس ويعجبني قول ١١،٣٥،٧ بعضهم [طويل]

لَقَد كانَ لي خِلٌّ عَلِمْتُ وَلاءَه   وَكانَ صَدوقًا في المَقالَ خَليـلا
فَخانَ وِدادي ثُمَّ أَنكَرَ صُحْبَتي   فَيا لَيتَني لَم أَتَّخِذهُ خَليـلا

وقال بعضهم [وافر]

وإِخوانٍ حَسِبتُهم دُروعًا   فَكانوها ولكنْ للأَعادي
وخِلْتُهمُ سِهامًا صائِباتٍ   فَكانوها ولكنْ في فُؤادي
وقالوا قَد صَفَتْ مِنّا قُلوبٌ   لَقَد صَدَقوا ولكنْ عَن وِدادي
وقالوا قَد سَعَينا كُلَّ سَعْيٍ   لَقَد صَدَقوا ولكنْ في فَسادي

وقال آخر [بسيط]

لأَضرِبَنَّ رجائِي ألف مَقْرَعَةٍ   حَدًّا وأَنْصُبُ آمالي على خَشَبَهْ
لِعِشرَتي لأُناسٍ لا خِلاقَ لَهمْ   بِيضُ الثِّيابِ وأقفالٌ على خَرِبَهْ

ومن كلام الإمام الشافعيّ رضي الله عنه [بسيط] ١١،٣٥،٨

أُبْعُدْ عَنِ النّاسِ كُلَّ بُعْدٍ   ما لم تكنْ بَينَهُم مجمَّلْ
ولا تَقُلْ كانَ لي أَيادٍ   عَليهِمُ في الزَّمانِ الأَوَّلْ
المَرءُ بَينَ أَهلِهِ كُلَيْب   إِذا رأَوا ذَيلَهُ مُهَلْهِلْ

وقال أيضا رضي الله عنه [وافر]

لِقاءُ النّاسِ لَيس يُفيدُ شيئًا سِوى الهَذَيان من قيلٍ وقالِ
أَلا فاقْلِلْ لِقاءَ النَّاسِ إلّا لأَخذِ العِلمِ أو إِصلاحِ حالِ

وقال بعضهم [بسيط] ٩،٣٥،١١

مـا في زَمـانِكَ مَن تَرجو مَوَدَّتَه ولا صَديقٌ إذا جارَ[1] الزَّمانُ صَفا
فعِشْ فَريداً ولا تَركَنْ إلى أَحدٍ إِنّي نَصَحتُكَ فيما قَد جَرى وكَفى

ولابن عروس قطب بلاد المغرب [مجتثّ]

النّاسُ بحرٌ عَميقٌ والبُعدُ عَنهُمْ سفينهْ
إني نَصَحْتُكَ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ المِسْكينهْ

وقوله (في فُرَيْنه[2]) أي فرن الناظم وصغّره لأجل النظم بمعنى أنّه يأتي من الغيط أو الجرن ١٠،٣٥،١١ فيراه في الفرن حاضرًا مطبوخاً من غير أن يتكلّف لصيده وتحويجه من الزيت الحارّ والبصل ونحو ذلك وقوله

(ولو كانَ) هذا السمك الّذي أتمنّاه ١١،٣٥،١١

(يَا ٱخْواني) يخاطب به أصحابه وأحبابه والإخوان هم الأصدقاء والمحبّون وكلّ المؤمنين ١٢،٣٥،١١ إخوانًا في الله تعالى قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (وفي الحديث) المؤمنون كالبنيان يشدّ بعضهم بعضاً وقال بعضهم من فقد إخوانه فقد مروءته

(قيل) أتى رجل إلى المأمون فقال له أنا أخوك أعطني من بيت المال ما يكفيني فقال ١٣،٣٥،١١ له من أين أنت أخي فقال من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فقال صدقت أعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرض أنّي فرّقت بيت المال على

---

١ بي: جاز. ٢ بي: فُرَيْنو

إخوتك ربّما يحصل لك أقلّ من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشيء سوى الدرهم وقيل زاده عليه وارتدّ شاكرًا (وكان المأمون) رحمه الله يحبّ الحِلم والعفو حتّى أنّه كان يقول حُبِّبَ إليّ الحلم حتّى ظننت أنّي لم أثاب عليه (ومن حلمه) أنّ جارية من جواره قدّمت إليه لحمًا مشويًّا في أسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها وأتلفها فنظر إليها فقالت ﴿وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال قد كظمت غيظي فقالت ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فقال قد عفوت عنك فقالت ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال أنت حرّة لوجه الله تعالى وهذه مَلكَة عظيمة في الحلم والعفو لا يقدر عليها أحد رحمه الله وقوله

(بِلا تَنْضيفٌ) أي ولو كان يجد هذا السمك في طاجن في فرنه من غير غسيل ولا تنظيف بالماء بل يرصّوه في الطاجن بعظمه وقحوفه حتّى يصير مثل المشويّ في الجورة فتمنّى الأكل منه ولو على هذه الحالة لشدّة فقره وقلّة ما بيده وقوّة شهوته لرؤياه والأكل منه وفي المثل (الغريق يستند على القَشّ) وفي مثل آخر (بطينه ولا غسيل البِرَك) فعلى كلّ حال إنّه سدّ جوعه وقضي شهوة فالشخص إذا اشتهت نفسه شيئًا ولو أنّه حقير متى وجده كان عنده عظيمًا وأكل منه أكلاً زائدًا فإنّ الشهوة البهيميّة ترمي صاحبها على أخبث المأكول فكلّ من أطاع نفسه وهواه خسر (قال سيّدنا عيسى) عليه الصلاة والسلام لن تنالوا ما تطلبون إلّا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله تعالى [بسيط] ١٤،٣٥،١١

وخالِف النَّفسَ والشَّيطانَ واعْصِهما وإنْ هما مَحَضَاكَ النُّصحَ فَاتَّهِمِ

فمخالفة النفس فيها النجاة والراحة للإنسان والثواب في المعاد (قيل مكث سيّدي عمر بن الفارض) نفعنا الله به مدّة يشتهي أكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر إلى أن حصلت له يومًا وهو في الخلوة فمدّ يده ليأكل منها فانشقّ حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال له أُفٍّ عليك يا عمر فقال إنْ أكلتها ثمّ إنّه تركها ولم يأكلها بقية عمره وخالف نفسه

(ومن النكت المضحكة) أنّ بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائمًا يقول له خالف نفسك إذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تُطِعْها أبدًا فأتى لشيخه يومًا طعام مفتخر ووُضِعَ بين يدي التلميذ صحن عدس وكان الّذي وُضِعَ بين يدي شيخه أرزّ مفلفل بلحم ضاني محمّر فمدّ التلميذ يده أخذ الصحن من قدّام شيخه ووضعه مكان صحن العدس فقال له شيخه أنا ما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيّدي حدّثتني نفسي أنّي آكل من هذا العدس فخالفتها وأكلت من هذا اللحم الضاني بالأرزّ المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يومًا الخلوة فوجد التلميذ يلوط به فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيّدي حدّثتني نفسي وقالت لي نِيك الشيخ فخالفتها وفعلت في هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله ما أشقاك وما أخبثك فخرج من عنده ولم يعد إليه ١٥،٣٥،١١

ثمّ إنّ الناظم اشتهى شيئًا لم يُرَ في بلده إلّا يوم عيد النحر فقال ١٦،٣٥،١١

ص

عَلَى مَنْ رَأَى فِي ٱلتَّلِّ كِرْشَ مُلَقَّحْ   وَمِنْ فَوْقِهِ ٱلدِبّانْ يِعِفُّ عَفِيفْ ٣٦،١١

دَآنَا آنْ شُفْتُهُ[١] خَدْتُو بِحَالُو سَلَقْتُو   وَكَلْتُو بِتِفْلُو مَا أَرَى تَقْنِيفْ

ش

قوله (على من رأى) أي رؤية بصريّة كما تقدّم في غير هذه الأبيات ١،٣٦،١١

(في التلّ) أي تل بلده وهو الكوم العالي ويكون في الغالب حول البلد لأنّ كلّ من كان عنده تراب أو رماد يكبّه قدّام داره برّا البلد قصاد بيته وجاره مثله وهكذا إلى أن يتّصل ببعضه البعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يُلقوا فوقه من القمامات وغيرها حتّى يصير كومًا عاليًا يُرى من بعيد وبجانبه أيضًا محلّات خالية يشخّوا فيها جميعًا ٢،٣٦،١١

١ بي: شُفْتو.

نساء ورجال وأولاد وغالبهم يخروا فيها أيضاً ثمّ إنّ النساء والرجال يصعدوا إليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك وربّما وقع بينهم الشرّ عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه في جبّته أو يسيل على ردائه حتّى يغرقها أي جبّته ويضارب رفيقه ورداؤه عليها الخراء وهكذا ثمّ يوؤل أمرهم إلى الصلح أو القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشوا عن الكلام في غزل الصوف والفَلّ وغير ذلك لأنّهم لا يعرفوا المراحيض ولا تُبْنى عندهم ولا يقدروا عليها إلّا أن تكون في دار الشادّ بالكفر له ولجماعته يشخّوا فيها قال الشاعر [طويل]

سَألتُ بَني الأريافِ ما لِبُيوتِكمْ مَراحيضُ قالوا لا مَراحيضَ للقَوم
فقلتُ فماذا تَصنَعوا في نِسائِكمْ فقالوا جَميعاً نَحنُ نَخرا على الكَوم

فالتلّ والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمّى عندهم أيضاً العِلِّيّة بكسر العين المهملة وتشديد اللام مع كسرها قال الشاعر [وافر] ١١،٣٦،٣

أتيتُ الكَفْرَ في ضَحْوَةْ رأيتُ أهلو جميعْ شالوا
وراحوا فوقَ عِلِّيّةْ عليها الكلُّ قد بالوا

أي طلعوا كلّهم فوقها وشخّوا عليها جميعاً نساء ورجال وأطفال

وتطلق العلِّيّة عندهم على الغرفة المبنيّة من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم في العلالي أي إنّه صار يجلس عالي عن الناس وبقي له في الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال شاعرهم [وزن غير معروف] ١١،٣٦،٤

جوز غزلان يا محلاهم شاقني على القَدَم حِنّاهم
متى يا زمان تجمعنا في العلالي أنا وإياهم

ولا يكون التلّ أو الكوم مختصاً لقضاء الحاجة عندهم بل ربّما اتّخذوا ذلك للمحادثة والمنادمة والمسامرة فيما بينهم ولغزيل الفلّ والصوف ونحو ذلك

(فإن قيل) إنّ الناظم قال (في التلّ) فيُفْهَم منه أنّه يرى الكرش في جوف التلّ فيكون متواري عنه وأكّد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبّان) والدبّان لا يسقط إلّا على شيء ظاهر لا على شيء مغطّى مستور كما تقول فلان في الدار أي في داخلها فما الجواب (قلنا الجواب الفشرويّ) أنّ في بمعنى على أي كرش ملقّ على التلّ أو الكوم كما يقال فلان في الجبل أي فوقه لا داخله لأنّه لا يستطيع أن ينفد الجبل ويدخل فيه أو أنّ حرف الجرّ على بابه ويكون قوله (في التلّ) بمعنى أنّ في جوف التلّ نقرة يشخّوا فيها ويرموا فيها الكروش مثلاً فصدق عليه أن الكروش في جوفه وإن كان ظاهراً يُرى للناس فاتّجه الإشكال عن وجه هذا الهبال وقوله ١١،٣٦،٥

(كِرْشْ مُلَقّْ) أي كرش البهيمة التي يذبحوها يوم عيد النحر لأنّهم لا يروا اللحم إلّا في ذلك اليوم ولا يمكن أنّهم يلقوا الكرش على التلّ بل يأخذوه ويلقوا ما فيه من التِفْل ويغسلوه ويطبخوه مع بقيّة حوائج البهيمة ويسمّوه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم (وأمّا في بلاد المدن) فإنّه من الضأن ويضيفوا إليه الرأس والكوارع ويسمّوه سَقَط ويصنعوه بالحرارات والسمن والكزبرة ويصبّوا عليه الخلّ ويصير له لذّة عظيمة فيبيعوه بالرأس تارة مدروجة في الكرش مغسولاً نظيفاً وتارة بغيرها والرؤوس يبيعوها مشويّة وحدها والكوارع تُصْنَع تسقية يبيعوها ويصبّوا عليها الخلّ والدهن والثوم ولها لذّة عظيمة كما هو مشهور في بلاد المدن وأمّا أهل الريف فإنّهم يصنعوا جميع ذلك في الدست أو البِرام ويضيفوا عليه الكزبرة وقليلاً من الشيرج ويقلّوا له بشيء من البصل أو الثوم ويأكلوه ولا يعرفوا السمن ولا الحرارات ولا شيئاً من ذلك وربما سلقوا ذلك بالماء وأكلوه حكم المرقة ١١،٣٦،٦

والكرش مشتقّ من التكرّش وهو البروز والظهور أي إنّه كرش بارز ظاهر كما يقال للحائط إذا برزت منه حجارته عن سَمْتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرّش أي ١١،٣٦،٧

آيل للسقوط وفلان صاحب كرش أي كرشه ظاهر كبير خصوصاً إذا كان رجلاً سميناً جسيماً فإنّ كرشه يظهر كبيراً خارجاً وفي الحديث إنّ الله يكره الحَبْرَ السمين لكن هو ممدوح في الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحماً ولحماً فإذا ذبح على هذه الحالة وأُدْرِجَتْ رأسه في كرشه فيكون سقطه لذيذ عن غيره لسمنه وكثرة شحمه

(ومن المناسبة) أنّ السلطان قِزِلْبَاشْ أرسل إلى السلطان الغوريّ يهدّده بهذه الأبيات [سريع] ٨،٣٦،١١

السَّيفُ والخَنجَرُ رَيحانُنا أُفٍّ على النَّرجِسِ والآسِ
شَرابُنا مِن دَمِ أَعدائِنا وكَأْسُنا جُمجُمَةُ الرَّاسِ

فأجابه السلطان الغوريّ يقول [سريع]

لله في عالَمِه خاتمٌ تجري المقاديرُ على نَقشِهِ
لا تَنْبُشِ الشرَّ فتُبْلَى بِهِ واحذَرْ على نَفسِكَ من نبشِهِ
مَصارِعِ البَغْيِ لها صَوْلَةٌ تُنكِّسُ السلطانَ عن عرشِهِ
لما طغى الكبشُ بشحم الكلى أُدْرِجَ راسُ الكبش في كرشِهِ
ونحن إن لم نَرْجُ أو نبتغي كالميّتِ محمولاً على نعشِهِ

فلم يرتدع بما أرسله له السلطان قانصوه الغوريّ بل سار إليه بخيله ورَجْله فتلّقاه نائبه وردّه خائباً وألقى الله كيده في نحره ولم يفده ما وعظه به السلطان قانصوه الغوريّ بقوله (لمّا طغى الكبش بشحم الكلى) الخ وهذا مثال الرجل الظالم إذا طغى وتجبّر ربّما أخذه الله تعالى بَغْتَةً وفي الحديث إنّ الله ليُمْهِلُ الظالم ولا يُهْمِلُهُ فإذا أخذه لم يُفْلِتْهُ ٩،٣٦،١١

فالناظم تمنّى من الله تعالى وترجّى من كرمه وحلمه أن يرى كرشاً مرمياً على التلّ أي الكوم غفَلوا عنه أصحابه وتركوه نسياناً أو أنّ الشادّ بالكفر ذبح كبشاً وألقى كرشه على ١٠،٣٦،١١

التلّ فإنّ أهل الريف إذ ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركوا منها شيئاً ويأخذوا كرشها وجميع حوائجها يطبخوه ويأكلوه فالناظم ترجّى أنّ الدهر يغلط يوماً ويرى هذا الكرش الّذي تمنّاه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة أهل الكفر في بهيمة

(و) لو كان ١١،٣٦،١١

(من فوقِهِ الدِّبّانْ) وهو الذبّان وإنّما استعمله العوام بلفظ الدِبّان لثقل الذبّان على ١٢،٣٦،١١ ألسنتهم ومفرده دبّانة ودبّون مفرد الذكور منه والدبّان على وزن الخرفان أو الجديان والدبّون على وزن المحون أو المأبون قال بعض شعراء أهل الريف مواليا [بسيط]

في خاطري يا مليحْ لو كنتُ دبّانهْ
وٱحطّ فوقْ شَفَتَكْ وٱنْشّ ٱقولْ دانهْ
علَيَّ ويابو حَسَنْ لكْ عينُ نعسانهْ
غيري تواصلْ وٱناجي لكْ تقولْ نانهْ

وللذباب خواصّ كثيرة ومنافع مذكورة في بعض الكتب منها أنّه إذا أُخِذَت ١٣،٣٦،١١ ذبابة ورُبِطَت وهي حيّة في شرموط بحيث أن يكون واسعاً عليها بحيث لا تموت وعُلِّقَتْ على من يشتكِ الرمد خُفِّفَت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لأيّ شيء خلق الله الذباب فقال ليُذِلّ به الجبابرة لأنّه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يَطلوا أصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليهم الذباب فأنزل الله تعالى توبيخاً لهم ولأصنامهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (والذباب) له أعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير إلّا أنّ فمه واسع وأرجله قصيرة عن أرجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة في فمه ويلقيها في شيء يخرجه من فمه كنسيج العنكبوت فلم تزل معلّقة فيه إلى أن تموت

(وذكر العارف بالله تعالى سيّدي عبد الوهّاب الشعرانيّ في المِنَن) أنّ زوجته أمّ عبد الرحمن أصابها مرض شديد أشرفت به على الهلاك فدخل يوماً بيت الخلاء فسمع هاتفاً يقول له خلّص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلّص لك زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ إلى الحائط فسمع حسّ الذبابة فتحايل وخلّصها فخلّصت زوجته في الحال وشفاها الله تعالى وقوله

(يِعفُّ عَفيفْ) أي يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتصّ منه الرطوبة ونحوها ويِعفّ بكسر الياء المثنّاة من تحت وكسر العين المهملة يقال عفّ الذباب على الشيء إذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض وأمّا بفتح المثنّاة وضمّ العين فمن العِفّة يقال عَفّ الرجل عن الشيء بمعنى كَفّ عنه وقوله ١٤،٣٦،١١

(دنَا انْ شُفْتُهْ[1]) أي إذا منّ الله عليّ ورأيته ملقَّ على التلّ ١٥،٣٦،١١

(خَدْتو) يعني أخذته وحذف الهمزة وأبدل الذال دالاً مهملة جرياً على اللغة الريفيّة ١٦،٣٦،١١

(سَلَقْتُو) بمعنى أنّي أُلقيه في الدست أو البِرام وألقي عليها الماء لا غير وأسلقه من غير تقلية وشيرج وغير ذلك لشدّة فقره وعدم ما في يده وقوله ١٧،٣٦،١١

(وكَلْتو بِتفْلو) أي بما في جوفه من المرعى ولو أنّه نجس مبالغةً في الاشتهاء له وشدّة الحاجة وهذا يعايَر به الرجل الأكول عندهم فيقال (فلان ياكل الكرش بخراه) مثلاً ومن ذلك (ما اتّفق أنّ رجلاً من أهل الريف طلع مصر) يبيع جانباً من البيض لأجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجّه إلى بلده فرأى بين القصرين كروشاً تباع فقال خذ لأمّ معيكه بجديد وكل أنت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فأعطى بيّاع الكروش الجديدين فأخذ يقطع له ممّا يباع للقطط وهو يأكل من غير ملح وأخذ ١٨،٣٦،١١

١ بي: شُفْتُو.

بالجديد الثاني قطعة كبيرة وأَزْوَدَ عليها كبدة و رُوَيَّة ولفّ ما أخذه في شَدّه الّذي فوق رأسه وربط عليه وكانت الفلوس الّتي باع بها البيض مربوطة أيضاً على الشدّ ثمّ إنّه سافر إلى أن مرّ على قرية في الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح تحتها فضربه الهواء فرقد فجاء كلب وشمّ رائحة اللحم الّذي على رأسه فخطف الشدّ باللحم وطلع إلى سطوح القرية فقام يجري خلفه ويصيح ودخل الدار الّتي طلع فوق سطحها الكلب فلمّا رأوه النسوان مكشوف الرأس في هذه الحالة قالوا هذا لصّ سارق فمسكوه وسلّموه للشادّ في القرية فضربه وحبسه يومين حتّى شفع فيه أهل الخير فأطلقوه فمن عدم ذوقه وشدّة جهله ضيّع الفلوس وأكل الضرب ورجع الكفر خائب نائب وقوله

١٩،٣٦،١١ (ما أرى تَقْنيفْ) بمعنى أنّي ما أتعفّف عن أكله لكون أنّ فيه التفل أو لأنّ جوانبه فيها النجاسة مثلاً فإن نفسي تطيب لأكله ولا تمتنع عنه (وفي القاموس الأزرق والناموس الأبلق) أنّ التقنيف مشتقّ من القَنْف وهو المنع عن الشيء كما يقال أنت قِنِف أو فلان يتقنّف أو من القُنّافة بضمّ القاف وهي الّتي توضع في خَرْق الناف الّذي على رقبة الثور ويعايَر بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة قال الشاعر [طويل]

لَقَد خَفَّ مني العَقلُ حتّى كأنّني أُحاكِيَ في الأفعالِ قُنّافة البَقرِ

٢٠،٣٦،١١ ثمّ لمّا أنّه لم يتيسّر له كرش ملقّح على التلّ أو الكوم ترجّى من الله تعالى أن يبلغه مناه وأنّه بعد مدّة إن طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها كروش وغيرها من الترمس والمقلي فقال

ص

٣٧،١١ أَنَا ٱنْ عِشْتُ لَارُوحُ ٱلْمَدِينَهْ وَأَشْبَعُ كُرُوشْ وَلَوْ أَنِّي أَمُوتُ كَفِيفْ
وَآخُذْ مَعِي غَزْلَ ٱلْعَجُوزِ وَٱبِيعُو وَآكُلْ بِحَقُّو يَا ٱبْنَ بِنْتِ عَرِيفْ

ش

قوله (أَنَا آنْ عِشْتُ) من المعيشة وهي قوام الجسد وانتعاشه من المأكل والمشرب أي إن طال عمري وكان فيه تأخير في علم الله تعالى ١،٣٧،١١

(لا روحُ المدينهْ) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وأدام سرورها بأهلها * وأبّد نعيمها بسكّانها وحرس علماءها الأعلام * وأُمراءها الكرام * لأنّها مدينة الأنس والصفاء * والسرور والوفاء * وخصّ الله نساءها بالحسن والجمال * والبهاء والكمال * وطيب المعاشره * ولطف المذاكره * كم عاشق بحسنهنّ افتتن * ومن لم يتزوّج مصريّة ليس بمُحْصَن * وملاحها الولدان * كأنّهم الغزلان * أو قضبان البان * لم يوجد مثلهم في الروم والعراق * ولم يُرَ ألطف منهم في العشرة والاتّفاق * كما قلت في معنى ذلك [رجز] ٢،٣٧،١١

يا من يُـرِدْ عِشْقَ الجمالْ　　شـدّ إلى مصرَ الرِحالْ ٣،٣٧،١١
كمْ من جمالْ حازَ الكمالْ　　في مِـصْرَ أَرْخى لُو دَلالْ
مـلاحُهـا لمْ يوجـدوا　　في الرومْ ولا أرض العراقْ
ولا بلادْ أرض العَجَمْ　　وَمَنْ رَقِي السَبْعَ الطِباقْ
اللطـفُ فيهـمْ منطبعْ　　وريقهـمْ حـلو المـذاقْ
من حـادَ عنهـم بالمَيَالْ　　حُرِّمْ عليهِ طِيب الوِصالْ ٤،٣٧،١١
كمْ من جمالْ حازَ الكمالْ　　في مِـصْرَ أَرْخى لُو دلالْ
يا حُسنَهـمْ يا لطفَهـمْ　　يا ظَـرْفَهـمْ كمْ ذا تـرى
من كلّ أَغْيَدْ حينْ يميسْ　　تقولْ لعـقـلكْ لا يـَرى
مـثلو تـَرى غيـرو يفوقْ　　سبحـانَ خـلّاق الورى
فـعش بهـمْ دَوْمَ الليـالْ　　فحُبُّهـمْ عندي حـلالْ ٥،٣٧،١١
كمْ من جمالْ حازَ الكمالْ　　في مِـصْرَ أَرْخى لُو دلالْ

وَأمّـا العجَبْ ثـمّ العجَبْ   في يوم الاعيـاد والفـرَجْ
كم ظَبْيَ يرْفُلْ في الحُلَلْ   والخالُ فوقْ خَدُّو عـرَجْ
تقولْ جِنانْ رضوانْ حقيقْ   قد فُتِحَتْ وقد خـرَجْ
منها يريـدْ قتل الرجـالْ   بحسن قـدُّو والميـالْ   ٦،٣٧،١١
كمِن جمالْ حازَ الكمـالْ   في مِـصْرَ أَرْخى لُودلالْ
والله والله العـظيـمْ   ومَنْ لَهُ انشقّ القـمَرْ
من عشقهمْ صبري فني   وزادَ وجـدي والسَهَـرْ
وقد بَقِيتْ صِفْر اليدينْ   وليسَ أقنـعْ بالنَـظَـرْ
مـا حيلتي في كلّ حـالْ   إلّا الدعـا أراهْ مُحـالْ   ٧،٣٧،١١
كمِن جمالْ حازَ الكمـالْ   في مِـصرَ أرخى لُودلالْ
يوسفْ سُمِّيتُ ٱدعُ الإلهْ   يغـفـرْ ذنوبي كُلَّهـا
وبلدتي شـريفْ عـظيمْ   بين المـدائنْ قَـدْرُهـا
بَلَد الفَخـارْ من العُـلا   والعلمُ مشهورْ ذِكْرُهـا
ثـمّ الصلاهْ بالاتّصالْ   على النبيْ باهي الجمـالْ
كمِن جمالْ حازَ الكمـالْ   في مِـصْرَ أرخى لُودلالْ

فسبحان من خصّهم برشاقة القدود * واحمرار الخدود * ورقّة الكلام * وقلّة الملام * وحسن الانطباع * وقلّة الامتناع * لفظهم ألطف من النسيم * ورُضابهم أحلى من التسنيم قال الشاعر [رجز]   ٨،٣٧،١١

ما مِثلُ مصرَ في الورى بَلدةً   سُكّانُهـا تَـرْتَعُ في نعيمهـا
نَسيمُها أَلْطَفُ شيءٍ في الوَرى   وأهلُهـا ألطفُ من نَسيمهـا

وقوله (وأَشْبَعُ) الشِبَع هو امتلاء المعدة من الطعام والشراب والشبع الزائد مضرّ ويطلق على الحسّيّ وهو ما تقدّم وعلى المعنويّ وهو الغناء بعد الفقر يقال (فلان اليوم   ٩،٣٧،١١

شبعان) أي استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصاً إذا ذاق التعب والنصب أوّل زمانه وأفاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثير الشُحّ ويقال لمثل هذا (مُحْدَث نِعْمة) لأنّه لم يعرف قدرها ولم يصرفها في مصارفها وإنّما جُنَّ به الدهر حتّى نال هذا الأمر قال الشاعر [رجز]

مُسْتَحْدِثُ النِّعْمَةِ مُسْتَوْدِعُها　عيناه مملوءتا فقْر
جُنَّ به الدهرُ فنال الغِنى　يا وِيلَهُ إن عقَل الدهْر

(وأمّا) إذا عرف الشخص ما أنعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير وأحسن وتصدّق فهذا هو المطلوب والأمر المحبوب وقوله

(كُروشَ) جمع كرش أي إن بلغت المدينة لا أشبع من الكروش الّتي تُسْلَق وتباع فيها وأقضي مرادي منها ١٠،٣٧،١١

(ولو أنّيَ) بعد شبعي من الكروش المذكورة وقضاء شهوتي ١١،٣٧،١١

(أموتُ كَفيفْ) أي أعمى يقال كَفّ بَصَرُه إذا حصل له العمى (وفي الحديث القُدْسيّ) يقول الله تعالى إذا أخذتُ كريمتَيْ عبدي فصبر فما جزاءه عندي إلّا الجنّة وقال الأبو صيريّ الأديب [طويل] ١٢،٣٧،١١

إذا رمِدتْ عينايَ قلّ مُسامِري　وقلّت أحبّائي من الحيّ والحِمى
يقولون إنْ عُوفي مَلِقْناه ساعةً　وإنْ كَفَّ جئنا نهنّيه بالعمى

لأنّ الأرمد مريض لا يزار فإذا عمي يقولون له أنت بقيت من أهل الجنّة وحصل لك الخير ونحو ذلك ممّا هو مُشاهَد بين الناس الآن وفي الحقيقة إنّ الأعمى مسكين والشفقة عليه فيها أجر عظيم * وفضل جسيم * خصوصاً إذا كان فقير الحال *

فإنّه في حكم الميت لا محَال * (قيل وُجِدَ مكتوب على تاج كِسْرَى هذه الكلمات) العدل إن دام عمّر * والظلم إن دام دمّر * والفقر هو الموت الأحمر * والأعمى ميّت وإن لم يُقْبَر * ومن لم يخلّف الذكر لم يُذْكَر * وما ابتلى الله عباده بشيء أضرّ من العمى والأعور على النصف من ضرر الأعمى كما في المثل (أعمى شكا لأعور فقال نصف خبرك عندي) وفي مثل آخر (الأعور الممقوت بين أهله أحسن من الأعمى على كلّ حال) وقوله

(كَفيف) على وزن نَتيف صفة الأمرد إذا طلعت ذقنه وكان يشتهي الخنات أو يكون به أُبْنة والعياذ بالله تعالى فإنّه دائماً يحلق ذقنه ويُحْسن للفاسق نفسه ويَنْتِف أصول شعره بأظافيره أو يلقُطه بالملقاط فإنّ الأمرد ما دام خالي العِذار النفس تميل إليه وإذا التحى قلّ منه الوفاء * وصار وجهه كالقفاء قال الشاعر [خفيف] ١٣،٣٧،١١

التَحَى الأَمْـرَدُ الّذي كانَ في التِيه مُسْرِفـا
حَسَـناً كانَ وَجـهُـهُ وسـريعـا تصحـّفـا
سُـرَّ واللهِ ناظـري مذ رأى ذاكَ واشتفا
شَـكَـرَ اللهَ لِحـيَةً صـيَّرتْ وَجْـهَهُ قفـا

وقال آخر [خفيف]

سَلَبَ الناسَ بالمحاسن حتّى أذهب اللهُ حُسْنَه والجمـالا
طَلَعَتْ ذَقْنُهُ وراحت عليه وكفى اللهُ المؤمـنين القـتالا

ومن العشاق الوخّاء من يميل إلى أصحاب اللحاء قال الشاعر [طويل] ١٤،٣٧،١١

بلوطيٍّ يُدْعى عاشق المرد في الورى ويُدْعى بـزانٍ من يحبّ الغوانيـا
فـملت لأصحاب اللحـاءِ تعفّـفـا فـما أنا لوطيّـا ومـا أنا زانيـا

(وبعضهم) يميل طبعه إلى الشيوخ * ويرى أن قول العَذول فيهم منسوخ * قال الشاعر [كامل]

أهواه طفلا في القِماط وأمردا   وبلحيةٍ وإذا علاه مَشِيبُ

وقال آخر [طويل]

تعشقتُه شيخا كأنّ مَشِيبُهُ   على وجنتيه ياسَمينٌ على وردِ
أخا العَذْل يدرى ما يراد من الفتى   أَمِنْتُ عليه من حسودٍ ومن ضِدِّ

والعشق مراتب * وللناس فيما يعشقون مذاهب * قال الشاعر [طويل] ١٥،٣٧،١١

تعشقتُها شمطاء شاب وليدها   وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

وكلّ هذا من الانهماك على الشهوة والخمول في العشق والمحبّة وإلّا فالعاشق الظريف * لا يهوى إلّا الشكل اللطيف * المناسب للتعنيق والبوس * وكلّها غرامة فلوس * وقوله

(وآخُذ معي غَزْل العجوزِ وَبيعو) والمراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعة وقيل اسمها ١٦،٣٧،١١ بعرة بنت قَلّوط وإذا كان اسمها بعرة بنت قلّوط فيها مناسبة لأنّ البعرة قريبة من القلّوط لأنّها بنته والبعرة فيها بيقين المعنى الصحيح والقلّوط أبوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة وعلى الخمرة يقال لها العجوز أيضاً والعذراء ولها أسماء كثيرة قال العارف بالله تعالى الحكّاك في وصفها من جملة أبيات [متقارب]

عجوزٌ وعذراءُ فاعْجَبْ لها   تنادى بإسمَيْنِ من كل واسِمْ

وفي الكلام تقديم وتأخير ومعناه إذا عشت لأروح المدينة وآخذ معي غزل العجوز وأبيعه فيها

(وآكُلْ بحقّو) كروش وغيرها ولو أنّي بعد ذلك أموت كفيف لأنّي إذا قضيت مرادي وعشت بقيّة العمر أعمى لا أبالي بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت أرجوه من الله تعالى وقوله ١٧،٣٧،١١

(يَا ٱبْنَ بنتِ عَرِيفْ) يخاطب رجلاً من أهالي الكفر قيل إنّه من أقاربه وقيل من أصدقائه والمعنى أنّه يبثّ إليه الشكوى ممّا ناله ويقول له لا بدّ أنّك تفرح لي إذا طال عمري ورحت المدينة وشبعت فيها كروش وأرجع إليك وهذا يدلّ على أنّه صديق له وصداقته مؤكّدة حتّى أنه خاطبه من دون أهالي الكفر فإنّ الشخص لا يشكو حاله إلّا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتحمّل عنه الهموم أو يواسيه إذ كان متيسّراً من الدنيا ويسلّيه بالمحادثة ونحو ذلك قال الشاعر [طويل] ١٨،٣٧،١١

ولا بدّ من شَكوى إلى ذي مُروءةٍ   يواسيكَ أو يُسَلِيكَ أو يتوجعُ

وقال ابن عروس [مجتث]

أوْصيكَ إن صادفكْ ضَيْمْ   اشكيهْ للّي يريدكْ
الحِمْلْ إذا تْفَرَّقْ انشالْ   وٱنْ تمَّ راقدْ يكيدكْ

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وأصل ما سمّي فسا التيران لأنّه كان كلّما ربطوا التيران على الطُواَلة يقف في وسطها ويفسي فيها لأنّه كان كثير الفساء فيشمّ من يقربه الفساء فيقول له أنت فسيت فيقول له هذا فساء التيران فسمّوه بذلك (وأمّا جدّه لأمّه) سمّي عريف لأحد أمور قيل إنّه كان يعرّف الأولاد المحلاّت الّتي تحت التلّ يشخّوا ويخروا فيها وقيل كان يعرّف تغريبة بني هلال وما ١٩،٣٧،١١

وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية في ضرب الفَرْقلّة ونقر الطبلة والعمل على الزُمّارة ونحو ذلك وقيل كان يعرّف الشادّ أمور البَلْص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عواني فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما أنّه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدّب الأطفال في الكُتّاب يعرّف الأولاد أحوال القراءة ويعلّمهم ويعرّف أيضاً الفقيه عن أحوالهم في غيبته ممّا هو مشهور في بلاد المدن وغيرها فإنّ كلّ كُتّاب لا بدّ له من عريف على ما جرت به العادة

وقوله ٢٠،٣٧،١١

ص

٣٨،١١

وَأَسْـرِقْ مِنَ ٱلْجَـامِعْ زَرَابِينَ عِـدَّهْ   وَآكُلْ بِهِـمْ مِنْ شَـهْوَتِي فِي ٱلرِّيفْ
وَأَشْـبَعْ مِنَ ٱلتُّـرْمُسْ وَآكُلْ مُـقَلِّي   وَٱلْفُو بِقِشْـرُو مَـا أَرَى تَوْقِـيفْ

ش

١،٣٨،١١ هذا الكلام كلّه من بقيّة كلامه لابن بنت عريف المتقدّم ذكره أي إنّه يقول إنّي إذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز وأكلت بحقّه كروش وقضيت شهوتي من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمقلّي واشتهيته ولم يكن معي شيء من الدراهم فحينئذ أدخل بعض الجوامع الّتي في أطراف حارات المدينة الّتي يصلّوا فيها الريّافة لأنّ الزرابين لا تكون إلّا بأرجل أهل الريف لأنّ المراد بها المراكيب جمع زَرْبُون على وزن محون أو مأبون وهو المركوب الّذي يمشي به الفلّاح ويسمّوه أيضاً جواد وترجيل

٢،٣٨،١١ (وأَسْرِقْ) والسرقة حرام منهيّ عنها قال الله تعالى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي إذا سرق السارق النِصاب وهو ربع دينار ما لم يكن له فيه شبهة فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور في كتب الفقه فأباح الله تعالى قطع يد السارق نكالاً له ولتركه الأمانة وعزّها وارتكابه الخيانة وذلّها كتب رجل لبعض العلماء ما لفظه شعر [بسيط]

يدٌ بخمس مائِينَ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ   ما بالها قُطِعَت في ربع دينارِ

فأجابه بقوله [بسيط]

عِزُّ الأمانة أَغْلَاهـا وأَرْخَصَها   ذُلُّ الخيانة فَٱفْهَمْ حِكْمَةَ البـاري

أي إنّ هذه اليد لمّا أنّها تعدّت على مال الغير وأخذته وخانت الأمانة أرخص الله قدرها وأباح قطعها ذُلُّ الخيانة فهي حكم للباري جلّ وعلا وحدود أوجبها على خلقه من أمر ونهي وغير ذلك وقوله

٣،٣٨،١١ (من الجامعْ) والمراد به المسجد وسمّي جامعاً لأنّه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجد للسجود فيه

٤،٣٨،١١ (زرابينَ) وتقدّم أنّ المراد بها المراكيب والتراجيل

٥،٣٨،١١ (عِدّهْ) يعني كثير لأنّ سَرّاق المراكيب يحتاج إلى معرفة فى السرقة وقلّة دين بزيادة فأمّا المعرفة فإنّه يتقرّب من صاحب المركوب ويوهمه أنّه يريد الصلاة بل ربّما وقف بجانبه وصبر عليه إلى أن يَخِرّ للسجود لعلّام الغيوب يشتال هو الآخر بالمركوب وأمّا قلّة الدين فإنّه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع إلّا للسرقة فقط وربما كان جُنُباً وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلّاحين أنّهم لا يتحاشوا عن هذا الأمر ولا يعرفوا دين ولا عبادة ولا يدخل غالبهم الجامع إلّا لغزل الصوف والفَلّ أو لحساب المال أو يتظلّل فيه أوان الحرّ وربّما ربط فيه العجلة أو البقرة ويجعلوه في الغالب محلّاً لمحادثتهم في الغيط والحيط والزرع والقلع ويصير لهم فيه هجّة وضجّة وصياح وعياط وغارات كأنّهم في زريبة بقر والناظم كان منهم ومتلبّس بأحوالهم فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدّم ذكره إنّي إذا طلعت المدينة وأكلت بحقّ الغزل كروش

ولم يبق معي شيء أتلصّص وأتجسّس وأسأل عن بعض الجوامع الّتي بأطراف حارات مصر وأسرق منها المراكيب

(وآكلُ بهم) في كلامه هذا تورية إمّا أنّه يبيعهم ويأكل بثمنهم أو أنّهم يَصْدِفوه حال خطفه فيمسكوه ويطعموه بالمركوب الّذي خطفها عَلْقة فيكون هذا أكل معنويّ فإنّ في الغالب أنّ سرّاق الزرابين إذا وقع في أيديهم يقطعوها على أحبال رقبته يقال (فلان أكل علقة اليوم بالزرابين) و(فلان سرق مركوب ومسكوه وقطعوه على أحبال رقبته) فسرقة المراكيب تحتاج لخفّة ودراية في الأمور وإن كانت أرذل السرقات ٦،٣٨،١١

(قيل مرّ بعض الحذّاق من اللصوص على بعض التجّار) وهو جالس في حانوته وبجانبه نعاله فأراد هذا اللصّ أخذها فجانبه بخفّة وحطّ رجله اليمنى في واحدة وأراد أن يضع رجله اليسرى في الأخرى فالتفت التاجر فهرب اللصّ وتوارى بعيد بحيث لا يراه التاجر ولم يأخذ سوى فردة من نعاله ثمّ إنّ التاجر أراد القيام فلم يجد غير فردة من نعاله فقال لغلامه أين الثانية قال له لا أدري قال قد سرقت خذ هذه وامض إلى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها فأخذها الغلام ومضى فسبقه اللصّ حتّى عرف الرجل الّذي دفعها له فلمّا رجع الغلام إلى سيّده أتى اللصّ ومعه الفردة الّتي أخذها وقال للرجل لا تصنع للتاجر شيء فإنّه لقي الفردة الثانية وأوراها له وقال له هات الأخرى فأعطاه إيّاها فأخذ الأولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلمّا جاء غلام التاجر يطلبها أخبره بالقضية فرجع وأعلم سيّده فتعجب من حذق هذا اللصّ ٧،٣٨،١١

(وقيل) طلع الأبوصيريّ الأديب إلى مصر وذهب إلى سوق المراكيب تحت الركن يشتري له مركوب أحمر فوقف على دُكّان فقال له بيّاع المراكيب عندي مركوب أحمر مثل وجهك يا شيخ العرب والثاني من البيّاعين قال له عندي مركوب مليح واحياة راسك وصار الجميع ينكّتوا عليه فصبر لهم حتّى فرغوا من كلامهم وقال لهم يا مشايخ السوق أنا رجل غريب وأنتم توصّوا بي فإنّهم قالوا لي جماعةُ المراكيب اليوم كثير ومن رُخْصها على أقفية أصحابها فقالوا الكلّ خلص ثأره منّا جميعاً بما قال ٨،٣٨،١١

باللطافة ثمّ قالوا له بالله أنت الأبوصيريّ قال نعم فأكرموه وأعطوه مركوب أحمر مليح من غير شيء فأخذه ومضى ودخل على البدريّ العوديّ رحمه الله تعالى وكان ريّس مصر في الدخول فلمّا رآه وفي رجله المركوب قال له وجهك أحمر يا أبوصيريّ فقال له نِكّت بدريّ ودخلت الحمّام فكان الجواب أظرف من السؤال وممّا مُدِحَ به البدريّ قول الأبوصيريّ المذكور حيث قال [وزن غير معروف]

البدري كمل بالدخول　　وفيه انطوى واندرج
بوّابه حلف بالطلاق　　من يوم دخل ما خرج

والعرب يشبّهون المَداس بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدّمين والمتأخّرين ٩،٣٨،١١ واستعمله المتنبّيّ في مواضع من شعره (قال ابن خَلِّكان) رحمه الله تعالى جاءني صاحبنا جمال الدين الإِرْدَبِليّ الأديب المجيد في صناعة الألحان وغيرها وأنا في مجلس الحُكْم بالقاهرة المحروسة وقعد عندي ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة أشغالهم حينئذ ثمّ نهض وخرج فلم أشعر إلّا وغلامه حضر وفي يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات [كامل]

يا أيها المولى الّذي بوجوده　　أبدت محاسنَها لنا الأيّامُ
إني حججت إلى مقامك حجّة الـ. .　　. .أَشْواقِ لا ما يوجب الإسلامُ
وأَنَخْتُ بالحرم الشريف مطيّتي　　فتشرّفتْ واشتاقها الأقوامُ
فطلبتُ أُنْشِدُ عند نَشْداني لها　　بيتا لمن هو في القريضِ إمامُ
وإذا المَطيّ بنا بلغْن محمّدا　　فظهورهنّ على الأنام حرامُ

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لي أنّه لمّا قام من عندي وجد مداسه قد سُرِقَ فاستحسنت منه هذا التضمين انتهى كلام ابن خلكان

والبيت الأخير الذي تمثل به هذا القائل لأبي نواس من قصيدة مدح بها الأمين ١٠،٣٨،١١
محمّد بن هارون الرشيد أيّام خلافته وأوّلها يقول [كامل]

يا دارُ ما صنعتْ بك الأيّامُ لم يبق فيك بَشاشةٌ تُستامُ

ويقول من جملتها في صفة ناقة

وتجشّمتْ بي هولَ كلّ تنوفةٍ هَوْجاءُ فيها جُرأَةٌ قُدّامُ
تَذَرُ المطيّ وراءها فكأنّها صفّ تَقَدَّمهُنَّ وهِيَ إمامُ
وإذا المطيّ بنا بلغن محمّدا فظهورهنّ على الأنام حرامُ

(قيل) سرق رجل مركوب وأعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فرجع إلى أبيه فقال ١١،٣٨،١١
له أبوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد
وقد سرق منّي لا خسرت ولا كسبت فضحك عليه أبوه وخلّى سبيله

(وقيل) سرق باب دار أبي سالم القاضي فجاء إلى باب المسجد فقلعه فقالوا له ١٢،٣٨،١١
ما الّذي تصنع فقال أقلع هذا الباب فإنّ صاحبه يعرف من قلع بابي (وقيل) كان
أبو جُحا معه زوجتين وكانت أمّ جحا ماتت فخرج أبوه يريد سفرًا فلمّا خرج من باب الدار
تذكّر أنّه نسي مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب فسمعوا زوجاته الصياح
ولم يعرفوا ما الخبر فقالوا له يا جحا ما يقول أبوك فقال يقول نك زوجات أبيك في غيابي
فشتموه وقالوا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا أنتم منه وصدّقوا ثمّ قال له الواحدة
يا أبي وإلّا الاثنين يعني أجيب فردة من المركوب وإلا الاثنين فقال له بل الاثنين فقال
صدقتم الكلام فظنّوا أنّه يقول له بل نك الاثنين وما مراد أبوه إلّا المركوب فولع فيهم
بالنيك إلى أن حضر أبوه

(وقيل) جلس العينيّ في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من ١٣،٣٨،١١
أعيان الناس فقال له يا سيّدي يقولوا إنّ أهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف

بلدنا ومرادي أرى الأمر عِيانا فبينما هو يكلّمه إذ مرّ بيّاع فول حارّ وهو ينادي عليه فقال العينيّ لصاحبه هل في مصر أحقر من هذا قال لا قال اصبر حتّى أبيّن لك حذقه ثمّ إنّ العينيّ ناداه فطلع إليه ومعه الفول والخبز فقال له مرادي فول حارّ ولكن ما عندي دراهم وما عندي إلّا فردة مركوب تعطيني بها فقال له يا سيّدي كلّ شيء جبته أطعمناك به قال فضحك العينيّ وتعجب الشاميّ من حذقه وأنعما عليه ومضى إلى حال سبيله

١٤،٣٨،١١ ومن التورية قول بعضهم هَجْوًا في رجل اسمه عِوَض [رجز]

سـرموجتي قـد سُرِقَتْ   وضاق بي رُحْب الفضا
أتيتـ للسِّـرْوضُحـًا   أخـذت عنهـا عِوَضـا

١٥،٣٨،١١ وقوله (من شهوتي في الريفْ) أي من شهوتي الّتي اشتهيتها وهي أكلي من الكروش وشبعي منها لأنّي ما وجدتها في الريف فإذا طلعت المدينة وفعلت ما تقدّم قضيتها وحصل لي المراد وقوله

١٦،٣٨،١١ (وأَشْبَعْ من التُّرْمُسْ) المراد به المملّح بعد نقعه في الماء أيّاما فإنّ لأهل الريف فيه رغبة لأنّه نُقْلهم أيّام الأعياد ويهادوا به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في بلاد المدن دائما وهو فاكهة الريّافة إذا طلعوا المدينة يفتخروا بأكله هو والمقلي وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلّامة الشيخ شهاب الدين القليوبيّ رحمه الله تعالى وهو أن من داوم كل يوم على مِلْءِ كفّه من الترمس بقشره على الفطور نار بصره وزاد فيه قوّة وقوله

١٧،٣٨،١١ (وآكلْ مُقَنْلِي) أي وأشبع من المقلي وهو الفول المنبَّت المقليّ بالنار ومن هذا سمّي مقلي وهو مشهور لا يحتاج لمعرفته[١] وقوله

١ بي: للمعرفته.

(وَلُفّو بِقشْرو) أي هو والترمس من شدّة شوقي إليه لأنّي متى أردت تقشير الترمس ١٨،٣٨،١١
والمقلي طال عليّ الأمر لأنّي أحتاج أن أقشّره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفي
خاطري ولا مرادي وأيضاً فإنّ الناظم من أهل الريف والأرياف يأخذوا بالكَبْشة
ويسفّوه ولا يعرفوا التقشير ولا غيره

(ومن المناسبة) أنّ رجلاً جلس هو وغلامه في محلّ ظلام يأكلوا زبيباً فقال له ١٩،٣٨،١١
سيّده كل زبيبة زبيبة وأنا الآخر مثلك فلمّا فرغوا من الأكل قال له سيّده يا عبد
الخير أنا طمعت عليك بقيت آكل اثنتين اثنتين فقال له يا سيّدي إن كنت أكلت
اثنتين اثنتين أنا بقيت أسفّه سفّة والعرب من عاداتهم أنهّم يأكلون الزبيب بالكبشة
والتمر بالخمسة ويجدوا في هذا الفعل اللذّة وهناوة الطعم والانبساط بذلك قال
الشاعر [طويل]

هنيئا لسكّان البيوتِ بيوتُهُمْ ... وللآكلين التمر أخماسَ أخماسا

(وبعضهم) يقشّر الترمس والمقليّ واحدة واحدة والأرياف بخلاف ذلك ولهذا
قال

(ما أَرى تَوْقِيفْ) يعني ما أتوقّف في لفّه بقشره ومراده باللفّ الأكل يقال فلان ٢٠،٣٨،١١
لفّ مترد عدس بمعنى أنّه أكله كلّه وينصرف اللفّ لغير الأكل كالعمامة ولفّ البردة
و(داهيه تلفّك) مثلاً ونحو ذلك

ثمّ إنّه قال ٢١،٣٨،١١

ص

وَآخُذْ لِي لِبْدَهْ وَكَرّْ مُشَنْيَرْ ... وَأَنْزِلْ كَمَا كَلْبِ آبْنَ ابو جَغْنِيفْ ٣٩،١١

ش

١٬٣٩٬١١ قوله (وآخذُ لي لِبْدَهْ) هذا أيضاً من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى أنّه يقول إذا أسعفني السعد في سرقة الزرابين وبعتهم وأكلت من ثمنهم أكل حِسّيّ أو معنويّ كما تقدّم وبقي معي شيء ولو خمسة أنصاف أخذت لي لبدة جديدة بنصف من الخمسة

٢٬٣٩٬١١ (و) أخذت بالأربعة

٣٬٣٩٬١١ (كَرَّ مُشَنْيَرْ) أي شدّا حواشيه غزل أحمر فإنّه يسمّى عند أهل الريف مشنير ولا يلبسه إلّا الأكابر منهم يقال (فلان اليوم لابس لبده وكرّمشنير) يعني أنّه بقي من أكابر الكفر فالناظم تشوّق إلى هذا الأمر إذا طلع المدينة وهوّن الله عليه بسرقة الزرابين يأخذ ما في مراده وينزل بلبدة وكرّمشنير في قوة وشهامة مثل الكلب الآتي ذكره ولهذا قال

٤٬٣٩٬١١ (وأَنْزِلْ كما كلبِ ابْنِ ابو جَغْنيفْ) وكلب ابن أبو جغنيف هذا كان مشهوراً في الكفر بالقوّة والشجاعة والنطّ على الكلاب وخطف العيش وأكل البيض فكان الشخص من أهالي الكفر إذا أنعم الله عليه بلبدة وكرّمشنير يقولوا فلان اليوم أصبح مثل كلب ابن أبو جغنيف أي في القوّة والشطارة والسرقة حتّى ستر نفسه وكسا روحه وبقي من الأكابر كما أنّك تشبّه الإنسان في الخِسّيّة بالكلب أو الخنزير فتقول أنت مثل الكلب مثلاً وأبو صاحب الكلب كُنِيَ بأبي جغنيف أو جغناف أو جغنوف على ما قيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف بمعنى ثقيل الدم مهدار كلام من غير فائدة كما رأيته في القاموس الأزرق والناموس الأبلق

٥٬٣٩٬١١ (ومن المناسبة) لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة في ألف ليلة وليلة (وهي ما اتّفق) أنّ رجلاً من أكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابّاً ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن إلّا أنّه أعرج فدعاه إلى الوليمة فأجاب

ودخل إلى الجالسين في منزله فقاموا له إجلالاً وتعظيماً لأجل صاحب المنزل فلمّا أراد هذا الشابّ أن يجلس رأى بين القوم إنساناً صنعته مُزَيِّن فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من المجلس فمسكه صاحب الدعوة وحلف عليه وقال له ما سبب مجيئك معي ودخولك إلى منزلي وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتي فقال له الشاب بالله يا مولاي لا تعترض عليّ فإنّ سبب هذا كلّه رؤيتي لهذا الشيخ النحس المزيّن قاتله الله تعالى فإنّه ذميم الخصال * قبيح الفعال * تعيس الحركه * قليل البركه * فلمّا سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشابّ في حقّ المزيّن كرهوا مجالسته وقالوا للشابّ والله ما بقينا نأكل حتّى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزيّن فإنّا كرهناه من وصفك فيه

فقال الشابّ يا جماعة جرى لي مع هذا الشيخ التعيس في بغداد بلدي حكاية عجيبة لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وهو سبب عرجي وكسر رجلي فحلفت أنّي لا أجالسه في مكان ولا أسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من أجله وسكنت هذه المدينة وهي أقصى البلاد وقد نظرته عندكم وأنا الليلة ما أبات إلّا مسافرًا فقالوا له حدّثنا ما جرى لك معه وألحّوا عليه هذا والمزيّن قد اصفرّ وجهه وأطرق برأسه إلى الأرض وأمّا الشابّ فإنّه قال اسمعوا يا جماعة إنّ والدي كان من مياسير بغداد ولم يُرْزَقْ ولداً غيري فلمّا كبرت وبلغت انتقل والدي إلى رحمة الله وخلف لي مالاً عظيماً وخدماً وحشماً فصرت ألبس وأتنعّم وأنا في أهنأ عيش فبينما أنا ذات يوم من الأيّام ماشي في زُقاق من أزقّة بغداد إذ رأيت مَصْطَبَة فجلست عليها أستريح وإذا بصبيّة كأنّها الشمس المضيئة لم ترعيني أجمل منها طلّت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلمّا نظرت إليها تبسّمت ثمّ إنّها أغلقت الطاق ومضت فانطلق في قلبي النار وشغفت بحبّها ومكثت قاعداً على المصطبة غائب الصواب إلى المغرب وإذا بقاضي المدينة راكب على بغلة وقدّامه العبيد والخدم حتّى أقبل على هذا البيت الّذي فيه الصبيّة ودخله فعرفت أنّه أبوها فجئت إلى بيتي وأنا مكروب وزاد عليّ العشق والهيام واعتراني الضنى فمرضت بحبّها واستمرّيت على هذا الحال أيّاماً وأهلي يبكون عليّ ولم يعرفوا حالي حتّى

١١،٣٩،٦

دخلت عليّ عجوز فلم يخفاها أمري فقالت لي يا ولدي أطلعني على قضيّتك وأنا أبلغك مرادك فأثّر كلامها في قلبي وجلست وأخبرتها الخبر فقالت لي ما صفة الموضع الّذي رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها أبوها قاضي بغداد فقالت لي يا ولدي أعرفها وأعرف أبوها وأنا أدخل عليها كثير لكن عليها حَجْر من أمّها وأبيها ولكن أنا أسعى في اجتماعك عليها ولا تعرف هذا الأمر إلّا منّي فطِبْ نفسا وقَرّ عينا

٧،٣٩،١١ فلمّا سمعت حديثها طابت نفسي للأكل والشرب وقلت لها اسعي وجميع ما تطلبيه خذيه منّي فقامت من عندي وتوجّهت إليها وجاءتني ثاني مرّة ووجهها متغيّر وقالت لي كلّمتها فشتمتني وأغلظت عليّ فلمّا سمعت ذلك ازددت مرضاً على مرضي وصارت العجوز في كلّ يوم تعودني فجاءتني يوماً وهي تضحك وقالت لي البشارة قد طاب خاطر الصبيّة عليك لمّا ذكرت لها أنّك مرضت بحبّها ومن أجلها فقالت لي اقرئيه منّي السلام وطيّبي قلبه وقولي له إنّ عندي أضعاف ما عنده فإذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء إلى الدار وأنا أنزل أفتح له الباب وأطلع به إلى عندي في الطَبَقة وأجتمع أنا وإيّاه ساعة ويخرج قبل ما يعود أبي فلمّا سمعت كلام العجوز زال عنّي ما كنت أجده من الألم وفرحوا أهلي ولم أزل مترقّباً يوم الجمعة حتّى أتى وإذا بالعجوز دخلت عليّ وقالت لي هيّء نفسك واحلق رأسك والبس أحسن ثيابك وامض في الميعاد وأزل ما عليك من الأوساخ في الحمّام فإنّ معك في الوقت فُسْحة وخرجت من عندي

٨،٣٩،١١ فقلت لغلام من غلماني امض إلى السوق وائتني بمزيّن يكون عاقلاً جيّداً قليل الفضول فغاب ساعة وأتاني بهذا الشيخ النحس لا كان الله له في عون فلمّا دخل سلّم عليّ فرددت عليه السلام فقال لي يا سيّدي إنّي أراك ناحل الجسم فقلت له إنّي كنت مريضاً فقال أذهب الله عنك البؤس والأحزان وجميع الآلام * وأماط عنك الأسقام * ولا زلّت بك الأقدام * وعافاك الله وشفاك * وهنّاك * بما أعطاك * فقلت له تقبّل الله منك دعاءك * فقال لي ابْشِرْ يا سيّدي فقد جات العافية إن شاء الله ثمّ قال تريد يا سيدي أن تقصر شعرك أو تنقص دماً فإنّه قد روي عن ابن عبّاس

رضي الله عنهما أنّه قال مَنْ قصّر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه أيضاً أنّه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمَن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم الآن * واحلق رأسي ودع عنك الهذيان * ولقلقة اللسان * فإنّي ضعيف من أثر المرض فأدخل يده في حَرَمْدانه وأخرج منه منديلاً كان معه وفتحه فإذا فيه أَصطلابات سبع صفائح مطعَّم فأخذه ومضى إلى وسط الدار ورفع رأسه إلى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمّل طويلاً وقال اعلم يا سيّدي وفقك الله * ورعاك وعافاك وشفاك * ودلّك وهداك * أن مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صَفَر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ آدم عليه السلام وثلثمائة سنة وعشرين من تاريخ إسكندر الرومي وأربعمائة سنة للتاريخ الفارسي والطالع في يومنا هذا المذكور على ما وجب في الحساب من المِرّيخ ثماني درجات وستّ دقائق اتّفق ربّ الطالع عُطارد وهو في ثلث الأصطرلابات[1] والمريخ معه في الطالع وهو داخل معه في تسديسه وذلك يدلّ على أنّ أخذ الشعر جيّد ويدلّ أيضاً يا مولاي على أنّك تريد الاجتماع بنفس والطالع فيه مفسود والحال فيه مذموم

فقلت له يا هذا والله لقد أضجرتني وضيّقت منافسي وأصغرت روحي وفوّلت عليّ بفأل غير مليح وما دَعَوْتُك للنجامة ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وإنّما دعوتك لتأخذ شعري فافعل ما دعوتك من أجله ودع عنك ما لا أريد وإلّا فاذهب عنّي ودعني أحضر لي مزيّن غيرك فقال يا مولاي احمد الله أنت طلبت مزيّن فمنّ الله عليك بمزيّن ومنجّم وطبيب وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان والفقه والتواريخ والحساب وعلم الحديث وقد قرأت الكتب ودرستها * ومارست الأمور وعرفتها * ودبّرت جميع الأشياء وركبتها * وإنّما كان سبيلك أن تحمد الله على ما أعطاك * وتشكره على ما أولاك * فقد قال الله تعالى ﴿فَٱسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ٩،٣٩،١١

[1] بي: الأصطلابات.

العلماء ورثة الأنبياء وما أنا بحمد الله عاجز عن الفضيلة حتّى تقول لي هذا القول
وأنا أشير عليك اليوم أن تعمل ما أقول لك عليه في حساب الكواكب فإنّي ناصح لك
ومشفق عليك وأودّ لو كنت في خدمتك سنة لأنّ حقّي عليك واجب وعلى أبيك
من قبلك واجب ولا أريد منك أجرة ولو فعلت ذلك لكان أسرّ الأشياء إلى قلبي
وكلّ هذا لأجل منزلتك عندي وإكراماً لوالدك رحمة الله عليه لأنّ له عندي أيادي
متقدّمة وله عليّ فضل لا يحصى لأنّه كان يحبّ خدمتي وما كان يخدمه أحد غيري
لما رأى من كثرة أدبي وقلّة كلامي وحسن صنعتي وخفّة يدي فلهذا كانت رغبته
فيّ وكان يحبّني كثيراً لقلّة فضولي لخدمتي لك وعليك فرض قال فلمّا سمعت ذلك
منه قلت أنت اليوم قاتلي لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لي
يا مولاي ومثلي من ينسب إلى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمه الله
إذا حضرت إليه يتمنّى أن أتكلّم بين يديه سنة واحدة ليقتبس من علمي ويلتقط من
درر نظمي وفهمي وينظر إلى حسن صناعتي ونحن سبعة إخوة الأوّل اسمه بقبوق
والثاني اسمه الهدّار والثالث اسمه بقيبق والرابع اسمه الكوز الأسوانيّ والخامس
اسمه الفشّار والسادس اسمه الزعقوق وأنا لقلّة كلامي سمّوني الصامت وإن أردت
أن أحكي لك عن أصلي وفصلي ونسبي وحسبي وما جرى لإخوتي الستة من أوّل
الزمان إلى آخره فاستمع ما أقول

١٠،٣٩،١١ فلما أكثر عليّ الكلام وأطاله بلا فائدة أمرض قلبي وحسّيت أنّ مرارة قلبي انفطرت
فقلت لغلامي يا غلام ادفع له أربعة دنانير ودعه يروح عنّي لوجه الله تعالى فما بقيت
أحلق رأسي في هذا اليوم فقال لي هذا النحس الخبيث لمّا سمع كلامي للغلام أيش
يا مولاي هذا الكلام أيمان المسلمين تلزمني لا آخذ منك أجرة حتّى أحلق لك ولا
بدّ لي من خدمتك فإنّها واجبة عليّ وإصلاح شأنك لازم لي ولا أبالي بعد ذلك إن
أخذت منك شيئاً أو لم آخذ فإن كنت يا مولاي لا تعرف قدري وحقّي فأنا أعرف
حقّك وقدرك لمقام والدك عندي فالله تعالى يرحمه ويطوّل عمرك فوالله لقد فُجِعَ
الناس فيه كان والله جواداً عظيماً كريماً حليماً سخيّاً محبّاً لإخوانه أرسل خلفي مرّة في

نهار جمعة مثل هذا النهار المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال أنقص لي دماً فأخرجت الأصطرلابات[1] وأخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموماً لإخراج الدم فأعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتّى يتغيّر هذا الطالع وأقضي حاجة مولانا ففرح بكلامي وقال والله إنّ عندك فضيلة ولوكان أحد غيرك كان قد أخرج الدم وشكرني لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فأعجبته وطربوا جماعته منها غاية الطرب وأنشدت أقول [طويل]

أَتيتُ إلى المَولى لأنقصَ لَهُ الدمَ ... فَلَم أرَ وقتًا يَقتَضي صِحّةَ الجسمِ
جَلستُ أُحدِّثهم بكلِّ عجيبةٍ ... وبَينَ يَديهِ أنشُرُ العِلمَ مِن فَهمي
فَأَعجَبَه منّي السَّماعُ وقال لي ... تَجاوزتَ حَدَّ الفَهمِ يا معدنَ العلمِ
فقلتُ له يا سيّدِ الكلِّ والوَرى ... أَفَضتَ عليّ الفَضلَ لا زلتَ في حلمِ
لأنّكَ ربُّ الفَضلِ والجودِ والعَطا ... وكَنزُ العُلا في الحِلمِ والجُودِ والعِلمِ

(فلمّا سمع أبوك) رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال أعطه مائة دينار وخلعة فأعطاني فأخذت الطالع فوجدته جيّداً فأخرجت له الدم

١١،٣٩،١١ ثمّ إنّ هذا النحس صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الّذي عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامي وقال لا إله إلّا الله سبحان من يغيّر ولا يتغيّر ما أظنّ إلّا أنّ المرض غيّرك لأنّي أرى عقلك ناقص والناس كلّما كبر سنّهم زاد عقلهم وما أظنّ إلّا أنّك خَرِفْتَ من المرض والله تعالى يقول ﴿وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ وقال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وروي عن أَنَس بن مالك أنّه قال من أرضى والديه فقد أرضى الله ومن أسخط والديه فقد أسخط الله وقال الشاعر [بسيط مع كسر]

١ بي: الأصطلابات.

وَاسِ[١] الفقيرِ إذا ما كنتَ مقتدرًا   على الزمان وللإحسان فاغتنمِ
الفقر داء دفين لا دواء له   والمال زين يَزِين المنظر الشَّيِمِ
وافْشِ السلام إذا ما كنت في ملأٍ   والوالدين فكن عونا لبِرِّهِمَ

لكن يا سيّدي أنت معذور والله تعالى يقول ﴿لَّيْسَ على الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا على الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ على الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ وأبوك وجدّك ما كانوا يفعلوا شيئًا إلّا بمشورتي وقالوا في المثل من لم يكن له كبير فليأخذ له مشير قال الشاعر [متقارب]

إذا ما عَزَمْتَ على حاجَةٍ   فشاوِرْ كبيرًا ولا تَعْصِهِ

وما تجد أحدًا أدرى بالأمور منّي ومع ذلك إنّي واقف بين يديك على أقدامي أخدمك وما ضَجِرتُ فتضجر أنت منّي

فقلت له يا هذا لقد أطلت عليّ الخطاب وأوجعت رأسي من كثرة الكلام فبالله ١٢،٣٩،١١ عليك انصرف عنّي وأظهرت له الغَبَن وأردت أن أقوم وقد دنا منّي الوقت الّذي أنا منتظره والوعد الّذي أنا طالبه وأنا في كرب من ثقالة هذا النحس وكثرة كلامه فقال يا مولاي أنا ما أَعتِبُ عليك وأنا متعجّب منك الّذي رأيتك بهذه اللحية وبالأمس كنت أحملك على كتفي وأمضي بك إلى الكتّاب فقلت له بحقّ الله احلق رأسي وقم عنّي (قال) فعند هذا كلّه لمّا رآني غضبت أخذ الموسى وسَنّه وتقدّم إلى رأسي وحلق منها بعض شعر ثمّ رفع يده وقال يا مولاي إنّ العجلة من الشيطان والتأنّي من الرحمن قال الشاعر [طويل]

تأنَّ ولا تَعْجَلْ لأمر تريده   وكن راحمًا في الناس تُبْلَى براحمِ
فما من يد إلّا يد الله فوقها   ولا ظالمٍ إلّا سيُبْلَى بظالمِ

١ بي (في جميع النسخ): وَاسِي.

وخير الأمور ما كان فيه التأنّي وأظنّك مستعجل وأنت قاصد حاجة وأنا أخشى أن يكون حاجة غير موافقة وأمر غير صالح فأخبرني فإن وقت الصلاة قد قرب ثمّ رمى الموسى من يده وأخذ الأصطرلابات[١] ومضى إلى الشمس وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص

١٣،٣٩،١١ فقلت له بالله عليك يا هذا اسكت عنّي فقد ضيّقت عليّ الدنيا وقد زهقت روحي منك قال فتقدّم وأخذ الموسى وحلق شيئاً يسيراً ثمّ أرماه وصار يهدر عليّ في الكلام إلى أن مضى ساعتين وبقي ساعة واحدة وخشيت إن تأخّرت عن الموعد لا أدري كيف السبيل في الدخول إليها فقلت له احلق بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فإنّي أريد أن أمضي إلى دعوة عند بعض أصحابي فلمّا سمع هذا النحس بذكر الدعوة قال إنّا لله وإنّا إليه راجعون والله يا سيّدي ذكّرتني جماعة عندي ضيوف ومرادي أصنع لهم طعاماً وما عندي شيء وأنت تحضر لي بجميع ما أطلبه ولا أروّح إلّا أنا وإيّاك وتشرّفني اليوم في محلّي ووليمتي أحسن من وليمة أصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقيّة رأسي ودعني في حالي فإنّ الوقت ضاق ولا لي حاجة بالذهاب إلى منزلك وأحضرت له جميع ما طلب حتّى البخور العود ومرادي أنّ الله يصرفه عنّي حتّى أمضي إلى مطلوبي

١٤،٣٩،١١ فقال يا سيّدي وأنا الآخر عندي جماعة ملاح زيتون الحمّامي وضليع الفامي وسلوطح الفوّال وعكرشة البقّال وسعيد الحمّال وسُويد الفتّال وحميد الزبّال وأبو عكاشة البلاّن وقنبر الخرفان ولكلّ واحد منهم قصّة إن أردت أحكيها لك فأمّا حميد الزبّال فإنّه يرقص بالطار ويغنّي على المزمار وفي وصفه أقول [بسيط]

روحي الفداء لزبّال شُغِفْتُ به   حلو الشمائل كالأغصان ميّالا
جاد الزمان به ليلاً فقلت له   والشوق ينقص منّي كلمّا زالا
أضرمتَ نارك في قلبي فجاوبني   لا غَرْوَ إن أصبح الوقّادُ زبّالا

١ بي: الأصطلابات.

(فامض يا سيّدي) معي إلى أصحابي واترك أصحابك فربّما إنّك تمضي إلى ناس يكونوا كثيرين الكلام فيشوّشوا عليك أو يكون فيهم واحد فضوليّ فيوجع رأسك وأنت قد صغرت روحك من هذا المرض

١٥،٣٩،١١ فقلت له غير اليوم فإنّ مرادي أمضي إلى أصحابي وامض أنت إلى أصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يا مولاي أن أتخلّى عنك وأدعك تمضي وحدك فقلت له يا هذا إن الموضع الّذي أنا ماض إليه ما يتحمّل أحداً يدخله غيري فقال يا مولاي أظنّك اليوم في ميعاد واحدة وإلّا كنت تأخذني معك وأنا أحقّ من جميع الناس وأساعدك على ما تريد وأنا خائف أن تكون امرأة أجنبيّة فتروح روحك فإنّ مدينة بغداد ما يقدر أحد يعمل فيها شيء ووالي بغداد جبّار وربّما يَصّدِفك يرمي رقبتك فقلت له يا شيخ النحس أيش هذا الكلام الّذي تقابلني به وقد ملئت غيظاً وقد جاء وقت الصلاة وفرغ من حلق رأسي فقلت له الآن امض إلى أصحابك بهذا الطعام وأنا منتظرك إلى أن تعود وتمضي معي ولم أزل أداهنه وأخادعه وهو يقول لا أمضي إلّا معك ولا أدعك تروح وحدك حتّى حلفت له أنّي أنتظره لمّا يعود وأمضي أنا وإيّاه فأخذ جميع ما أعطيته له وخرج من عندي ثمّ إنّه أنفذه مع حمّال إلى منزله وأخفى نفسه في بعض الأزقّة

١٦،٣٩،١١ ثمّ إنّي قمت من وقتي وساعتي وقد سلّم المؤذّن وضاق الوقت فلبست ثيابي وسرت مسرعاً وحدي إلى أن أتيت الزقاق ووقفت على الدار الّتي رأيت فيها الصبيّة وهذا التعيس المزيّن خلفي وأنا لا أشعر به فوجدت الباب مفتوح فدخلت فوجدت العجوز واقفة تنتظرني فطلعتني الطبقة الّتي للصبيّة فما أشعر إلّا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل القاعة وأغلق الباب فأشرفت أنا من الطاق ورأيت هذا المزيّن قاتله الله قاعد على الباب فقلت إنّا لله وإنّا إليه راجعون من أين علم هذا النحس بي حتّى ساقه الله تعالى إليّ لهتك ستري ثمّ إنّ صاحب الدار ضرب جارية من جواره فأتى عبده ليخلّصها فضربه فصاح العبد فاعتقد هذا المزيّن الخبيث أنّه يضربني فصاح وخرق ثيابه ووضع التراب على رأسه وصار يقول قُتِلَ سيّدي في بيت القاضي

واسيِّداه واسيِّداه فأقبلت إليه الناس وهو يصيح ثمّ مضى إلى داري والناس خلفه وأعلم أهلي وغلماني وقال لهم سيّدي قتل في بيت قاضي بغداد فجاءوني صارخين راخين الشعور وهو يصيح قدّامهم الله ينصر السلطان في القاضي قتل استادي

١٧،٣٩،١١ فسمع صاحب الدار ضجّة الخلق والصراخ والعياط والناس يقولون له تقتل في دارك أولاد الناس والمزيّن يقول واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا النحس يقول الله ينصر فيك السلطان فقال يا قوم ما القصّة فقال له المزيّن تقتل سيّدنا في دارك فقال له وأين سيّدك حتّى أقتله فقال له هذا الخبيث المزيّن أنت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي له حسّ وما هو إلّا أنّك قتلته فقال القاضي ومن أدخل سيّدك داري بغير أذني فقال له إنّه عاشق بنتك وقد دخل لها فلمّا جئت ورأيته ضربته وقتلته وما بقي يفرّق بيني وبينك إلّا السلطان أو تخرجه من بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الخجل والحياء من الناس إن كنت صادق ادخل أنت وأخرجه فنهض هذا الشقيّ ودخل الدار

١٨،٣٩،١١ فلمّا رأيته طلبت طريقاً أخرج منها أو موضعاً أهرب فيه فلم أجد غير صندوق كبير فدخلت فيه وردّيت عليّ الغطاء وقطعت الحسّ فالتفت هذا النحس الخبيث فلم ير غير الصندوق في المحلّ الّذي كنت فيه فأتى إليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلي وخرج بي مسرعاً فلمّا علمت أنّه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق إلى الأرض فانكسرت رجلي وخرجت فرأيت خلقاً على الباب مثل التراب فصرت أنثر الدنانير على رؤوسهم فالتهوا عنّي وصرت أجري في أزقّة بغداد وهذا الخبيث النحس يجري خلفي ويقول احمد الله يا سيّدي الّذي خلّصك من القتل وأنا وراءك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشقة بنت القاضي وعشق النساء صعب وصار يشنّع عليّ في الأسواق ويهتكني بالكلام إلى أن هربت منه في خان فقلت للبوّاب بالله عليك امنعه عنّي فقام عليه البوّاب ومنعه وقد زهقت روحي وأشرفت على الهلاك وأتيت إلى فقي وكتبت وصيّتي وأرسلتها لأهلي وأخذت معي جانب من الدراهم وسافرت وحلفت لا أسكن في بلد فيها هذا المزيّن التعيس

فلمّا جئت إلى بلدكم هذه دمشق ودعاني صاحب الوليمة ورأيت هذا الشقيّ جالس ١٩،٣٩،١١
فما طاب لي الجلوس ولا الأكل وهذه يا جماعة قصّتي قال فالتفتوا إليه وقالوا له
هذا الكلام صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو يحمد الله الّذي خلّصته وبكسر رجله ولا
بضرب عنقه وانا عملت معه هذا الجميل فقالوا قاتل الله الأبعد هتكت الشابّ وغرّبته
عن أهله وهتكت قاضي بغداد ثمّ إنّهم أخرجوه من عندهم وأكرموا الشابّ وتعجّبوا ممّا
فعله معه وكلّ منهم مضى إلى حال سبيله وفي الغالب أنّ كثرة الكلام عند أرباب
هذه الصناعة لكن هذا النحس زاد في الثقالة وعدم الذوق

(ثمّ إنّ الناظم) بعد ذلك قال ٢٠،٣٩،١١

ص

وَبَجْلِسْ بِجَنْبِي إِبْنُ جَرْوٍ وَكُلْ خَرَهْ وَإِبْنُ كُلِ ٱلصَّكَّ ٱلنَّضِيفَ وَضِيفْ ٤٠،١١
وَإِبْنُ فِسَا ٱلتِّيرَانْ وَإِبْنُ خَرَا ٱلْحَسْ وَقَلّوطْ وَٱلزِّبْلَهْ وَإِبْنُ كَنِيفْ

ش

هؤلاء مشايخ بلد الناظم افتخر بذكرهم وأجرى أسماءهم على لسانه والمعنى أنّه يقول ١،٤٠،١١
إنّي إذا نزلت من المدينة وأنا مكسيّ لبدة وشدّ مشنير وأنا كما الكلب كما تقدّم ذكره
وأتوا إليّ مشايخ البلد المذكورين وجلسوا بجانبي وهم ثمانية رجال

(إِبْنُ جَرْوٍ و) الثاني ابن ٢،٤٠،١١

(كُلْ خَرَهْ و) الثالث ٣،٤٠،١١

(إِبْنُ كُلِ الصَّكَّ النَّضِيفْ) أي المتراسل بعضه إثْرَ بعض حتّى يخلّي القفا مثل عَلَمَ ٤،٤٠،١١
سيّدي أحمد البدويّ مثلاً وقيل إنّ الصكّ النضيف شرطه أن يكون من رجل

شديد ويكون قفا الشخص مُصْلَحِ من غير شيء يمنع عنه الصكّ ويراسله بالصكّ بالسرعة والعجلة حتّى يحمرّ قفاه فعلامة نضافة الصكّ احمرار القفا وورمه

(حُكِيَ) أنّ أبا نواس نادم أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة فأنعم عليه بجارية وأمر بحملها معه وقال لها إذا طلب منك الحاجة فصكّيه وكلّما أراد الطلب زيديه من الصكّ فلمّا وصل إلى منزله وأراد منها الفعل نزلت في قفاه صكّاً وهكذا فلمّا أصبح أتى الخليفة وهو في غاية ما يكون من الألم لا يقدر يلتفت يميناً ولا شمالاً فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك يا أبا نواس مع الجارية قال كانت طيّبة إلّا أنّ مولانا عوّدها عادة قبيحة فضحك منه وأنعم عليه بمال وغيره وقوله ٥،٤٠،١١

(وضيفْ) وأتى به لتمام البيت والرابع ٦،٤٠،١١

(إِبْنُ فِسا التيرانْ) سمّي بذلك لأنّ أبوه كان انقطع مدّة في داره لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء واتّخذ له محلّاً بين التيران يسمّى طوالة فصار يفسي فيها ليلاً ونهاراً فصار كلّ من شمّ رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا التيران فسمّي بذلك والخامس ٧،٤٠،١١

(إِبْنُ خَرا إِلْحَسْ) سمّي أبوه بذلك لكثرة لحسه من الجلّة وهو صغير وقيل إنّه قلع عَرَقيّته ووضعها على الأرض وصار يخرى فيها حتّى ملأها وصار يلحس من حواليها فسمّي بذلك والسادس ٨،٤٠،١١

(قَلّوطْ) مشتقّ من القَلْط على وزن الضَرْط والهَلْط يقال (فلان غلظ قلّوطه) بمعنى أنّه شبع من الرزق وبقي في الكفر أمر عظيم ٩،٤٠،١١

والسابع من مشايخ البلد (الزِبْلَهْ) سمّي بذلك لأنّه كان في صغره مشغول بلمّ زبل الغنم وبيعه وكان هذا سبب سعادته وكان بينه وبين قلّوط صداقة في البلد فكان قلّوط دائماً فيها لا يفارقها والزبلة تارة يسافر وتارة يقعد فيها وكان قلوط هذا في وسطها ١٠،٤٠،١١

سواء بسواء والزبلة في طرفها وكانوا أيضاً يهادوا بعضهم بعضاً وبينهم محبّة ومناسبة لأنّ الزبلة قريبة من القلّوط لكنّ ابن خرا الحس أعظم مَنْ في البلد وأكبر من الكلّ

(ومن النوادر) أنّ بعض الولاة من المغفَّلين قال لكاتبه اكتُب لفلان وأغلظ عليه وقل ١١،٤٠،١١ له يا خراء افعل كذا وكذا قال له الكاتب يا مولاي لا يصلح هذا فقال له حيث كان الأمر كذلك الحس موضع الخراء بلسانك والثامن

(إبْنُ كَنيفْ) وكان فيها دائماً يتعاطى مصالح البلد وكان نديماً لقلّوط وابن خرا الحس ١٢،٤٠،١١ إلّا أنّ ابن خرا الحس كان محبوب ابن كنيف في الصغر فلمّا كبر صار ابن كنيف نديماً له كما قال بعضهم مواليا [بسيط]

وِطْواطْ عشقْ خنفسا وصبحْ بها مجحوبْ   وعملْ لها قصرَ جوّا بيت خلا من طوبْ
وحضّر النُقَلَ والمأكولَ والمشروبْ   ما للنديمِ الخرا إلّا لِدي المحبوبْ

ثمّ إنّ الناظم قال ١٣،٤٠،١١

ص

وَأَفْرَحُ بِٱللَّهِ وَيَنْسَرُّ خَاطِرِي   وَهَذَا مُرَادِي يَا ٱبْنَ بِنْتِ عَرِيفْ ٤١،١١

ش

هذا كلّه خطاباً لابن بنت عريف المتقدّم ذكره أي أنّه مترجّي من الله أن يبلغه مناه ١،٤١،١١ من سرقة الزرابين المتقدّمة ويمنّ عليه حتّى ينزل من المدينة بلبدة وكرّمشنير وله مقام ومقال ويجتمع عليه مشايخ البلد المتقدّم ذكرهم ولا يُحتاج لإعادتهم فإنّ الإعادة ما فيها إفادة وقد عرّفتُ أسماءهم باللفظ والذوق وملخّص القول أنّ الناظم يقول إن حصل لي هذا فهو غاية مرادي من الدنيا وتمام مطلوبي من اللذّات فإنّي كبرت

والزوجة صارت عجوز عقيم وإذا منّ الله تعالى عليّ بما طلبته يبقى رزق امراتي على الله لأنّه كريم ورزّاق العواجز وأنا على حدّ قول القائل [وزن غير معروف]

يا من طلب رِزْق ونالو وقال بقى رزقُ امراتي
قم في الظلام سرّح دقنك لا بدّ لك من خير ياتي

(أو أنّه) اختصّ بالطلب لنفسه وقال لعقله (المرا تاكل خرا) و(ألف دقن ولا دقني)
(ثمّ إنّه ختم) كلامه بالصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال ٢،٤١،١١

ص

وَأَخْتِمْ قَصِيدِي بِٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلنَّبِي نَبِيٍّ عَرَبِيٍّ مَكِّيٍّ شَرِيفٍ عَفِيفْ ٤٢،١١

ش

وقد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم من صلّى عليّ في ١،٤٢،١١ كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفي الشفاء لابن سبع عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال أكثروا من الصلاة عليّ فإنّها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان والأحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كثيرة

﴿ذكر بعض نوادر متفرّقة نختم بها الكتاب﴾

١،١٢ ﴿قيل﴾ تزوّج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة أزواج فلمّا مرض هذا السادس صارت تبكي وتقول إلى مَن تَكِلُني بعدك فقال لها إلى السابع الشقيّ

٢،١٢ ﴿وحكي﴾ أنّ بعض اللطفاء كان يكثر من الشراب سرًّا وكان عليه حَجْر من أبيه فبلغ والده ذلك فما زال يتتبّع أخباره إلى أن رآه ومعه قنينة الخمر فمسكها وقال له ما هذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن أبيض وهذا أحمر قال صدقت ولكنّه كان أبيض فلمّا رآك خجل واستحى واحمرّ ولعن الله من لا يستحي فخجل أبوه وتركه وانصرف

٣،١٢ ﴿وقيل﴾ كان بعضهم إذا غضبت زوجته بادر إلى رفع رجليها واستعمال نكاحها فقالت له يوماً أنا كلمّا اشتدّ غضبي عليك تأتيني بشفيع معك لا أستطيع رده

٤،١٢ ﴿وقيل﴾ دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك أيره وقال السلام عليكم فقام القاضي وكشف عن استه واندار به إلى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

٥،١٢ ﴿وحكي﴾ عن الأصمعيّ أنّه قال كنت عند الرشيد فقال من عندك يوانسك قلت ليس عندي أحد فلمّا ذهبت إلى منزلي أرسل لي جارية بديعة الحسن والجمال فوانستني بكلامها وخلعت ثيابي وثيابها وأكلنا وشربنا وأردت الفعل منها فلم ينتصب لي شيء واعتراني غاية الفتور فصارت تقلّب أيري بيدها وهو لا ينتصب وأنا منها في حياء وخجل فلمّا أيست منه قالت يا سيّدي دع أيرك فما منه حيلة ولا نفع ثمّ قامت وقالت لي نم على ظهرك حتّى أغسله وأكفّنه فخجلت منها ولم أقدر أخالفها فغسلته وكفّنته بمنديل ثمّ قالت قم صلّ عليه فقمت وأنا في غاية الخجل فتوضأت وصلّيت الصبح وسرت من وقتي إلى الرشيد فقال لي ما خبرك فقلت له يا أمير المؤمنين حكايتي غريبة

وأخبرته بما جرى لي معها فضحك حتّى استلقى على ظهره وقال نحن أحوج إليها منك لصغرها وعوّضني جارية غيرها وعشرة آلاف درهم

٦،١٢ (ومات مجوسيّ) وعليه دين فقال بعض غرماءه لولده لِمَ لا تبيع دارك وتخفّف بها عن أبيك دينه فقال إذا بعت أنا داري وقضيت دينه هل يدخل الجنّة قالوا لا قال دعوه في النار وأنا في الدار

٧،١٢ (وقيل) كان رجل نحويّ اسمه زيد فرأى غلاماً يسمّى بكر فلمّا اختلى به قال له يا ولدي حرّك الأير حركة الإعراب * فإنّه فاعل بلا ارتياب * ومدّه إلى استك كالمدّ المتّصل * واجعل الهمز آلة له لئلاّ ينفصل * وأطال الكلام فدخل رجل يسمّى عمرو فصكّ زيداً[1] وقال له أَعْرِبْ ضرب عمرو زيداً فقام الولد وهو يجري ويقول وأَعْرِبْ وخرج بكر هارباً

٨،١٢ (وقيل) مرض رجل نحويّ وكان بعيداً عن أهله فرأى غلاماً يعرفه من أولاد جيرانه فقال له امض إلى أهلي وقل لهم إنّ فلاناً قد أصابه داء أوجع رُكَيْبَتَيْهِ * وآذى خُصَيْيَتَيْهِ * وأسقم بَشَرَته * وزاد عِلّته * وأسهر مُقْلَته * وأجرى عِبْرته * وصار يكثر على الغلام * من هذا الكلام * فقال له الغلام يا سيّدي اقْصِرْ أنا أقول لأهلك قد مات ولا يحتاج لهذا كلّه

٩،١٢ (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده أَوْصِني فقال إذا جلست على مائدة الأكل وتكلّم معك إنسان فلا تزيد على قول نعم ولا تكرّرها فإنّك إذا كرّرتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها

١٠،١٢ (وقال بعض الطُفَيْليّة) إذا طلعت الشمس على الفقير ولم يتغذّ نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب

١١،١٢ (وقيل) جاء رجل إلى امرأة بلحم فقال لها اسلقي بعضه فإنّه ينفع البطن واقلي بعضه فإنّه ينفع الظهر واشوي بعضه فإنّه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا لا قِدر ولا حطب والأولى أنّي أشوي الجميع

---

[1] بي: زيد.

١٢،١٢ (ووقف بعض النحاة) على قصّاب وقال له هذا اللحم من الضأن الفَتِيّ أو من المَعْز الثَنِيّ قال هو من خِيار الضأن قال قد ذَبَحْتَهُ لِغَرَضٍ أم لِمَرَض فقال حتّى أتبلّغ به أنا وعيالي قال أَوَكان ذَكَرًا ذا خُصيَتَيْنِ أَمْ أُنْثَىً ذات حَلَمَتَيْنِ قال كان ذكرًا ينطح الحائط يرميه قال أَفَكان يَمُجُّ الماءَ بِشِدْقَيْهِ أَمْ يَمُصُّهُ بِشَفَتَيْهِ قال كان يدلّي زلّومته في الماء ويشرب حتّى يشبع قال أَفَكان مَرْعاتُهُ الشِيحَ والبُعَيْثَرَان أَمْ العَصْفَ والرَيْحان قال كان يرعى من نبات الأرض أي شيءٍ كان قال أَسَنَنْتَ شَفْرَتَكَ وحَدَّدْتَ مَدْيَتَك قال جعلتها لو وقعت على رقبة الأبعد قطعتها قال أَفَبَدَأْتَ بالبَسْمَلَةِ وأَظْهَرْتَ الحَيْعَلَةِ الّتي على وَزْنِ فَيْعَلَة وقيل فَعْلَلَة والصَحيحُ الأَوَّل فقال القصّاب لغلامه هات الجلد حتّى أقطعه على أكتاف هذا النحس الّذي أبطلنا وقطع رزقنا اليوم فلمّا سمع النحويّ ذلك شتم وهرب

١٣،١٢ (وحكي) أنّ بعض اللطفاء امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج فمرّ به بعض أصحابه فقال له ما هذا فقال مولانا الأمير امتدحته بأحسن أشعاري فخلع عليّ خلعة من أحسن ملابسه فبلغ الأمير فضحك وأرسل خلفه وأجازه بجائزة حسنة

١٤،١٢ (وحكي عن الأصمعيّ) أنّه قال رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال أسود فقلت لها ما اسمك قالت مكّة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الأسود فقلت لها إنّي أريد أن أطوف بالبيت وأقبّل الحجر الأسود فقالت هيهات ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ﴾ فأخرجت لها صُرّة فيها بعض الدنانير وناولتها إيّاها فقالت ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ إن شئت فقبّل الحجر الأسود وإن شئت فادخل الحرم قال فأذهلني حسنها وجمالها

١٥،١٢ (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة ومعها ولد جميل فزنا بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد أعرفه فلعلّنا إن رجعنا نظفر به ونعرض أمره على الحكّام فقال لها أمّا أنا فكان ظهري لوجهه وأمّا أنت فوجهك لوجهه فمعرفتك له أبلغ من معرفتي إيّاه

(وأرسل) بعض المغفّلين إلى صديق له يقوله [متقارب] ١٦،١٢

إذا مـا ذَكَرتُكِ يا مُـنْيَتي   يَسيلُ المخاطُ على لِحيـتي
ولَيتَكِ عِندي إذا ما خَريتُ   يكون لِسـانُكِ في ثُقْبَـتي
نَسيمُكِ عَطّلَ مـاءَ السَّما   وأَورَثَني الخـامَ في رُكبَـتي
إذا لم تـزُوري أنا مُـدْنِفٌ   فإنَّ الهوى سَهّلَ معـدتي

(وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرّض له مَنْ الذي يقول [منسرح] ١٧،١٢

قاضٍ يرى الحدّ في الزناء ولا   يَرى على مَن يَلوطُ من باسِ

قال أَوَما يعرف أمير المؤمنين من قاله قال لا قال يحيى يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الّذي يقول [منسرح]

أمـيرُنا يـرتَشي وحـاكِمُنـا   يَلوطُ والرَّأسُ شَرُّ ما راسِ
لا أرى الجودَ يَنقَضي وعلى الـ   ـأمّةِ والٍ من بني العبّاسِ

فأُفحِم المأمون وسكت خجلاً

وممّا ينسب للحريريّ رحمه الله تعالى [طويل] ١٨،١٢

صَـديقُكَ في هذا الزَّمـانِ مُنـافِقٌ   وخِلُّكَ خَلٌّ دعْه واحذر بوائقَـهْ
ونَافِقْ فقـد آن النِّفـاقُ ولا تَخَفْ   كَسـادًا فـأحوالُ المُنـافِق نافقَـهْ
وعرّضْ وقُدْ واظلمْ وبالفُحش فافتخرْ   فما رفعتْ دنياك حُرًّا ولا ثقَـهْ
وما فيك غيرُ الدّينِ عيبٌ ولن ترى   بـدهـرك إلّا مُـلْحِدًا وزنادقَـهْ

ومثل ذلك قول الأبي صيريّ الأديب عفا الله عنه [وزن غير معروف] ١٩،١٢

ستّة في الهوى افعلهم　　بعـد الموت بهـم تُذكَر
اِتْمَخْوَلْ وعـرّص وافسق　　وغن وقـامـر واسكر

(ونختم هذا الكتاب بأبيات من بحر الخرافات فنقول)

[رجز]

تمّ كتاب الهلس والتخريف   وما جرى في وصف أهل الريفِ   ١،١٣
جعلته جزئين باختصارْ   فجاء كالزبلة في التيارْ
لكنّه مع ثقل المعاني   وخبط عشوى يا ذوي العرفانِ
ولفظه الكثيف في المقالِ   وحَشْوِهِ مسائل الهبالِ
أبحاثه الّتي كما لحس الخرا   يا وجه الأصحاب حقيقًا لا مرا
فلَيسَ يخلو جَمعُه من فائدهْ   من نكتةٍ أو قصّةٍ مشاهِدهْ   ٢،١٣
وأصلُ ما ألجأني لفعلِهِ   وشرحِهِ ونسخِهِ ونقلِهِ
العارفُ الحَبْرُ وحيدُ الدَّهرِ   وعالمُ الإسلامِ زاكي الفَخرِ
كانَ إمامَ مَصدَرِ الطّلابِ   وروضةَ العلومِ والآدابِ
ومعدنَ الجودِ معَ المطلوبِ   أعني الإمامَ أحمد السَنْدوبي
جزاه ربّ العرش جنّات النعيمْ   مع النظرْ لوجهِ مولانا الكريمْ
والله يرحمْ من قرا كتابي   هذا ويرشدْه إلى الصّوابِ   ٣،١٣
ومن رأى فيه عيوبًا وخَلَلْ   وسدّها فالشّخص يغروه الزَلَلْ
ولا تلمني فالسّماحُ أفضلُ   واعذرْ أخاك مُكرَهًا يا بطلُ
والحمد لله على التّمامِ   ثمّ صلاة الله معْ سلامِ
على النبيّ الهاشميّ أحمدا   والآلِ والأصحابِ أَنْجُمِ الهُدى
ما غرّدتْ ساجعة الأطيارِ   أو لاح بَرْقٌ في دُجى الأسحارِ

NEW YORK UNIVERSITY PRESS
New York

Originally published in two volumes

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data
Names: Shirbini, Yusuf ibn Muhammad, active 1665-1687, author. | Davies, Humphrey T. (Humphrey Taman), editor translator. | Shirbini, Yusuf ibn Muhammad, active 1665-1687. Hazz al-quhuf fi sharh qasid Abi Shaduf. English. | Shirbini, Yusuf ibn Muhammad, active 1665-1687. Hazz al-quhuf fi sharh qasid Abi Shaduf.
Title: Brains confounded by the ode of Abu Shaduf expounded / Yusuf Ibn Muhammad Ibn Abd al-Jawad Ibn Khidr al-Shirbini; edited and translated by Humphrey Davies.
Description: New York : New York Univeristy Press, 2016. | In English with orginal Arabic text. | Includes bibliographical references and index.
Identifiers: LCCN 2016006848 (print) | LCCN 2016008844 (ebook) | ISBN 9781479882342 (cl : alk. paper) | ISBN 9781479838905 (cl : alk. paper) | ISBN 9781479822362 (e-book) | ISBN 9781479888252 (e-book) | ISBN 9781479809721 (e-book) | ISBN 9781479892389 (e-book)
Subjects: LCSH: Villages--Egypt--Early works to 1800. | Egypt--Rural conditions--Early works to 1800. | Social problems in literature--Early works to 1800. | Satire, Arabic--Egypt--Early works to 1800. | Arabic literature--Egypt--Early works to 1800.
Classification: LCC HN786.A8 .S5513 2016 (print) | LCC HN786.A8 (ebook) | DDC 307.760932--dc23
LC record available at http://lccn.loc.gov/2016006848

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.